

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190314

UNIVERSAL
LIBRARY



قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الابر وفدا لله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطه رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه آمين

الحمد لله الذي ذلل الارض لعباده ليسلكوا منها سبلا خفا . وجعل منها واليه اتاراتهم الثلاث نباتا واعادة واخراجا . دحاها بقدرته فكانت مهادا للعباد . وأرساها بالاعلام الراسيات والاطواد . ورفع فوقها سمك السماء بغير عمد . واطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر . وجعل القمر نورا والشمس سراجا . ثم أنزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد المات . وأنبت فيها من كل الثمرات . وفطر أقطارها بصنوف النبات . وفجر البحرين عذبا فراتا . وملحا أجاجا . وأكل على خلقه الانعام . بتذليل مطايا الانعام . وتسخير المنشآت كالاعلام . ليمتطوا من صهوة القفر ومن البحر اثابجا . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجا . وطلع نور هدايته وهاجا . بعثه الله تعالى رحمة للعالمين . واختاره خاتما للنبيين . وأمكن صوارمه من رقاب المشركين . حتي دخل الناس في دين الله أفواجا . وأيده بالمعجزات الباهرات * وأنطق بتصديقه الجمادات . وأحيا بدعوته الرمم الباليات . وفجر من بين أنامله ماء نجا . ورضي الله تعالى عن المتشرفين بالانماء اليه أصحابا وآلا وأزواجا . المقيمين قتاة الدين فلا تخشى بعدهم اعوجاجا . فهم الذين آزره على جهاد الاعداء . وظاهروه على اظهار الملة البيضاء . وقاموا بحقوقها الكريمة من الهجرة والنصرة والابواء . واقتحموا دونه نار البأس حاميه . وخاضوا بحر الموت عجا . ونستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين . المتوكل على رب العالمين . الجاهد في سبيل الله . المؤيد بنصر الله — أبي عنان فارس ابن موالينا الائمة المهتدين . الخلفاء الراشدين . نصر يوسع الدنيا

وأهلها ابتمها جا * وسعدا يكون لزمانة الزمان علاجا * كما وهبه الله بأسا وجود الممدوع طاغيا
ولا محتاجا * وجعل بسيفه وسيفه لكل ضيقة انفراجا * (وبعد) فقد قضت العقول * وحكم
المعقول والمنقول * بان هذه الخلقة العلية . المجاهدة المتوكلية الفارسية . هي ظل الله الممدود على
الانام رحيله الذي نه الاعتصام وفي سلاك طاعته يجب الانتظام فهي التي أبرأت الدين
عند اعتلاله وأغمدت سيف الغدوان عند انسلاله وأصلحت الايام بعد فسادها ونفقت
سوق العلم بعد كسادها وأوضحت طرق البر عند إنهاجها وسكنت أقطار الارض عند
ارتجاجها وأحييت سنن المكارم بعد مماتها وأماتت رسوم المظالم بعد حياتها وأخمدت
نار الفتنة عند اشتعالها ونقضت أحكام البغي عند استقلاها وشادت مباني الحق على عما
التقوي واستمسكت من التوكل على الله بالسبب الاقوى فلها العز الذي عقدناه على
مفرق الجوزاء . والمجد الذي جرد أذياله على بحيرة السماء والسعد الذي رد على الزمان غض
شبابه والعدل الذي مد على أهل الايمان مديداً طنا به والجود الذي قطر سحابه للجن
والنضار والباس الذي فيض غمامه الدم الموار والنصر الذي تفيض كتابه الاجل
والتأييد الذي بعض غنائمه الدول والبطش الذي سبق سيفه العذل والاناة التي لا يمل
عندها الامل والحزم الذي يسد على الاعداء وجوه المسارب والعزم الذي يفل جموعها
قبل قراع الكتاب والحلم الذي يجني العفو من ثمر الذنوب والرفق الذي جمع على محبته
بنات القلوب والعلم الذي يجلو نوره دياجى المشكلات والعمل المقيد بالاخلاص والاعمال
بالنيات (ولما كانت حضرته العلية) مطمح الآمال ومسرح همم الرجال ومحط رحال
الفضائل ومثابة أمن الخائف ومنية السائل توخي الزمان خدمتها بيدائع تحفه وروائع
طرفه فانتال عليها العلماء انثيال جودها على الصفات وتسابق اليها الادباء تسابق عزماتها
الى العادات وحج العارفون حرمها الشريف وقصد السائحون استطلاع معناها المنيف
ولجا الخائفون الى الامتناع بعزجنابها واستجارت الملوك بخدمة أبوابها فهي القطب الذي
عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بدية عقل الجاهل والعالم وعن مآثرها
الفائقة يسند صحاح الآثار كل مسلم وبإكمال محاسنها الرافعة يفصح كل معلم وكان ممن وفد
على بابها السامي وتعدى اوشال البلاد الى بحرها الطامي الشيخ الفقيه السامخ الثقة الصدوق
جوال الارض ومخترق الاقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن
ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في بلاد الشرقية بشمس الدين وهو
الذي طاف الارض معتبرا وطوى الامصار مخترعا وباحث فرق الامم وسيرسبى العرب

والعجيم ثم اتى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم ان لها مزية الفضل دون شرط ولا نثيا وطوى المشارق الى مطلع بدرها بانفرب وانرها على الاقطار إثثار التبر على الترب اختصارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ورغبة في اللحاق بالطائفة التي لا تزال على الحق فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الحفي الحفيل ما أنساه لما مضى بالخال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه فنسي ما كان أنه من جولان البلاد وظفر بالمرعى الخصب بعد طول الارتياح ونفذت الإشارة الكريمة بان يلي مشاهدته في رحلته من الامصار. وما علق يحفظه من نوادر الاخبار. ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار. وعلمائها الاخيار.

وأولائها الابرار. فاملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر. وبهجة المسامع والنواظر. من كل غريبة أفاد باحتلاؤها. وعجيبة اطراف بانتحائها. وصدر الامر الى لبعدهم مقامهم الكريم المنقطع الى بابهم. المتشرف بخدمة جناهم. محمد بن محمد بن جزى الكلبي اياه الله على خدمتهم. واوزعه شكر نعمتهم. ان يضم اطراف ما هلاه. الشيخ ابو عبد الله. من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا. ولئيل مقاصده مكتملا. متوخيا تنقيح الكلام ونهذية. معتمدا ايضا حقه وتقريبه، ليقع الاستمتاع بتلك الطرف. وبِعظم الانتفاع بدرها عند تجريدته عن الصدف. فامثل ما امر به مبادرا. وشرع في منهله ليكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا. ونقلت معاني كلام الشيخ ابي عبد الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها. موضحة للمناحي التي اعتمدها. وربما وردت لفظه على وضعه.

فلم اخل باصله ولا فرعه. واوردت جميع ما اورده من الحكايات والاخبار. ولم تعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار. على انه سلك في اسناد صحاحها اقوم المسالك. وخرج عن عدة سائر ما يباشر من الالفاظ بذلك. وقيد المشكل من اسماء المواضع والرجال بالمشكل والنقط. ليكون اتق في التصحيح والضبط. وشرحت ما مكنتني شرحه من الاسماء العجيبة لانها تلتبس بعجمتها على الناس ويخطئ في فك معماها موهوم والقياس. وانا نارجو ان يقع ما قصدته من المقام العلى ايده الله بمحل القبول. وابلغ من الاعضاء عن تقصيره الاممول. ففوائدهم في السباح جميلة. ومكارمهم بالصفيح عن الهفوات كفيلة. والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتمكين. ويعرفهم عوارف التايد والفتح المبين

— قال الشيخ ابو عبد الله — كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام. وزيارة قبر

الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام . منفردا عن رفيق آس بصحبته وركب أكون في
جهلته لباعث على النفس شديد العزائم * وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم .
فجزمت أمرى على هجر الاحباب من الاناث والذكور . وفارقت وطنى مفارقة الطيور
للوكور . وكان والدى بقاء الحياة فتحملت لبعدها وصبا ولقيت كما لقيانا من الفراق نصبا *
وسنى يومئذ ثنتان وعشرون سنة قال ابن جزى أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة ان
مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعائة

(رجع) وكان ارتحالى في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين الجاهد في سبيل رب
العالين الذى رويت أخبار جوده موصولة الاسناد بالاسناد . وشهرت آثار كرمه شهرة
واضحة الأشهاد . وتحلت الأيام بحلى فضله . وترع الانام في ظل رفقته وعدله . الامام
المقدس أبوسعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذى قل حد الشريك صدق عزائم .
وأطفأت نار الكفر جداول صوارمه . وفتكت بعباد الصليب كتائبه . وكرمت في
اخلاص الجهاد مذهبه . الامام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه
وسقى ضرائحهم المقدسة من صوب الحياة طله وانهائه : وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام
والمسلمين . وابقى الملك في عقبهم الى يوم الدين . فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ
أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان . ووافقت بهار رسولى ملك
افريقية السلطان أبى يحيى رحمه الله وهما قاضى الانكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبى
بكر بن على بن ابراهيم النفزاوي . والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله
القرشى الزبيدى — بضم الزاي نسبة الى قرية بساحل المهدية — وهو أحد الفضلاء وفاته عام
اربعين وفي يوم وصولى الى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فاشار على بعض الاخوان
بمرافقتهم فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقمت بتلمسان ثلاثا في قضاء ما ربي وخرجت
أجد السير في آثارها فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها وذلك في إبان القيظ فلحق الفقيهين
مرض أقمنا بسببه عشراتهم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالعاضي منهما فاقمنا ببعض المياه على مسافة
أربعة أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضي نخبه ضحى اليوم الرابع فعادا بنه أبو الطيب ورفيقه
أبو عبد الله الزبيدى الى مليانة فقبروه بها وتركتهم هنالك وارتحلت مع رفقة من تجار تونس
منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولى ومحمد بن الحاجر فوصلنا مدينة الجزائر وأقمنا
بخراجها أياما الى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي فتوجهنا جميعا على منبجة الى
جبل الزان ثم وصلنا الى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله بدار قاضيه أبى عبد الله

الزواوى ونزل أبو الطيب ابن القاضى بدار الفقيه أبي عبد الله المفسر وكان أمير بجاية
اذ ذاك ابا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفى من تجار تونس الذين صحبتهم
من مليانة محمد بن الحجر الذى تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب وأوصى
بها لرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها الى ورثته بتونس فانتهى خبره
لابن سيد الناس المذكور فانتزعها من يده وهذا اول مآسده من ظلم عمال الموحدىن
وولانهم . ولما وصلنا الى بجاية كما ذكرته أصابتنى الحمى فاشار على أبو عبد الله الزيدى
بالاقامة فيها حتى يتمكن البرء منى فاييت وقلت ان قضى الله عز وجل بالموت فتكون
وفاتى بالطريق وانا قاصد ارض الحجاز فقال لى امان عزمتم فجع دابتك وثقل المتاع
وانا اعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا فاننا نجد السير خوف غارة العرب فى الطريق
ففعلت هذا واعارنى ما وعد به جزاءه الله خيرا وكان ذلك اول مآسهرلى من اللطاف
الالهية فى تلك الوجهة الحجازية وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها
وأصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور هنالك فلما كان من الغد
تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء بسمى بابى الحسن فنظر الى ثيابى وقدلوها
المطر فامر بغسلها فى داره وكان الاحرام منها خلقا فبعث مكانه احراما بعلبكيا وصر
فى أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتتح به على فى وجهتى ورحلنا
الى ان وصلنا مدينة بونه ونزلنا بداخلها وأقنا بها أياما ثم تركناها من كان فى صحبتنا
من التجار لاجل الخوف فى الطريق وتجردنا للسير وواصلنا الجدواصا بتنى الحمى فكنت
أشد نفسى بعامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكننى النزول من
الخوف الى ان وصلنا مدينة تونس فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزيدى ولقاء
أبى الطيب ابن القاضى ابى عبد الله النفزاوى فاقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال
ولم يسلم على احد لعدم معرفتى بهم فوجدت من ذلك فى النفس ما لم املك معه سوا بق
العبرة واشتد بكائي فشرع بحالى بعض الحجاج فاقبل على بالسلام والا يناس وما زال
يؤنسني بحد يته حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين — قال ابن جزى أخبرنى
شيخى قاضى الجماعة اخطب الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السامى هو ابن
الحاج البلقى انه جرى له مثل هذه الحكاية قال قصدت مدينة بلش من بلاد الاندلس
فى ليلة عيد برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد عن أبى عبد الله ابن الكاد وحضرت
المصلى مع الناس فلما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام وأنا

في ناحية لا يسلم على أحد فقصد الى شيخ من أهل المدينة المذكورة وأقبل على بالاسلام والايانس وقال نظرت اليك فرأيتك متبذرا عن الناس لا يسلم عليك أحد فعرفت انك غريب فاحببت ايناسك جزاء الله خيرا (رجع)

— ذكر سلطان تونس —

وكان سلطان تونس عند دخولى اليها السلطان أبا يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى ابن السلطان أبي اسحاق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله . وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة بها ابو عبد الله محمد بن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصاري الخزرجي البليسي الاصل ثم التونسي هو ابن الغاز . ومنهم الخطيب ابو اسحق ابراهيم بن حسين ابن علي بن عبد الرقيق الربيعي وولى أيضاً قضاء الجماعة في خمس دول . ومنهم الفقيه أبو علي عمر بن علي بن قداح الهواري وولى أيضاً قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوائده انه يستند كل يوم جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه الناس في المسائل فلما أفتي في أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واظلني بتونس عيد الفطر فحضرت المصلى وقداحتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا في أجمل هيئة وأكمل شارة ووافى السلطان أبو يحيى المذكور راكباً وجميع أقاربه وخواصه وخدام مملكته مشاة على أقدامهم في ترتيبه عجيب وصاليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف الناس الى منازلهم وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبي يعقوب السوسي من أهل أقل من بلاد افريقية وأكثره المصامدة فقد موني قاضياً بينهم وخرجنا من تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالكين طريق الساحل فوصلنا الى بلدة سوسة وهي صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بينها وبين مدينة تونس أربعون ميلاً . ثم وصلنا الى مدينة صفاقس وبخارج هذه البلدة قبر الامام أبي الحسن اللخمى المالكي مؤلف كتاب التبصرة في الفقه قال ابن جزى في بلدة صفاقس يقول على بن حبيب التنوخي (كامل)

سقى لارض صفاقس * ذات المصانع والمصلى

محى القصير الى الخليج * فقصرها السامي المعلى

بلديكاد يقول حين * تزوره أهلاً وسهلاً

وكانه والبحر يحسر تارة عنه ويملا

صب ير يد زيارة * فاذا رأى الرقباء ولى
وفى عكس ذلك يقول الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن أبي تيمم وكان من المجيدين
المكثرين (رجز)

صفاقس لاصفا عيش لساكنها * ولاسقي أرضها غيث اذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها * عاني بها العاديين الروم والعربا
كم ضل في البر مسلوبا بضاعته * وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
قد عاين البحر من لوم لقاطنها * فكلما هم ان يدنو لها هربا
(رجع) ثم وصلنا الى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقمنا بها عشرًا لتوالى نزول
الامطار. قال ابن جزى في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)

لهفى على طيب ليال خلت * بجانب البطحاء من قابس
كأن قلبى عند تذكارها * جذوة نار بيد قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا فى بعض المراحل
اليها نحو مائة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة فها بهم العرب وتحامت مكانهم
وعصمنا الله منهم وأظننا عيد الاضحى فى بعض تلك المراحل . وفى الرابع بعده وصلنا
الى مدينة طرابلس فاقمنا بها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمماء تونس
فبنيت عليها بطرابلس ثم خرجت من طرابلس أواخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين
ومعى أهلى وفى صحبتي جماعة من المصامدة وقد رفعت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب
فى طرابلس خوفا من البرد والمطر وتجاوزنا —مسلاتة ومسرارة وقصور سرت— وهنالك
أرادت طوائف العرب الايقاع بنا ثم صرفتهم القدرة وحالت دون ماراموهم اذ ابتنا
ثم توسطنا الغابة وتجاوزناها الى قصر برصيصا العابد الى قبة سلام وأدركنا هناك
الركب الذين تخلفوا بطرابلس ووقع بينى وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق بنته
وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنيت بها بقصر الزاغبة وأولمت وليمة حبست لها
الركب يوما وأطعمتهم. ثم وصلنا فى اول جمادى الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله
وهى الثغرى المحروس . والقطر المانوس . العجيبة الشان . الاصيلة البنيان . بهاماشدت من
تحسين وتحصين . وما تردنيا ودين . كرمت مغانيها . ولطفت معانيها وجمعت بين الضخامة
والاحكام مبانيها . فهي الفريدة تجلى سناها . والخريدة تجلى في حلالها . الزاهية بجمالها
المغرب . الجمامة لمفترق الحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب . فكل بدية بها اجتلاؤها .

وكل طرفة فاليها انتهأوا . وقد وصفها الناس فأطنبوا . وصفوها في عجائبها فاغربوا
وحسب المشرف الى ذلك ماسطره أبو عبيد في كتاب المسالك
— ذكر أبوابها ومرساها —

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب . باب السدرة واليه بشرع طريق المغرب . وباب
رشيد . وباب البحر . والباب الاخضر وليس يفتح الا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الى زيارة
القبور ولها المرسى العظيم الشأن ولم أرى مراسى الدنيا مثله الا ما كان من مرسي كوكم
بكت وقال يقوط ببلاد الهند ومرسي الكفار بسرادق ببلاد الانراك ومرسي الزيتون ببلاد
الصين وسيقع ذكرها

— ذكر المنار —

قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهدما . وصفته انه بناء مربع
ذاهب في الهواء وبابه مرتفع على الارض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح
خشب يعبر عليها الى بابه فاذا أزيلت لم يكن له سبيل وداخل الباب موضع لجلوس حارس
المنار وداخل المنار بيوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة
أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الاربع مائة وأربعون شبرا وهو على تل
مرتفع . ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من ثلاث
جهات الى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل الى المنار في البر الا من المدينة
وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصدت المنار عند عودي الى بلاد
المغرب عام خمسين وسبع مائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا
الصعود الى بابه . وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بازائه فعاقه الموت
عن اتمامه

— ذكر عمود السواري —

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمي عندهم بعمود
السواري وهو متوسط في غابة نخل وقدامتاز عن شجراتها سموا وارتفاعاً وهو قطعة
واحدة محكمة النحت قد اقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا
تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه . قال ابن جزى أخبرني بعض اشياخي
الرحالين ان أحد الرماة بالاسكندرية صعد الى أعلي ذلك العمود ومعه قوسه وكنائته
واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجم الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفي على
الناس وجه احتياله وأظنه كان خائفاً أو طالب حاجة فانتج له فعله الوصول الى قصده

لفرابة ما أتى به . وكيفية احتياله في صعوده انه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطا طويلا وعقد بطرف الخيط حبلا وثيقا فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرامي فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل أعلى العمود مكان الخيط فاوسطه من احدى الجهتين في الارض وتعلق به صاعداً من الجهة الاخرى واستقر باعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه (رجع) وكان أمير الاسكندرية في عهد وصولي اليها سمي بصالح الدين وكان فيها أيضاً في ذلك العهد سلطان افر بقية المخلوع وهو زكرياء أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف بالبحاني وأمر الملك الناصر بانزاله بدار السلطنة من اسكندرية وأجرى له مائة درهم في كل يوم . وكان معه أولاده عبد الواحد ومصرى واسكندري وحاجبه أبو زكرياء بن يعقوب ووزيره أبو عبد الله بن ياسين . وبالاسكندرية توفي اللحياني المذكور وولده الاسكندري وبقي المصري بها الى اليوم . قال ابن جزى من الغريب ما اتفق من صدق الزجرفي اسمى ولدي اللحياني الاسكندري والمصري فمات الاسكندري بها وعاش المصري دهرًا طويلا بها وهي من بلاد مصر (رجع) ونحو عبد الواحد لبلاد الاندلس والمغرب وافر بقية وتوفي هنالك بجزيرة جرية

— ذكر بعض علماء الاسكندرية —

فمنهم قاضيها عماد الدين الكندي إمام من أئمة علم اللسان وكان يعم بعمامة خرقت المعتاد للعلماء ثم أرفى مشارق الارض ومغارها عمامة اعظم منها رأبته يوما قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته ان تملأ الحراب . ومنهم نحر الدين بن الريني وهو أيضاً من القضاة بالاسكندرية فاضل من أهل العلم

— حكاية —

يذكر ان جد القاضي نحر الدين الريني كان من أهل ريفعة واشتغل بطلب العلم ثم رحل الى الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشي وهو قليل ذات اليد فاحب أن لا يدخلها حتى يسمع فالاحسن ان يفتح قريبا من بابها الى ان يدخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هنالك سواه فاغتاظ الموكل بالباب من ابطائه وقال متهم كما دخل يا قاضي فقال قاض ان شاء الله ودخل الى بعض المدارس ولازم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر وانفق ان توفي قاضي الاسكندرية وبها اذذاك الجم الغفير من الفقهاء والعلماء وكلهم متشوفون للولاية وهو من بينهم لا يتشوف لذلك فبعث اليه السلطان بالتقليد وهو ظهير القضاء وأما البريد بذلك

فما رخصه أن ينادي في الناس من كانت له خصومة فليحضر لها وقعد للفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء وسواهم إلى رجل منهم كانوا يظنون أن القضاء لا يتعداه وتفاوضوا في مراجعة السلطان في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحد الخذاق من المنجمين فقال لهم لا تفعلوا ذلك فإني عدلت طالع ولايته وحقته فظهر لي أنه يحكم أربعين سنة فأضر بواعما هموا به من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر للمنجيم. وعرف في ولايته بالعدل والزاهة. ومنهم وجيه الدين الصنهاجي من قضاتها مشتهر بالعلم والفضل. ومنهم شمس الدين ابن بنت التنيسي فاضل شهير الذكر. ومن الصالحين بها الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار أولياء الله تعالى يذكر أنه كان يسمع رد السلام عليه إذا سلم من صلاته ومنهم الإمام العالم الزاهد الخاشع الورع (خليفة) صاحب المكاشفات — كرامة له —

أخبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا خليفة زنا فرحل إلى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب السلام وحيا المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعد مستنداً إلى بعض سوارى المسجد ووضع رأسه على ركبته وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما رفع رأسه وجد أربع أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فاكل هو وأصحابه وانصرف عائداً إلى الإسكندرية ولم يبق تلك السنة. ومنهم الإمام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج من كبار الزهاد وأفراد العباد لقيته أيام مقامي بالإسكندرية وأقيمت في ضيافته ثلاثاً

— ذكر كرامة له —

دخلت عليه يوماً فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم إني أحب ذلك ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بد لك أن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان الدين بالصين فإذا بلغتهم فبلغهم مني السلام فعجبت من قوله وأتيت في روعي التوجه إلى تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولما وادعته زودني دراهم لم تنزل عندي محوطة ولم احتج بعد إلى اتفاقها إلى أن سلبها مني كفار الهنود فيما سلبوه لي في البحر. ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي من أفراد الرجال وهو تلميذ أبي العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي الكرامات الجليلة والمقامات العالية

— كرامة لأبي الحسن الشاذلي — أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسى

ان أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الى انقضاء الحج ويزور القبر الشريف و يعود على الدرب الكبير الى بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لخديمه استصحب فأساً وقفة وحنوطاً وما يجهز به الميت فقال له الخديم ولماذا يا سيدي فقال له في حميثرا سوف ترى حميثرا في صعيد مصر في صحراء عذاب وها عين ماء زعاق وهي كثيرة الضياع فلما بلغا حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك وقد زرت قبره وعليه تربة مكتوب فيها اسمه ونسبه متصل بالحسن ابن على رضي الله عنه

— ذكر حزب البحر المنسوب اليه — كان يسافر في كل سنة كاذكرناه على صعيد مصر وبحر جردة فكان اذا ركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلاذته الى الآن يقرأه في كل يوم وهو هذا — يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربى . وعامك حسبى . فتم الرب ربى . ونعم الحسب حسبى . تنصر من نشاء وأنت العزيز الرحيم . نسالك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والارادات والخطرات من الشكوك والظنون والاهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخرت النار لابراهيم عليه السلام وسخرت الجبال والحديد لداود عليه السلام وسخرت الريح والشياطين والجن لسلیمان عليه السلام وسخر لنا كل بحر هولاك في الارض والسماء والملك والمملوك وبحر الدنيا وبحر الآخرة وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء كهيص حم عسق انصرنا نك خير الناصرين وافتح لنا فانك خير الفاتحين واغفر لنا فانك خير الغافرين وارحمنا فانك خير الراحمين وارزقنا فانك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين وهب لنا ربحا طيبة كما هي في علمك وانشرها علينا من خزائن رحمتك واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة أنك على كل شيء قدير اللهم بسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبنا في سفرنا وخليفة أهلنا واطمئنا على وجود أعدائنا وامسحهم على مكاتئهم فلا يستطيعون المضى ولا الحجي الينا ولونشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولونشاء لمسحناهم على مكاتئهم فلما استطاعوا مضياً ولا يرجعون يسى الى فهم لا يبصرون شامت الوجوه وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما طمس طمس حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ

له هنالك زواية هو منفرد فيها لا خديم له ولا صاحب ويقصده الامراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوي أن يأكل عنده طعاماً أو فاكهة أو حلوى فيأتي لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير ابنة أو ياتيه الفقهاء لطلب الخطبة فيؤلى ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض متواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصداً هذا الشيخ نفعنا الله به ووصلت قرية تروجة (وضبطها بفتح التاء الفوقية والراء ووار وجيم مفتوحة) وهي على مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ولاهها سكارم أخلاق ومروءة صحبت قاضيها صفى الدين وخطيبها غفر الدين وقاضها من أهلها يسمى بمبارك وينعت بزين الدين ونزات بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر يسمى عبد الوهاب وأضافني ناظرها زين الدين بن الواعظ وسألني عن بلدي وعن مجباه فاخبرته ان مجباه نحو اثني عشر ألفاً من دينار الذهب فمجبب وقال لي رأيت هذه القرية فان مجباها اثمان وسبعون ألف دينار ذهباً وانما عظمت مجابي ديار مصر لان جميع أملاكها لبيت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمنهور وهي مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها أنيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها (وضبطها بدال مهملة وميم مفتوحتين ونون ساكنة وهاء مضمومة ووار وراء) وكان قاضيها في ذلك العهد فخر الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد الدين الكندي بسبب الواقعة التي قصصناها وأخبرني الثقة أن ابن مسكين أعطي خمسة وعشرين ألف درهم وصرفها من دنانير الذهب ألف دينار على ولاية القضاء بالاسكندرية ثم رحلنا الى مدينة فوا وهذه المدينة عجيبية المنظر حسنة الخبير بها البساتين الكثيرة والفوائد الخطيرة الاثيرة) وضبطها بالقاء والواو المفتوحتين مع تشديد الواو) بها قبر الشيخ الولي أبي النجاة الشهير الاسم خبير تلك البلاد وراويته الشيخ أبي عبد الله المرشدي الذي قصده بمقربة من المدينة يفصل بينها خليج هنالك فلما وصلت المدينة تعديتها ووصلت الى زواية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الامير سيف الدين يملك وهو من الخاصكية (وأول اسمه ياء آخر الحروف ولامه الاولى مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم والعامة تقول فيه الملك فخطثون ونزل هذا الامير بعسكره خارج الزاوية ولما دخلت على الشيخ رحمه الله قام الى وعاء قني وأحضر طعامه فواكفي وكانت عليه جبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمني للصلاة امامه

وكذلك لكل ما حضرني عنده حين اقامتي معه من الصلاة. ولما أردت النوم قال لي اصعد الى سطح الزاوية فتم هنالك وذلك أو ان القيظ فقلت للامير بسم الله فقال لي وما لنا الاله مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونظما وآنية للوضوء وجرة ماء وقدحا للشرب فنمت هنالك

— كرامة لهذا الشيخ — رأيت ليالي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأنني على جناح طائر عظيم يطير بي في سمت القبلة يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فعميت من هذه الرؤيا وقلت في نفسي ان كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكي عنه فلا بد غدت لصلاة الصبح قدمي امامها لئلا أتاه الامير بملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد أن زدوهم كعيكات صفارهم سبحت سبحة الضحى ودعاني وكاشفني برؤياي فقصصتها عليه فقال سوف تهج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بها مدة طويلة وستلقى بها أخي دلشاد الهندي وتخلصك من شدة تقع فيها ثم زدوني كعيكات ودراهم ووادعته وانصرفت ومنذ فارقه لم ألق في أسفاري الا خيرا وظهرت علي بركاته ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولي سيدى محمد المولى بارض الهند ثم رحلنا الى مدينة النجارية وهي رحبة الفناء حديثة البناء أسواقها حسنة الرؤيا (وضبطها بفتح النون وحاء مهملة مسكن وراءين) وأميرها كبير القدر يعرف بالسعدى وولده في خدمة ملك الهند وسند كره . وقاضيها صدر الدين سليمان المالكي من كبار المالكية سقرعن الملك الناصر الى العراق وولى قضاء البلاد الغربية وله هيئة جميلة وصورة حسنة. وخطيبها شرف الدين السخاوي من الصالحين. ورحلت منها الى مدينة ابيار وهي قديمة البناء أرجة الارحاء كثيرة المساجد ذات حسن زائد (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وياء آخر الحروف وألف وراء) وهي بمقربة من النجارية ويفصل بينهما النيل وتصنع بآبار ثياب حسان تعلو قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها . ومن الغريب قرب النجارية منها والثياب التي تصنع بها غبر معتبرة ولا مستحسنة عند أهلها . ولقيت بآيسار قاضيها عز الدين المليحي الشافعي وهو كرم الشئال كبير القدر حضرت عنده مرة يوم الركبة . وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه ان يجتمع فقهاء المدينة . ووجوها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ثلاثة

قال الشيخ
من هذه الرؤيا
غدت لصلاة الصبح
من كان هناك
سبحت سبحة الضحى
عليه وسلم
بها أخي دلشاد
وانصرفت
لقيته مثله
رحبة الفناء
وراءين
وقاضيها
الصالحين
ووجوها
نقيب المتعممين

النقيب ومشي بين يديه قائلاً بسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتهون الى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ويوقد أهل الحوانيت بحوايتهم الشمع ويصل الناس مع القاضي الى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة. ثم توجهت الى مدينة الحلة الكبيرة وهي جليلة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع بالحاسن شملها واسمها بين ولهذه المدينة قاضي القضاة والى الولاية. وكان قاضي قضاتها أيام وصولي اليها في فراش المرض بدستانه على مسافة فرسخين من البلد. وهو عز الدين بن الاشمرين فقصدت زيارته صحبة نائبه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالك التونسي وشرف الدين الدميري قاضي محلة منوف وأقمنا عنده يوماً وسمعته منه وقد جرى ذكر الصالحين ان على مسيرة يوم من الحلة الكبيرة بلاد البرلس ونسترو وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ مرزوق صاحب المكاشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت بزاوية الشيخ المذكور وتلك البلاد كثيرة النخل والتماير والطير البحرية والحوت المعروف بالبورى ومدنتهم تسمى ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروفة ببجيرة تنيس ونسترو بمقربة منها نزات هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوي من الصالحين وكانت تنيس بلداً عظيماً شهيراً وهى الآن خراب قال ابن جزى (تنيس بكسر التاء المثناة والنون المشددة وياه وسين مهملة) واليه ينسب الشاعر المجيد ابو الفتح بن وكيع وهو القائل في خليجها (بسيط)

قم فاستقني والخليج مضطرب * والريح ثني ذوائب القصب
كانها والرياح تعطفها * صب قنا سندسية العذب
والجو في حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراء مفتوحة وواو مسكن) — والبرلس بياء هو حدة وراء وآخره سين مهملة وقيد بعضهم بضم حروفه الاول الثلاث وتشديد اللام وقيد ابو بكر بن نقطة بفتح الاوولين — وهو على البحر. ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله الرازي عن أبيه ان قاضي البرلس وكان رجلاً صالحاً خرج ليلة الى النيل فيبينا

السبغ الوضوء وصلى ماشاء ان يصلي اذسمع قائلاً يقول

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
 لزلات أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا
 قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فأرايت احدا ولا سمعت حسا فعملت ان ذلك زاجر
 من الله تعالى (رجع) ثم سافرت في أرض رملة الى مدينة دمياط وهى مدينة فسيحة
 الاقطار متنوعة الثمار عجيبة الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب والناس بضبطون
 اسمها باعجام الذا ل وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبدالله بن على الرشاطى وكان شرف الدين
 الامام العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الحدين يضبطها باهمال الدال
 ويتبع ذلك بان يقول خلاف الرشاطى وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده ومدينة
 دمياط على شاطىء النيل وأهل الدور والمالية له يستقون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها
 بهادر كات ينزل فيها الى النيل وشجر الموز بها كثير يحمل ثمره الى مصر فى المراكب
 وغنمها سائمة هملا بالليل والنهار ولهذا يقال فى دمياط سورها حلوى وكلاهما غنم وإذا
 دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج عنها الا بطابع الوالى فمن كان من الناس معتبرا طبع
 له فى قطعة كاعد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والطير
 البحرى بهذه المدينة كثير متناهى السمن وبها الالبان الجاموسية التى لا مثل لها فى عذوبة
 الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البورى يحمل منها الى الشام وبلاد الروم ومصر وبخارجها
 جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن
 قفل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقراء الفضلاء المتعبدين الاخيار قطعوا
 لياتهم صلاة وقراءة وذكرنا. ودمياط هذه حديثة البناء والمدينة القديمة هي التى خربها
 الافرنج على عهد الملك الصالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوى قدوة الطائفة
 المعروفة بالقرندرية وهم الذين يحملون لحاهم وحواجبهم ويسكن الزاوية فى هذا العهد
 الشيخ فتح التكرورى — حكاية —

يذكر ان السبب الداعى للشيخ جمال الدين الساوى الى خلق لحيته وحاجبيه انه كان جميل
 الصورة حسن الوجه فعلقته به امرأة من أهل ساوة وكانت تراسله وتعارضه فى الطرق
 وتدعوه لنفسها وهوى متنع ويتهاون فلما أعياها أمره دست له عجور اتصدت له ازاء دار على
 طريقه الى المسجد ويدها كتاب مختوم فلما مر بها قالت له ياسيدى أنتحسن القراءة قال
 نعم قالت له هذا الكتاب وجهه الى ولدى واحب ان تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح
 الكتاب قالت له ياسيدى ان لولدى زوجة وهى باسطوان الدار فلو تفضلت بقراءة بين

بابي الدار بحيث تسمعها فاجابها لذلك فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وخرجت المرأة وجوارها فتعلقن به وأدخلنه الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه فلما رأى ان لا خلاصا له قال لها اني حيث تريدن فاريني بيت الخلاء فارتبه اياه فادخل معه الماء وكانت عنده موسى حديدة خلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحت هيئته واستنكرت فعله وأمرت باخراجه وعصمه الله بذلك فبقى على هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته يخلق رأسه ولحيته وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر انه لما قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما الى جنازة بعض الاعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له انت الشيخ المبتدع فقال له وانت القاضي الجاهل تمر بدايتك بين القبور وتعلم ان حرمة الانسان ميتا كحرمة حيا فقال له القاضي وأعظم من ذلك حلقك للحيتك فقال له اياي تعني وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمه فعجب القاضي ومن معه ونزل اليه عن بغلته ثم زعق ثانية فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الاولى فقبل القاضي يده وتامله وبني له الزاوية حسنة وصحبه ايام حياته ثم مات الشيخ فدفن بزوايته ولما حضرت القاضي وفاته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتي يكون كل داخل الى زيارة الشيخ يطأ قبره وبحارح دمياط المزار المعروف بشطا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البرة يقصده أهل الديار المصرية وله أيام في السنة معلومة لذلك وبحارحها أيضا بين بساينها موضع يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبت عنده وكان بدمياط أيام اقامتي بها وال يعرف بالحسني من ذوى الاحسان والفضل بني مدرسة على شاطي النيل بها كان

نزولي في تلك الايام بونا كدت بيني وبينه مودة ثم سافرت الى مدينة فارسكور وهي مدينة على ساحل النيل (والكاف الذى في اسمها مضموم) ونزلت بحارحها ولحقني هنالك فارس وجهه الى الامير الحسنى فقال لي ان الامير سال عنك وعرف سيرتك فبعث اليك بهذه النفقة ودفع الى جملة دراهم جزاء الله خيرا ثم سافرت الى مدينة أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الشين المعجم) ونسبت الى الرمان لكثرة بها ومنها يحمل الى مصر وهي مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خاج النيل ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة وبهذه البلدة قاضي القضاة والى الولاية ثم سافرت عنها الى مدينة سمندود وهي على شاطيء

النيل كثيرة المراكب حسنة الاسواق وبينها وبينها والمحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والميم وتشديد النون وضمها وواو ودال مهمل) ومن هذه المدينة ركبت النيل مصعدا الى مصر ما بين مدائن وقرى منتظمة متصل بعضها ببعض ولا يفتقر راكب النيل الى استصحاب الزاد لانه مهما أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ومن مصر الى مدينة أسوان من الصعيد ثم وصلت الى مدينة مصر هي أم البلاد وقرارة فرعون ذي الاوتاد ذات الاقاليم العريضة والبلاد الارضية المنتهية في كثرة العمارة المتباهية بالحسن والنضارة مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف والقادر وبها ماشئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضيع ونبيه وشريف ومشروف ومنكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وامكانها شبابها يجد على طول العهد وكوكب تعديها لا يبرح عن منزل السعد قهرت قاهرته الامم وتمكنت ملوكها نواحي العرب والعجم ولها خصوصية النيل التي جل خطرها وأغناها عن أن يستمد القطر قطرها وأرضها مسيرة شهر لمجد السير كريمة التربة مؤنسة لذوى الغربة قال ابن جزي وفيها يقول الشاعر

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فاولادها الولدان والخورعينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر
وفيها يقول ناصر الدين بن ناهض

شاطيء مصر جنة * مامثلها من بلد
لاسيما مذخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فـوقه * سوايغ من 'زرد
مسرودة مامسها * داودها بمبرد
سائلة هواؤها * برعد عارى الجشد
والفلك كالفلاك * بين حادر ومصعد

(رجع) ويقال ان بمصر من السقائين على الجبال اثني عشر ألف سقاء وان بها ثلاثين ألف مكار وان بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط بانواع الخيرات والمرافق وعلي ضفة النيل

مما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان التزهة والتفرج وبه البساتين الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور وهو شاهدت بهم مرة فرجة بسبب بره الملك الناصر من كسر أصحاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوايتهم الحلل والحلى وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

— ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمؤسسات والزوايا —

ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهر الذكركتقام فيه الجمعة والطريق يعترضه من شرق إلى غرب وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بمحصرها لكثرتها — وأما المؤسسات التي بين القصرين عند ترابها الملك المنصور قلاوون فيعجز الوصف عن محاسنة وقد أعد فيه من المرافق والادوية ما لا يحصرو. يذكر أن بجهاه ألف دينار كل يوم — وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الاعاجم وهم أهل ادب ومعرفة بطريقتهم التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب امورهم عجيب * ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية إلى الفقراء صبا حافيين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فاذا اجتمعوا للاكل جعلوا لكل انسان خبزه ومرقه في اناء على حدة لا يشارك فيه احد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهما للواحد في الشهر إلى عشرين ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة والصايبون لغسل أنوفهم والاجرة لدخول الحمام والزيت للاستحمام وهم أعزب وللمتزوجين زوايا على حدة ومن المشترك عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية * ومن عوائدهم ان يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به واذا صلا صلاة الصبح قرأ سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن ويزكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر * ومن عوائدهم مع القادم انه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدودا لوسط وعلى كاهله سجادة ويمنه العكاز ويسره الابريق فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج اليه ويسال عنه أي البلاد أنى وبأى الزوايا نزل في طريقه ومن شيوخه فاذا عرف صحة قوله ادخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيحلب وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر وبقية عدمهم * ومن عوائدهم أنهم اذا كان

يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجاجيدهم فذهب بها الى المسجد ويفرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد على سجادة فاذا فرغوا من الصلاة قرأ القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين الى الزاوية ومعهم شيخهم

— ذكر قرافة مصر ومزاراتها —

ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره لانها من جملة الجبل المقطم الذي وعده الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كاللدور ويبنون بها البيوت ويرتبون القراء يقرؤون ليلا ونهارا بالاصوات الحسان ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة الى جانب التربة ويخرجون في كل ليلة جمعة الى المبيت بها بولادهم ونسائهم ويطوفون على المزارات الشهيرة ويخرجون أيضا للمبيت بها ليلة النصف من شعبان ويخرج أهل الاسواق بصنوف المأكول . ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق الفضة وصفاؤها أيضا كذلك وهو موافق الحق من الاجلال والتعظيم . ومنها تربة السيدة نفيسة بنت الحسن الانور بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت حجة الدعوة مجتهدة في العبادة وهذه التربة أنيقة البناء مشرفة الضياء عليها رباط مقصود . ومنها تربة الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليه رباط كبير ولها جارية ضخمة وبها القبة الشهيرة البدعة الاتقان العجيبة البنيان المتناهية الاحكام المقرطة السمو وسعتها أزيد من ثلاثين ذراعا وقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين مالا يضبطة الحصر وبها عدد جرم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وأصمغ بن الفرج وابني عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها اشتها ولا يعرفهم الا من له بهم عناية والشافعي رضي الله عنه ساعده الجسد في نفسه واتباعه وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجديدي كل أمر شاسع * والجديفتح كل باب مغلق

— ذكر نيل مصر —

ونيل مصر يفضل أنهار الارض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى يصفيتها منتظمة ليس في المعمر مثلها ولا يعلم نهر يزدرع عليه ما يزدرع على النيل

وليس في الارض نهر يسمى بحر غيره قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فسماه يما
وهو البحر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الاسراء
الى سدرة المنتهى فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسال عنها
جبريل عليه السلام فقال اما الباطنان فنى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي
الحديث ايضا ان النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة ومجري النيل
من الجنوب الى الشمال خلافا لجميع الانهار * ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر
عند نقص الانهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الانهر وفيضها ونهر السند مثله في
ذلك وسيأتى ذكره وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيو فاذا بلغت زيادته ستة
عشر ذراعاً ثم خراج السلطان فان زاد ذراعاً كان الخصب في العام والصلاح التام فان بلغ
ثمانية عشر ذراعاً أضر بالضياع وأعقب الوباء وان نقص ذراعاً عن ستة عشر نقص
خراج السلطان وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضر الشديد والنيل أحد انهار
الدنيا الخمسة الكبار وهى النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون وتماثلها انهار خمسة
أيضا نهر السند وبسمي بنج اب ونهر الهندو يسمى الكنك واليه تحج الهندو واذا حرقوا
امواتهم رموا برما دهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند ايضا ونهر اتل
بصحراء قفجق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السر وبارض الخطا وعلى ضفته مدينة
خان باق ومنها يتحدر الى مدينة الخنسائم الى مدينة الزيتون بارض الصين وسيدكر
ذلك كله في مواضعه ان شاء الله والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا
يعبر نهر منها الا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فاذا مد
أترعها فاضت على المزارع

— ذكر الاهرام والبراني —

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها
وأولية بنائها ويزعمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس
الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى ويسمى اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وانه أول
من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية واول من بنى الهياكل ومجدا الله تعالى
فيها وانه انذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبراني
وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال ان دار العلم
والملك بمصر مدينة منزه وهى على بر يمدن القسطنط فاما بنيت الاسكندرية انتقل
الناس اليها وصارت دار العلم والملك الى ان أتى الاسلام فاخطط عمرو بن العاص رضى الله

عنه مدينة القسطاط فهي قاعدة مصر الى هذا العهد والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهى السمو مستدير متسع الاسفل ضيق الاعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها . وما يذكرك في شأنها ان ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤياها لله وأوجبت عنده انه بنى تلك الاهرام بالجانب الغربى من النيل لتكون مستودعا للعلوم ولجنة الملوك وانه سال المنجمين هل يفتح منها موضع فاخبروه انها تفتح من الجانب الشمالى وعينواله الموضع الذي تفتح منه ومبلغ الاتفاق في فتحه فامر ان يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه انه ينفق في فتحه واشتد في البناء فاقمه في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الاهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فان الهدم أيسر من البناء فلما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المامون اراد هدمها فاشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فليج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها الى اليوم ووجدوا بازاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجدوا سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا

— ذكر سلطان مصر —

وكان سلطان مصر على عهد دخولى اليها الملك الناصر ابوالفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى وكان قلاوون يعرف بالالفى لان الملك الصالح اشتراه بالاف دينار ذهباً وأصله من قفجق وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة وكفاه شرفا انماؤه لخدمة الحرمين الشريفين وما يفعله في كل سنة من افعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء وتحمل من تاخر او ضعف المشى في الدارين المصرى والشامى وبنى زاوية عظيمة بسراقص خارج القاهرة لكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكلف الفقراء والمساكين خليفة الله في ارضه القائم من الجهاد بنقله وفرضه أبو عنان أيد الله امره وأظهره وسنى له الفتح المبين ويسره بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لانظيرها في المعمور في اتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله وسيأتى ذكر ما عمره أيد الله من المدارس والمرستان والزوايا ببلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه

— ذكر بعض أمراء مصر —

منهم ساقى الملك الناصر وهو الأمير بكتمور (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوة مضمومة وآخره راء) وهو الذي قتله الملك الناصر بالسهم وسيد كر ذلك . ومنهم نائب الملك الناصر ارغون الدودار وهو الذى يلى بكتمور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهمزة واسكان الراء وضم العين المعجمة) ومنهم طشط المعروف بمحمص أخضر (واسمه بطاء ين مهملين مضمومين وبينهما شين معجم) وكان من خيار الامراء وله الصدقات الكثيرة على الايتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن وله الاحسان العظيم للحرافيش وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة . وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الحرافيش آلاف ووقفوا باسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يا أعرج النحس يعنون الملك الناصر أخرجه فاخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الايتام مثل ذلك فاطلقه * ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجالى بفتح الجيم . ومنهم بدر الدين بن البابه . ومنهم جمال الدين نائب الكرك . ومنهم تقزدمور (واسمه بضم التاء المعلوة وضم القاف وزاء مسكن ثم دال مضموم وميم مثله وآخره راء) ودمور بالتركية الحديد . ومنهم بهادر الحجازى (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره راء) ومنهم قوصون (وسمه بفتح القاف وصاد مهمل مضموم) . ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا . ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه القاضى فخر الدين القبطى وكان نصرانيا من القبط فاسلم وحسن اسلامه وله المكارم العظيمة والفضائل النامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والاحسان الجزيل . ومن عاداته أن يجلس عشى النهار فى مجلس له باسطوان داره على النيل ويلىه المسجد فاذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد الى مجلسه وأوى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان فمن كان ذا حاجة تكلم فيها فقبضها له ومن كان طالب صدقة أمر بمكواله يدعى بدر الدين واسمه أو لؤبان يصحبه الى خارج الدار وهناك خازنه معه صررا الدراهم فيعطيه ما قدر له ويحضر عنده فى ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخارى فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الناس عنه — ذكر القضاة بمصر فى عهد دخولى اليها —

فمنهم قاضى القضاة الشافعية وهو اعلاهم منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر وعزهم وهو القاضى الامام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الآن متولى ذلك

ومنهم قاضى القضاة المالكية الامام الصالح تقي الدين الاخنائى * ومنهم قاضى القضاة الحنفية الامام العالم شمس الدين الحربرى وكان شديد السطوة لا تاخذه فى الله لومة لائم وكانت الامراء تخافه ولقد ذكر لى ان الملك الناصر قال يوما لجلسائه انى لا أخاف من أحد الا من شمس الدين الحربرى . ومنهم قاضى القضاة الحنبلية ولا أعرفه الآن الا انه كان يدعى بعز الدين

— حكاية —

كان الملك الناصر رحمه الله يقعد للنظر فى المظالم ورفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ويقعد القضاة الاربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسار صاحب القصة عنها وقد سلك مولانا امير المؤمنين ناصر الدين أبده الله فى ذلك مسلكا لم يسبق اليه ولا مزيد فى العدل والتواضع عليه وهو سؤاله بذاته الكريمة اكل متظلم وعرضه بين يديه المستقيمة أبى الله ان يحضرها سواء أدام الله أيامه . وكان رسم القضاة المذكورين ان يكون أعلاهم منزلة فى الجلوس قاضى الشافعية ثم قاضى الحنفية ثم قاضى المالكية ثم قاضى الحنبلية فلما توفى شمس الدين الحربرى وولى مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفى أشار الامراء على الملك الناصر بان يكون مجلس المالكى فوقه وذكروا ان العادة جرت بذلك قديما اذ كان قاضى المالكية زين الدين بن مخلوف يلى قاضى الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فامر الملك الناصر بذلك فلما علم به قاضى الحنفية غاب عن شهود المجلس أنفة من ذلك فانكر الملك الناصر مغيبه وعلم ما قصده فامر باحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقعده حيث نفذ أمر السلطان مما يلى قاضى المالكية واستمر حاله على ذلك — ذكر بعض علماء مصر وأعيانها —

فمنهم شمس الدين الاصبهانى امام الدنيا فى المعقولات . ومنهم شرف الدين الزواوى المالكى . ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلى نائب قاضى القضاة بجامع الصالح ومنهم ركن الدين بن الفروع التونسى من الاثمة فى المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية . ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير . ومنهم أمير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطى وهو أعلمهم بالبحر . ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المنوفى ومنهم برهان الدين الصفاقسى . ومنهم قوام الدين الكرمانى وكان سكنه بالى على سطح الجامع الازهر وجماعة من الفقهاء والقراء يلزمونونه ويدرس فنون العلم ويقف فى المذاهب ولباسه عباءة صوف خشنة وعمامة صوف سوداء ومن عادته أن يذهب بعد صلاة العصر الى مواضع الشرج والنزاهات منفردا عن أصحابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين بن بنت الصاحب تاج الدين

ابن حناء. ومنهم شيخ شيوخ القراء بديار مصر مجد الدين الاقصراني نسبة الى اقصر ا من بلاد الروم ومسكنه سر يا قص . ومنهم الشيخ جمال الدين الحوزاني والحوزي على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم نقيب الاشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين . ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقية الامام الشافعي مجد الدين بن حرمي . ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرقي من كبار الفقهاء وله بمصر رئاسة عظيمة وجاه

— ذكر يوم الحمل بمصر —

وهو يوم دوران الجبل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الاربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ويقصدون جميعا باب القلعة دار الملك الناصر فيخرج اليهم الحمل على جمل وأمامه الامير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جماهم ويجتمع لذلك أصناف الناس متي رجال ونساء ثم يطوفون بالحمل وجميع من ذكرنا معه بمدنتي القاهرة ومصر والحداة يحدون أمامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج العزيمات وتنبعث الاشواق وتتحرك البواعث ويلقي الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباده فياخذون في التاهب لذلك والاستعداد ثم كان سفري من مصر على طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف فبت ليلة خروجي بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناه علي مفاخر عظيمة وانار كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به والدرفش وهو الاسفا الذي كان يخصف به نعله ومصحف امير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشترى ما ذكرناه من الانار الكريمة النبوية بمائة الف درهم وبني الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجرارية لخدام تلك الانار الشريفة نفقه الله تعالى بقصده المبارك . ثم خرجت من الرباط المذكور ومررت بمنية القائد وهي بلدة صغيرة علي ساحل النيل ثم سمرت منها الى مدينة بوش (وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كتنا ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقية ثم سافرت منها فوصلت الى مدينة دلاص (وضبط اسمها بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهمل) وهذه المدينة كثيرة الكتبان أيضا كتل التي ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها الى ديار مصر وافريقية ثم سافرت منها الى مدينة بيا (وضبط اسمها بياء بن موحدتين اولاهما مكسورة) ثم سافرت منها الى مدينة البهنسا وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط

اسمها بفتح الموحدة واسكان الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الحيدة ومن لقيته بها قاضيها العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل ولقيت بها الشيخ الصالح أبا بكر العجمي ونزلت عنده وأضافني ثم سافرت منها الى مدينة منية ابن خصيب وهي مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مبنية على شاطئ النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية عامل مصر لخصيب

— حكاية خصيب —

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فآلى أن يولى عليهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصد الارذالهم والتنكيل بهم وكان خصيب أحقرهم إذ كان يتولى تسخين الحمام فخلع عليه وأمره على مصر وظنه أنه سير فيهم سيرة سوء و يقصدهم بالاذية حسبما هو المعبود ممن ولى عن غير عهد بالعز فلما استقر خصيب بمصر سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه فيجزل العطاء لهم ويعودون الى بغداد شاكرين لما أولاهم وإن الخليفة افتقد بعض العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد خصيبا وذكر له ما أعطاه خصيب وكان عطاء جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصيب واخراجه من مصر الى بغداد وان يطرح في أسواقها فلما ورد الامر بالقبض عليه حيل بينه وبين دخول منزله وكانت يده يا قوة عظيمة الشأن فخباها عنده وخاطها في ثوب له ليلا وسملت عيناه وطرح في أسواق بغداد فمر به بعض الشعراء فقال له يا خصيب اني كنت قصدتك من بغداد الى مصر مادحا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها وأحب ان تسمعها فقال كيف سماعها وأنا على ما تراه فقال انما قصدي سماعك لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس واجزلت جزاك الله خيرا قال فافعل فانشدته (كامل)

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدققا فكللا كما بحر

فلما أتى على آخرها قال له افتق هذه الخياطة ففعل ذلك فقال له خذ الياقوتة فأني فاقسم عليه أن ياخذها فاخذها وذهب بها الى سوق الجوهرين فلما عرضها عليهم قالوا له ان هذه لا تصلح الا للخليفة فرفعوا أمرها الى الخليفة فامر الخليفة باحضار الشاعر واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر بمثوله بين يديه واجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب ان يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب الى ان توفى وأورثها عقبه الى أن انقرضوا وكان قاضي هذه المنية أيام دخولى اليها

نفر الدين التويري المالكى وواليه اشمس الدين امير خير كرىم دخلت يوم الحمام بهذه
البلدة قرأت الناس "بها لا يستترون فعظم ذلك على وأتيته فاعلمته بذلك فامرني أن لا أبرح
وأمر باحضار المكترين للحمامات وكتبت عليهم العقود انه متى دخل أحد الحمام دون
مئزر فانهم يؤخذون على ذلك واشتد عليهم اعظم الاشداد ثم انصرفت عنه وسافرت
من منية ابن خصيب الى مدينة منلوي وهى صغيرة مبنية على مسافة ميلين من النيل
(وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضيهما الفقيه شرف الدين
الدميرى (بفتح الدال المهمل وكسر الميم) الشافعى وكبارها قوم يعرفون ببنى فضيل بنى
احدهم جامعا انق فيه صميم ماله وبهذه المدينة احدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم
انهم لا يمتنعون فقيرا من دخول معصرة منها فيأنى الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر
التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرافينصرف بها وسافرت من منلوي
الى كورة الى مدينة منفلوط وهى مدينة حسن رواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة
البركة (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهمل)
— حكاية — اخبرني اهل هذه المدينة ان الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم
بحكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما فلما تم عمله أمر
أن يصعد به فى النيل ليجاز الى بحر جدة ثم الى مكة شرفها الله فلما وصل المركب الذي
احتمله الى منفلوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع من الجرى مع مساعدة الريح
فعجب الناس من شانه اشد العجب واقاموا اياما لا ينهض بهم المركب فكتبوا بخبره الى
الملك الناصر رحمه الله فامر ان يجعل ذلك المنبر بجامع مدينة منفلوط ففعل ذلك وقد عاينته
بها ويضنّع هذه المدينة شبه العسل يستخرجونه من القمح ويسمونونه النيدا يباع بأسواق
مصر وسافرت من هذه المدينة الى مدينة اسيوط وهى مدينة رفيعة اسواقها بديعة (وضبط
اسمها بفتح الهمزة والسين المهملة والياء آخر الحروف وواو وطاء مهملة) وقاضيهما شرف الدين
ابن عبد الرحيم الملقب (بماصل ماثم) لقب شهر به واصله ان القضاة بديار مصر والشام بايديهم
الاوقاف والصدقات لا بناء السبيل فاذا اتى فقير لمدينة من المدن قصد القاضي بها فيعطيه
ما قدر له فكان هذا القاضي اذا اتاه الفقير يقول له حاصل ماثم اى لم يبق من المال
الحاصل شىء فلنقب بذلك ولزموه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين بن الصباغ
اضافني بزأوته وسافرت منها الى مدينة اخميم وهى مدينة عظيمة اصيلة البليان عجيبه الشأن
بها البرى المعروف باسمها وهو مبني بالحجارة فى داخله نقوش وكتابة للاوائل لا تفهم فى

هذا العهد وصور الافلاك والكواكب ويزعمون انها بنيت والنسر الطائر يبرج العقرب وبها
صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصور كاذيب لا يعرج عليها وكان باخميم رجل
يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتنى بجدارتها مدرسة وهو
رجل مؤسر معروف باليسار ويزعم حساده أنه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه
البرابي ونزلت من هذه المدينة زاوية الشيخ أبي العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده
عبد الظاهر وله من الاخوة ناصر الدين ومجد الدين وواحد الدين ومن عاداتهم ان يجتمعوا
جميعا بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضى المدينة الفقيه
مخلص وسائر وجوه أهلها فيجتمعون للقرآن ويذكرون الله الى صلاة العصر فاذا صلوا
قرأوا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من اخميم الى مدينة (هو) مدينة كبيرة بساحل
النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي الدين بن السراج ورأيتهم يقرأون بها في
كل يوم بعد صلاة الصبح حزب من القرآن ثم يقرأون أو راد الشيخ أبي الحسن الشاذلى وحزب
البحر. وبهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسنى من كبار الصالحين (كرامة له)
دخلت الى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فساءلني عن قصدى فاخبرته
أنى أريد حج البيت الحرام على طريق جدة فقال لى لا يحصل لك هذا فى هذا الوقت
فارجع وإنما الحج أول حجة على الدرب الشامى فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه ومضيت
فى طريق حتى وصلت الى عيذاب فلم يتمكن لى السفر فعدت راجعا إلى مصر ثم الى الشام
وكان طريقى فى أول حجائى على الدرب الشامى حسبا أخبرنى الشريف نفع الله به. ثم
سافرت الى مدينة قنا وهي صغيرة حسنة الاسواق (وضبط اسمها بقاف مكسورة ونون) وبها
قبر الشريف الصالح الولى صاحب البراهين العجيبة والكرامات الشهيرة عبد الرحيم القناوي
رحمة الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية منها حفيده شهاب الدين احمد وسافرت من هذا
البلد الى مدينة قوص (وهي بضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عميمة بساكنها مورقة
واسواقها موقنة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهي منزل ولاية الصعيد وبخارجها
زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزاوية الافرم وبها اجتماع الفقراء المتجردين فى شهر
رمضان من كل سنة ومن علمائها القاضى جمال الدين بن السديد والخطيب بها فتح الدين بن
دقيق العيد أحد الفصحاء البلغاء الذين حصل لهم السبق فى ذلك لم أر من يماثله الا خطيب
المسجد الحرام بهاء الدين الطبرى وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطى وسيقع
ذكرهما ومنهم الفقيه بهاء الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية ومنهم الفقيه برهان الدين

ابراهيم الأندلسي لزاوية عالية ثم سافرت الى مدينة الاقصر (وضبط اسمها بفتح الهمزة
 وضم الصاد المهمل) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد أبي الحجاج الاقصرى وعليه
 زاوية . وسافرت منها الى مدينة أرمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وميم
 مفتوحة ونون ساكنة وتاء فوقية) وهي صغيرة ذات بساتين مبنية على ساحل النيل أضافني
 قاضيها وأنسيت اسمه ثم سافرت منها الى مدينة أسنا (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان
 السين المهمل ونون) مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس
 والجوامع لها أسواق حسان وبساتين ذات أفان قاضيها قاضي القضاة شهاب الدين بن
 مسكين أضافني واكرمني وكتب الى نوابه باكرامي وبها من الفضلاء الشيخ الصالح نور
 الدين على والشيخ الصالح عبد الواحد المكناسي وهو علي هذا العهد صاحب زاوية بقوص
 ثم سافرت منها الى مدينة أدفو (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الدال المهمل وضم الفاء)
 وبينها وبين مدينة أسنا مسيرة يوم وليلة في صحراء ثم جزنا النيل من مدينة أدفو الى
 مدينة العطوانى ومنها أكثر بنا الجمال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدغيم (بالعين
 المعجمة) في صحراء لا عمارتها الا أنها آمنة السبل وفي بعض منازرها نزلنا حمير حيث قبر
 ولي الله ابى الحسن الشاذلى وقد ذكرنا كرامته في أخباره انه يموت بها وأرضها
 كثيرة الضباع ولم نزل ليللة مبيتنا بها نحارب الضباع ولقد قصدت رحلى ضبيع منها
 فمزقت عدلا كان به واجترت منه حراب تمر وذهبت به فوجدناه لما أصبحنا ممزقا ما كولا
 معظم ما كان فيه ثم لاسرنا خمسة عشر يوما وصلنا الى مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة
 كثيرة الحوت واللبن ويحمل اليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البيجة وهم سود
 الألوان يلتحفون ملاحف صفراء ويشدون على رؤسهم عصائب يكون عرض العصابة منها
 أصبعا وهم لا يورثون البنات وطعامهم البان الابل ويركبون المهارى ويسمونهم الصهب وثلاث
 المدينة للملك الناصر وثلاثها للملك البيجة وهو يعرف بالحدربي (بفتح الحاء المهمل واسكان
 الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء) وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطاني شهير
 البركة رأيت به وتبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المرا كشى زعماء
 ابن المرتضى ملك مرا كش وان سنه خمس وتسعون سنة لما وصلنا الى عيذاب وجدنا
 الحدربي سلطان البيجة بجارب الاتراك وقد خرق المرا كب وهرب الترك امامه فتعذر سفرنا
 في البحر فبعنا ما كنا أعدناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين أكثر بنا الجمال منهم الى
 صعيد مصر فوصلنا الى مدينة قوص التى تقدم ذكرها وانحدرنا منها فى النيل وكان أوان

مدته فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص الى مصر فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين فوصلت الى مدينة بلبس (وضبط اسمها بفتح اللوحدة الاولى وفتح الثانية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره . ثم وصلت الى الصالحية ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلها مثل السوادة والورادة والمطيلب والعريش والخروبة وبكل منزل منها فندق وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوا بهم وبخارج كل خان ساقية للسيل وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قطيا المشهورة وهي (بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحروف مفتوحة وألف) والناس يندلون ألفها هاء تانيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتقتش أمتعتهم ويبحث عمالهم أشد البحث وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجاها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا يجوز عليها أحد من الشام الا براءة من مصر ولا الى مصر الا براءة من الشام احتياطا على أموال الناس وتوقيان الجواسيس العرافيين وطريقها في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم يأتي الامير صباحا فينظر الى الرمل فان وجد به أثرا طاب لب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الامير فيعاقبه بما شاء وكان بهافي عهد وصولي اليها عز الدين استاذ الدار قماري من خيار الامراء أضافني وأكرمني وابع الجواز لمن كان معي وبين يديه عبد الجليل المغربي الوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسال من ورد منهم من أي البلاد هو لئلا يلبس عليهم فان المغاربة لا يعترضون في جوازهم على قطيا . ثم سرنا حتى وصلنا الى مدينة غزة وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر متسعة الاقطار كثيرة العبارة حسنة الاسواق بها المساجد العديدة والاسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها بناء الامير العظيم الجاولي وهو انيق البناء بحكم الصنعة ومنبره من الرخام الابيض وقاضي غزة بدر الدين السلخى الحوراني ومدرسه عالم الدين بن سالم وبنو سالم كبراء هذه المدينة . ومنهم شمس الدين قاضي القدس ثم سافرت من غزة الى مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما وهي مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار مشرقة الانوار حسنة المنظر عجبية الخبز في بطن واد ومسجدها أنيق الصنعة بحكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت في أحد أركانه صخرة أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبراو يقال ان ساليما عليه السلام أمر الجن ببناؤه وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على

نبينا وعليهم وبقا لها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن يمين المنبر يلمصق جدار القبلة موضع
 يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يقضي الى ساحة مفروشة بالرخام
 فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو
 الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون
 القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازي الذي سماه المسفر
 للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب أسنده الى أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلي الله عليه وسلم لما أسرى بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل
 فصل ركعتين فان هنا قبر أبيك ابراهيم ثم مر بي على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان
 هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بي الى الصخرة وذكر بقية الحديث ولما لقيت بهذه
 المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعبري أحد الصالحاء المرضيين
 والائمة المشهرين سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لي كل من لقينته من
 أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام
 وقبور زوجاتهم ولا يظن من في ذلك الأهل البدع وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك
 فيه ويذكر أن بعض الأئمة دخل الى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له
 أي هذه القبور هو قبر ابراهيم فأشار له الى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار
 له اليه ثم دخل صبي فسأله أيضاً فأشار له اليه فقال التفقيه أشهد أن هذا قبر ابراهيم عليه السلام
 لأشك ثم دخل الى المسجد فصلى به وارتحل من الغد وبادخل هذا المسجد أيضاً قبر يوسف
 عليه السلام وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهي على تل مرتفع يشرف منه
 غور الشام وعلى قبره أبنية حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه وهنالك
 بحير لوط وهي أجاج يقال انها موضع ديار قوم لوط بمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو
 على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ولا يجاوره الادار واحدة يسكنها قيمه وفي
 المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجير صلبة قدهي فيه صورة محراب لا يسع الا
 مصليا واحدا ويقال ان ابراهيم سجد في ذلك الموضع شكراً لله تعالى عندهلاك قوم لوط
 فتجرك موضع سجوده وساخ في الارض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر
 فاطمة بنت الحسين بن علي عليها السلام وباعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في احدهما
 مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى
 خلفه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه

وفي اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الآيات
أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم مني بين التراب والحجر

يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الانجم الزهر

يا قبر مافيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس فزرت في طريقي اليه تربة يونس عليه السلام وعليها
بنية كبيرة ومسجد وزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اترجع
النخلة وعليه عمارة كثيرة والنصاري يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به ثم وصلنا
الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منمنفة مبنية بالصخر المنحوت
وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الاسلام خيرا لما فتح
هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يقصدها الروم
فيتمنعوا بها ولم يكن لهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف
الدين تنكيزا مريد دمشق

— ذكر المسجد المقدس —

وهو من المساجد العجيبة الرائنة الفاتحة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد
أكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبعة وثلاثون وخمسون ذراعا بالذراع المالكية
وعرضه من القبلة الى الجوف اربعة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا وله ابواب كثيرة
في جهاته الثلاث واما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها ابابا واحدا وهو الذي يدخل منه
الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام
العمل واتقان الصنعة مموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة

— ذكر قبة الصخرة —

وهي من أعجب المباني وأتقنها واغربها شكلا قد توفر حظها من الحاسن وأخذت من كل
بديعة بطرف وهي قائمة على نشرف وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها أربعة
أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها
من انواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي
تمتلا نورا وتلمع لمعان البرق بحار بصير متاملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها
وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم

خرج منها الى السماء وهى صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة فى مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل اليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة شبا كان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما وهو الذى يلى الصخرة من حديد بديع الصنعة والثانى من خشب وفى القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هناك والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

— ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف —

فمنها بعدوة الوادى المعروف بوادى جهنم فى شرقي البلد على تل مرتفع هناك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهى خلاف رابعة العدوية الشهيرة وفى بطن الوادى المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون ان قبر مريم عليها السلام بها وهناك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهى التى يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الالهانة يتحملها على رغم أنفهم وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به

— ذكر بعض فضلاء القدس —

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى ومنهم المحدث المقتي شهاب الدين الطبرى ومنهم مدرس المالكية وشيخ الحنفية أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزىل القدس ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالحجوب من كبار الصالحين ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أزراروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعى صاحبته ولبست منه خرقة التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة نجر عسقلان وهو خراب قد عادر سوما طامسة واطلالا دارسة وقل بلد جمع من الحاسن ما جمعه عسقلان اتفاقا وحمسن وضع وأصاله مكان وجها بين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن على عليه السلام قبل ان ينقل الى القاهرة وهو مسجد عظيم سامى العلو فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيد بين وكتب ذلك على بابه وفى قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها فى الحسن وهى ما بين قائم وحصيد ومن جملتها اسطوانة حمراء عجيبية يزعم الناس ان النصارى احتملوا لها الى بلادهم ثم فقدوها فوجدت فى موضعها بعسقلان وفى القبلة من هذا المسجد بشر تعرف ببرايم عليه السلام ينزل اليها فى

درج متسعة ويدخل منها الى بيوت وفي كل جهة من جهاتها الاربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر الناس من فضائلها كثيرا وبظاهر عسقلان وادي النمل ويقال انه المذكور في الكتاب العزيز ويجبانه عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرة أوقفنا عليهم قيم المزار المذكور وله جارية يجريها له ملك مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار - ثم سافرت منها الى مدينة الرملة وهي فلسطين مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الاسواق وبها الجامع الابيض ويقال ان في قبلته ثلاثمائة من الانبياء مدفونين عليهم السلام وفيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسي ثم خرجت منها الى مدينة نابلس وهي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب الى دمشق وغيرها (وكيفية عملها) ان يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء ويحلب ذلك الرب أيضا الى مصر والشام وبها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب والمسجد الجامع في نهاية من الانقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب - ثم سافرت منها الى مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة ريشة نهر ماؤه عذب - ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمررت بالغور وهو واد بين تلأل به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة رضى الله عنه زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لا بناء السبيل - وبتنا هناك ليلة - ثم وصلنا الى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضى الله عنه تبركت أيضا بزيارته ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكة وهي خراب وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال ان الله تعالى الى آخر ج منها البقر لآدم عليه السلام وينزل اليها في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وهذه المدينة قبر صالح عليه السلام - ثم سافرت منها الى مدينة صور وهي خراب وبخارجها قرية معمورة وأكثر اهلها أرفاض ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فأتى بعض اهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ بغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فاخذت عليه في فعله فقال لي ان البناء انما يكون ابتداءه من الاساس ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة والمنعة لان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر ولها الذي يشرع للبر أربعة فصالات كلها في ستائر محيطة بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شانا

منه لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هنا لك وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معتزلة لا سبيل الى الداخل هناك ولا الى الخارج الا بعد حطها وكان عليها الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم وكان لعكة أيضا ميناء مثلها ولكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار - ثم سافرت منها الى مدينة صيدا وهى على ساحل البحر حسنة كثيرة القوا كبحمل منها التين والزبيب والزيت الى بلاد مصر نزلت عند قاضيها كمال الدين الاشموني المصرى وهو حسن الاخلاق كريم النفس - ثم سافرت منها الى مدينة طبرية وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم تنبىء عن ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثانى للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها ازيد من ثلاثة فراسخ وطبرية مسجد يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوجة موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبيينا وعليهم وقصدنا منها زيارة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو فى صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبرنا قيمه ان الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا الى مدينة بيروت وهى صغيرة حسنة الاسواق وجامعها يدعى الحسن ويحلب منها الى ديار مصر القوا كه والحد يدوقصدنا منها زيارة أبي يعقوب يوسف الذى يزعمون انه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف وقيل السلطان نور لدين وكان من الصالحين ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقات بشمها

— حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور —

يحكى انه دخل مدينة دمشق ففرض بها مرضا شديدا واقام مطروحا بالاسواق فلما برىء من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا يكون حارسه فاستأجر لحراسة بستان للملك نور الدين واقام فى حراسته ستة اشهر فلما كان فى اوان الفاكهة أتى السلطان الى ذاك البستان وأمر وكيل البستان أبا يعقوب ان ياتي برمان يأكل منه السلطان فأتاه برمان فوجده حامضا فامر ان ياتي بغيره ففعل ذلك فوجده أيضا حامضا فقال له الوكيل انكون فى حراسة هذا البستان منذ ستة اشهر ولا تعرف الحلوم الحامض فقال انما استأجرتنى على الحراسة لا على الاكل فاتى الوكيل الى الملك فاعلمه بذلك فبعث اليه الملك

وكان قدر أرى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة فتفرس انه هو فقال له أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه فاضافه بضياء من الحلال المكتسب بكديمينه وأقام عنده أياما ثم خرج من دمشق قاراً بنفسه في أو ان البرد الشديد فاتي قرية من قراها وكان بها رجل من الضعفاء فعرض عليه الزول عنده ففعل وصنع له مرققة وذبح دجاجة فاتاه بها ونخبز شعير فاكل من ذلك ودعا للرجل وكان عنده جملة أولاد منهم بنت قد آن بناء زوجها عليها ومن عوائدهم في تلك البلاد ان البنات يجهزها أبوهاو يكون معظم الجهاز أو اني النحاس و به يتفاحرون و به يتبايعون فقال أبو يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت قال اثني به فاتاه به فقال له استمر من جيرانك ما أمكنك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه فلو قد عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسیر فطرح منه على النحاس فعاد كله ذهابا وتركه في بيت مقفل وكتب كتابا الى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك وبنهيه على بناء مارستان للمرضى من الغرباء و بوقف عليه الاوقاف و بني الزوايا بالطرق و يرضى أصحاب النحاس و يعطي صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم بن أدهم قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين فوصل الملك الى تلك القرية واحتمل الذهب بعد ان أرضى أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب فلم يجد له أثرا ولا وقع له على خبر فعاد الى دمشق و بنى المارستان المعروف باسمه الذي ليس في المعمور مثله ثم وصلت الى مدينة طرابلس وهي احدى قواعد الشام و بلدانها الضخام تحترقها الأهوار . وتحفها البساتين والأشجار . ويكنفها البحر بمرافقه العظيمة والبر بخيراته المقيمة . ولها الاسواق العجيبة . والمسارح الخصبية . والبحر على ميلين منها وهي حديقة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زمانا فلما استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة و بهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الاتراك وأميرها طيلائن الحاجب المعروف بملك الاسراء ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار السعادة ومن عوائده ان يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء والعساكر ويخرج الى ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترحل الامراء وتزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتضرب الطبلaxe عند دار كل امير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل ومن كان بها من الاعلام كاتب السر بها

الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام الدين هوشبخ
القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوه علاء الدين كاتب السر بدمشق. ومنهم وكيل بيت
المال قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال. ومنهم قاضي قضاتها شمس الدين بن النقيب
من أعلام علماء الشام وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي وحمام سندمور
وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة على أهل الجنايات
منها أن امرأة شكت إليه بأن أحد مماليكه الخواص تعدي عليها في لبن كانت تبذره
فشر به ولم تكن لها بيئة فامر به فوسط فخرج اللبن من مصرائه. وقد اتفق مثل هذه الحكاية
للعترس أحد أمراء الملك الناصر أيام إمارته على عذاب وانفق مثلها للملك بكك سلطان
تركستان ثم سافرت من طرابلس إلى حصن الأكراد وهو بلد صغير كثير الأشجار والأنهار
بالعلى و به زاوية تعرف بزاوية الأبراهيمي نسبة إلى بعض كبراء الأمراء ونزلت عند
قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ثم سافرت إلى مدينة حصص وهي مدينة مليحة أرجاؤها مونة
وأشجارها مورقة وأنهارها متدفقة وأسواقها فسحة الشوارع وجامعها متميز بالحسن
الجامع وفي وسطه بركة ماء وأهل حصص عرب لهم فضل وكرم وبخارج هذه المدينة قبر خالد
ابن الوليد سبغ الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة سوداء وقاضي هذه
المدينة جمال الدين الشريشي من أجمل الناس صورة واحسنهم سيرة ثم سافرت منها إلى
مدينة حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدائن البديعة ذات الحسن الرائق والجمال
الفائق تحفها البساتين والجنان عليها النواعير كالافلاك الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى
بالعاصي ولها ربض سمي بالمنصورة اعظم من المدينة فيه الأسواق الخافلة والحمامات
الحسان وبجماة القواكه الكثيرة ومنها المشمش الموزي اذا كسرت نواته وجدت في
داخلها لوزة حلوة قال ابن جزى وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول
الاديب الرحال نور الدين والحسن على بن موسى بن سعيد العنسي العماري الغرناطي
نسبة لعمار بن ياسر رضى الله عنه

(طویل)

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغني حمام أو تميل خمائل * وتزهي مباني تمنع الواصف الوصف
يلوموني أن أعصى الصون والنهي * وأطيع الكأس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكبه عصيا ناو أشربها صرفا
وأشدولدى تلك النواعر شدوها * وأغلبها رقصاً وأشبهها غرفا

تَن وتذرى دمعا فكَأَنها * تهم بمرآها وتسالها العظما

ولبعضهم في نواخيرها ذاهبا مذهب التورية (طويل)

وناورة رقت لعظم خطيئتي * وقد عاينت قصدي من المنزل القاصي

بكيت رحمة لي ثم باحت بشجوها * وحسبك ان الخشب تبكي على العاصي

ولبعض المتأخرين فيها أيضاً من التورية (كامل)

ياسادة سكنوا حماة وحققكم * ما حلت عن تقوي وعن اخلاصي

والطرف بعدكم اذا ذكر اللقا * يجري المدامع طائعا كالعاصي

(رجع) - ثم سافرت الى مدينة المعرة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعري وكثير سواه

من الشعراء قال ابن جزى وانما سميت بمرة النعمان لان النعمان بن بشير الانصاري

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام امارته على حصن فدثنه بالمرة

فعرفت به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جبل مطل عليها سميت به

(رجع) والمرة مدينة كبيرة حسنة أكثر شجرها التين والفسق وقيل ان النعمان بن بشير

والشام وبخارجها على فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا

خدم له * وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من

الصحابه رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويبغضون كل من اسمه عمر وخصوصا عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم على رضي الله عنه - ثم سرنا منها الى مدينة

سمرين وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الاجري

ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضا الصابون المطيب لغسل الايدي ويصغونه

بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها وأهلها سبابون يبغضون العشرة

ومن العجب أنهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادى سمارتهم بالاسواق على السلع فاذا

بلغوا الى العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوما فسمع سمسارا ينادى

تسعة وواحد فضر به بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه

تسع قباب ولم يجعلوها عشرة قيا ما يذهبهم القبيح - ثم سرنا الى مدينة حلب المدينة الكبرى

والقاعدة العظمى قال أبو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان

يطير خطابها من الملوك كثير ومحلها من النفوس أنير فكما هاجت من كفاخ وسل

عليها من بيض الصفاح لها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع فزهت حصانة من ان

ترام أو تستطاع منحوتة الاجزاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الايام

والاعوام ووسعت الخواص والعوام ابن أمراءها الحمدانيون وشعراؤها في جميعهم ولم يبق إلا بناؤها فيما عجا لبلاد تبتى ويذهب ملاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها ونحطب بعدهم فلا يتعذر املاكها وتزام فيتيسر باهون شيء ادراكها هذه حلب كم ادخلت ملوكها في خيركان ونسخت صرف الزمان بالمكان أنث اسمها فتجلت بحليلة القوان وانت بالعدر فيمن دان وانجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيئات سيهرم شبابها وبعدم خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلعة حلب تسمى الشهباء وبداخلها جبلان ينبع منهما الماء فلا تخاف الظما ويطيف بها سوران وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء وسورها متداني الابراج وقد انتظمت بها العلالي العجيبة المفتحة الطيقان وكل برج منها مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به وهذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك ابن طوق التي علي الفرات بين الشام والعراق ولما قصد قازان طاغية التتر مدينة حلب حاصر هذه القلعة اياما ونكص عنها خائبا قال ابن جزي وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة

وخرقاء قد قامت على من يرومها * برقبها العالى وجانها الصعب
يجر عليها الجواجيب غمامة * ويلبثها عقداً بانجمه الشهب
اذا ما سرى برق بدت من خلاله * كالأحت العذراء من خلل السحب
فكم من جنود قد أمانت بغصة * وذى سطوات قد أبانت على عقب

وفيهما يقول أيضاً وهو من بديع النظم (بسيط)

وقلعة عائق العتقاء سافلها * وجاز منطقة الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر اذ كان الغمام لها * أرضاً توطأ قطريه مواشها
اذا الغمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهمل عواليها
يعد من انجم الافلاك مرقبها * لو انه كان يجري في مجاريها
ردت مكابد أقوام مكابدها * ونصرت لدواهيهم دواهيها

وفيهما يقول جمال الدين علي بن أبي المنصور (كامل)

كادت لبون سموها وعلوها * تستوقف الفلك الحيط الدائرا
وردت قواطنها الحجر منها * ورعت سوابقها النجوم زواها
ويظل صرف الدهر منها خائفا * رجلا فما يسمى لديها حاضرا

(رجع) ويقال في مدينة حلب حلب إبراهيم لأن الخليل صلوات الله وسلامه على نبيينا وعليه كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والصادر من البانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب إبراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الاسواق وانتظام بعضها ببعض وأسواقها مسقفة بالخشب فاهلها دائماً في ظل ممدود وقيساريتها لا تماثل حسنا وكبراً وهي تحيط بمسجدها وكل سباط منها محاذ لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع من أجل المساجد في صحته بركة ماء ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالهـاج والآبنوس وبقرّب جامعتها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة ينسب لامراء بني حمدان وبالبلد سواها ثلاث مدارس وبها مارستان وأما خارج المدينة فهو بسيط أفج عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاعناب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهرها وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاصي وقيل انه سمي بذلك لانه يخيل لنا ظره ان جريانه من أسفل الى علو والنفس تجدفى خارج مدينة حلب انشراحاً وسروراً ونشاطاً لا يكون في سواها وهي من المدن التي تصلح للخلافة قال ابن جزى أطنبت الشعراء في وصف محاسن حلب وذكروا خلها وخارجها وفيها يقول أبو عبادة البحراني (كامل)

يأبرق أسفر عن فوق مطالي * حلب فاعلى النصر من بطاس
عن منبت الورد المعصر صبغة * في كل ضاحية وجني الآس
أرض اذا استوحشتكم بتذكر * حشدت على فاكثرت ايناسي

وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري (مقارب)

سقى حلب المزن مغني حلب * فكم وصلت طرباً بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذا نشر الزهر أعلامه * بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * زروق وأوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعري (خفيف)

حلب للوراد جنة عدن * وهي للغادرين نار سعير
والعظيم العظيم يكبر في عيه * نيه منها قدر الصغير الصغير
فقويق في أنف القوم بحر * وحصاة منه مكان ثبير

وقال فيها أبو الفتيان بن جبوس

يا صاحبي اذا اعبا كما سقمي * فلقيناني نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الهوا العذرى من أربي
وقال فيها أبو الفتح كشاجم (مقارب)

وما أمتعت جاراها ببلدة * كما أمتعت حلب جاراها
بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي (خفيف)

حادي العيس كم تذيخ المطايا * سق بروحي من بعدهم في سياق
حلب انهم امقرغرامى * ومرامى وقبللة الاشواق
لك خلا جوشن وبطياس والعبد * ومن كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه سقى المني بكائن دهاق
وتغني طيورها لارتياح * وتثني غصونها للعنناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

(رجع) وبحلب ملك الامراء أرغون الدوادار أكبر أمراء الملك الناصر وهو من الفقهاء
موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاة بحلب أربعة للمذاهب الاربعة فمنهم القاضي كمال
الدين بن الزملكاني شافعي المذهب عالي الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الاخلاق متفنن
بالعلوم وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليوليه قضاء القضاة محضرة ملكه فلم يقض له ذلك وتوفي
بيليس وهو متوجه اليها ولما ولي قضاء حلب قصده الشعراء من دمشق وسواها وكان فيمن
قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الحداد شمس الدين أبي عبد الله محمد بن
نباتة القرشي الاموي الفارقي فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة اولها (كامل)

اسفت لفقدك جلق الفيحاء * وتباشرت لقدومك الشهباء
وعلا دمشق وقد رحلت كآبة * وعلا ربا حلب سنا وسناء
قد اشرفت دار سكنت فناءها * حتى غدت ولنورها لآلاء
ياسائرا سقى المسكارم والعي * ممن يبخل عنده الكرماء
هذا كمال الدين لذ بجانبه * تنعم فثم الفضل والنعماء
قاضي القضاة اجل من ايامه * تغني بها الايتام والفقراء
قاض زكا اصلا وفرما فاعتلى * شرفت به الآباء والابناء
من الاله علي بنى حلب به * لله وضع الفضل حيث يشاء

كشف المعني فهمه وبيانه * فكأنما ذاك الذكاء ذكاه
 ياحاكم الحكام قدرك سابق * عن ان تسرك رتبة شماء
 ان المناصب دون همتك التي * في الفضل دون علمها الجوزاء
 لك في العلوم فضائل مشهورة * كالمصبح شق له الظلام ضياء
 ومناقب شهد العدو بفضلها * والفضل ماشهدت به الاعداء

وهي أزيد من خمسين بيتا وأجازه عليها بكسوة ودراهم وانتقد عليه الشعراء ابتداءه
 بلفظ أسفت قال ابن جزى وليس كلامه في هذه القصيدة بذلك وهو في المقطعات أجود
 منه في القصائد واليه انتهت الرياسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو
 من ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباتة منشى الخطب الشهيرة ومن بدع مقطعاته
 في التورية قوله — كامل —

علقته غيداء حالية العلى * تجنى على عقل الحب وقلبه
 بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغعدت مطوقة بما بخلت به

(رجع) ومن قضاة حلب قاضى قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن
 الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب — كامل —

تراه اذا ماجئته متمللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومنهم قاضى قضاة المالكية لا أذكره كان من المؤثمين بمصر وأخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضى قضاة الحنابلة لا أذكر اسمه وهو من أهل صالحية دمشق ونقيب
 الاشراف بحلب بدر الدين بن الزهراء ومن فقائها شرف الدين بن العجمي وأقار به هم
 كبراء مدينة حلب — ثم سافرت منها الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وضبط
 اسمها بقاء معلومة مكسورة وياء مدوزاى مكسورة وياء مدثانية ونون) وهي حديثة اتخذها
 التركان وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيا بدر الدين العسقلاني
 وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خربت ولم يبق الا رسومها ثم سافرت الى مدينة
 انطاكية وهي مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظيره في أسوار بلاد الشام
 فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة
 الاشجار والمياه وبخارجها نهر العاصى وبها قبر حبيب النجار رضى الله عنه وعليه زاوية
 فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن على سنه ينيف على المائة وهو ممتنع
 بقوته دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع خطبا ورفع على كاهله لياقى به منزله بالمدينة

ورأيت ابنة قدأف على الثمانين الا انه محدودب الظهر لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن
الوالد منها ولدا والولد والد - ثم سافرت الى حصن بغراس (وضبط اسمه بباء موحدة
مضمومة وغين معجمة مسكنة وراء وآخره سين مهملة) وهو حصن منيع لا يرام عليه
اليساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سبس وهي بلاد كفار الارمن وهم رعية الملك
الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبلغلية وبها تصنع الثياب الدبزية
وأمر هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن أخ اسمه
حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص (بضم الراء والصاد المهمل
الاول) ويحفظ الطريق الى بلاد الارمن

— حكاية —

شكا الارمن مرة الى الملك الناصر من الامير حسام الدين وزوروا عليه أمورا لا تليق
فنفذ أمره لامير الامراء بحلب ان يحنقه فلما توجه الامير بلغ ذلك صديقا له من كبار
الامراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوندان الامير حسام الدين هو من خيار الامراء
ينصح للمسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجعان والارمن يريدون الفساد في بلاد
المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وانما أرادوا اضعاف شوكة المسلمين بقتله ولم يزل به حتى أنفذ
أمرا ثانيا بسراجه والخنق عليه وردعه لموضعه ودعا الملك الناصر برديا يعرف بالافوش
وكان لا يبعث الا في مهم أمره بالاسراع والجد في السير فصار من مصر الى حلب في
خمس وهي مسيرة شهر فوجد امير حلب قدأف حضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع
الذي يحنق به الناس فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه ولقيت هذا الامير ومعه قاضى
بغراس شرف الدين الحموي بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس
ينزله التريكان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت الى حصن القصير تصغير قصر وهو حصن
حسن أميره علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين الارمنى من أهل الديار المصرية
- ثم سافرت الى حصن الشغرى بكاس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم واسكان الغين
المعجم وضم الراء والباء الموحدة وآخره سين مهملة) وهو منيع في رأس شاهق اميره سيف
الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من أصحاب ابن تيمية - ثم سافرت
الى مدينة صهيون وهي مدينة حسنة بها الانهار المطردة والاشجار المورقة ولها قلعة جيدة
واميرها يعرف بالابراهيمى وقاضيهما محي الدين الحصى وبخارجها زاوية في وسط بستان فيها
الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوى رحمه الله وقد زرت قبره
ثم سافرت منها فمررت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح القاف واسكان الدال المهمل

وضم الميم وآخره سين مهملة) ثم بحصن المينة (وضبط اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح النون والقاف) ثم بحصن العليقة واسمه على لفظ واحدة العليق ثم بحصن مصياف (وصاده مهملة) ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم القداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه باعراق وغيرها ولهم المراتب واذا أراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوله أعطاه دية فان سلم بعد تأني ما يراد منه فهي له وان أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضر بون بها من يبعثوا الى قتله وبالم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الامير قراسنقور فانه لما هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدروا عليه لاختذه بالحزم — حكاية —

كان قراسنقور من كبار الامراء ومن حضر قتل الملك الاشرف أخى الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به القرار واشتدت أواخى سلطانه جعل يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا أظهارا للاخذ بثأر أخيه وخوفا أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراسنقور أمير الامراء بحلب فكاتب الملك الناصر الى جميع الامراء أن ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتي يقبضوا عليه فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقور على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صبا حافا ختر قههم وأعجزهم سبقا وكانوا في عشر بن ألفا وقصد منزل أمير العرب مهنا بن عيسى وشعو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قصص له فقصد بيته ونزل عن فرسه وألقى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا أمير العرب وكانت هنالك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت له قد اجرناك وأجرنا من معك فقال انما أطلب اولادى ومالى فقال له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك واتي مهنا فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال انما احب اهلى ومالى الذى تركته بحلب فدعاهمنا باخوته وبني عمه فشاورهم في امره فنههم من اجابه الى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا أما نأفعل لهذا الرجل ما يريد وأذهب معه الى سلطان العراق وفي أثناء ذلك ورد عليهم الخبر بان أولاد قراسنقور سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا لقراسنقور أما اولادك فلا حيلة فيهم واما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن أطاعه من اهله واستقر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفا وقصدوا حلب فاحرقوا باب قلعتها وغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقور ومن بقي من أهله ولم

يتعدوا الى سوي ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم أمير حمص الافرم ووصلوا الى الملك
 مجدداً بئده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى قرا باغ (بفتح القاف والراء
 والباء الموحدة والغين المعجمة) وهو ما بين السلطانية وتبريز فاكرم نزلهم وأعطى مهنا عراق
 العرب وأعطى قراستقور مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة وأعطى
 الافرم همدان وأقاموا عنده مدة مات فيها الافرم وعاد منها الى الملك الناصر بعد موافق
 وعهود أخذها منه وتبقى قراستقور على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة
 بعد مرة فمنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهو راكب
 فيضربه وقتله بسببه من الفداوية جماعة وكان لا يفارق الدرع أبداً ولا ينام الا في بيت
 العود والحديد فلما مات السلطان مجدولى ابنه ابوسعيد وقع ماسئذ ذكره من امر
 الجوان كبير امرائه وفرار ولده الدمراطش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك
 الناصرو بين ابى سعيد وانفق على ان يبعث ابوسعيد الى الملك الناصر برأس قراستقور ويبعث
 اليه الملك الناصر برأس الدمراطش فبعث الملك الناصر برأس الدمراطش الى ابى سعيد
 فلما وصله امر بحمل قراستقور اليه فلما عرف قراستقور بذلك أخذ خاتماً كان له مخوفاً
 في داخله سم نافع فنزع ففصه وامتنص ذلك السم فمات لحينه فعرف ابوسعيد بذلك الملك
 الناصر ولم يبعث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية الى مدينة جبلة وهى ذات
 انهار مطردة واشجار والبحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الصالح الشهير ابراهيم بن
 ادهم رضى الله عنه وهو الذي نبذ الملك وانقطع الى الله تعالى حسبما شهر ذلك ولم
 يكن ابراهيم من بيت ملك كما يظنه الناس انما ورث الملك عن جده أبى أمه وأما أبوه
 أدهم فكان من الفقراء الصالحين السائحين المتعبدين للورعين المنقطعين

— حكاية أدهم —

يذكر انه مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضا من بعض الانهار التي تتخللها فاذا بتفاحة
 يحملها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلمها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على ان
 يستحل من صاحب البستان فقرع باب البستان فخرجت اليه جارية فقال لها ادعى الى
 صاحب المنزل فقالت انه لا امرأة فقال استأذني لى عليها ففعلت فاخبر المرأة بخبر التفاحة
 فقالت له ان هذا البستان نصفه لى ونصفه للسلطان والسلطان يومئذ يبلغ وهى مسيرة
 عشرة من بخارى وأحلتها المرأة من نصفها وذهب الى بلخ فاعترض السلطان في موكب
 فاخبره الخبر واستحله فامره ان يعود اليه من الغد وكان للسلطان بنت بارعة الجمال قد

خطبها أبناء الملوك فتمنعت وحببت اليها العبادة وحبب الصالحين وهي تحب أن تزوج من ورع زاهد في الدنيا فلما عاد السلطان إلى منزله أخبر بنته بخبر أدهم وقال ما رأيت أروع من هذا يأتي من بخارى إلى بلخ لاجل نصف تفاحة فرغبت في تزوجه فلما أتاها من الغد قال لأحلك إلا أن تزوج ببنتي فانتقاد لذلك بعد استعصاء وتمنع فتزوج منها فلما دخل عليها وجدها مترينة والبيت مزين بالفرش وسواها فعمد إلى ناحية من البيت وأقبل على صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليال وكان السلطان ما أحله قبل فبعث إليه أن يحله فقال لأحلك حتى يقع اجتماعك بزوجتك فلما كان الليل واقعها ثم اغتسل وقام إلى الصلاة فصاح صيحة وسجد في مصلاه فوجد ميتا رحمه الله وحملت منه فوادت إبراهيم ولم يكن لجدته ولد فاسند الملك إليه وكان من تخليعه عن الملك ما اشتهر وعلى قبر إبراهيم بن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء وبها الطعام للصادر والوارد وخادمها إبراهيم الجحى من كبار الصالحين والناس بقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام وقيمون بها ثلاثا ويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء ويقدم الفقراء المتجردون من الآفاق بمحضور هذا الموسم وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطي لخادمها شعبة فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون أن على بن أبي طالب إله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقراهم فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه وربما أوت إليه مواشيهم ودوابهم وربما وصل الغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له لا تنهق علفك ياتيك وعددهم كثير — حكاية —

ذكر لي أن رجلا جهمولا وقع ببلاد هذه الطائفة فادعى الهداية وتكاثروا عليه فوعدهم بتملك البلاد وقسم بينهم بلاد الشام وكان يعين لهم البلاد ويامرهم بالخروج إليها ويعطيهم من ورق الزيتون ويقول لهم استظفروا بها فانها كالا وامر لكم فاذا خرج احدهم إلى بلد أحضره أميرها فيقول له إن الامام المهدي أعطانى هذا البلد فيقول له أبن الامر فيخرج ورق الزيتون فيضرب ويحبس ثم إنه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وان يبدؤوا بمدينة جبلة وأمرهم ان ياخذوا عوض السيوف قضبان الآس ووعدهم أنها تصير في أيديهم سيوفا عند القتال فغدروا مدينة جبلة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور وهتكوا الحريم ونار المسلمون من مسجدهم فاخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا واتصل الخبر باللاذقية فاقبل أميرها بهادربند الله بعسكره وطيرت الحمام إلى طرابلس فاتي أمير الامراء

بعساكره وأتبعوهم حتى قتلوا منهم نحو عشرين الفا وتحصن الباقون بالجبال وراسلوا ملك الامراء والنزمو ان يعطوه دينارا عن كل رأس ان هو حاول ابقاءهم وكان الخبر قد طير به الحام الى الملك الناصر وصدر جوابه ان يحمل عليهم السيف فراجعهم ملك الامراء وألقى له انهم عمال المسلمين في حراثة الارض وانهم ان قتلوا ضعف المسلمون لذلك فامر بالابقاء عليهم - ثم سافرت الى مدينة اللاذقية وهى مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون انهم مدينة الملك الذى كان ياخذ كل سفينة غصبا وكنت انما قصدتها لزيارة الولي الصالح عبد المحسن الاسكندرى فلما وصلتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف فلقيت من اصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائى ويحيى السلاوي وهما بسجدة علاء الدين بن البهاء أحد فضلاء الشام وكبرائى صاحب الصدقات والمكارم وكان قد عمر لها زاوية بقرب المسجد وجعل بها الطعام للوارد والصادر وقاضيا الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصرى المالكي فاضل كريم تعلق بطيلاق ملك الامراء فولاه قضاءها

— حكاية —

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجاء لا يسلم أحد من لسانه متهم في دينه مستخف يتكلم بالقبائح من الاحاد فعرضت له حاجة عند طيلاق ملك الامراء فلم يقضها له فقصد مصر وتقول عليه أمورا شنيعة وعاد الى اللاذقية فكتب طيلاق الى القاضي جلال الدين ان يتحيل في قتله بوجه شرعى فدعاه القاضي الى منزله وباحثه واستخرج كامن الحاد فتكلم بعظائم أسرها يوجب القتل وقد اعد القاضي الشهود وخلف الحجاب فكتبوا عقدا بمقاله وثبت عند القاضي وسجن واعلم ملك الامراء بقضيته ثم اخرج من السجن وخنق على بابه ثم لم يلبث ملك الامراء طيلاق ان عزل عن طرابلس ووليها الحاج قرطبة من كبار الامراء ومن تقدمت له فيها الولاية وبينه وبين طيلاق عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه اخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي جلال الدين فامر به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فاحضروا وامر بخنقهم وأخرجوا الى ظاهر المدينة حيث يخنق الناس واجلس كل واحد منهم تحت مختنقه ونزعت عماهم ومن عادة امراء تلك البلاد انه متى امرا حدهم بقتل احدهم الناس بمالحكم من مجلس الامير سبعا على فرسه الى حيث لما مور بقتله ثم يعود الى الامير فيكرر استئذانه بفعل ذلك ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث انفذ الامر فلما فعل الحاكم ذلك قامت الامراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا ايها الامير هذه سبة في الاسلام بقتل القاضي والشهود فقبل الامير شفاعتهم وخصى سبيلهم

وبحارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان ويقصده النصارى من الآفاق وكل من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخل والكبر وميناء هذه المدينة عليها سلسلة بين برجين لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحيط له السلسلة وهى من أحسن المراسى بالشام - ثم سافرت الى حسن المرقب وهو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وميناه على جبل شامخ وخارج جره بض ينزله الغرباء ولا يدخلون قلعته وافتتحة من أيدي الروم الملك المنصور قلاوون وعليه ولدا بنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصرى من أفاضل القضاة وكرمائهم ثم سافرت الى الجبل الاقارع وهو على جبل بالشام وأول ما يظهر منها من البحر وسكانه التركان وفيه العيون والانهار وسافرت منه الى جبل لبنان وهو من أخصب جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة ولا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شهير بذلك ورأيت به جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتهر اسمه

— حكاية —

أخبرني بعض الصالحين الذين لقيتهم به قال كنا بهذا الجبل مع جماعة من الفقراء أيام البرد الشديد فاودنا ناراً عظيمة وأحد قناها فقال بعض الحاضرين يصلح لهذه النار ما يشوى فيها فقال أحد الفقراء ممن تزدريه الاعين ولا يعاب به إني كنت عند صلاة العصر بمتعبد ابراهيم بن ادهم فرأيت بمقربة منه حمار وحش قد أهدق الثلج به من كل جانب وأظنه لا يقدر على الحركة فلو ذهبتم اليه لقد رتم عليه وشويتم لحمه في هذه النار قل فقمنا اليه في خمسة رجال فلقيناه كما وصف الينا فقبضناه واتينا به أصحابنا وذبحناه واشوينا لحمه في تلك النار وطلبنا الفقير الذى نبه عليه فلم نجده ولا وقعنا له على أثر فطال عجبنا منه ثم وصلنا من جبل لبنان الى مدينة بعلبك وهى حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحديقها البساتين الشريفة والجنان المنيفة وتحترق أرضها الانهار الجارية وتضاهى دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما لبس في سواها وبها بصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد وتكسر القلة التى يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها القستق والاوز ويسمون حلواء بالملمن ويسمون بها أيضاً بجلد الفرس وهى كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق وبينهما مسيرة يوم للمجد وأما الرقاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه ويغدون منها الى دمشق ويصنع بعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره ويصنع

بها أواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمون الصحاف بالدسوت وربما صنعوا الصحفة وصنعوا صحفة أخرى تسع في جوفها وأخري في جوفها إلى أن يبلغوا العشرة فيخل لرائبها أنها صحفة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحدة و يصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في حزامه وإذا حضر طعاما مع أصحابه أخرج ذلك فيظن رائبها أنها ملعقة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعة. وكان دخولي لبعليك عشية النهار وخرجت منها بالغد ولقرط اشتياقي إلى دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشراشية ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتقدمها جمالا وكل وصف وإن طال فهو قاصر عن محاسنها ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قال وأما دمشق فهي جنة المشرق . ومطلع نورها المشرق . وخاتمة بلاد الاسلام التي استقر بناها . وعروس المدن التي اجتليناها . قد تحلت بازاهير الرياحين . وتحلت في حلل سندسية من البساتين . وحلت : موضع الحسن بالمكان المكين . وتزينت في منصتها أجل تزيين . وتشرفت بان آوي المسيح عليه السلام وأمه منها إلى ربوة ذات قرار ومعين . ظل ظليل : وماء سلسبيل ، تنساب مذيابها انسياب الاراقم بكل سبيل . ورياض يحبي النفوس نسيمها العليل : تتبرج لناظرها بمجتي صقيل . وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل . وقد سئمت أرضها كثرة الماء . حتى اشتاقت إلى الظاء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب . أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد أحدقت البساتين بها أحداق الهالة بالقمر . والاكمام بالثمر . وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر . وكل موضع لحظت بجهاتها الأربع نظرتة اليانة قيد البصر . والله صدق القائلين عنها . ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها . وان كانت في السماء فهي تساميتها وتحاذيها . قال ابن جزى وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال

(خفيف)

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا تكون سواها

أو تكن في السماء فهي عليها * قد أبدت هواءها وهواها

بلد طيب ورب غفور * فاعتنمها عشية وضحاها

وذكرها شيخنا الحدّث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي أشي نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف

منها وأجاد . ونوق الانفس للتطاع على صورتها بما أفاد . هذا وان لم تكن لها اقامة .
 فيعرب عنها بحقيقة علامة . ولا وصف ذهبيات أصيلا . وقد حان من الشمس غروبها
 ولا ازمان جفولها المتنوعات . ولا أوقات سرورها المنبهات . وقد اختص من قال . الفيتها
 كما تصف الألسن . وفيها ما تشبهه الانفس وتلذذا العين . قال ابن جزى والذي قالته
 الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة وكان والدى رحمه الله كثيرا ما ينشد في
 وصفها هذه الايات وهى لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى (طويل)

دمشق بناشوق اليها - برح * وان لج واش أو ألح عذول
 بلاد بها الحصباء در وتر بها * عبر وأنفاس الشمال شمول
 تسلسل فيها مأوها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل
 وهذا من النمط العالى من الشعر وقال فيه اعرقة الدمشق الكلبى (كامل)
 الشام شامة وجنة الدنيا كما * انسان مقلتها الغضبيضة جاق
 من أسهل لك جنة لا تنقضى * ومن الشقيق جهنم لا تحرق
 وقال أيضا فيها

أما دمشق فجنات معجزة * للطالبين بها الوندان والخور
 ماصحاح فيها على أوتاره نمر * الا يغنيه قمرى وشجرور
 ياحبذا ودروع الماء تنسجها * أنامل الريح الا أنها زور
 وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز)

سقى دمشق الله غيثا حسنا * من مستهل ديمة دهاقها
 مدينة ليس يضاهى حسنها * فى سائر الدنيا ولا آفاقها
 تود زوراء العراق انها * منها ولا تغزى الى عراقها
 فارضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر فى أشراقها
 نسيم روضها متى ما قد سري * فك أخا الهموم من وثاقها
 قدر تبع الربيع فى ربوعها * وسيفت الدنيا الى أسواقها
 لا تنام العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا اللقضى الفاضل عبد الرحمن البيسانى فيها من قصيدة وقد نسبت أيضا
 لابن المنير (كامل)

يا برق هل لك فى احتمال تمية * عذبت فصارت مثل مائك سلسلا

باكر دمشق بمشق الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكلا
 واجرر يجيرون ذبولك واختصاص * مغنى تازر بالعلل وتسربلا
 حيث الحيا الربى محلول الحيا * والوايل الربى مغرى الكلا
 وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين (بسيط)
 دمشق منزلنا حيث النعم بدا * مكلا وهو في الآفاق مختصر
 القصب راقصة والطير صادحة * والزهر مرتفع والماء منحد
 وقد تجلت من اللذات أوجها * لكنها بظلال الدوح تستتر
 وكل واد به موسى يفتجره * وكل روض على حافاته الخضر
 وقال ايضا فيها

خيم بجاق بين الكأس والوتر * في جنة هي ملء السمع والبصر
 ومتع الطرف في مرأى محاسنه * وروض الفكر بين الروض والنهر
 وانظر الى ذهبيات الاصيل بها * واسمع الى نغمات الطير في الشجر
 وقل لمن لام في لذاته بشرا * دعني فانك عندي من سوقة البشر
 وقال فيها ايضا (كامل)

اما دمشق فجنة * ينمى بها الوطن الغريب
 لله ايام السبوت * بها ومنظرها العجيب
 انظر بعينك هل تري * الاحبسا اوحيب
 في موطن غني الحمام * به على رقص القضيبي
 وغدت ازاهر روضه * تحتال في فرح وطيب

واهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون الى المنزهات وشطوط الانهار
 ودوحات الاشجار بين البساتين النظرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم الى الليل وقد
 طال بنا الكلام في محاسن دمشق فلنرجع الى كلام الشيخ ابي عبد الله

— ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني امية —

وهو اعظم مساجد الدنيا احتفالا واتقانها صناعة وابدعها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
 نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذي تولى بناءه واتقانه امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
 مروان ووجه الى ملك الروم بقسطنطينية يامر ان يبعث اليه الصانع فبعث اليه اثني عشر
 الف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد

رضي الله عنه من احدي جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجداً وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيسة منهم تلك بما شاؤوا من عوض فابوا عليه فانزعها من أيديهم وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يجن فذكروا ذلك للوليد فقال انا اول من يجن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهدم واكذب الله زعم الروم وزين هذا المسجد بقصص الذهب المعروفة بالقسي فساء تخالطها أنواع الاصبغة الغربية الحسن وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثمانى ارجل حصية تتخللها وست ارجل مرخمة مرصعة بالرخام الملون قد صور فيها اشكال محاريب وسواها وهي ثقلى قبة الرصاص التي امام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شمها المسجد نسرا طائرا والقبة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أى جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطا وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فن قارى ومحدث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة واذا اتى أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحبالة اسرع كل منهما نحو صاحبه وحظر رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهى اكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهى قائمة على ثمان سوار من الرخام مزخرفة بالقصص والاصبغة الملونة مسففة بالرصاص يقال ان مال الجامع كان يخزن بها وذكركلى أن فوائد مستغلات الجامع وجبايته نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباً في كل سنة والقبة الثانية من شرق الصحن على هيئة الاخري الا انها اصغر منها قائمة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة في وسط الصحن وهى صغيرة مشتمة من رخام عجيب محكم اللصاق قائمة على أربع سواري من الرخام الناصع وتحتها اشباك حديد في وسطه أنبوب

نحاس يصب الماء الى علو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لجين وهم يسمونه قفص الماء ويستحسن الناس وضع افواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من المصحن باب يفضي الى مسجد يدعى الوضع يسمى مشهد على بن أبي طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجنوبي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها ازاء الحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على اثم ذلك المصحف الكريم وهنا لك يحلف الناس غرماء هم ومن ادعوا عليه شيئاً وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر اهل التاريخ انه اهل محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويلي محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقية وهي من بناء الروم وبها داخل المسجد وباسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤون والصومعة الثانية بغربيه وهي أيضاً من بناء الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذناً وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهر يصب الماء وهي لطائفة الزياحة السودان وفي وسط المسجد قبر ذكرى عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطواناتين مكسوة بثوب حرير اسود معلم فيه مكتوب بالابيض (يا زكريا انك نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري ان الصلاة في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا اربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هو عليه السلام وان قبره به وقدر أيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحقاف بنية فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلاً من الزمان كما سنده والناس يجتمعون به كل يوم اثر صلاة الصبح فيقرأون سبعاً من القرآن ويحتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرأون فيها من سورة الكوثر الى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة من ثبات تجري لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاذب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من الجوارين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون

عن ذلك ويتوضئون من المطاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يعينونهم بالطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئاً من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباعلاه قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضى الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوائت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من احسن اسواق دمشق وبوضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم وصار مكانها سوقا وباب شرقي وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى باب جيرون وله دهليز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم طويل امامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وبه ماء جار وقد انتظمت امام البلاط درج يتعذر فيها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجزوع طوال ويجانب هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوائت الجوهرين والكتبيين وصناع اواني الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الاول دكاكين لكبار الشهود ومنها دكانان للشافعية وسائر اهل المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سقف لها تعلوها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أبواب نحاس يزجج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزبد من قامة الانسان يسمونه القوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها ابواب على عدد ساعات النهار والا ابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهب ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضى الساعات والباب الغربي يعرف بباب البر يدور عن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوائت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وباعلاه باب يصعد اليه في درج له اعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجنوبي يعرف بباب النطقانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج

منه خانقاة تعرف بالشميعانية في وسطها صهر ديج ماء ولها مظهر يجري فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وعلى كل باب من ابواب المسجد الاربعه دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة

— ذكر الأئمة بهذا المسجد —

واثنته ثلاثة عشر اماما أولهم امام الشافعية وكان في عهد دخولى اليها امامهم قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد ازاء المقصورة وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية رضي الله عنه وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد ان أدي عنه الملك الناصر نحو مائة الف درهم كانت عليه ديناً بدمشق واذا سلم امام الشافعية من صلاته أقام الصلاة امام مشهد على ثم امام مشهد الحسين ثم امام الكلاسة ثم امام مشهد أبي بكر ثم امام مشهد عمر ثم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين ثم امام المالكية وكان امامهم في عهد دخولى اليها الفقيه أبو عمر بن أبي الوليد بن الحاج التجيبي القرطبي الاصل الغرناطي المولد نزيل دمشق وهو يتناوب الامامة مع أخيه رحمهما الله ثم امام الحنفية وكان امامهم في عهد دخولى اليها الفقيه عماد الدين الحنفى المعروف بابن الرومي وهو من كبار الصوفية وله شياخة خانقاة الخاتونية وله أيضا خانقاة بالشرف الاعلى ثم امام الحنابلة وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد شيوخ القراءة بدمشق ثم بعد هؤلاء خمسة أئمة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار الى ثلث الليل وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك

— ذكر المدرسين والمعلمين به —

ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرؤون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرؤون بالاصوات الحسنة صبا حوامساء وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سوارى المسجد يلقي الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى وانما يقرؤون القرآن تلقينا ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتيب الاشعار وسواها فينصرف الصبي من التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلم لا يخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح رهان الدين بن الفر كاح الشافعي ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالفضل والصالح ولما تولى القضاء بمصر جلال الدين القزويني وجه

الى ابي اليسر الخليفة والامر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك ومنهم الامام العالم شهاب الدين ابن جهيل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع بأبواليسر من قضائها خوفا من ان يقلد القضاء فاتصل ذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوى وهو من كبار الفقهاء ومنهم الامام الفاضل بدر الدين على السخاوى المالكي رحمة الله عليهم أجمعين

— ذكر قضاة دمشق —

قد ذكرنا قاضى القضاة الشافعي بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى وأما قاضى المالكية فهو شرف الدين بن خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية والنائب عنه فى القضاء شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية وأما قاضى قضاة الحنفية فهو عماد الدين الحورانى وكان شديد السطوة واليه يتحاكم النساء وأزواجهن وكان الرجل اذا سمع اسم القاضى الحنفى أنصف من نفسه قبل الوصول اليه وأما قاضى الحنابلة فهو الامام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حماره ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما لما توجه للحجاز الشريف

— حكاية —

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون الا ان فى عقله شيا وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظم على المنبر وتكلم مرة بامر انكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فامر باشخاصه الى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوى المالكي وقال ان هذا الرجل قال كذا وكذا وعدد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضى القضاة وقال قاضى القضاة لا بن تيمية مات قول قال لا اله الا الله فاعاد عليه فاجاب بمثل قوله فامر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواما وصنف فى السجن كتابا فى تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط فى نحو أربعين مجلدا ثم ان أمه تعرضت للملك الناصر وشكت اليه فامر باطلاقه الى ان وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت اذ ذلك بدمشق فخبرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع وبذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة الى هذا الفقيه وضر به بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حريز فانكروا عليه لباسها واحتملوه الى دار عز الدين بن

مسلم قاضى الحنابلة فامر بسجنه وعزله بعد ذلك فانكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الامر الى ملك الامراء سيف الدين تنكيز وكان من خيار الامراء وصالحاتهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عقد اشريعيا على ابن تيمية بامور منكورة منها ان المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه الا طلاقة واحدة ومنها المسافر الذى ينوي بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقد الى الملك الناصر فامر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات فى السجن

— ذكر مدارس دمشق —

اعلم أن للشافعية بدمشق جملة من المدارس أعظمها العادلية وبها يحكم قاضى القضاة وتقالها المدرسة الظاهرية وبها قبر الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضى ومن نوابه نحر الدين القبطى كان والده من كتاب القبط وأسلم ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لامر أوجب عزله

— حكاية —

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين الهجمي وكان سيف الدين تنكيز ملك الامراء يتماثل لهو يعظمه فحضر يوما بدار العدل عنده ملك الامراء وحضر القضاة الاربعة فحكي قاضى القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فانك القاضى من ذلك وامتنع له فقال للامير كيف يكذبني بحضرتك فقال له الامير احكم عليه وسلمه اليه وظنه أنه برضى بذلك فلا يناله بسوء فاحضره القاضي بالمدرسة العادلية وضر به مائتي سوط وطيف به على حار في مدينة دمشق ومنادينادى عليه فتى فرغ من ندائه ضربه على ظهره ضربة وهكذا العادة عندهم فبلغ ذلك ملك الامراء فانكره أشد الانكار وأحضر القضاة والفقهاء فاجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بغير مذهبه فان التعزير عند الشافعي لا يبلغ به الحد وقال قاضى القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيره فكتب الى الملك الناصر بذلك فعزله وللاحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضى القضاة الحنفية وللا مالكية بدمشق ثلاث مدارس احداها الصمصامية وبها سكن قاضى القضاة المالكية وقعوده للاحكام والمدرسة النورية عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشراشية عمرها شهاب الدين الشرايشى التاجر وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها المدرسة النجمية

— ذكر أبواب دمشق —

بمدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الجابية ومنها الباب الصغير
وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجرم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد بن جزي
لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله (رجز)

دمشق في أوصافها * جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانية
— ذكر بعض المشاهد والمزارات بها —

ففيها بالمقبرة التي بين البابين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان
أم المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضى الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الاحبار رضى الله عنهما ووجدت
في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي ان جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني
من المدينة الى الشام فتوفي في أثناء الطريق في قرية لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره فنزلوا
فوجدوا حنوطا وكفنا وماء فعجبوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصالوا عليه ودفنوه ثم ركبوا
فقال بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فعادوا للوضع فلم يجدوا للغبر من أثر قال ابن جزي
ويقال ان أويسا قتل بصفين مع علي عليه السلام وهو الاصح ان شاء الله ويلي باب الجابية باب
شرقي عنده جنازة فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها
قبر العابد الصالح أرسلان المعروف بالباز الاشهب

— حكاية في سبب تسميته بذلك —

يحكى أن الشيخ الوالي أحمد الرفاعي رضى الله عنه كان مسكنه بام عبيدة بمرجة من
مدينة واسط وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسلة
ويقال ان كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه صباحاً ومساءً فيرد عليه الآخر وكانت
للشيخ أحمد تخيلات عند زيارته فلما كان في إحدى السنين جذها على عادته وترك عذقا
منها وقال هذا برسم أخي شعيب فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعوا بالموقف الكريم
بعرفة ومع الشيخ أحمد خديمه أرسلان فتفاوضا الكلام وحكى الشيخ حكاية العذق فقال
لأرسلان عن امرئ يأسيدى آتية به فاذن له فذهب من حينه وانه به ووضعه بين
أيديهم فاخبر أهل الزاوية انهم رأوا عشيبة يوم عرفة باز الاشهب قد اقتض على النخلة فقطع
ذلك العذق وذهب به في الهواء وبغري دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها أقرباى الدرداء
وزوجة ام الدرداء وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الاسقع وقبر سهل بن حنظلة من

الذين باعوا نحت الشجرة رضى الله عنهم اجمعين وبقرية تعرف بالمنيحة شرقي دمشق وعلى اربعة اميال منها قبر سعد بن عباد رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن البناء وعلى رأسه حجر فيه مكتوب هذا قبر سعد بن عباد رأس الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبقرية قبلي البلد وعلى فرسخ منها مشهد ام كلثوم بنت على بن ابي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنها النبي صلى الله عليه وسلم ام كلثوم لشبهها بنحلتها ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مسجد كريم وحوله مساكن وله اوقاف وبسميه اهل دمشق قبر الست ام كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر سكينه بنت الحسين بن على عليه السلام وبجامع الزيرب من قرى دمشق في بيت بشرية قبر يقال انه قبر ام مريم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا غربي البلد وعلى اربعة اميال منها قبر ابي مسلم الخولاني وقبر ابي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجد الأقدام وهو في قبلي دمشق على ميلين منها على قارعة الطريق الأعظم الآخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو مسجد عظيم كثير البركة وله اوقاف كثيرة ويعظمه اهل دمشق تعظيما شديدا والأقدام التي ينسب اليها هي اقدام مصورة في حجر هنالك يقال انها اثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم فيقول له ها معنا قبر اخي موسى عليه السلام وبمقبرة من هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الاحمر وبمقبرة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف بالكثيب الاحمر تعظمه اليهود

— حكاية —

شاهدت ايام الطاعون الاعظم بدمشق في اواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع واربعين من تعظيم اهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه وهو ان ملك الامراء نائب السلطان ارغون شاه أمر مناديا ينادي بدمشق ان يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يطبخ أحد بالسوق ما يؤكل نهارا ولا كثير الناس بها انما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق فصام الناس ثلاثة أيام متواليه كان آخرها يوم الخميس — ثم اجتمع الامراء والشرفاء والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا الليلة الجمعة بهما بين مصل وزاكر وداع — ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعا على اقدامهم وبايديهم المصاحف والامراء حفاة وخرج جميع اهل البلد ذكورا واناثا صغارا وكبارا وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون الى الله بكتبته وأنبيائه

وقصدوا مسجد الاقدام وأقاموا به في تضرعهم ودعائهم الى قرب الزوال وعادوا الى البلد فوصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى الى ألفين في اليوم الواحد وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر الى أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد وبالباب الشرقي من دمشق منارة ببضاء يقال انها التي ينزل عيسى عليه السلام عندها حسب ما ورد في صحيح مسلم — ذكر أرباض دمشق —

وتدور بدمشق من جهاتها ما عدا الشرقية أرباض فسيحة الساحات ودواخلها املح من داخل دمشق لاجل الضيق الذي في سككها وبالجهة الشمالية منها بض الصالحية وهي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفه على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول وتجري لهم ولبن يعلمهم كفايتهم من الماء كل والملابس وبداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه — ذكر قاسيون ومشاهده المباركة —

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهر البركة لانه مصعد الانبياء عليهم السلام ومن مشاهده الكريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم الخليل عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله صومعة عالية ومن ذاك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه وقد رأيت ببلاد العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صاد مهملة) ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولد ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بلد ذي الكفل عليه السلام وبها قبره ومن مشاهده بالغرب منه مغارة الدم وفوقها بالجبل دم هابيل بن آدم عليه السلام وقد أتى الله منه في الحجارة أثراً محجراً وهو الموضع الذي قتله أخوه به واجتره الى المغارة وبذلك ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين وعليها مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والسررج توقد في المغارة ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر انه آوى اليها سبعون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيف فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يؤثر صاحبه به حتى ماتوا جميعاً صلى الله عليهم وعلى هذه المغارة مسجد مبني والسررج توقد به ليلا ونهاراً ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة

ويذكر أن فيما بين باب الأفراد وسجامع قاسيون مدفن سبعة نبي وبعضهم يقول سبعين ألفا وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وفي طرفها مما يلي البساتين أرض منخفضة غلب عليها الماء يقال إنها مدفن سبعين نبيا وقد عادت قرارا للماء ونزعت من أن يدفن فيها أحد

— ذكر الربة والقري التي تواليها —

وفي آخر جبل قاسيون الربة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين وماوى المسيح عيسى وأمه عليهما السلام وهي من أجل مناظر الدنيا ومتنزهاتها وبها القصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمآوى المبارك في وسطها كالبيت الصغير وازاءها بيت يقال انه مصلي الخضر عليه السلام يبادر الناس الى الصلاة فيها والمآوى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرية وسقاية حسنة ينزل لها الماء من علو وينصب في شاذروان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء ولا نظير له في الحسن وغرابة الشكل وقرب ذلك مظاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه الربة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على سبعة انهار كل نهر أخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم وأكبر هذه الانهار النهر المسمى بتورة وهو يشق تحت الربة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كالغار الكبير وربما انغمس ذوا الجسار من العوامين في النهر من اعلي الربة واندفع في الماء حتى يشق مجراه ويخرج من أسفل الربة وهي مخاطرة عظيمة وهذه الربة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الابصار ما ليس لسواها وتلك الانهار السبعة تذهب في طرق شتى فتجار الاعين في حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها وجمال الربة وحسنها التام أعظم من أن يحيط به الوصف ولها الاوقاف الكثيرة من المزارع والبساتين والرماع تقام منها وظائف الامام والمؤذن والصادر والوارد وبأسفل الربة قرية النير وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانست اشجارها فلا يظلم من بنائها الماسا ارتفاعها ولها حمام مليح ولها جامع بديع مفروش صحنه بنصوص الرخام وفيه سقاية ماء رائفة الحسن ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء وفي القبل من هذه القرية قرية الترة وتعرف بمزة كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكانت اقطاء لهم واليهما ينسب الامام حافظ الدنيا جمال الدين يوسف بن الزكي السكلي المزي وكثير سواهم من العلماء وهي من اعظم

قرى دمشق بها جامع كبير عجيب وسقاية معينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرق البلد قرية تعرف ببنت الالهية وكانت فيها كنيسة يقال أن أزركان ينحسب فيها الاصنام فيكسر هذا الخليل عليه السلام وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام وأزين التثام — ذكر الأوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم —

والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن وهي اللواتي لا قدرة لاهلهن على تجهيزهن ومنها أوقاف لفكك الأسارى ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما ياكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورصفها لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير

— حكاية —

مررت يوما ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الاواني فجمعها وذهب الرجل معه اليه فراه ياهها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الاعمال فان سيد الغلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضا ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك فكان هذا الوقف جبرا للقلوب جزى الله خيرا من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الطن بالمغاربة ويظمئون اليهم بالاموال والاهلين والاولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتى له وجهه من المعاش من امامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يحىء اليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجري له النفقة والكسوة فمن كانها غريبا على خير لم يزل مصنونا عن بذل وجهه محفوظا عما يزرى بالمروءة ومن كان من اهل المهنة والخدمة فله أسباب أخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح ومن أراد طلب العلم والتفرغ للعبادة وجد الاعانة التامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة فمن كان من الامراء والفضة

والكبراء فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوق صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبادية فانهم يحتمون كل ليلة في دار أحدهم أوفى مسجد ويأتى كل أحد بما عنده فيفطرون جميعا ولما وردت دمشق وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبتة فرغب مني أن أفطر عنده في ليالي رمضان فحضرت عنده أربع ليالي ثم أصابني الحمى فغبت عنه فبعث في طلبي فاعتذرت بالمرض فلم يسعني عذرا فرجعت اليه وبث عنده فلما اردت الانصراف بالغد منعني من ذلك وقال لي احسب داري كأنها دارك أودار أبيتك أو أخيك وأمر باحضار طبيب وان يصنع لي بداره كل ما يشتميه الطبيب من دواء أو غذاء وأقت كذلك عنده الى يوم العيد وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى بما أصابني وقد كان ما عندي من النفقة نفد فعلم بذلك فاكثرت لي جمالا وأعطاني الزاد وسواه وزادني دراهم وقال لي تكون لماعسى ان يعتريك من امرهم جزاء الله خير او كان بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمي عماد الدين القيسراني من عاداته انه متى سمع ان مغربيا وصل الى دمشق يبحث عنه وأضافه وأحسن اليه فان عرف منه الدين والفضل امره بملازمته وكان يلزمه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة ايضا كاتب السر الفاضل علاء الدين بن غانم وجماعة غيره وكان بها قاضل من كبرائها وهو الصاحب عز الدين القلانسي له مآثر ومكارم وفضائل وإثبات وهو ذو مال عريض وذكروا ان الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه وجميع أهل دوائيه ومما ليكه وخواصه ثلاثة أيام فمما اذ ذاك بالصاحب ومما يؤثر من فضائلهم ان أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت أوصى ان يدفن بقبلة الجامع المذكور ويخفى قبره وعين أوقافا عظيمة لقراء يقرأون سبعا من القرآن الكريم في كل يوم إثر صلاة الصبح بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضى الله عنهم حيث قبره فصارت قراءة القرآن على قبره لا تنقطع أبدا وتبقى ذلك الرسم الجميل بعده مخلدا ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد انهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواها ويقف بهم أنتمهم كاشفي رؤسهم داعين خاضعين خاشعين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وقد الله تعالى وحجاج بيته بعرفات ولا يزالون في خضوع وودعاء وإتهال وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته الى ان تغيب الشمس فينفرون كما ينفرون الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات داعين الى الله تعالى ان يوصلهم اليه -اولا- ويخيبهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم أيضا في اتباع الجنائز رتبة عجيبة وذلك انهم يمشون

امام الجنازة والقراء يقرؤون القرآن بالأصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة وهم يصلون على الجنازة بالمسجد الجامع قبالة المقصورة فإن كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنه أو خدامه أدخلوه بالقراءة إلى موضع الصلاة عليه وإن كان من سواهم قطعوا القراء عند باب المسجد وأدخلوا الجنازة وبعضهم يجتمع لها بالبلاط الغربي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجلسون وامامهم ربعات القرآن يقرؤون فيها ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ويقولون بسم الله فلان الدين من كمال وجهال وشمس وبدر وغير ذلك فإذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون افتكروا واعتبروا وصلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به إلى مدفنه ولاهل الهند رتبة عجيبة في الجنازة أيضا زائدة على ذلك وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثالث من دفنه وتفرش الروضة بالثياب الرفيعة ويكسي القبر بالاكسية الفاخرة وتوضع حوله الرياحين من الورد والنسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم ويأتون بأشجار الليمون والأترج ويجعلون فيها حبوبها إن لم تكن فيها ويجعل صيوان يظلل الناس نحوه ويأتي القضاة والامراء ومن يماثلهم فيقعدون ويقابلهم القراء ويؤتي بالربعات الكرام فيأخذ كل واحد منهم جزءا فإذا تمت القراءة من القراء بالأصوات الحسان يدعو القاضي ويقوم قائما ويخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بآيات شعرويد كراقاره ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس ويخطون رؤسهم إلى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يقعد القاضي ويأتون بماء الورد فيصصب على الناس صبا يبدأ بالقاضي ثم من يليه كذلك إلى أن يع الناس أجمعين ثم يؤتى بأواني السكر وهو الجلاب محولا بالماء فيسقون الناس منه ويبدئون بالقاضي ومن يليه ثم يؤتى بالتنبول وهم يعظمونه ويكرمونه من يأتي لهم به فإذا أعطى السلطان أحدا منه فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع وأدامات الميت لم يأكل أهله التنبول إلا في ذلك اليوم فيأخذ القاضي أو من يقوم مقامه أورا قامنه فيعطيهما الولي الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ وسياقي ذكر التنبول إن شاء الله تعالى

— ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها —

سمعت بحمام بني أمية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسمعيل الجعفي للبخاري رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحلة الآفاق ملحق الاصاغر بالا كابر شهاب الدين احمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الدين

(٥ - رحله - ل)

مقريء الصالحى المعروف بابن الشحنة الحجازى فى أربعة عشر مجلسا أولها يوم الثلاثاء
متتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن
والعشرين منه بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين أبى محمد القاسم بن محمد بن
يوسف البرزالى الاشيللى الاصل الدمشقى فى جماعة كبيرة كتب أسماهم محمد بن طغرل
ابن عبد الله بن الغزال الصيرفى بسامع الشيخ أبى العباس الحجازى لجمع الكتاب من الشيخ
الامام سراج الدين أبى عبد الله الحسين بن أبى بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن على بن
المسيح بن عمران الريمى البغدادى الزيدى الحنبلى فى أوأخر شوال وأوائل ذى القعدة
من سنة ثلاثين وسمائة بالجامع المظفرى بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وباجازته فى
جميع الكتاب من الشيخين أبى الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الخلف
القطيعى المؤرخ وعلى بن أبى بكر بن عبد الله بن روبة القلانسى العطار البغدادى ومن
باب غيرة النساء ووجدهن الى آخر الكتاب من أبى المنجاء عبد الله بن عمر بن على بن
زيد بن اللقى الخراعى البغدادى بسامع أربعتهم من الشيخ سديد الدين أبى الوقت عبد
الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم السجزي الهروى الصوفى فى سنة ثلاث وخمسين
وخمسائة ببغداد قال اخبرنا الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر
ابن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الدوادى قراءة عليه وأنا أسمع
ببوشنج سنة خمس وستين وأربعمائة قال اخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن
يوسف بن أيمان السرخسى قراءة عليه وأنا أسمع فى صفر سنة احدى وثمانين وثلاثمائة
قال اخبرنا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربى قراءة
عليه وأنا أسمع سنة ست عشرة وثلاثمائة بفريق قال اخبرنا الامام أبو عبد الله محمد بن
اسماعيل البخارى رضى الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين بفريق ومرة ثانية بعدها سنة
ثلاث وخمسين وممن أجازني من أهل دمشق اجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازى
الذى كورسبى الى ذلك وتلفظ لى به - ومنهم الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الله
ابن أحمد بن محمد المقدسى ومولده فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وسمائة - ومنهم
الشيخ الامام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النجدى - ومنهم امام
الأئمة جمال الدين أبو الحسن يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف المزنى الكلى
حافظ . الحفاظ ومنهم الشيخ الامام علاء الدين على بن يوسف بن محمد بن عبد الله
انشافى والشيخ الامام الشريف محيى الدين محيى بن محمد بن على العلوى . ومنهم الشيخ

الامام المحدث محمد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلي الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وسمائة . ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن ابراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندر . ومنهم الشيخ الامام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله ابن تمام والشيخان الاخوان شمس الدين محمد وكمال الدين عبد الله ابنا ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهراء بن سالم الهكاري . والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني . والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء أجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق ولما استهل شوال من السنة المذكرة خرج الراكب الحجازي الى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فاخذت في الحركة معهم وكان أمير الراكب سيف الدين الجوبان من كبار الامراء وقاضيه شرف الدين الاذري الحوراني وحج في تلك السنة مدرس المالكية صدر الدين الغماري وكان سفرى مع طائفة من العرب تدعي العجارمة أميرهم محمد بن رافع كبير المدر في الامراء وارتحلنا من الكسوة الى قرية تعرف بالاصنمين عظيمة ثم ارتحلنا منها الى بلدة زرعة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الراكب ان يقيم بها اربع ليال يحق بهم من تخلف بدمشق لفضاء ما ربه الى بصرى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث في تجارة خديجة وبها مبرك نافته قد بني عليه مسجد عظيم ويجتمع أهل حوران لهذه المدينة ويتزودوا خارج منها ثم يرحلون الى بركة زبرة (زيرا) ويقيمون عليها يومان ثم يرحلون الى اللجون وبها الماء الجاري ثم يرحلون الى حصن الكرك وهو من اعجب الحصون وأمنها وأشهرها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل اليه في الحجر الصلد ومدخل دهلبيه كذلك وبهذا الحصن يتحصن الملوك واليه يلجؤون في النوائب وله الجأء الملك الناصر لانه ولي الملك وهو صغير السن فاستولى على التدبير مملوكه سلالار نائب عنه فاظهر الملك الناصر انه يريد الحج ووافقه الامراء على ذلك فتوجه الى الحج فلما وصل عتبة أيلة لجأ الى الحصن وأقام به اعواما الى ان قصده امراء الشام واجتمعت عليه الممالك وكان قد ولى الملك في تلك المدة بيبرس الششنكي وهو أمير الطعام وتسمى بالملك المنظر وهو الذي بني الخانقاه البيبرسية بمقربة من خانقاة سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين بن أيوب فقصده الملك الناصر بالهسا كرفر بيبرس الى الصحراء فتبعته الهسا كرفر وقبض عليه وأتى به الى الملك الناصر

فامر بقتله فقتل وقبض على سلاله وحبس في جب حتى مات جوعا ويقال انه اكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك واقام الركب بخارج الكرك أربعة أيام بموضع يقال له الشنية وتجهزوا لدخول البرية. ثم ارتحلنا الى معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبة الصوان الى الصحراء التي يقال فيها داخلها مفتود وخارجها مولودو بعد مسيرة يومين نزلنا ذات حبيج وهي حسيان لاعمارها بها. ثم الى وادي بلدح ولا ماء به. ثم الى تبوك وهو الموضع الذي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبض بشيء من الماء فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها اجادت بالماء المعين ولم يزل الى هذا العهد ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن عادة حجاج الشام اذا وصلوا منزل تبوك أخذوا اسلحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخيل بسيوفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروي منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة وإرواء الجمل واستعداد الماء للبرية الخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمل ويملؤن الروايا والقرب ولكل امير او كبير حوض يسقى منه جماله وجمال اصحابه ويملاؤا رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة وملق قريته بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلا ونهارا خوفا من هذه البرية وفي وسطها الوادي الاخضر كانه وادي جهنم اعادنا الله منها واصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي نهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء الى ألف دينار ومات مشتربا وبائعا وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها الى الملك المعظم من اولاد ابيوب ويحتمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من ايام رحيلهم عن تبوك يصلون الى بئر الحجر حجرة ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يبردها احد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فاسرع براجلته وامران لا يسقى منها احد ومن عجن به اطعمه الجمل وهنالك دبار ثمود في جبال من الصخر الاحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها انها حديث الصنعة وعظامهم نخرة في داخل تلك البيوت ان في ذلك لبرة ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلي هنالك وبينهما اثر مسجد يصلى الناس فيه وبين الحجر والعلان نصف يوم أو دونه والعلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين

النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعا يزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زادو يستصحبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة واليها ينتهى تجار نصارى الشام لا يتعدونها وبياعون الحجاج بها الزاد وسواه ثم يرحل الركب من العلا فينزلون في غدر حيلهم الوادي المعروف بالعطاس وهو شديد الحر تهب فيه السموم المملىكة هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم الا اليسير وتعرف تلك السنة سنة الامير الجاني ومنه ينزلون هدية وهي حسيان ماء وواد يحفرون به فيخرج الماء وهو زعاق وفي اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم الشريف

— طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم —

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف وانتهينا الى المسجد الكريم فوقفتنا بباب السلام مسلمين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذى حن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبل القبلة وأدناحق السلام على سيد الاولين والآخرين وشفيح العصاة والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الاطحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف وكرم وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضى الله عنهما واصرفنا الى رحلتنا مسرورين بهذه النعمة العظمي مستبشرين بنيل هذه المنة الكبرى حامدين الله تعالى على البلوغ الى معا هدرسوله الشريفة ومشاهده العظيمة المثيفة داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها وان يجعلنا ممن قبلت زيارته وكتبت في سبيل الله سفرته

— ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة —

المسجد المعظم مستطيل تحفة من جهاته الاربع بلاطات دائرية به ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت والروضة المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبليّة مما يلي الشرق من المسجد الكريم وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله رمى مدورة بالرخام البديع النحت الرائق التعت قدعلاها تضميخ المسك والطيب مع طول الازمان وفي الصفحة القبليّة منها مسارضة هوقباله الوجه الكريم وهناك يفف الناس للسلام مستقبليين الوجه الكريم مستديرين القبلة فيسلمون وينصرفون يمينا الى وجه أبي بكر الصديق ورأس أبي بكر رضى الله عنه عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند كتفي أبي بكر رضى الله عنهما وفي

الجوف من الروضة المقدسة رآها الله طيبا حوض صغير مرخم في قبلته شكل محراب يقال
لأنه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ويقال أيضا هو قبرها والله
أعلم وفي وسط المسجد الكريم دفة مطبقة على وجه الأرض مقفلة على سرداب له درج
يقضى إلى دار أبي بكر رضي الله عنه خارج المسجد وعلى ذلك السرداب كان طريق بنته
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى داره ولا شك أنه هو الخوخة التي ورد ذكرها في
الحديث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم تسليما بابقائها وسد ما سواها وبراء دار أبي بكر
رضي الله عنه دار عمر ودار ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبشرقي المسجد الكريم
دار إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وبمقربة من باب السلام سقاية
ينزل إليها على درج مأواها معين وتعرف بالعين الزرقاء

— ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم —

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين
الثالث عشر من شهر ربيع الأول فنزل على بني عمرو بن عوف وأقام عندهم ثنتين وعشرين
ليلة وقيل أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه إلى المدينة فنزل على بني النجار بدار
أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه وأقام عنده سبعة أشهر حتي بني مساكنة ومسجده
وكان موضع المسجد مر بد السهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمر بن عائد بن ثعلبة بن
غانم بن مالك بن النجار وهما يمان في حجر أسعد بن زرارة رضي الله عنهم وأجمعين وقيل
كانا في حجر أبي أيوب رضي الله عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ذلك
المربد وقيل بل أرضاهما أبو أيوب عنه وقيل أنهما وهبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليما فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه
حائطا ولم يجعل له سقفا ولا أساطين وجعله من بعاطله بمائة ذراع وعرضه مثل ذلك
وقيل إن عرضه كان دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه قدر القامة فلما اشتد الحر تكلم
أصحابه في تسقيفه فأقام له أساطين من جذوع النخل وجعل سقفه من جريدها فلما
أمطرت السماء وكف المسجد فكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عمله بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى أو ظلة كظلة
موسى والامر أقرب من ذلك قيل وما ظلة موسى قال صلى الله عليه وسلم كان إذا قام
أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد ثلاثة أبواب ثم سد الجنوبي منها حين حوت القبلة
وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبي بكر رضي الله

عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم تسليما يقول ينبغي ان يزيد في المسجد ما زدت فيه فانزل أساطين الخشب وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الأساس حجارة الى القامة وجعل الابواب ستة منها في كل جهة ماعدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغي ان يترك هذا للنساء فباريء فيه حتي اتى الله عز وجل وقال لوزدنا في هذا المسجد حتي يبلغ الجبابة لم يزل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد عمر ان يدخل في المسجد موضعا للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليما ورضي عنهما فنفعه منه وكان فيه ميزان يصب في المسجد فنزعه عمر وقال انه يؤذى الناس فنزاعه العباس وحكما بينهما أبي بن كعب رضي الله عنهما فاتياداره فلم ياذن لهما الا بعد ساعة ثم دخلا اليه فقال كانت جاريتي تغسل رأسي فذهب عمر ليتكلم فقال له ابي دع أبا الفضل يتكلم لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال العباس خطبة خطبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبنيتهما معه وما وضعت الميزاب الا ورجلاى على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فطرحه وأراد ادخالها في المسجد فقال أبي ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم تسليما يقول أراد داود عليه السلام أن يبني بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليتيمين فراودها على البيع فايها ثم رادها فباعاه ثم قاما بالغين فرد البيع واشتراه منهما ثم رداه كذلك فاستعظم داود الثمن فوحي الله اليه ان كنت تعطى من شئ هولك فانت أعلم وان كنت تعطيهما من رزقنا فاعطيهما حتي يرصيا وان أغنى البيوت عن مظلمة بيت هولى وقد حرمت عليك بناءه قال يارب فاعطه سليمان فاعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من لى باز رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قاله فخرج أبي الى قوم من الانصار فاثبتوا له ذلك فقال عمر رضي الله عنه أما اني لو لم أجد غيرك أخذت قولك ولكنني احببت ان اثبت . ثم قال للعباس رضي الله عنه والله لا ترد الميزاب الا وقدماك على عاتق ففعل العباس ذلك . ثم قال أما إذا أثبتت لى فهى صدقة لله فهدمها عمر وأدخلها في المسجد . ثم زاد فيه عثمان رضي الله عنه وبناءه بقوة وبأشبه بنفسه فكان يظل فيه نهارا ويبيضه وأنقن محله بالحجارة المنقوشة ووسعه من جهاته الالجهة الشرق منها وجعل له سوارى حجارة مثبتة بأعمدة الحديد والرصاص وسقفه بالساج وصنع له محرابا وقيل ان مروان هو أول من بني المحراب وقيل عمر بن عبدالعزيز في خلافة الوليد — ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبدالعزيز فوسعه

وحسنه وبالغ في اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب وكان الوليد بعث الى ملك الروم اتي
أريدان أبنى مسجد نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما فاعنى فيه فبعث اليه الفعلة وثمان الف
مقال من الذهب وأمر الوليد بادخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فيه
فاشترى عمر من الدور ما زاده في ثلاث جهات من المسجد فلما صار الى القبلة امتنع عبيد الله
ابن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وطال بينهما الكلام حتي ابتاعها عمر على أن لهم ما بقي
منها وعلى أن يخرجوا من باقيها طريقا الى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل
عمر للمسجد اربع صوامع في أربعة أركانه وكانت إحداها مطلة على دار مروان فلما
حج سليمان بن عبد الملك نزل بها فاطل عليه المؤذن حين الاذان فامر بهدمها وجعل
عمر للمسجد محرابا ويقال هو من أحدث الحراب . ثم زاد في المهدي بن ابي جعفر
المنصور وكان ابوهم بذلك ولم يقض له وكتب اليه الحسن بن زيد يرغبه في الزيارة
فيه من جهة الشرق ويقول انه إن زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم
فاتهمه ابو جعفر بانه انما اراد هدم دار عثمان رضي الله عنه فكتب اليه اني قد عرفت
الذي اردت فاكفف عن دار عثمان وامر ابو جعفر ان يظل الصحن ايام القيظ
بستور تشتر على حبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتكن المصلين من الحر
وكان طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي الى ثلاثمائة ذراع وسوى
المقصورة بالارض وكانت مرتفعة عنها بمقدار ذراعين وكتب اسمه على مواضع من المسجد
ثم امر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى بناءها الامير
الصالح علاء الدين المعروف بالاقمر واقامها متسعة الفناء تستدير بها البيوت واجرى اليها
الماء واراد ان يبني بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له فبناه ابنه الملك الناصر بين
الضفا والمروة وسيدكر ان شاء الله وبقية مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما
بقبة قطع لانه صلى الله عليه وسلم تسليما اقامها وقيل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان
يشير جبريل له الى سمتها وهو يقيمها وروى ان جبريل عليه السلام اشار الى الجبال
فتواضعت فتنحت حتي بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبني وهو ينظر اليها
عيانا وبكل اعتبار فهي بقبة قطع وكانت القبلة أول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما
المدينة الى بيت المقدس ثم حوت الى الكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة عشر شهرا

— ذكر المنبر الكريم —

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب الى جذع نخلة

بالمسجد فلما صنع له المنبر وتحول اليه حن الجندع حنين اللفة الى حوارها وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لو لم ألتزمه لحن الى يوم القيامة واختلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم فروى ان ثانيا الداري رضى الله عنه هو الذى صنعه وقيل ان غلاما للعباس رضى الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد ذلك فى الحديث الصحيح وصنع من طرفاء الغابة وقيل من الائل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعد على عليا هن ويضع رجله الكريمة في وسطاهن فلما ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجله على أولاهن فلما ولى عمر رضى الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجله على الارض وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدر من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامرا الى معاوية رضى الله عنه أراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت الشمس وبدأت النجوم نهارا وأظلمت الارض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسالك فلما رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفله فبلغ تسع درجات

— ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم —

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولى الى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغية المشايخ عز الدين الواسطي نفع الله به وكان يخطب قبله ويقضى بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصرى — حكاية — يذكر أن سراج الدين هذا أقام فى خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة ثم انه أراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ثلاث مرات فى كل مرة ينهاه عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينهه عن ذلك وخرج فأت بموضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل ان يصل اليها نعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله وأبنائه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم وأبو عبد الله محمد وأصلهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطى من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بمحضر الكرك

— ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به —

وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتیان من الاحابيش وسواهم وهم على هيأتهم

حسان وصور نظاف وملا بس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المرتبات بديار مصر والشام ويؤتى اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبدالله والشيخ الجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المعروف بالتراس قديم المجاورة وهو الذي جب نفسه خوفا من الفتنة — حكاية —

يذكر أن أبا عبدالله الغرناطي كان خديما لشيخ يسمى عبد الحميد العجمي وكان الشيخ حسن الظن به يطمئن اليه بأهله وماله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته بمنزله فعلقته به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال اني أخاف الله ولا أخزن من اثم نني على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتي خاف علي نفسه الفتنة فجب نفسه وغشي عليه ووجدته الناس على تلك الحالة فعالجوه حتي برىء وصار من خدام المسجد الكريم ومؤذنيه ورأس الطائفتين وهو باق بقيد الحياة الى هذا العهد — ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة —

منهم الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد مرزوق كثير العبادة والصوم والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما صابراً بحسناً وكان ر بما جاور بمكة المعظمة رأيت بها في سنة ثمان وعشرين وهو كثير الناس طوافاً كنت اعجب من ملازمته الطواف مع شدة الحر بالمطاف والمطاف هم فرش بالحجارة السود وتصير بحر الشمس كأنها الصفايح المحممة ولقد رأيت السقاين يصبون الماء عليها فما يجاوز الموضع الذي يصب فيه الا ويلتهم الموضع من حينه واكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب وكان أبو العباس بن مرزوق يطرف حافي القدمين ورأيت يوماً يطوف فاحببت ان أطوف معه فوصلت المطاف وأردت استلام الحجر الاسود فلحقني لهب تلك الحجارة وارتد الرجوع بعد تقبيل الحجر فمارصلته الا بعد جهد عظيم ورجعت فلم أطف وكنت أجعل بجادى على الارض وأمشي عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرناطة وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن الفقيه ابى الحسن سهل بن مالك الأزدي وكان يطوف كل يوم سبعين أسبوعاً ولم يكن يطوف في وقت القائلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف في شدة القائلة زيادة عليه . ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد المرأشي الكفيف . ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن حزون المكناسي — حكاية — جاور الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج الى جبل حراء مع جماعة

من الجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا لمتعبد النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ونزلوا عنه
 تاخر أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقا في الجبل فظنه قاصرا فسلك عليه ووصل
 أصحابه الى أسفل الجبل فانتظروه فلم يأت فتطلعوا فيما حوله فلم يروا له أثرا فظنوا أنه
 سبقهم فمضوا الى مكة شرفها الله تعالى ومريسي علي طريقه فافضي به الى جبل آخر
 وتاه عن الطريق وأجهده العطش والحر وتمزقت نعليه فكان يقطع من ثيابه ويلف على
 رجليه الى ان ضعف عن المشي واستظل بشجرة ام غيلان فبعث الله اعرابيا على حمل
 حتى وقف عليه فاعلمه بحاله فاركبه واوصله الى مكة وكان على وسطه هميان فيه ذهب
 فسلمه اليه واقام نحو شهر لا يستطيع القيام على قدميه وذهبت جلدتهما ونبئت لها جلدة
 أخرى وقد جرى مثل ذلك لصاحب لي اذ كره ان شاء الله . ومن الجاورين بالمدينة الشريفة
 أبو محمد الشروي من القراء المحسنين وجاور بمكة في السنة المذكورة وكان يقرأ بها كتاب
 الشفاء للقاضي عياض بعد صلاة الظهر وأما التراوح بها ومن الجاورين الفقيه بالعباس
 القاسي مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندی - حكاية -
 يذكر ان أبا العباس القاسي تكلم يوما مع بعض الناس فأنتهى به الكلام الى ان تكلم
 بعظيمة ارتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه لاسانه مركبا صعبا عفا الله عنه
 فقال ان الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب فبلغ كلامه الى أمير المدينة طفيل
 ابن منصور بن حجاز الحسني فانكر كلامه وبحق انكاره واراد قتله فكلّم فيه فنقاه عن
 المدينة وذكرا به بعت من اغتاله والى الآن لم يظهر له أثر نعوذ بالله من عثرات اللسان وزله

— ذكر أمير المدينة الشريفة —

كان أمير المدينة كيش بن منصور بن حجاز وكان قد قتل عمه مقبلاو يقال انه توضأ
 بدمه ثم ان كيشا خرج سنة سبع وعشرين الى القلعة في شدة الحر ومعه أصحابه فادركتهم
 القائلة في بعض الايام فتفرقوا تحت ظلال الاشجار فمارعهم الاواباء مقبل في جماعة من
 عبيدهم ينادون يا لئارات مقبل فقتلوا كيش بن منصور صبورا ولعنوا دمه وتولى بعده
 أخوه طفيل بن منصور الذي ذكرنا أنه نفى أبا العباس القاسي

— ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة —

فمنها بقيع الغرق وهو بشارق المدينة المكرمة ويخرج اليه على باب يعرف بباب البقيع فاول
 ما يلقي الخارج اليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفيية بنت عبد المطلب رضى الله
 عنهما وهي عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وام الزبير بن العوام رضى الله عنه

وامامها قبر امام المدينة أبي عبد الله مالك بن انس رضى الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء. وامامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وهو المعروف بابي شحمة وبازائه قبر عقيل بن ابي طالب رضى الله عنه وقبر عبد الله بن ذى الجناحين جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما وبازائهم روضة يذكر ان قبور أمهات المؤمنين بهارضى الله عنهن ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاهبة في الهواء بدعة الاحكام عن يمين الخاراج من باب البتيع ورأس الحسن الى رجلى العباس عليهما السلام وقبراهما مرتفعان عن الارض متسعان مغشيان بالواح بدعة الا لصاق مرصعة بصفايح الصفر البدعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة رضى الله عنهم الا انها لا يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت اسد بن هاشم ام علي بن ابي طالب رضى الله عنها وعن ابنها ومن المشاهد الكريمة قبة بقاء وهو قبلى المدينة على نحو ميلين منها والطريق بينهما فى حدائق الدخل وبه المسجد الذى اسس على التقوى والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طرية تطهر على البعدوى وسطه مبرك النافق بالنبى صلى الله عليه وسلم تسليما يترك الناس بالصلاة فيه وفي الجهة القبليّة من صحنه محراب على مسطبة هو اول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم تسليما وفي قبلى المسجد دار كانت لابی أيوب الانصاري رضى الله عنه ويليها دور تنسب لابی بكر وعمر وفاطمة وعائشة رضى الله عنهم وبازائه بئر اريس وهي التي عاد ماؤها عند الماتل فيه النبى صلى الله عليه وسلم تسليما بعد أن كان أجاجا وفيها وقع الخاتم الكريم من عثمان رضى الله عنه ومن المشاهد قبة حجر الزيت بخارج المدينة الشريفة يقال إن الزيت رشح من حجر هناك للنبى صلى الله عليه وسلم تسليما. والى جهة الشمال منه بئر بضاعة. وبازائها جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد وقال قتل نبيكم وعلى شفير الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عند تحزب الاحزاب حصن خرب يعرف بحصن العزاب يقال ان عمر بناء لعزاب المدينة وامامه الى جهة الغرب بئر رومة التي اشترى أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه نصفها بعشرين الفا ومن المشاهد الكريمة أحد وهو الجبل المبارك الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما إن أحدا جبل يحبنا ونحبه وهو يجوار

المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المكرمون رضى الله عنهم وهنالك قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورضى الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون في أحد رضى الله عنهم وقبورهم لقبلى أحد وفي طريق أحد مسجد ينسب لعل بن أبي طالب رضى الله عنه ومسجد ينسب الى سلمان الفارسي رضى الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وكانت اقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة نبيت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في صحن حلقاً وأوقدوا الشمع الكثير وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونهم وبعضهم يذكر الله وبعضهم في مشاهدة للتربة الطاهرة زادها الله طيباً والحدادة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وهكذا دأب الناس في تلك الليالي المباركة ويجودون بالصدقات الكثيره على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام الى المدينة الشريفة رجل من أهلها فاضل يعرف بمنصور بن شكل وضافني لها واجتمعنا بعد ذلك بحباب وبخاري وكان في صحبتي أيضاً قاضي الزيدية شرف الدين قاسم بن سنان وصحبني أيضاً أحد الصالحاء الفقراء من أهل غرناطة يسمى علي ابن حجر الاموى

— حكاية —

لما وصلنا الى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ذكر لي على بن حجر المذكور انه رأى في تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له اسمع مني واحفظ عني (طويل)

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه * أمنت به يوم المعاد من الرجس

وصلتم الى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يضحى بطيبة أو يمسي

وجاور هذا الرجل بعد صحبه بالمدينة ثم رحل الى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة ثلاث وأربعين فترى في جوارى وذكر حكاية رؤياه بين يدي ملك الهند قاهر باحضاره فحضر بين يديه وحكى له ذلك فاعجبه واستحسنه وقال له كلاماً جميلاً بالفارسية وأمر بانزله وأعطاه ثلاثمائة تنكة من ذهب ووزن التنكة من دنانير المغرب ديناران ونصف دينار وأعطاه فرساً محلى السرج واللجام وخلعة وعين له مرتباً في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب من أهل غرناطة ومولده ببجاية يعرف هنالك ببجمال الدين المغربي فصحبته على بن حجر المذكور وواعده على أن يزوجه بنته وأنزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاماً وكان يترك الدنانير في مفرش ثيابه ولا يطمئن بها لاحد فاتفق الغلام والجارية على أخذ ذلك الذهب وأخذاه وهربا فلما اتى الدار لم يجد لها أثراً ولا

للذهب فامتنع من الطعام والشراب واشتد به المرض أسفا على ماجرى عليه فعرضت قضيتنا بين يدي الملك فأمر أن يخلف لذلك فبعث ذلك إليه من يعلمه بذلك فوجده قد مات رجما الله تعالى وكان رحيلنا من المدينة نريد مكة شرفها الله تعالى فنزلنا بقرب مسجد ذي الخليفة الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبالمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة وباقرب منه وادى العتيق وهنالك تجردت من مخيط الثياب واغتسلت وليست ثوب احرامى وصليت ركعتين واحرمت بالحج مفرداً ولم أزل ملييا في كل سهل وجبل وصعود وحدور الى أن أتيت شعب على عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة - ثم رحلنا منه ونزلنا بالروحاء وبها برتعرع بيثرذات العلم ويقال ان عليا عليه السلام قاتل بها الجن - ثم رحلنا ونزلنا بالصفراء وهو وادعمر وفيه ماء ونخل وبنيان وقصر يسكنه الشرفاء الحسينيون وسواهم وفيها حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة - ثم رحلنا منه ونزلنا ببدر حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأبجز وعده الكريم واستاصل صناديد المشركين وهي قرية فيها حدائق نخل متصلة وبها حصن منيع يدخل اليه من بطن واد بين جبان وبندر عين فوارة جرى ماؤها وموضع القلب الذي سحب به أعداء الله المشركون هو اليوم بستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلعه وجبل الرحمة الذي نزلت به الملائكة على يسار الداخل منه الى الصفراء وبازائه جبل الطبول وهو شبه كتيب الرمل تمتد ويزعم أهل تلك البلدة أنهم يسمعون هنالك مثل أصوات الطبول في كل ليلة جمعة وموضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان به يوم بدر يناشدر به جل وتعالى متصل بسفح جبل الطبول وموضع الواقعة امامه وعند نخل القلب مسجد يقال له مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بندر والصفراء نحو بر يدنى واد بن جبال تطرد فيه العيون وتتصل حدائق النخل ورحلنا من بدر الى الصحراء المعروفة بقاع البراء وهي بركة يضل بها الدليل . ويذهل عن خيليه الخليل . مسيرة ثلاث وقي منتهاها وادى رابغ يتكن فيه بالمطرغدران يتي بها الماء زمانا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب وهو دون الجحفة وسرنا من رابغ ثلاثا الى خليص ومررنا بعقبة السويق وهي على مسافة نصف يوم من خليص كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستصحبونه من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه اللباس مخلط بالسكر والامراء يملأون منه الاحواض ويسقون بها الناس ويذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يكن مع أصحابه طعام فاخذ من رملها فاعطاهم اياه فشر به

سوى قائم نزلنا بركة خليص وهى فى بسيط من الارض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد فى قنة جبل وفى البسيط حصن خرب و بها عين فوارة قد صنعت لها أخاديد فى الارض وسربت الى الضياع وصاحب خليص شريف حسنى النسب وعرب تلك الناحية يقيمون هناك سوقا عظيمة يجلبون اليها الغنم والتمر والادام ثم رحلنا الى عسفان وهى فى بسيط من الارض بين جبال وبها آبار ماء معين تناسب احداها الى عثمان بن عفان رضى الله عنه والمدرج المنسوب الى عثمان أيضا على مسافة نصف يوم من خليص وهو مضيق بين جبيلين وفى موضع منه بلاط على صورة درج واثار عمارة قديمة وهنا لك برّ تنسب الى على عليه السلام ويقال انه احداثها وبسفان حصن عتيق وبرج مشيد قد اوهنه الخراب وبه من شجر المقل كثير ثم رحلنا من عسفان ونزلنا بطن مرو يسمى ايضا مر الظهران وهو واد مخصب كثير النخل ذو عين فوارة سبالة تسقى تلك الناحية ومن هذا الوادي تجلب الفواكه والخضر الى مكة شرفها الله تعالى ثم ادخلنا من هذا الوادي المبارك والنفوس مستبشرة ببلوغ آمالها مسرورة بحالها وما آلفوا صلنا عند الصباح الى البلد الامين مكة شرفها الله تعالى فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوء خليله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه وسلم ودخلنا البيت الحرام الشريف الذى من دخله كان آمنا من باب بنى شيبه وشاهدنا الكعبة الشريفة زادها الله تعظيما وهى كالعروس تجلى على منصة الجلال وترفل فى برود الجمال مخوفة بوفود الرحمان موصلة الى جنة الرضوان وطفنا بها طواف القدوم واستلمنا الحجر الكريم وصلينا ركعتين بمقام ابراهيم وتعلقنا باستار الكعبة عند الملزم بين الباب والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشر بنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسبا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ثم سعيانا بين الصفا والمروة ونزلنا هنالك بدار بمقر بة من باب ابراهيم والحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا ممن بلغته دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم وزمزم والحطيم ومن عجائب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه المشاهد المنيفة والشوق الى المنول بمعاهدها الشريفة وجعل حبها متمكنا فى القلوب فلا يحلمها أحد الا أخذت بمجامع قلبه ولا يفارقها الا أسفا لفراقها متولها لبعاده عنها شديد الحنين اليها ناويا لتكرار الوفاة عليها فارضها المباركة نصب الاعين ومحبتها أحشو القلوب حكمة من الله بالغة وتصديق الدعوة خليله عليه السلام والشوق يحضرها وهى نائبة ويمثلها وهى غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق

و يعانيه من العناء وكم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ويشاهد التلف في طريقهما فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا مستبشرا كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً انه لا مر إلهى وصنع رباني ودلالة لا يشوبها البس ولا تغشاها شبهة ولا يطرقتها تمويه وتعزى بصيرة المستبصرين وتبدو في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء وانثول بذلك الفناء فقد انعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحق عليه ان يكثر الشكر على ما خوله ويدبم الحمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى ممن قبلت زيارته وربحت في قصدها تجارتها وكتبت في سبيل الله آثاره ومحبت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه

— ذكر مدينة مكة المعظمة —

وهي مدينة كبيرة متصلة بالبيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتي يصل اليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ والاخشبان من جبالها هاجبل أبي قيس وهو في جهة الجنوب منها وجبل قعيقعان وهو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قيس أجياد الأكبر وأجياد الأصغر وهما شعبان والحدمة وهي جبل وستذكر (والمناسك كلها مني وعرفة والمزدلفة) بشرقي مكة شرفها الله ولمكة من الأبواب ثلاثة باب المعلى بأعلاها وباب الشديكة من أسفلها ويعرف أيضاً بباب الزاهر وباب العمرة وهو الى جهة المغرب وعليه طريق المدينة الشريفة ومصر والشام وجدة ومنه يتوجه الى التنعيم وسيد كر ذلك وباب المسفل وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم الفتح ومكة شرفها الله كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكياً عن نبيه الخليل بواد غير ذى زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفة تجلب إليها ثمرات كل شيء تجبى لها ولقد اكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظيره في الدنيا وكذلك البطيخ الجلوب إليها لا يماثل سواه طيباً وحلاوة واللحوم بها سمان لذينات الطعوم وكل ما يفتقر في البلاد من السلع فيها اجتماعه وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن مر لطفان الله بسكان حرمه الامين ومجاوري بيته العتيق

— ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه —

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق الى غرب ازيد من اربعة أذراع حكى ذلك الأزرق وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى في وسطه

ومنظره بديع ومراه جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائمه ولا يحيط الواصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف باتقن صناعة وأجملها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربع مائة وأحادي وتسعون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندوة المزينة في الحرم وهي داخلية في البلاط الآخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وفضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي حنايا يجلس بها المقرئون والنساخون والخطاطون وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تماثلها وسائر البلاطات تحت جداراتها مساطب بدون حنايا وعند باب إبراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى جصية وللخليفة المهدي محمد بن الخليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنهم آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام وإحكام بنيانه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين صاحبه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة

— ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما —

والكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فانه مائة وعشرون شبرا والطواف انما هو خارج الحجر وبناؤها بالحجارة الصم السمرك قد ألصقت ببدء الاصلاق وأحكامه وأشهد فلاغيرها الايام ولا تؤثر فيها الا زمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي وبينه وبين الحجر الأسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمي بالمتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض أحد عشر شبرا ونصف شبرا وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوى عليه خمسة أشبار وهو مصفح نصفائح الفضة بديع الصنعة وعضاداته وعتيبته العليا مصفحات بالفضة وله نقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسايما ورسمهم في

(٦ - رحلة - ل)

فتجه ان يضعوا كرسيا شبه المنبر له درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجرى الكرسي عليها ويلصقونه الى جدار الكعبة الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيبين ويده المفتاح الكريم ومعه السدنة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلال ما يفتح رئيسهم الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده وسد الباب وأقام قدر ما يركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبين ويسدون الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب ويأذن الناس بالدخول وفي أثناء ذلك يقفون مستقبليين الباب الكريم باصبار خاشعة وقلوب ضارعة وأيد مبسوطة الى الله تعالى فاذا فتح كبروا ونادوا اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين ودخل الكعبة الشريفة مفروش بالخام المجزع وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها وبين الآخر أربع خطا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الاوسط منها نصف عرض الصفح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة من الحرير الاسود مكتوب فيها بالابيض وهي تتلأأ عليها نورا واشراقا وتسكو جميعها من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات في الكعبة الكريمة ان بابها يفتح والحرم غاص بأهلها يحصيها الله الذي خلقهم ورزقهم فيدخلونها أجمعين ولا تضيق عنهم ومن عجائبها أنها لا تخلو عن طائف أبدا ليلانهارا ولم يذكر أحد انه رآها قط دون طائف ومن عجائبها ان حمام مكة على كثرتها وسواها من الطير لا ينزل عليها ولا يعلوها في الطيران وتجود الحمام يطير على أعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة عرج عنها الى احدي الجهات ولم يعلها ويقال انه لا ينزل عليها طائرا الا اذا كان به مرض فاما ان يموت لحينه أو يبرأ من مرضه فسيحان الذي خصها بالتشريف والتكريم وجعل لها المهابة والتعظيم

— ذكر الميزاب المبارك —

والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو بارز بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسماعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتاها سمتهما مقدار شبر ونصف شبر وكلتاها غريبة الشكل رائقة المنظر والى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه جرجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سمتهما مقدار شبر ونصف و بين القبر بن سبعة اشبار

— ذكر الحجر الاسود —

وأما الحجر الاسود فارتفاعه عن الارض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله والصغير يتناول اليه وهو ملصق في الركن الذي الى جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ملصقة ويقال ان القرمطي لعنه الله كسره وقيل ان الذي كسره سواه ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس الى قتله وقتل بسببه جماعة من المغاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فتجتلي منه العيون حسنا باهرا ولتقبيله لذة يتنعم بها الفم وبودلائمه أن لا يفارق لئله خاصية مودعة فيه وعناية ربانية به وكفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بمن الله في أرضه نفعا الله باستلامه ومصاحته واوفد عليه كل شيق اليه وفي القطعة الصفيحة من الحجر الاسود مما يلي جانبه الموالى ليمين مستلمه نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصفيحة البهية وتري الناس اذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاما على تقبيله فقلما يتمكن أحد من ذلك الا بعد المزاومة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم ومن عند الحجر الاسود ابتداء الطواف وهو أول الاركان التي يلقاها الطائف فاذا استلمه تهقر عنه قليلا وجعل الكعبة المشرفة عن يساره ومضى في طوافه ثم يلقى بعده الركن العراقي وهو الى جهة الشمال ثم ياتي الركن الشامي وهو الى جهة الغرب ثم ياتي الركن اليماني وهو الى جهة الجنوب ثم يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة المشرق

— ذكر المقام الكريم —

إعلم ان بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعا طوله اثنا عشر شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة ابراهيم عليه السلام ثم صرفه النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقي ذلك الموضع شبه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اذا غسل وهو موضع مبارك يزدهم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الركن العراقي والباب الكريم وهو الى الباب أميل وعليه قبة تحتها شباك حديد متجاف عن المقام الكريم قدر ما تصل أصابع الانسان اذا أدخل يده من ذلك الشباك الى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محوز قد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما لما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبعا ثم أتى المقام فقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الحطيم الذي هنالك

— ذكر الحجر والمطاف —

ودور جدار الحجر تسع وعشرون خطوة وهي أربعة وتسعون شبراً من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع الحكم الا لصاق وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شبر وسعته أربعة أشبار ونصف شبر ودخل الحجر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزع المنظم المعجز الصنعة البديع الاتقان وبين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين ما يقابلها من جدار الحجر على خط استواء أربعون شبراً وللحجر مدخلان أحدهما بينه وبين الركن العراقي وسعته ستة أذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قر يش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضاً ستة أذرع وبين المدخلين ثمانية وأربعون شبراً وموضع الطواف مفروش بالحجارة السوداء محكمة الا لصاق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطاً الا في الجهة التي تقابل المقام الكريم فانها امتدت اليه حتى أحاطت به وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل ابيض وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة

— ذكر زمزم المباركة —

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الكريم عن يمين القبة ومن ركنها اليه عشر خطاً ودخل القبة مفروش بالرخام الابيض وتنور البئر المباركة في وسط القبة ما مثلاً الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع الا لصاق مفروغ الرصاص ودوره أربعون شبراً وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر وعمق البئر احدى عشرة قامة وهم يذكرون ان ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة الى جهة الشرق وقد استدارت بداخل القبة ستاية سعتها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها عن الارض نحو خمسة أشبار تماماً ماء للوضوء وحولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء ويلي قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها ليبرد فيها الماء فيشربه الناس وبها اخزان المصحف الكريم والكتب التي للحرم الشريف وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً واهل مكة اذا أصلبهم قحط او شدة اخرجوا هذا المصحف الكريم وفتحوا باب الكعبة الشريفة ووضعه على العتبة الشريفة ووضعه في مقام ابراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الكريم فلا ينفصلون الا وقد تداركهم الله برحمته وتعهد لهم بلطفه ويلي قبة العباس رضي الله تعالى عنه

على انحراف منها القبة المعروفة بقبة اليهودية

﴿ ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة ﴾

وأبواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر باباً وأكثرها مفتحة على أبواب كثيرة فمنها باب الصفا وهو مفتوح على خمسة أبواب وكان قديماً يعرف بباب بني مخزوم وهو أكبر أبواب المسجد ومنه يخرج إلى المسعى ويستحب للوافد على مكة أن يدخل المسجد الحرام شرفه الله من باب بني شيبه ويخرج بعد طوافه من باب الصفا جاعلاً طريقه بين الاسطوانتين اللتين أقامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله علماً على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إلى الصفا ومنها باب أجناد الاصغر مفتوح على بابين ومنها باب الخياطين مفتوح على بابين ومنها باب العباس رضي الله عنه مفتوح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً مفتوح على بابين ومنها باب بني شيبه وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة الشمال أمام باب الكعبة الشريفة متياسراً وهو مفتوح على ثلاثة أبواب وهو باب بني عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير إزاء باب بني شيبه لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط لانه يدخل منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظمان والثالث في الركن الغربي من دار الندوة ودار الندوة قد جعلت مسجداً شاعراً في الحرم مضافاً اليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب صغير لدار العجالة محدث ومنها باب السدرة واحد ومنها باب العمرة واحد وهو من أجل أبواب الحرم ومنها باب إبراهيم واحد والناس مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام والصحيح أنه منسوب إلى إبراهيم الخوزي من الأعاجم ومنها باب الحزورة مفتوح على بابين ومنها باب أجناد الاكبر مفتوح على بابين ومنها باب ينسب إلى أجناد أيضاً مفتوح على بابين وباب ثالث ينسب اليه مفتوح على بابين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب اليابيين من هذه الاربعة المنسوبة لأجناد إلى الدقاكين * وصوامع المسجد الحرام خمس احدها على ركن أبي قبيس عند باب الصفا والاخرى على ركن باب بني شيبه والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدرة والخامسة على ركن أجناد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمره السلطان الأعظم يوسف بن رسول له ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسو الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون ونحارج باب إبراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل وعلى باب إبراهيم قبة عظيمة مقربة السموق قد صنع في

داخلها من غرائب صنع الجص ما يعجز عنه الوصف وبازاء هذا الباب عن يمين الداخل اليه كان بقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن احمد الافشهرى وخارج باب ابراهيم يرتسب كنسبته وعنده أيضا دار الشيخ الصالح دانيال العجمي الذي كانت صدقات العراق في أيام السلطان أبي سعيد تاتي علي يديه و بمقر به منزهة بالموقف وهو من أحسن الرباطات سكنته أيام مجاورتي بمكة المعظمة وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزواوي المغربي وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سعادة الجرافي ودخل يوما الى يته بعد صلاة العصر فوجد ساجدا مستقبلا البكبة الشريفة ميتا من غير مرض كان به رضي الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحووا من أر بهين سنة وسكن به الشيخ الصالح شهاب المغربي من كبار الصالحين دخلت عليه يوما فلم يقع بصري في يته على شيء سوى حصر فقلت له في ذلك فقال لي أستعزى ما رأيت . وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها الى سطح الحرم وأهلها في مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودورها أبواب تقضى الى الحرم منها دار زبيدة زوج الرشيد أمير المؤمنين ومنها دار العجلة ودار الشراي وسواها ومن المشاهد الكريمة بمقر به من المسجد الحرام قبة الوحي وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بمقر به من باب النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام و بمقر به منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقابلها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما جاء يوما الى دار أبي بكر الصديق ولم يكن حاضر افتنادي به النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فنطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله انه ليس بحاضر

— ذكر الصفا والمروة —

ومن باب الصفا الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام الى الصفا ست وسبعون خطوة وسعة الصفا سبع عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة عليها كنائهم مسطبة وبين الصفا والمروة اربعمائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصفا الى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة ومن الميل الأخضر الى الميلين الأخضرين خمس وتسعون خطوة ومن الميلين الأخضرين الى المروة ثلاثمائة وخمس وعشرون خطوة والمروة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشرة خطوة والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعى الى المروة والميلان الأخضران هما سارتان خضراوان ازامباب على من ابواب الحرم أحدهما في جدار الحرم عن يسار

الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميل الاخضر والميلين الاخضر بن يكون الرمل ذاهباً وعائداً وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الجوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لارحام الناس على حوائث الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه الالبازون والطارون عند باب بني شيبه وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه وهى الآن رباط يسكنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله وبني أيضاً دار وضوء فيما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين وجعل لها بابين أحدهما في السوق المذكور والآخر في سوق العطارين وعليها ربيع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال وعن يمين المروة دار أمير مكة سيف الدين عتيقة بن أبي نعيم وسند كره
— ذكر الجبانة المباركة —

وجبانة مكة خارجة باب المعلى ويعرف ذلك الموضع أيضاً بالحجون وياه عني الحارث ابن مضاض الجرهمي بقوله
— طويل —

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كئنا أهلاً قأبادنا * صروف اللالي والجدود والعوائر

وبهذه الجبانة مدفون الجم الغفير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الا أن مشاهدهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها الا القليل فمن المعروف منها قبر أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً كلهم ما عدا ابراهيم وجدة السبطين الكريمين صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً وعائدهم أجمعين وبمقربة منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وعبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذي صلب فيه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وكان به بنية هدمها أهل الطائف غيرة منهم لما كان يلحق حجاجهم المبير من اللعن وعن يمين مستقبل الجبانة مسجد خراب يقال انه المسجد الذي بايعت الجن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وعلى هذه الجبانة طريق الصاعد الى عرفات وطريق الذهاب الى الطائف والى العراق
— ذكر بعض المشاهد خارج مكة —

فمنها الحجون وقد ذكرناه ويقال أيضاً ان الحجون هو الجبل المطل على الجبانة ومنها المحصب وهو أيضاً الابطاح وهو بلى الجبانة المذكورة وفيه خيف بني كنانة الذى

نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومنها ذو طوي وهو واد يهبط على قبور
 المهاجرين التي بالخصص خاص دون ثنية كداء ويخرج منه الى الاعلام الموضوعة حجاز بين
 الحل والحرم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه اذا قدم مكة شرفها الله تعالى بييت بذي
 طوى ثم يغتسل منه ويغدو الى مكة ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً
 فعل ذلك ومنها ثنية كدي (بضم الكاف) وهي باعلى مكة ومنها دخل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في حجة الوداع الى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ويقال لها الثنية
 البيضاء وهي باسفل مكة ومنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عام الوداع
 وهي بين جبلين وفي مضيقها كوم حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجعه
 بحجر ويقال انه قبر أبي لهب وزوجه حمالة الخطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط
 سهل ينزله الركب اذا صدر واعن مني وبقرية من هذا الموضع على نحو ميل من مكة
 شرفها الله مسجد بازائه حجج موضوع على الطريق كأنه مسطبة بعلمه حجر آخر كان فيه نقش
 فذكر رسمه يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً قعد بذلك الموضع مستريحاً عند مجيئه
 من عمرته فيترك الناس يتقبيله ويستندون اليه ومنها التنعيم وهو على فرسخ من مكة ومنه
 يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل الى الحرم ومنه اعتمرت أم المؤمنين عائشة رضى الله
 عنها حين بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن
 رضى الله عنه وأمره أن يعمرها من التنعيم وبنت هنالك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب
 كلها الى عائشة رضى الله عنها وطريق التنعيم طريق فسيح والناس يتجرون كذنه في كل
 يوم رغبة في الاجر والثواب لان من المعتمرين من يمشي فيه حافياً وفي هذا الطريق الآبار
 العذبة التي تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم وهو
 موضع علي بن أبي طالب فيه أثر دور وبساتين وأسواق وعلي جانب الطريق دكان
 مستطيل تصف عليه كيزان الشرب وأواني الوضوء يملؤها خديم ذلك الموضع من آبار
 الزاهر وهي بعيدة الأثر جداً والخديم من الفقراء الجوارين وأهل الخير يعينونه على
 ذلك لما فيه من المرفقة للعتمرين من الغسل والشرب والوضوء وذو طوى يتصل بالزاهر
 — ذكر الجبال المطيفة بمكة —

فمنها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الاخشبين
 وادنى الجبال من مكة شرفها الله ويقابل ركن الحجر الاسود وباعلاه مسجد وأثر باط
 وعمارة وكان الملك الظاهر رحمه الله أراد أن يعمره وهو مطل على الحرم الشريف وعلى

جميع البلد ومنه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساعه والكعبة المعظمة ويذكر أن جبل أبي قبيس هو أول جبل خلقه الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان وكانت قریش تسميه الامدين لأنه أدي الحجر الذي استودع فيه الى الخليل ابراهيم عليه السلام ويقان إن قبر آدم عليه السلام به وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين انشق له القمر ومنها قعيقعان وهو أحد الاخشبين ومنها الجبل الاحمر وهو في جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخدمة وهو جبل عند الشعبين المعروفين باجياد الاكبر واجياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق التنعيم يقال انها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسماً نص الله في كتابه العزيز وعليها أعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على مني ذاهب في الهواء على القنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كثير اقبل المبعث وفيه أتاه الحق من ربه وبدأ الوحي وهو الذي اهترخت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت فمأليك الانبي وصدق وشهيد واختاف فيمن كان معه يومئذ وروي ان العشرة كانوا معه وقد روي أيضاً أن جبل ثبير اهترخت أيضاً ومنها جبل نور وهو على مقدار فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق النمن وفيه الغار الذي آوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً حين خروجه مهاجراً من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضي الله عنه حسماً ورد في الكتاب العزيز ذكر الازرق في كتابه أن الجبل المذكور نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً وقال الى يا محمد الى الى فقد آويت قبلك سبعين نبياً فلما دخل رسول الله الغار واطمأن به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت الحامة عشاً وفرخت فيه باذن الله تعالى فانتهى المشركون ومعهم قصاص الاثر الى الغار فقالوا ها هنا انقطع الانرور أو العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل احدنا وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو لجوا علينا منه قال كئنا نخرج من هنا وأشار بيده المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فانفتح فيه باب للحين بقدره الملك الوهاب والناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم تبركاً بذلك فمنهم من يتأني له ومنهم من لا يتأني له وينشب فيه حتى يتناول بالجذب العنيف ومن الناس من يصلي أمامه ولا يدخله وأهل تلك البلاد يقولون انه من

كان لرشدة دخله ومن كان لزنية لم يقدر على دخوله ولهذا يتحاماها كثير من الناس
لانه مخجل فاضح قال ابن جزى اخبرني بعض اشياخنا الحجاج الاكياس ان سبب
صعوبة الدخول اليه هو ان بداخله مما يلي هذا الشق الذي يدخل منه حجرا كبيرا
معتزلاً فمن دخل من ذلك الشق منبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم
يمكنه التولج ولا يمكنه ان يتطوى الى العلو ووجهه وصدره يليان الارض فذلك هو
الذي ينشب ولا يخلص الا بعد الجهد والجهد الى خارج ومن دخل منه مستلقيا على
ظهره امكنه لانه اذا وصل رأسه الى الحجر المعتز رفع رأسه واستوى قاعدا فكان
ظهره مستندا الى الحجر المعتز وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم
قائما بداخل الغار (رجع) ﴿حكاية﴾

ومما اتفق بهذا الجبل لصاحبين من اصحابي احدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله
ابن فرحان الافريقي التوزري والآخر أبو العباس أحمد الاندلسي الوادي آشي انهما
قصدا (الغار) في حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وسبعائة
وذهبا منفردين لم يستصعبا دليلا عارفا بطريقه فناها وضلا طريق الغار وسلكا طريقا
سواها منقطعة وذلك في اوان اشتداد الحروحي القبط فلما نفذا كان عندهما من الماء
وهما يصلان الى الغار اخذا في الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجدا طريقا فاتبعاه
وكان يقضى الى جبل آخر واشتد بهما الحروا وجهدهما العطش وعانينا الهلاك وعجز الفقيه
أبو محمد بن فرحان عن المشي جملة والتي بنفسه الى الارض ونجا الاندلسي بنفسه وكان
فيه فضل قوة ولم يزل يسلك تلك الجبال حتى أفضى به الطريق الى أجياد فدخل الى
مكة شرفها الله تعالى وقصده في واعلمني بهذه الحادثة وبما كان من امر عبد الله التوزري
وانقطاعه في الجبل وكان ذلك في آخر النهار ولعبد الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو
من سكان وادي نخلة وكان اذذاك بمكة فاعلمته بما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ
الصالح الامام ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بنخليل امام المالكية نفع الله به
فما علمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة عارفين بتلك الجبال والشعاب في طلبه وكان من
أمر عبد الله التوزري انه لما فارقه رفيقه لجأ الى حجير كبير فاستظل بظله وأقام على هذه
الحالة من الجهد والعطش والغربان تطير فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار
وأبى الليل وجد في نفسه قوة ونعشه برد الليل فقام عند الصباح على قدميه ونزل من
الجبل الى بطن واد حجببت الجبال عنه الشمس فلم يزل ماشيا الى أن بدت له دابة فقصده

قصدها فوجد خيمة للعرب فلما رآها وقع الى الارض ولم يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فسقته ما كان عندها من الماء فلم يرو وجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يرو وأركبه حماله وقدم به مكة فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثاني متغيرا كما انه قام من قبر

﴿ ذكر أميري مكة ﴾

وكانت اماره مكة في عهد دخولى اليها للشريفين الاجلين الاخوين أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة ابني الامير ابي نمى بن أبى سعد بن على بن قتادة الحسينيين ورميثة أكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعدله ورميثة من الاولاد أحمد وعجلان وهو أمير مكة في هذا العهد وتقية وسندو أم قاسم واعطيفة من الاولاد محمد ومبارك ومسعود ودار عطيفة عن يمين المروة ودار أخيه رميثة برباط الشرابي عند باب بني شيبة وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم

— ذكر اهل مكة وفضائلهم —

ولا اهل مكة الا افعال الجميلة والمكارم التامة والاخلاق الحسنة والابثار الى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ومن مكارمهم أنهم متى صنع احدهم رمية بيد أفيها باطعام الفقراء المنقطعين الجوارين ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالافران حيث يطبخ الناس أخيازهم فاذا طبخ احدهم خبزه واحتمله الى منزله فيتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردم خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فانه يعطى ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر ومن افعلهم الحسنة ان الايتام الصغار يقعدون بالسوق ومع كل واحد منهم قفتان كبيرى وصغرى وهم يسمون القفة مكنتلافيا في الرجل من أهل مكة الى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر ويعطى ذلك للصبي فيجعل الحبوب في احدى قفتيه واللحم والخضر في الاخرى ويوصل ذلك الى دار الرجل ليها له طعامه منها ويذهب الرجل الى طوافه وحاجته فلا يذكر ان احدا من الصبيان خان الامانة في ذلك قط بل يؤدي ما حمل على أتم الوجوه ولهم على ذلك أجرة معلومة من فلوس وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم البياض فتري شيابهم ابدان صاعدة ساطعة ويستعملون الطيب كثيرا ويكتحلون ويكثرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة قافلات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا وهن يقصدن الطواف

بالبيت في كل ليلة الجمعة فيأتين في أحسن زى وتغلب على الحرم رائحة طيبين وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها بعبقوا لاهل مكة عوائد حسنة في الموسم وغيره سند كرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضلائها ومجاوريها

— ذكر قاضى مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائها واصلحائها —

قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيى الدين الطبرى وهو فاضل كثير الصدقات والمواساة للمجاورين حسن الأخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكعبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة وخصوصا في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تساميا فانه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان ساطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعظمه كثيرا وجميع صدقاته وصدقات امرائه تجرى على يديه وولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضى مكة شرفها الله وخطيب مكة الامام بهقام ابراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بهاء الدين الطبرى وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمعمور مثلهم بلاغة وحسن بيان وذكر لى انه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكررها فيما بعد وامام الموسم وامام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه العالم الصالح الخاشع الشهير ابو عبد الله محمد بن الفقيه الامام الصالح الورع أبى زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بتخليل نفع الله به وأمتع ببقائه وأهله من تلاد الجريد من افرقية ويعرفون بها بنى حيون وهم من كبارها ومولده ومولداً أبیه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة بل واحداها وقطبها باجماع الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع أوقاته حيى كريم النقس حسن الاخلاق كثير الشفقة لا يرد من ساله خائبا

— حكاية مباركة —

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما في النوم وهو قاعد بمجلس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذى تشاهد منه الكعبة الشريفة والناس يبائعونه فكنت أرى الشيخ أباعبد الله المدعو بتخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وجعل يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أباعبك على كذا وكذا وعدد أشياء منها وأن لا أرد من يبقى مسكينا خائبا وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسى كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقراء مكة واليمن والزبالعة والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لا بساجبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة

بالقنطرة كان يلبسها في بعض الاوقات فلما صليت الصبح غدوت عليه واعلمته برؤياي
فسر بها وبكى وقال لي تلك الجبة أهذا بعض الصالحين لجدى قانا ألبسها تبركا ومارأيت
بعد ذلك يرد سائلا خائبا وكان يأمر خدامه يخبزون الخبز ويطحنون الطعام ويأتون به
إلى بعد صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا ياكلون في اليوم الامرة واحدة بعد العصر
ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت ومن أراد الاكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك
صحّت أبدانهم وقلت فيهم الامراض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم
الدين الطبري فشك في طلاقها وفارقها وتزوجها بعده الفقيه شهاب الدين النويري من
كبار المجاورين وهو من صعيد مصر وأقامت عنده اعواما وسافرها إلى المدينة الشريفة
ومعها أخوها شهاب الدين فحدث فيمين بالطلاق فقارقتها على ضمانته بها وراجعها الفقيه
خليل بعد سنين عدة ومن أعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين بن البرهان ومنهم امام
الحنفية شهاب الدين أحمد بن علي من كبار أئمة مكة وفضلائها يطعم المجاورين وأبناء
السبيل وهو أكرم فقهاء مكة ويدرار في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا فيؤديها
الله عنه وامراء الاتراك يعظمونه ومحسنون الطن به لانه امامهم ومنهم امام الحنابلة المحدث
الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الاصل المكي المولد وهو نائب القاضي نجم الدين والمحاسب
بعد قتل تقي الدين المصري والناس بها يونه لسطوته — حكاية —

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يعنيه وفيما لا يعنيه فاتفق في بعض
السنين ان أنى أمير الحاج بصبي من ذوى الدعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج فامر بقطع يده
فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بحضرتك والاغلب أهل مكة خدامك عليه فاستنقذوه منهم
وخلصوه فامر بقطع يده في حضرته فقطعت وحقدتها لتقي الدين ولم يزل يتربص به الدوائر
ولا قدرة له عليه لان له حسبا من الاميرين رمية وعطيفة والحسب عندهم ان يعطى أحدهم
هدية من عمامة او شاشية بمحضر الناس تكون جوار المن اعطيته ولا نزول حرمتها معه حتى
يريد الرحلة والتحول عن مكة فقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على الرحلة وودع
الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقيه صاحبه الاقطع وتشكى له
ضعف حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فانتهره تقي الدين وزجره فاستل خنجره
يعرف عندهم بالجانبية وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه ومنهم الفقيه الصالح زين الدين
الطبري شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والاحسان المجاورين ومنهم الفقيه المبارك
محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه

محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالوسواس رأيته يوما يتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر ولامسح رأسه أعاد مسحه مرات ثم لم يقنعه ذلك فغطس رأسه في البركة وكان إذا أراد الصلاة ربما صلى الامام الشافعي وهو يقول نويت نوب فيصلي مع غيره وكان كثير الطواف والاعمار والذكر — ذكر المجاورين بمكة —

فمنهم الامام العالم الصالح الصفو في الحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن أسعد النخعي الشافعي الشهير باليا فعي كثير الطواف آناه الليل وأطراف النهار وكان اذا طاف من الليل يصعد الى سطح المدرسة المظفرية فيقعد مشاهدا للكعبة الشريفة الى ان يغلبه النوم فيجعل تحت رأسه حجرا وينام بسير ثم يجدد الوضوء ويعود لحاله من الطواف حتى يصلي الصبح وكان متزوجا بينت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو الى أبيها حالها فيأمرها بالصبر فاقامت معه على ذلك سنين ثم فارقتهم ومنهم الصالح العابد نجم الدين الاصفوي كان قاضيا ببلاد الصعيد فانتزع الى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعتمر في كل يوم من التمتع ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتمادا على ما في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما انه قال عمرة في رمضان تعدل حجة معي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحاملي كثير الطواف والتلاوة من قدماء المجاورين مات بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف أقام بمكة أعواما لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقلب خاشع يأخذ بهجامع القلوب ومنهم الصالح المجود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن برباط السدرة ويقصده أهل مصر والشام يصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤنهم ويكسوهم ومنهم الصالح العابد عبد الرحمن الواسطي من أصحاب الاموال الطائلة يحمل اليه من بلدته المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها الى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك ذابا الى ان توفي ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الانجري من أهل قطر طريجة من كبار الصالحين جاور بمكة أعواما وبها وفاته كانت بينه وبين والدي صحبة قديمة وهى أني بلدنا طنجة نزل عندنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرية يعلم العلم فيها نهارا ويأوى بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن

الرباطات بمكة بداخله بر عذبة لاتماثلها بر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا وينذرون له النذور وأهل الطائف ياتونه بالقواكه ومن عادتهم ان كل من له بستان من النخيل والعنب والفرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه الخبط يخرج منه العشر لهذا الرباط ويوصلون ذلك اليه على جمالهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يومان ومن لم يف بذلك نقصت فواكه في السنة الآتية وأصابها الجوائح

— حكاية في فضله —

أتى يوما غلامان الامير أبى نمي صاحب مكة الى هذا الرباط ودخلوا بخيل الامير وسقوها من تلك البئر فلما عادوا بالخيل الى مراتبها أصابها الالجوع وضربت بانفسها الارض وبرؤسها وأرجلها واتصل الخبر بالامير أبى نمي فأتى باب الرباط بنفسه واعتذر الى المساكين الساكنين به واستصحب واحدا منهم فمسح على بطون الدواب بيده فارقت ما كان في أجوافها من ذلك الماء وبرئت مما أصابها ولم يتعرضوا بعدها للرباط الا بالخير ومنهم الصالح المبارك أبو العباس الغماري من أصحاب أبى الحسن بن رزق الله وسكن رباط ربيع ووفاته بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة كان خديما للشيخين المذكورين فلما توفيا صار شيخ الرباط بعدها ومنهم الصالح السائح السالك أبو الحسن على بن فرغوس التلمساني ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلاله

— حكاية —

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فاعطاه مالا عظيما قدم به مكة فسيجنه الامير عطيفة وطلبه باداء المال فامتنع فعذب بعصر رجله فاعطى خمسة وعشرين ألف درهم نقرة وعاد الى بلاد الهند ورأته بها ونزل بدار الامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن عيسى بن مهني أمير عرب الشام وكان غدا ساكنا ببلاد الهند متزوجا باخت ملكها وسيد كرامه فاعطى ملك الهند للشيخ سعيد جملة مال وتوجه صحبة حاج يعرف بوشل من ناس الامير غدا وجهه الامير المذكور لياتيه ببعض ناسه ووجه معه أموالا وتحفا منها الخلعة التي خلعها عليه ملك الهند ليزفاه باخته وهي من الحرير الازرق مزر كشة بالذهب ومرصعة بالجواهر بحيث لا يظهر لونها الغلبة الجواهر عليها وبعث معه خمسين ألف درهم ليشتري له الخيل العتاق فسافر الشيخ سعيد صحبة وشل واشترى سلعا ما عندهما من الاموال فلما وصلوا جزيرة سقطرة المنسوب اليها الصبر السقطري خرج عليهما لصوص الهند في مراكب كثيرة فقاتلوهم قتالا شديدا مات فيه من الفريقين جملة وكان وشل راميا فقتل

عنهم جماعة ثم تغلب السراق عليهم وطعنوا وشلا طعنة مات منها بعد ذلك وأخذوا ما كان عندهم وتركوا لهم مركبهم بالأسف فرده وزاده فذهبوا إلى عدن ومات بها وشل وعادة هؤلاء السراق أنهم لا يقتلون أحدا إلا حين القتال ولا يغرقونه وإنما يأخذون ماله ويتركونه يذهب بمركبه حيث شاء ولا يأخذون المماليك لأنهم من جنسهم وكان الحاج سعيد قد سمع من ملك الهند أنه يريد إظهار الدعوة العباسية ببلده كمثله ما فعله ملوك الهند ممن تقدمه مثل السلطان شمس الدين الممش واسمه « بفتح اللام الأولى واسكان الثانية وكسر ثميم وشين معجم » وولده ناصر الدين ومثل السلطان جلال الدين فيروز شاه والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلع تأتي إليهم من بغداد فلما توفي وشل قصد الشيخ سعيد إلى الخليفة أبي العباس ابن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي بمصر وأعلمه بالامر فكتب له كتابا بخطه بالنيابة عنه بإلاد الهند فاستصحب الشيخ سعيد الكتاب وذهب إلى اليمن واشترى بها ثلاث خلع سودا وركب البحر إلى الهند فلما وصل كتبنايت وهي على مسيرة أربعين يوما من دحلى حضرة ملك الهند كتب صاحب الخبر إلى الملك بعلمه بقدم الشيخ سعيد وأن معه أمر الخليفة وكتابه فورد الأمر ببعثه إلى الحضرة مكرما فلما قرب من الحضرة بعث الأمراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاه وعانقه ودفع له الأمر فقبله ووضع على رأسه ودفع له الصندوق الذي فيه الخلع فاحتمله الملك على كاهله خطوات ولبس إحدى الخلع وكسا الأخرى الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف ابن عبد العزيز بن الخليفة المنتصر العباسي وكان مقما عنده وسيد كر خبره وكسا الخلعة الثالثة الأمير بقوله الملقب بالملك الكبير وهو الذي يقوم على رأسه ويشرد عنه الذباب وأمر السلطان فخلع على الشيخ سعيد ومن معه وأركبه على القيل ودخل المدينة كذلك والسلطان أمامه على فرسه وعن يمينه وشماله الأميران اللذان كساها الخلعتين العباسيتين والمدينة قد زينت بأنواع الزينة وصنع بها إحدى عشرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات في كل طبقة طائفة من المغنيين رجالا ونساء والراقصات وكلهم ممالك السلطان والقبة مزينة بثياب الحر المذهب أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفي وسطها ثلاثة أحواض من جلود الجواميس مملوءة ماء قد حل فيه الجلاب بشر به كل وارد وصادر لا يمنع منه أحد وكل من يشرب منه يعطى بعد ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول والفوفل والنورة فبدأ كلهم فتنطيطهم وتزيينهم بدمية وجهه ولثاته وتقمع عنه الصفراء وتهضم ماأكل من الطعام ولما ركب الشيخ سعيد على القيل فرشت له ثياب الحر يربين يدى القيل

يظؤ عليها الفيل من باب المدينة الى دار السلطان وأنزل بدار تقرب من دار الملك وبعث له أموالا طائلة وجميع الاثواب المعلقة والمفروشة بالقباب والموضوعة بين يدي الفيل لا تعود الى السلطان بل ياخذها أهل الطرب وأهل الصناعات الذين يصنعون القباب وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلمهم متى قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكتاب الخليفة أن يقرأ على المنبر بين الخطبتين في كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهراً ثم بعث معه الملك هدايا الى الخليفة فوصل كنيابت وأقام بها حتى تيسرت أسباب حركته في البحر وكان ملك الهند قد بعث أيضاً من عنده رسولا الى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قبجق وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر ياقوت قيمته خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه أن يعقد له التباة عنه ببلاد الهند والسند وبيعه لها سواده من يظهر له هكذا نص عليه كتابه باعتقاداً منه في الخلافة وحسن نية وكان للشيخ رجب أخ بديار مصر يدعى بالامير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب الى الخليفة أبى أن يقرأ الكتاب ويقبل الهدية الا بحضور الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بثمنه وهو ثلاثمائة ألف درهم اربعة أحجار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحد الاحجار ودفع سائرها لامرائه واتفقوا على أن يكتب الملك الهند بما طلبه فوجهوا الشهود الى الخليفة واشهد على نفسه انه قدمه نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولا من قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين العجمي ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية وركبوا بحر فارس من الابلّة الى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين تمتن طوران شاه فآكرم متواضعاً وجهز لهم مركبا الى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنيابت والشيخ سعيد بها وأميرها يومئذ مقبول التلتي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الامير وقال له ان الشيخ سعيد انما جاءكم بالتزوير والخلع التي ساقها انما اشتراها بعدن فينبغي أن تثقفوه وتبعثوه نحو دنعالم وهو السلطان فقال له الامير الشيخ سعيد معظم عند السلطان فما يفعل به هذا الا بامر له ولكني أبعثه معكم ليري فيه السلطان رأيه وكتب الامير بذلك كله الى السلطان وكتب به أيضاً صاحب الاخبار فوقع في نفس السلطان تغير وانقبض عن الشيخ رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الاشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد من الاكرام ما صدر فشنع رجب من الدخول عليه وزاد في اكرام الشيخ سعيد ولما دخل شيخ الشيوخ على السلطان قام اليه وعانقه وأكرما

وكان هتي دخل اليه يقوم له ونبي الشيخ سعيد المذكور بارض الهند معظما مكرما وبها تركته سنة ثمان وأربعين وكان بمكة ايام مجاورتي بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشانه عجيب وكان قبل ذلك صحبيح العقل خديما لولي الله تعالى نجم الدين الاصمباني أيام حياته — حكايته — كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقيراً يكثر الطواف ولا يراه بالنهار فلقيه ذلك الفقير ليلة وساله عن حاله وقال له يا حسن ان أمك تبكي عليك وهي مشتاقة الى رؤيتك وكانت من اماء الله الصالحات أفتحب أن تراها قال له نعم ولكني لا قدرة لي على ذلك فقال له نجتمع هاهنا في الليلة المقبلة ان شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث واعد فظافا بالبيت ماشاء الله ثم خرج وهو في أثره الى باب المعلي قامره أن يسد عينيه ويسك بثوبه ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة أتعرف بلدك قال نعم قال هاهو هذا ففتح عينيه فاذا به على دار أمه فدخل عليها ولم يعلمها بشيء مما جرى واقام عندها نصف شهر وأظن أن بلده مدينة أسفي ثم خرج الى الجبانة فوجد الفقير صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدي اني اشتقت الى رؤية الشيخ نجم الدين وكنت خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الايام واحب ان تردني اليه فقال له نعم وواعد الجبانة ليلا فلما وافاه بها أمره أن يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تغميض عينيه والامساك بذيله ففعل ذلك فاذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشيء مما يجري ولا يحدث به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فاني أن أخبره فعزم عليه فأخبره بالحكاية فقال أرني الرجل فاتي معه ليلا وأتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له ياسيدي هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله وبقى بالحرم مولها يطوف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس يتبركون به ويكسونه واذا جاع خرج الى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد حانوتا من الحوانيت فيأكل منها ما احب لا يصدده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وتظهر له البركة والثناء في بيعه وورجه ومتى أتى السوق تناول أهلها باعناقهم اليه كل منهم يحرص علي ان يأكل من عنده لما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب ان يشرب ولم يزل دأبه كذلك الى سنة ثمان وعشرين ففج فيها الامير سيف الدين يلمك فاستصحبه معه الى ديار مصر فاقطع خبره نفع الله تعالى به

— ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم ومواضع أمتهم —

فمن عادتهم أن يصلي أول الأئمة امام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الامر وصلاته

خلف المقام الكريم مقام ابراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بدع وجمهور الناس بمكة على مذهبه والحطيم خشبتان موصول ما بينهما باذرع شبه السلم تقابلها خشبتان على صفتها وقد عقدت على أرجل محصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق منها قناديل زجاج فاذا صلى الامام الشافعي صلى بعده امام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي امام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلا بين الحجر الاسود والركن اليماني ثم يصلي امام الحنفية قبال المنزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين ايدي الائمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الاربع وأما صلاة المغرب فانهم يصلونها في وقت واحد كل امام يصلي بطائفته ويدخل على الناس من ذلك سهو وتحليط فربما ركع المالكي ركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراحم مصيحين كل واحد الى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو

— ذكر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة —

وعادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك الى صفح الكعبة الشريفة فيما بين الحجر الاسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلا للمقام الكريم فاذا خرج الخطيب أقبل لاساثوب سواد معتما بعمامة سوداء وعليه طيلسان اسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه الوقار والسكينة وهو يتهدى بين رايتين سوداوين يتمسكهما رجلان من المؤذنين وبين يديه أحد القومة في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مفتول بنقضه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجه فيكون اعلاما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر فيقبل الحجر الاسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لاسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكاه بيده وتركز الرايتان عن جانبي المنبر فاذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة ثم في الثالث أخرى فاذا استوى في علها الدرجات ضرب ضربة رابعة ووقف داعيا بدعاء خفي مستقبلا الكعبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقعد ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فاذا فرغ الاذان خطب الخطيب خطبة يكثر بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في أثنائها اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير باصبعه الى البيت الكريم اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة واقف ويترضى عن الخلفاء

الاربعة وعن سائر الصحابة وعن عمي النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وخديجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعو للملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين على ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف بن علي بن رسول ثم يدعو للسيد الشرفين الحسينيين أميرى مكة سيف الدين عطيفة وهو أصغر الأخوين ويقدم اسمه لعدله واسد الدين رميثة ابني أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة وقد دعا السلطان العراق مرة ثم قطع ذلك فاذا فرغ من خطبته صلى وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله والفرقة امامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر الى مكانه ازاء المقام الكريم

— ذكر عاداتهم في استهلال الشهور —

وعادتهم في ذلك ان يأتي أمير مكة في اول يوم من الشهر وقواده يحفون به وهو لابس البياض معتم متقلد سيفا وعليه السكينة والوقار فيصلى عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر ويشرع في طواف اسبوع ورئيس المؤذنين على اعلى قبة زمزم فعند ما يكل الأمير شوطا واحدا ويقصد الحجر لتقبيله يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له والتهنئة بدخول الشهر رافعا بذلك صوته ثم يذكر شعرا في مدحه ومدح سلفه الكريم ويفعل به هكذا في السبعة اشواط فاذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام ايضا ركعتين ثم انصرف ومثل هذا سواء يفعل اذا أراد سفرا واذا قدم من سفرا ايضا

— ذكر عاداتهم في شهر رجب —

واذا هل هلال رجب امر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول الشهر ثم يخرج في اول يوم منه راكبا ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم بالاسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجال يتواثبون ويرمون بحراهم الى الهواء ويلقونها والأمير رميثة والأمير عطيفة معهم اولادها وقوادها مثل محمد بن ابراهيم وعلى واحمد ابني صبيح وعلى بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق ومنصور بن عمر وموسى المزرق وغيرهم من كبار اولاد الحسن ووجوه القواد وبين ايديهم الرايات والطبول والدبابد وعليهم السكينة والوقار ويصيرون حتى ينتهوا الى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم الى المسجد الحرام فيطوف الأمير بالبيت والمؤذن الزمزمى باعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط على ما ذكرناه من عاداته فاذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج الى المسعى فسعى راكبا والقواد يحفون به والحراة بين يديه ثم يسيرا الى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الاعياد ويلبسون فيه أحسن

وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله وهى متصلة ليلا ونهارا وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة وخصوصا أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرفيع كل أحد يفعل بقدر استطاعته والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير واستار الهوادج ضافية تكاد تمس الارض فبى كالقبا ب المضروبة ويخرجون الى ميقات التمتع فتسيل أباطح مكة تلك الهوادج والذيران مشعلة بجني الطريق والشمع والمشاعل أمام الهوادج والجبال تجيب بصدها إلهال المهالين فترق النفوس وتنهمل الدموع فاذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا الى السعي بين الصفا والمروة بعد مضي شئ من الليل والمسيح متقد السرج غاص بالناس والساعات في هوداجهن والمسجد الحرام يتلأل نوراهم يسمون هذه العمرة بالعمرة الاكبية لانهم يحرمون بها من أكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوة على مقربة من المسجد المنسوب الى على رضي الله عنه والاصل في هذه العمرة ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج ماشيا حافيا معتمرا ومعه أهل مكة وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه على ثنية الحيجون الى المعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك العمرة سنة عند أهل مكة الى هذا العهد وكان يوم عبد الله مذكورا أهدي فيه بدنا كثيرة واهدي اشرف مكة وأهل الاستطاعة منهم وأقاموا اياما يطعمون ويطعمون شكر الله تعالى على ما وهبهم من التيسير والمعونة في بناء بيته الكريم على الصفة التي كان عليها في أيام الخليل صلوات الله عليه ثم لما قتل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردّها الى بنائها في عهد قريش وكانوا قد اقتصروا في بنائها وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحدّثان عهدهم بالكفر ثم اراد الخليفة أبو جعفر المنصور ان يعيدها الى بناء ابن الزبير فنهاه مالك رحمه الله عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين لا تجعل البيت ملعبة للملوك متى أراد أحدكم أن يغيره فعل فتركه على حاله سد للذريعة وأهل الجهات الموالية لمكة مثل بحيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويحلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فتخص الاسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش ويذكرا نهم متى أقاموا ببلادهم ولم يأتوا بهذه الميرة أجذبت بلادهم

ووقع الموت في مواشيهم وميت أوصالوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أمواهلهم فهم اذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتمعت نسائهم فاخرجتهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الامين وبلاد السروات التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الاعناب وافرة الغلات وأهلها وصحاء الاسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لا تذين بجوارها متعلقين باستارها داعين بادعية تصعد لرقتها القلوب وتدمع العيون الجامدة فتري الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم ولا استلام الحجر لئلا يزاحمهم على ذلك وهم شجعان انجاد ولباسهم الجلود واذا وردوا مكة هابت اعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم ومن صحبهم من الزوار حدصحتهم وذكران النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم وأنشئ عليهم خيرا وقال علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء وكفاهم شرفا ودخولهم في عموم قوله صلى الله عليه وسلم الايمان يمان والحكمة يمانية وذكران عبد الله بن عمر رضی الله عنهما كان يتجرجى وقت طوافهم ويدخل في جملتهم تبركا بدعائهم وشانهم عجيب كله وقد جاء في أثر زاحوهم في الطواف فان الرحمة تنصب عليهم صبا — ذكر عادتهم في ليلة النصف من شعبان —

وهذه الليلة من الليالي المعظمة عند أهل مكة يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وأفرادا والاعمار ويجتمعون في المسجد الحرام جماعات لكل جماعة امام وبوقدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر يتلأل الارض والسماء نورا ويصلون مائة ركعة يقرؤون في كل ركعة بام القرآن وسورة الاخلاص يكررونها عشرا وبعض الناس يصلون في الحجر منفردين وبعضهم بطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعمار

— ذكر عادتهم في شهر رمضان المعظم —

واذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدباب عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتي يتلأل الحرم نورا ويسطع بهجة واشراقا وتفرق الامة فرقا هم الشافعية والحنفية والحنبلية والزيدية وأما المالكية فيجتمعون على أربعة من القراء يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبق في الحرم زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلي بجماعته فيرتج المسجد لاصوات القراء وترق النفوس وتحضر القلوب ونهمل الاعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في

الحجر منفردا والشافعية أكثر الأئمة اجتهادا وعاداتهم أنهم إذا أكلوا التراويح المعتادة وهي عشرون ركعة يطوف امامهم وجماعته فإذا فرغ من الاسبوع ضربت الفرقة التي ذكرنا أنها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة كان ذلك اعلاما بالعودة الى الصلاة ثم يصلي ركعتين ثم يطوف أسبوعا هكذا الى ان يتم عشر بن ركعة أخرى ثم يصلون الشفع والوتر وينصرفون وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئا وإذا كان وقت السحور يتولى المؤذن الزمزمي التستحير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعيا ومذكرا ومحرضا على السحور والمؤذنون في سائر الصوامع فإذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران يقدان فإذا قرب الفجر ووقع الاذان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وبدأ المؤذنون بالاذان وأجاب بعضهم بعضا ولديار مكة شرفها الله سطوح فمن بعدت داره بحيث لا يسمع الاذان يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر حتى إذا لم يبصرهما أقلع عن الأكل وفي كل ليلة وتر من ليالى العشر الاواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضر الختم القاضي والفقهاء والكبراء ويكون الذى يختم بهم أحد أبناء كبراء أهل مكة فإذا ختم نصب له منبر مزين بالحرير وأوقد الشمع وخطب فإذا فرغ من خطبته استدعى أبوه الناس الى منزله فاطعمهم الاطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالى الوتر وأعظم تلك الليالى عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالى ويختم بها القرآن العظيم خلف المقام الكريم وتقام ازاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالحطيم وتعرض بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طبقات وعليها الشمع وقنديل الزجاج فيكاد يغشى الابصار شعاع الانوار ويتقدم الامام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يبتدئ قراءة سورة القدر واليه يكون انتهاء قراءة الأئمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يسلك جميع الأئمة عن التراويح تعظيما لختمه المقام ويحضرونها متبركين فيختم الامام في تسليمتين ثم يقوم خطيبا مستقبلا المقام فإذا فرغ من ذلك عاد الأئمة الى صلاتهم وانقض الجمع ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المالكى في منظر مختصر وعن المباهاة منزعه موقر فيختم ويخطب — ذكر عاداتهم في شوال —

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد السرج في الصوامع من جميع جهاتها وبوقد سطوح الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى

أبي قبيس و يقيم المؤذنون ليأتهم تلك في تهليل و تكبير و تسبيح و الناس ما بين طواف و صلاة و ذكر و دعاء فإذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد و لبسوا أحسن ثيابهم و بادروا لاخذ بحاجتهم بالحرم الشريف به يصلون صلاة العيد لانه لا موضع أفضل منه و يكون أول من يكر الى المسجد الشيبوني فيفتحون باب الكعبة المقدسة و يقعد كبيرهم في عتبتها و سائرهم بين يديه الى ان يأتي أمير مكة فيتلقونه و يطوف بالبيت أسبوعا و المؤذن ان زمزمي فوق سطح قبة زمزم على العادة رافعا صوته بالثناء عليه و الدعاء له و لاخيه كما ذكرتم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين و الفرقة أمامه و هو لا بس السواد فيصلي خلف المقام الكريم ثم يصعد المنبر و يخطب خطبة بليغة ثم اذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام و المصافحة و الاستغفار و يقصدون الكعبة الشريف فيدخلونها أفواجا ثم يخرجون الى مقبرة باب المعلي تبركا بمن فيها من الصحابة و صدور السلف ثم ينصرفون

— ذكر احرام الكعبة —

و في اليوم السابع و العشرين من شهر ذي القعدة تشمر أستار الكعبة الشريف بقة زاده الله تعظيا الى نخوار تفاع و نصف من جهاتها الاربع صواها من الايدي أن تنتهبها و يسمون ذلك احرام الكعبة و هو يوم مشهود بالحرم الشريف و لا تفتح الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتي تنقضي الوقفة بعرفة

— ذكر شعائر الحج و أعماله —

و اذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب الطبول و الدبادب في أوقات الصلوات بكرة و عشية اشعار بالموسم المبارك و لا تزال كذلك الى يوم الصعود الى عرفات فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب اثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم و يعلمهم بيوم الوقفة فإذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود الى منى و أمراء مصر و الشام و العراق و أهل العلم يبيتون تلك الليلة بمني و تقع المباهاة و المفارقة بين أهل مصر و الشام و العراق في ايقاد الشمع و لكن الفضل في ذلك لاهل الشام دائما فإذا كان اليوم التاسع حلو من منى بعد صلاة الصبح الى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسرو و يهرولون و ذلك سنة و وادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة و منى و مزدلفة بسيط من الارض فسيح بين جبلين و حولها مصانع و صهاريج الماء مما ينتهز بيده ابنة جعفر بن ابي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد و بين منى و عرفة خمسة أميال و كذلك بين منى و مكة ايضا خمسة اميال و لعرفة ثلاثة اسماء و هي عرفة و جمع و المشعر الحرام و عرفات

بسيط من الارض فسيح افيح تحديق به جبال كثيرة وفي آخر بسيط عرفات جبل الرحمة وفيه الموقف وفيما حوله والعلبان قبله بنحو ميل وها الحدا بين الحل والحرم وبمقربة منهما مما يلي عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه ويجب التحفظ منه ويجب أيضاً الامساك عن النفور حتي يتمكن سقوط الشمس فان الجبالين ربة استحنوا كثيراً من الناس وحذروهم الزحام في النفور واستدروهم الى أن يصلوا بهم بطن عرنة فيبطل حجهم وجبل الرحمة التي ذكرناه قائم في وسط بسيط جمع منقطع عن الجبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفي أعلاه قبة تنسب الى أم سلمة رضى الله عنها وفي وسطها مسجد يتراحم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفي قبله جدار فيه محارب منصوبة يصلي فيه الناس وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب الى آدم عليه السلام وعن يسارها الصخرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها وحول ذلك صهاريج وجباب للماء وبمقربة منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر وعن يسار العلمين للمستقبل أيضاً وادى الاراك وبه أراك أخضر يمتد في الارض امتداداً طويلاً واذا حان وقت النفرا أشار الامام المالكى بيده ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفرا دفعة ترتج لها الارض وترجف الجبال فياله موقفاً كريماً وشهداً عظيماً ترجو النفوس حسن عقباه وتطمح الآمال الى نفحات رحمائه جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه وكانت وقفتى الاولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمير الركب المصرى يومئذ أرغون الدوانير نائب الملك الناصر وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصرو هي زوجة أبي بكر بن أرغون المذكور وحجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوندة وهي بنت السلطان المعظم محمد اوزبك ملك السراوخو أرزم وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوبان ولما وقع النفرا بعد غروب الشمس وصلنا مزدلفة عند العشاء الآخرة فصلينا بها المغرب والعشاء جمعاً بينهما حسبما جرت سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما صلينا الصبح بمزدلفة غدونا منها الى مي بعد الوقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ففيه تقع الهرولة حتى يخرج عنه ومن مزدلفة يستصحب أكثر الناس حصيات الجار وذلك مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر في ذلك واسع ولما انتهى الناس الى مي بادروا لرمي جمرة العقبة ثم نحروا وذبحوا ثم حلقوا وحلوا من كل شيء الا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمى هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر ولم

رهموها توجهأكثر الناس بعد أن ذبحوا وحلقوا الى طواف الافاضة ومنهم من أقام الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني رمى الناس عند زوال الشمس بالجرة الاولى سبع حصيات وبالوسطى كذلك ووقفوا للدعاء بهاتين الجرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تعجل الناس الانحدار الى مكة شرفها الله بعد أن كمل لهم رمي تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمي سبعين حصاة — ذكر كسوة الكعبة —

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصرى الى البيت الكريم فوضعت في سطحه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبىون في أسبالها على الكعبة الشريفة وهي كسوة سوداء حاككة من الحرير مبطنه بالكتمان وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالليياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طراز مكتوب بالليياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لأنحشرق من سوادها ولما كسيت شمرت إذ يالها صونا من أبدى الناس والملك الناصر هو الذى يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويبعث هراتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم لتسربف من الشمع والزيت فى كل سنة وفى هذه الايام تفتح الكعبة الشريفة فى كل يوم لثلعراقيين والخراسانيين وسواهم من يصل مع الركب العراقى وهم يقيمون بمكة بعد سفر التركيبين الشامى والمصرى أربعة أيام فيكثرون فيها الصدقات على الجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا فى لقوه فى الحرم من الجاورين أو المكيين اعطوه الفضة والثياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة ورجعا وجدوا انسا نائما فجعلوا فى فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلموا من ذلك كثيرا أو أكثر الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المئقال الى ثمانية عشر درهما نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفى هذه السنة ذكر اسم السلطان أبى سعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم

— ذكر الاتصال عن مكة شرفها الله تعالى —

وفى الموفى عشرين لذى الحجة خرجت من مكة صحبة أمير ركب العراق البهلوان محمد الطويج بماءين مهملين وهو من أهل الموصل وكان بلى امارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر وكان شهاب الدين سخيا فاضلا عظيم الحرمه عند سلطانه يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة الفلندرية ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى فى صحبة الامير

لبلهان المذكور ا كترى لى شقة محارة الى بغداد ودفع اجارتها من ماله وأنزلي في
 جواره وخرجنا بعد طواف الوداع الى بطن مر في جمع من العراقيين والخراسانيين
 والفارسيين والا عا جمل لا يحصى عديدهم توجهم الارض موجا ويسرون سير السحاب
 المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل
 عنه لكثرة الناس وفي هذا الركب نواضح كثيرة لا بناء السبيل يستقون منها الماء وجمال
 ارتفاع الزاد للصدقة ورفع الادوية والاشربة والسكر لمن يصيبه مرض واذا نزل الركب
 طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأطعم منها أبناء السبيل ومن لا زاد
 معه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات
 السلطان أبي سعيد ومكارمه قال ابن جزى كرم الله هذه الكنية الشريفة فما أعجب أمرها في
 الكرم وحسبك بمولا نا بخر المكارم ورافع رايات الجود الذي هو آية في الندى والفضل أمير
 المسلمين أبي سعيد ابن مولا نا قانع الكفار والآخذ للاسلام بالثار أمير المسلمين أبي يوسف
 قدس الله أرواحهم الكريمة وأبقى الملك في عقبهم الطاهر الى يوم الدين (رجع) وفي هذا
 الركب الاسواق الخافلة والمراق العظيمة وانواع الاطعمة والقواكه وهم يسرون بالليل
 ويوقدون المشاعل امام القطار والحارات فترى الارض تتلأأ نوارا والليل قد عاد نهارا
 ساطعا ثم رحلنا من بطن مر الى عسفان ثم الى خليص ثم رحلنا أربع مراحل ونزلنا
 وادى السمك ثم رحلنا خمسا ونزلنا في بدر وهذه المراحل ثلثان في اليوم احدهما بعد
 الصبح والاخري بالعشي ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء وأقمتنا يوما مستريحين ومنها الى
 المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وأقمتنا بالمدينة كرمها الله تعالى ستة
 أيام واستصحبنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنها فنزلنا في الثالثة بوادي العروس فنزلنا
 منه الماء من حسيات يحفرون عليها في الارض فينبطون ماء عذبا معينا ثم رحلنا من وادي
 العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الارض مد البصر فتغنمنا نسيمة الطيب
 الارج ونزلنا بعد أربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم رحلنا عنه ونزلنا ماء
 يعرف بالثقرة فبها آثار مصانع كالصهاريج العظيمة ثم رحلنا الى ماء يعرف بالقارورة
 وهي مصانع مملوءة بماء المطر مما صنعتها زبدة ابنة جعفر رحما الله ونقعها وهذا الموضع
 هو وسط أرض نجد فسيح طيب النسيم صحيح الهواء تقي التربة معتدل في كل فصل ثم
 دخلنا من القارورة ونزلنا بالحاجرو فيه مصانع للماء ورماجفت فحفرت عن الماء في الجفار

ثم رحلنا ونزلنا سميرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكرن وماؤها كثير في أبار الانه زعاق ويأتي عرب تلك الارض بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالجبل الخروق وهو في يبداء من الارض وفي أعلاه ثقب نافذ تخرقه الريح ثم رحلنا منه الى وادى الكروش ولما به به ثم أسرينا ليلا وصبحنا حصن فيدو وهو حصن كبير في بسيط من الارض يدور به سور وعليه رضى وسا كنوه عرب يتعيشون مع الحجاج في البيع والتجارة وهناك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق الى مكة شرفها الله تعالى فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة الى بغداد ومنه الى الكوفة مسيرة اثني عشر يوما في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركبان يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب ارباها بالعرب المجتمعين هنالك وقطعها لاطماعمهم عن الركب وهنالك لقينا أميري العرب وهما فباض وحديار واسمه (بكسر الحاء واهماله وياه آخر الحروف) وهما أبناء الأمير مهني بن عيسى ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر منهما الحافطة على الحجاج والرحال والحوطة لهم وأتى العرب بالجمال والغنم فاشتري منهم الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا ونزلنا الموضع المعروف الاجفرو يشتهر باسم العاشقين جميل وبشينة ثم رحلنا ونزلنا بالبيداء ثم أسرينا ونزلنا زرود وهي بسيط من الارض فيه رمال منهالة وبه دور صغار قد اداروها شبه الحصن وهنالك آبار ماء ليست بالعذبة ثم رحلنا ونزلنا الثعلبية ولها حصن خرب بازائه مصنع هائل ينزل اليه في درج وبه من ماء المطر ما يعم الركب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن واللبن ومن هذا الموضع الى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فنزلنا ببركة المرجوم وهو مشهد على الطريق عليه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رحمه وبذكران هذا المرجوم كان رافضيا فساد فرمى الركب يريد الحج فوقع بينه وبين اهل السنة من الاتراك مشاجرا فسب بعض الصحابة فقتلوه بالحجارة وبهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب ويقصدون الركب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يعم جميع الركب مما بنته زبيدة رحمة الله عليهم وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من كريم آثارها جزاءه الله خيرا ووفي لها أجراها ولولا عنايتها بهذه الطريق ما سلم كما أحد ثم رحلنا ونزلنا موضعه يعرف بالمشقوق فيه مصنعان بهما الماء العذب الصافي وأراق الناس ما كان عندهم من الماء وتزودوا منهم ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالتناير وفيه مصنع متلى بالماء ثم أسرينا من

واجترنا ضحوة بزماله وهي قرية معمورة بها قصر للعرب ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلنا فنزلنا المهيمين وفيه مصنعان للماء ثم رحلنا فنزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة الشيطان وصعدنا العقبة في اليوم الثاني وليس بهذا الطريق وعرسواها على أنها ليست بصعبة ولا طائفة ثم نزلنا موضعا يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور الامشارع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل الكوفة الحاج ويأتون بالدقيق والخبز والتمر والفواكه ويبنى الناس بعضهم بعضا بالسلامة ثم نزلنا موضعا يعرف بلورة فيه مصنع كبير للماء ثم نزلنا موضعا يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع ثم نزلنا موضعا يعرف بمنارة القرون وهي منارة في بيداء من الارض بائنة الارتفاع مجللة بقرون الغزلان ولا عماره حولها ثم نزلنا موضعا يعرف بالعدب وهو واد مخصب عليه عماره وحوله فلاة خصبة فيها مسرح للمبصر ثم نزلنا القادسية حيث كانت الوقعة الشهيرة على الفرس التي أظهر الله فيها دين الاسلام وأذل الجوس عبدة النار فلم تدم لهم بعدها قائمة واستأصل الله شأفتهم وكان أمير المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخربت فلم يبق منها الآن الا مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها مشارع من ماء الفرات ثم رحلنا منها فنزلنا مدينة مشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناسا وأتمقنها بناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الخياطين والقساريين ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عماره وحيطانها بالنقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن — ذكر الروضة والقبور التي بها —

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز والاحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقبا والطواشية فعند ما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية فان أذنت له والارجع وان لم يكن أهلا لذلك فاتم أهل المكارم والستر ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك

العضادتان ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبير والصغار وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة بالحكمة العمل مسطرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القائمة وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام والثالث قبر علي رضي الله تعالى عنه وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب بغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبة باب آخر عتبه أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير المألون يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم أنها قبر علي رضي الله عنه فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمي عندهم ليلة الحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذا كروال ومشاهد للروضة فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثه أو نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم ف أخبروني أنهم لم يدركوا ليلة الحيا وانهم منتظرون أو انها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد و يقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وإنما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجار يسافرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الاسفار فخدمت صحبتهم لكنهم غلوا في علي رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برى ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة بها من الاموال ما لا يضبط لكثرته.

— ذكر نقيب الاشراف —

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة وله ترتيب

الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبلخانة عند بابيه مساء وصباحا
واليه حكم هذه المدينة ولا والى بها سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب
في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الى بلدة آوة من عراق
العجم أهلها رافضة وكان قبله جماعة يلى كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين
ابن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح
شمس الدين محمد الاوهرى من عراق العجم وهو الآن بارض الهند من ندماء ملكها
ومنهم أبوغرة بن سالم بن مهني بن حماز بن شيحة الحسيني المدني — حكاية —

كان الشريف أبوغرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان
ساكنا بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن حماز أمير المدينة ثم إنه
خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فأتت النقيب قوام الدين بن طاووس
فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي
سعيد فامضاه ونفذله اليه ليخ وهو الظهير بذلك وبعثت له الخلعة والاعلام والطبول
على عادة النقباء ببلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال
تصرفا قبيحا فرفع أمره الى السلطان فلما علم بذلك أعمل السفر مظهدا انه يريد
خراسان قاصدا زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس وكان قصده الفرار فلما سار قير
على بن موسى قدم هراة وهي آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع
أكثرهم عنه وتجاوز هو أرض خراسان الى السند فلما جاز وادي السند المعروف بذي آب
ضرب طبوله وانفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا أن التتر أتوا للاغارة عليهم وأجفلوا
الى المدينة المسماة بأوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب
وبعث الطلائع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار ممن صحب
الشريف في طريقه معهم الاطبال والاعلام فسالوهم عن شأنهم فأخبروهم ان الشريف
نقيب العراق أتى وافدا على ملك الهند فرجع الطلائع الى الأمير وأخبروه بكيفية الحال
فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضر به الطبول في غير بلاده ودخل الشريف
مدينة أوجا وأقام بهامدة تضرب الاطبال على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعا بذلك
ويذكر أنه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الاطبال على رأسه فاذا أمسك النصارى عن الضرب
يقول له زدنقرة يا نكارحتي لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا الى ملك الهند يخبر
الشريف وضر به الاطبال بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفعه الاعلام وعادة أهل

لهند أن لا يرفع علمه ولا يضرب طبله إلا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله إلا في السفر وأما
 في حال الإقامة فلا يضرب الطبل إلا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق
 فإن الطبول تضرب على أبواب الأمراء فلما بلغ خبره ملك الهند ذكره فعله وأنكره
 وفعل في نفسه ثم خرج الأمير إلى حضرة الملك وكان الأمير كشلي خان والخان عندهم
 أعظم الأمراء وهو الساكن بملتان كرسي بلاد الهند وهو عظيم القدر عند ملك الهند
 يدعوه بالملك لأنه كان ممن أعان أباه السلطان غياث الدين تغلق شاه على قتال السلطان ناصر
 الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك إلى لقائه فاتفق أن كان
 وصول الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الأمير بامبال وهو على حاله من
 ضرب الأطبال فلم يرعه إلا السلطان في موكبه فتقدم الشريف إلى السلطان فسلم عليه
 وسأله السلطان عن حاله وما الذي جاء به فأخبره ومضى السلطان حتى أتى الأمير كشلي
 خان وعاد إلى حضرته ولم يلتفت إلى الشريف ولا أمر له بالزوال ولا غييره وكان الملك
 عازماً على السفر إلى مدينة دولة آباد وتسمي أيضاً بالسكة ككة (بفتح الكافين والتاء الملعولة
 التي بينهما) وتسمي أيضاً بالدويجر (دوكير) وهي على مسيرة أربعين يوماً من مدينة
 دهلي حضرة الملك فلما شرع في السفر بعث إلى الشريف بخمسمائة دينار دراهم وصرفاً
 من ذهب لغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال لرسوله إليه قل له إن أراد الرجوع
 إلى بلاده فهذا زاده وإن أراد السفر معنا فهي نفقته في الطريق وإن أراد الإقامة بالحضرة
 فهي نفقته حتى ترجع فأغتم الشريف لذلك وكان قصده أن يجزل له العطاء كما هي عادته
 مع أمثاله واختار السفر صحبة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن إياس المدعو أنخواجة جهان
 وبذلك سماه الملك وبه يدعوه هو وبه يدعوه سائر الناس فإن من عادتهم أنه متى سمي
 الملك أحداً باسمه مضاف إلى الملك من عماد أو ثقه أو قطب أو باسم مضاف إلى الجهان من
 صدر وغيره قبل ذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوى ذلك لزمته العقوبة
 فما كدت المودة بين الوزير والشريف فأحسن إليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى
 حسن فيه رأيه وأمر له بقريتين من قرى دولة آباد وأمره أن تكون إقامته بها وكان
 هذا الوزير من أهل الفضل والمروءة ومكارم الأخلاق والحجة في الغرباء والاحسان إليهم
 وفعل الخير وأطعم الطعام وعمارة الزوايا فأقام الشريف يستغل القربتين ثمانية أعوام
 وحصل من ذلك مالا عظيماً ثم أراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه
 الخروج إلا بأذنه وهو يحب في الغرباء فقليل ما يأذن لأحدهم في السراح فأراد الفرار

من طريق الساحل فرد منه وقدم الحضرة ورغب من الوزير أن يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير في ذلك حتى اذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند واعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصرفها من ذهب المغرب الفان وخمسمائة دينار فأتى بها في بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها لحبته في الدنانير وفرحه بها وخوفه أن يتصل لاحد من اصحابه شيء منها فانه كان بخيلا فاصابه وجع في جنبه بسبب رقاذه عليها ولم يزل يقرأ يديه وهو آخذ في حركة سفره الى أن توفي بعد عشرين يوما من وصول البدرة اليه واوصى بذلك المال للشرىف حسن الجرائى فتصدق بمجملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدلهى من أهل الحجاز والعراق وأهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون عنه ولو بلغ ماعسى أن يبلغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الابيض ولا يأخذونه انما يكون عند الكبار من اصحابه حتى يأتى مستحقه وهذا الشرىف أبو غرة له أخ اسمه قاسم سكن غرناطة مدة وبها تزوج بنت الشرىف أبي عبد الله بن ابراهيم الشهير بالمكى ثم انتقل الى جبل طارق فسكنه الى ان استشهد بوادى كرهة من نظر الجزيرة الخضراء وكان بهمة من البهم لا يصطلي بناره خرق المعتاد في الشيعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما في كفاالة ربيهما الشرىف الفاضل أبي عبد الله محمد ابن أبي القاسم بن نفيس الحسيني الكربلاؤى الشهير ببلاد المغرب بالعراقى وكان تزوج أمهما بعد موت أبيهما وهو محسن لهما جزاه الله خيرا

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام سافر الركب الى بغداد وسافرت الى البصرة صحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الاقطار الا في صحبتهم فكثرت جملا على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجى وخرجنا من مشهد على عليه السلام فنزلنا الخورق موضع سكني النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعا يعرف بقائم الواثق وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه الا صومعته ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالعدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادى وهم قطاع الطريق رافضة المذهب خرجوا على جماعة من الفقراء تاخروا عن رفقتنا فسلموهم حتى النعال والكشاكل وهم يتحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها من يردهم والسباع بها كثيرة ورحلنا مع هذا الغدار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

وهي حسنة الاقطار كثيرة البساتين والاشجار بها اعلام يهذى الخير شاهدهم وتهدى الاعتبار مشاهدهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليهيم يأتى أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهاؤها و يعطي لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعده هو واخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرًا ودرهم ولما نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثين بخارجها للتجارة فسنح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بام عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصلني اليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة واركني فرسالة وخرجت ظهرًا فبت تلك الليلة بحوش بني اسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني الى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكنائه من بلاد الروم برسم زيارته فبرجده واليه انتهت الشياخة بالرواق ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السباط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر فاكلوا الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد اعدوا احمالا من الخطب فاججوها نارًا ودخلوا في وسطها برقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من ياكلها بقمه حتى أطفئوا جميعها وهذا دأبهم وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيعض باسنانه على رأسها حتي يقطعه

— حكاية —

كنت مررت بموضع يقال له أفقا نبور من عمالة هزار أمروها وبيتها وبين دهلي حضرة الهند مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم هو المطر وينزل في إبان القيظ وكان السيل ينحدر في هذا النهر من جبال قراجيل فكل من يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت لتزول المطر على الحشائش المسمومة فقمنا على النهر أربعة أيام لا يقربه أحد ووصل الى هنالك جماعة من الفقراء في أعناقهم

أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم جل أسود حالك اللون وهم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فباتوا عندنا ليلة وطلب مني كبيرهم أن آتيه بالخطب ليوقدوه عند رقصهم فكلفت والى تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالخمار (وسماني ذكره) أن يأتي بالخطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فاضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمرًا واخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فما زالوا يرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قيصاً فاعطيتهم قيصافي النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النهار وبضر بها بكامه حتى طفت تلك النار وحدث وجاء الى القميص والنار لم تؤثر فيه شيئا البتة فطال عجبى منه ولما حصلت لي زيارة الشيخ أبي العباس الزفاعي نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرفقة التي كنت فيها قد رحلت فلاحقتها في الطريق ونزلنا ما يعرف بالهضيب ثم رحلنا ونزلنا بوادي الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشيرب ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة

— مدينة البصرة —

فترلنا بهارباط مالك بن دينار وكنت رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عالياً مثل الحصن فسات عنه فقبل له هو مسجد على بن أبي طاب رضى الله عنه وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما ومدينة البصرة احدي أمهات العراق الشهيرة المذكور في الآفاق الفسيحة الارضاء المؤنقة الافاء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الانيرة توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت تجمع البحر بن الاجاج والاعذب وليس في الدنيا أكثر نخلا منها فيبيع النمر في سوقها بحساب أربعة عشر رطلا عراقية بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة ولقد بعث الى قاضيها حجة الدين بقوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف فاردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذ الحمال منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كانه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احدها محلة هذيل وكبرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الانير من الكرماء الفضلاء أضافني وبعث الى بتياب ودرهم والحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف مجد الدين موسى الحسني ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث الى التمر والسيلان والدرهم والحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق وايتناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب

وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضي الله عنه الذي ذكرته ثم يسد فلا يأتونه الا في الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحته متناهى الانفساح مفروش بالحصياء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغييره الدم في الورقة التي فيه قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) — حكاية اعتبار —

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها لحن فيها لحننا كثيرا جليلا فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبجان بغير الاشياء ومقلب الامور وهذه البصرة التي الى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أهلها امامه الذي لا ينكر سبقه لا يقم خطيبها خطبة الجمعة على دؤبه عليها ولهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعدت اليها من أعلى سطح المسجد ومعها أهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمر فيها كأنه مقبض ممسكة البناء فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض وقال بحق رأس أمير المؤمنين على رضي الله عنه تحركي وهز المقبض فتحركت الصومعة فجعلت انا يدي في المقبض وقلت له وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي وهزرت المقبض فتحركت الصومعة فعجبوا من ذلك وأهل البصرة علي مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلي عندهم ولو جري مثل هذا بمشهد على أو مشهد الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلك فاعله لانهم رافضة غالية قال ابن جزى قد عاينت بمدينة برشانة من وادي المنصورة من بلاد الاندلس حاطها الله صومعة تهتز من غير أن يذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم وفي صومعة المسجد الاعظم بها وبنائها لبس بالقديم وهي كاحسن ما أنت راء من الصوامع حسن منظر واعتدالا وارتفاعا لا ميل فيها ولا زينج صعدت اليها مرة ومعى جماعة من الناس فاخذ بعضهم من كان معي بجوانب جامورها وهزوها فاهتزت حتى أشرت اليهم أن يكفوا فكفوا عن هزها (رجع)

— ذكر المشاهد المباركة بالبصرة —

فمنها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيما شديدا

وحق له ومنها مشهد الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته رضى الله عنهما وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لا بناء السبيل ومنها قبر حليلة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاة رضى الله عنها والى جانبها قبر ابنها رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبى بكره صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبة وعلى ستة أميال منها بقرب وادى السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته الا فى جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران ومنها قبر الحسن بن أبى الحسن البصري سيد التابعين رضى الله عنه ومنها قبر محمد بن سيرين رضى الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضى الله عنه ومنها قبر عتبة الغلام رضى الله عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضى الله عنه ومنها قبر حبيب العجمي رضى الله عنه ومنها قبر سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه وعلي كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته وذلك كله داخل السور القديم وهى اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال وبها سوى ذلك قبور الجمل الغفير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير البصرة حين ورودى عليها يسمى بركن الدين العجمي التوريزى أضافني فاحسن الى والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ماهو بوادى سلا من بلاد المغرب وسواها الخليج المالح الخارج من بحرفارس على عشرة أميال منها فاذا كان المد غلب الماء المالح على العذب واذا كان الجزر غلب الماء الحلو على المالح فيستسقي أهل البصرة الماء لدورهم ولذلك يقال ان ماءهم زعاق قال ابن جزري وبسبب ذلك كان هواه البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدي الصاحب اترجة (سريع)

لله أن ترج غدا بيننا * معبرا عن حال ذى عبرة

لما كسا الله ثياب الضنا * أهل الهوى وساكني البصرة

(رجع) ثم ركب من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير الى الابلّة وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والبياعة في ظلال الاشجار يديمون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه وفيما بين البصرة والابلّة متعبد سهل بن عبد الله التستري فاذا احاذاه الناس بالسفن تراهم يشرّبون الماء مما يحاذيه من الوادى ويدعون عند ذلك تبركا بهذا الولي رضى الله عنه والنواة يعرفون في هذه البلاد وهم قيام وكانت الابلّة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخرت وهي الآن

قرية بها آثار قصور وغير هادالة على عظمها ثم ركبنا في الخليج الخارج من بحر فارس في مركب صغير لرجل من أهل الابله يسمى بمغاسم وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا عبادان وهي قرية كبيرة في سبخة لا عمارة بها وفيها مساجد كثيرة ومتعبدات وورباطات للصالحين وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزي عبادان كانت بلدًا فيها تقدم وهي محبوبة لازرع بها وانما يحلب اليها والماء أيضا بها قليل وقد قال فيها بعض الشعراء (سريبع)

من مبلغ اندلسا اني * حلت عبادان أقصى الثرا

أوحش ما بصرت لكنني * قصدت فيها ذكرها في الوري

الخبز فيها يتهدونه * وشربة الماء بها تشتري

(رجع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة الى الخضر والياس عليهما السلام وبارائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء باولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكركم أهل هذه الزاوية ان عبادان عابدا كبيرا القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهرًا ثم لا يري الا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لي شأن الا طلبه فاشتغل من كان معي بالصلاة في المساجد والمتعبدات وانطلقت طاللة فجئت مسجدا خربا فوجدته يصلي فيه فجلست في جانبه فاوجز في صلاته ولما سلم أخذ يبدى وقال لي بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الارض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه وبقيت الاخري والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزته وبلوغ المراد من دخول الجنة ولما أتيت أصحابي أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خبر فعجبوا من شأنه وعدنا بالعيش الى الزاوية فبقينا بها ودخل علينا أحد الفقراء الاربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الفقير أن يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج مساجدها ثم يعود الى زاويته فلما وصل الى عبادان وجد الرجل العابد فاعطاه سمكة طرية وقال له اوصل هذه الى الضيف الذي قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له أنا رأيته فقال يقول لك هذه ضيافتك فشكرت الله علي ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فاكلنا منها اجمعون وما أكلت قط سمكا أطيب منها وهجس في خاطري الإقامة ببقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس الى جرج عن ذلك ثم ركبنا البحر عند الصبح بقصد بلدة ماجول ومن عادتي في سفري أن لا أعود على طريق

سلكتها ما أمكنني ذلك وكنت احب قصد بغداد العراق فاشار على بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ثم الى عراق العجم ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام الى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيها معقودة وهى صغيرة على ساحل هذا الخليج الذى ذكرنا انه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لاشجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة من أكبر الاسواق وأقمت بها يوما واحدا ثم اكرت دابة لركوبي من الذين يجلبون الحبوب من رامز الى ماجول وسرنا ثلاثا فى صحراء يسكنها الاكراد فى بيوت الشعر ويقال ان أصلهم من العرب ثم وصلنا الى مدينة رامز وأول حروفها (راء) وآخرها زاي وميمها مكسورة وهى مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلنا بها عند القاضي حسام الدين محمود ولقيت عنده رجلا من أهل العلم والدين والورع هندى الاصل يدعى بهاء الدين ويسمى اسماعيل وهو من أولاد الشيخ بهاء الدين أبى زكريا الملتانى وقرأ على مشايخ توريث وغيرها وأقمت بمدينة رامز ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثا فى بسيط فيه قرى يسكنها الاكراد وفى كل مرحلة منها زاوية فيها للوارد الخبز واللحم والحلواء وحلواؤهم من رب العنب مخلوط بالذقيق والسمن وفى كل زاوية الشيخ والامام والمؤذنون والخدام للفقراء والعبيد والخدام يطبخون الطعام ثم وصلت الى مدينة تستر وهى آخر البسيط من بلادنا بك وأول الجبال مدينة كبيرة رائقة نظرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها الحاسن البارة والاسواق الجامعة وهى قديمة البناء افتتحها خالد بن الوليد ووالى هذه المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالازرق وهو عجيب فى نهاية من الصفا شديد البرودة فى أيام الحر ولم أر كزرقته الا نهر باخشان ولها باب واحد للمسافرين يسمى دروازة دسبول والدروازة عندهم الباب ولها ابواب غير هشارعة الى النهر وعلى جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب كجسر بغداد والحلة قال ابن جزى وفى هذا النهر يقول بعضهم

(كامل)

انظر لشاذر وان تستر واعجب * من جمعه ماء لرى بلاده

كبت قوم جمعت امواله * فغدا يفرقه على اجناده

والفواكه تستر كثيرة والخيرات متيسرة غزيرة ولا مثل لاسواقها فى الحسن وبخارجها تربة معظمة يقصدها اهل تلك الاقطار للزيارة وينذرون لها النذور ولها زاوية بها جماعة من الفقراء وهم يزعمون انها تربة زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب وكان

نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتفنن شرف الدين موسى ابن الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والايتار وله مدرسة وزاوية وخدامها فتيان لاربعة سنبل وكافور وجوهر وسرور اخدم موكل باوقاف الزاوية والثاني متصرف فيما يحتاج اليه من النفقات في كل يوم والثالث خديم السماط بين ايدي الواردين ومرتب الطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسقائين والفراشين فاقت عنده ستة عشر يوماً فلم أرا عجب من ترتيبه ولا أرعد من طعامه يقدم بين يدي الرجل ما يكفي الاربعة من طعام الارز المفلفل المطبوخ في السمن والدجاج المقلّى والخبز والاحم والحلواء وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبرائها وأتى الفقراء من كل ناحية فاطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيباً وواعظاً بعد أن قرأ القرأ امامه بالثلاثين المبكية والنغمات المحركة المهيجة وخطب خطبة بسكينة ووقار وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها الى الواعظ فيجيب عنها فلما رمي اليه بتلك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بابدع جواب واحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر التائبون فاخذ عليهم العهد وجزوا صبيهم وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر

— حكاية —

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمى وهذه البلاد يحم داخلها في زمان الحركا يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثيرة المياها والفواكه وأصابت الحمى أصحابي أيضاً فمات منهم شيخ اسمه يحيى الخراساني وقام الشيخ بتجهيزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وتركت بها صاحباً لي يدعى بهاء الدين الخثني فمات بعد سفرى وكنت حين مرضى لا اشتهى الاطعمه التي تصنع لي بمدرسته فذكر لي الفقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعاماً فاشتهيته ودفعت له دراهم وطبخ لي ذلك الطعام بأسوق وأتي به الي فاكلت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأتى الي وقال لي كيف تفعل هذا وتطبخ الطعام

في السوق وهلا أمرت الخدم أن يصنعوا لك ما اشتيتته ثم أحضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلب منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فاتوا اليه به وأطبخوا له ما يشاءه وأكدها بهم في ذلك أشد النار كيذ جزاه الله خيراً ثم سافروا من مدينة تستر ثلاثاً في جبال شاذة وبكل منزل زاوية كما تقدم ذكر ذلك ووصلنا إلى مدينة إينج (وضبط اسمها بكسر الهمزة و ياء مدّ وذال معجم مفتوح وجيم) وتسمى أيضاً مال الأمير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي إليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الورع نور الدين الكرمانلي وله النظر في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدوً وأرغشياً فأكرمني وأضافني وأنزلي زاوية تعرف باسم الدينوري وأقمت بها أياماً وكان وصولي في أيام القيظ وكنا نصلي صلاة الليل ثم ننام على سطحها ثم نزل إلى الزاوية ضحوة وكان في صحبتي اثنا عشر فقيراً منهم امام وقارئان مجيدين وخدام ونحن على أحسن ترتيب

— ذكر ملك إينج وتستر —

وملك إينج في عهد دخولي إليها السلطان أتابك افراسياب ابن السلطان أتابك أحمد وأتابك عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك وتسمى هذه البلاد بلاد الاور وولى هذه السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولى يوسف بعد أبيه أتابك أحمد وكان أحمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثقة ببلاده أنه عمر أربعاً وثلاثين زاوية ببلاده منها بحضرة إينج أربع وأربعون وقسم خراج بلاده اثلاثاً فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس والثلث منه لمرتب العساكر والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدامه وبيعته منه هدية لملك العراق في كل سنة وربما وفد عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة ببلاده أن أكثرها في جبال شاذة وقد نحتت الطرق في الصخور والحجارة وسويت ووسعت بحيث تصعد بها الدواب بأحمالها وطول هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل بعضها ببعض تشقق الانهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيقه الخبز في كل منزل من منازل زاوية يسمونها المدرسة فاذا وصل المسافر إلى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والعلف لدابته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فان عادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعد من نزل به عن الناس ويعطى كل واحد منهم قرصين من الخبز ولحماً وحلواء وكل ذلك من أوقاف السلطان عليها وكان السلطان أتابك أحمد زاهداً صالحاً كما ذكرناه يلبس تحت

قدم السلطان أتابك أحمد مرة على ملك العراق أبي سعيد فقال له بعض خواصه ان أتابك يدخل عليك وعليه الدرع وظن ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعا فامرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقته فدخل عليه يوما فقام اليه الامير الجوبان عظيم أمراء العراق والامير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامسكوا ثيابا به كانهم يمازحونه وبضا حكو نه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر وراه السلطان أبو سعيد وقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه وقال له سن آطا ومعناه بالتركه أنت أبي وعوضه عن هديته باضعافها وكتب له اليرليغ وهو الظهير أن لا يطالبه بهدية بعدها هو ولا أولاده وفي تلك السنة توفي وولى ابنه أتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولى أخوه أفراسياب ولما دخلت مدينة إندج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم يأت لي ذلك بسبب أنه لا يخرج الا يوم الجمعة لادمانه على الخمر وكان له ابن هو ولى عهده وليس له سواه فحرض في تلك الايام ولما كان في إحدى الليالي أتاني أحد خدامه وسألني عن حالي فعرفته وذهب عني ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبير ان أحدها بالطعام والآخر بالفاكهة وخر بطة فيها دراهم ومعه أهل السماع بالآتهم فقال اعملوا السماع حتى يرهج الفقراء ويدعون لابن السلطان فقلت له ان أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعونا نسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولما كان نصف الليل سمعنا الصراخ والنواح وقد مات المريض المذكور ولما كان من الغد دخل علي شيخ الزاوية وأهل البلد وقالوا ان كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والاشراف والامراء قد ذهبوا الى دار السلطان للعزاء فينبغي لك ان تذهب في جملتهم فايبت عن ذلك فعزموا على فلم يكن لي بد من المسير فسمرت معهم فوجدت مشوردار السلطان ممثلا رجلا وصيبا نامن المالك وأبناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا التلايس وجلال الدواب وجعلوا فوق رؤسهم التراب والتبن وبعضهم قد جازنا صيته وانقسموا فرفقين فرقة باعلى المشور وفرقة بأسفله وتزحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلون خوندكار ما ومعناه مولاي أنا (مولانا) فأريت من ذلك أمرا هائلا وسنظر افضيه ألم أعهد مثله

— حكاية —

ومن غريب ما اتفق لي يؤمئذ اني دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرقاء قد استندوا على حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين بك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق ثيابهم ثيابا خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوها محايلى أجسادهم وعلي رأس كل واحد منهم قطعة خرقه أو مئزر أسود وهكذا يكون

فعلهم الى تمام أربعين يوما وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلما رأيت جهات المشور غاصة بالناس نظرت يمينا وشمالا أرتاد موضعا لجلوسى فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الارض بمقدار شبر وفي احدي زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والتلج وفي الاسفار فتقدمت الى حيث الرجل وانقطع عني أصحابي لما رأوا اقدامي تحوّه وعجبوا مني وأنا لا أعلم عندي بشيء من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل غرد على السلام وارتفع عن الارض كأنه يريد القيام وهم يسمون ذلك نصف القيام وقعدت في الركن المقابل لهم نظرت الى اللباس وقد رموني بإبصارهم جميعا فميجبت منهم ورأيت الفقهاء والمشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد القضاة ان انحط الى جانبه فلم أفعل وحينئذ استشعرت انه السلطان فلما كان بعد ساعة أتني شيخ المشايخ نور الدين الكرمانى الذي ذكرناه قبل فصعد الى السقيفة وسلم على الرجل فقام اليه وجلس فيما بيني وبينه فحينئذ علمت ان الرجل هو السلطان ثم جرى بالجنائز وهي بين أشجار الارج والليمون والمارنج وقد ملؤا أغصانها بثمارها والأشجار بابدى الرجال فكان الجنائز تمشى في بستان والمشاغل في رماح طوال بين يديها والشمع كذلك فصلى عليها وذهبت الناس معها الى مدفن الملوك وهو بموضع يقال له هلافجان على أربعة أميال من المدينة وهنالك مدرسة عظيمة يشقها النهر وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمام ويحف بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد والصادر ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجنائز لبعدها لموضع فعدت الى المدرسة فلما كان بعد أيام بعث الى السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة أولا يدعوني اليه فذهبت معه الى باب يعرف بباب السر وصعدنا في درج كثيرة الى ان انتهينا الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه من الحزن والسلطان جالس فوق مخدة وبين يديه آئيتان قد غطيتا احداها من الذهب والاخرى من الفضة وكانت بالجلوس سجادة خضراء فقرشت لى بالقرب منه وقعدت عليها وليس بالجلوس الاحاجبه الفقيه محمود ونديمه لأعرف اسمه فسألني عن حالى وبلادى وسألني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فاجبته عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لى السلطان هذا مولانا فضيل والفقيه ببلاد الاعاجم كلها انما يخاطب مولانا وبذلك يدعوه السلطان وسواه ثم أخذ في الثناء على الفقيه المذكور وظهر لى ان السكر غالب عليه وكنت قد عرفت لإدمانه على الخمر ثم قال لى باللسان العربى وكان يحسنه تكلم

فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أنا بك أحمد المشهور
بالصلاح والزهد وليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا وأشرت الى الآيتين فخجل
من كلامي وسكت وأردت الانصراف فامرني بالجلوس وقال لي الاجتماع مع أمثالك
رحمة ثم رأيته يتأيل ويريد النوم فانصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أجده فنزل
الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس فوجده في طاق هنالك
فأتى الى به فاخجلني بره واعتذرت اليه فقبل نعلي حينئذ ووضعته على رأسه وقال لي
بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد أن يقول له غيرك والله اني لارجو
أن يؤثر ذلك فيه ثم كان رحيلي من حضرة إيدج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين التي
بها قبورهم وأقيمت بها أياما وبعثت الى السلطان بجملة دنائير وبعث بمثل المصحف وسافرنا
في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شاذة وفي كل ليلة نزل بمدرسة فيها الطعام
فمنها ماهو في العمارة ومنها مالا عمارة حوله ولكن يجلب اليها جميع ما يحتاج اليه وفي اليوم
العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كروالرخ وهي آخر بلاد هذا الملك وسافرنا منها
في بسيط من الارض كثير المياه من عمالة مدينة أصفهان ثم وصلنا الى بلدة أشتركان
(وضبط اسمها بضم الهمزة واسكان الشين المعجم وضم التاء المعلقة واسكان الراء وآخره
نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد يدعى يشقه النهر ثم رحلنا منها
الى مدينة فيروزان واسمها كانه ثمنية فيروز وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين
وصلنا بها بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا لتشييع جنازة وقد أوقدوا خلفها
وأمامها المشاعل واتبعوها بالزمامير والمغنيين بأنواع الاغانى المطربة فمعجبنا من شأنهم وبقنا
بها ليلة ومررنا بالبعد بقرية يقال لها نبلان وهي كبيرة على نهر عظيم والى جانبه مسجد
في النهاية من الحسن يصعد اليه في درج وتحفه البساتين وسرنا يوما فيما بين البساتين والمياه
والقرى الحسان الكثيرة أبراج الحمام ووصلنا بعد العصر الى مدينة أصفهان من عراق
العجم (واسمها يقال بالقاء الخالصه ويقال بالقاء المعقودة المفخمة) ومدينة أصفهان من كبار
المدن وحسانها الا أنها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنة
والروافض وهي متصلة بينهم حتي الآن فلا يزالون في قتال وبها الفواكه الكثيرة ومنها
المشمش الذي لا نظير له يسمونه بقمر الدين وهم يبيسونه وبدخرونه ونواه ينكسرون لوزحلو
ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المظم وعظم الجرم والاعناب الطيبة والبطيخ
العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله الا ما كان من بطيخ بخارى وخوارزم وقشره

أخضر وداخله أحمر ويدخر كما تدخر الشريحة بالمغرب وله حلل وشدبدة ومن لم يكن ألف أكله فانه في أول أمره يسهله وكذلك اتفق لي لما أكلته باصفهان وأهل أصفهان حسان الصور وألوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحمرة والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة وربما دعا أحدهم صاحبه فيقول له اذهب معي لنا كل نان وماس والنان بلسانهم الخبز والماس اللبن فاذا ذهب معه أطعمه أنواع الطعام العجيب مباهايله بذلك وأهل كل صناعة يقدمون على انفسهم كثيرا منهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبان الاعزاب وتفاخر تلك الجماعات ويضيف بعضهم بعضا مظهرين لما قدروا عليه من الامكان محتفلين في الاطعمة وسواها الاحتفال العظيم ولقد ذكر لي ان طائفة منهم أضاعت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع ثم أضأفتها الاخرى فطبخوا طعامهم بالحريز وكان نزولي باصفهان في زاوية تنسب للشيخ علي بن سهل تلميذ الجنيد وهي معظمة يقدّمها أهل تلك الآفاق ويتبركون بزيارتها وفيها الطعام للوارد والصادر وروائح عجيبة مفروشة بالخام وحيطانه بالقاشاني وهو موقوف في السبيل لا يلزم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين حسين ابن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن محمود بن علي المعروف بالرجاء واخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أمت عند الشيخ قطب الدين بهذه الزاوية الراجعة عشر يوما فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبسه في الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه العجب وبائع في اكرامي واحسن ضيافتي وكساني كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية بعث الى بالطعام وثلاث بطيخات من البطيخ الذي وصفناه آنفا ولم اكن رأيت قبل ولا اكلته — كرامة لهذا الشيخ —

دخل على يوما بموضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم ونشرت في البستان ورأيت في حملتها جبة بيضاء مبطنة تدعى عندهم هزر ميخي فاعجبتي وقلت في نفسي مثل هذه كنت اريد فلما دخل على الشيخ نظرت في ناحية البستان وقال لبعض خدامه اثني بذلك الثوب الهزرميخي فاتوا به فكساني اياه فاهويت الى قدميه اقبلهما وطلبت منه ان يلبسني طاقية من رأسه ويجزني في ذلك بما اجازاه والده عن شيوخه فالبسني اياه في الرابع عشر لجمادى الاخرة سنة سبع وعشرين وسبع مائة بزأوته المذكورة كما لبس من والده شمس الدين ولبس والده من أبيه تاج الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجاء ولبس على من الامام

شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي وليس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد من الشيخ اخي فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام محمد الدينوري ولبس محمد من الشيخ الحقيق علي بن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الجنيد ولبس الجنيد من سري السقطي ولبس سري السقطي من داود الطائي ولبس داود من الحسن بن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال ابن جزى هكذا اورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سريا السقطي صاحب معروف الكرخي وصاحب معروف داود الطائي وكذلك داود الطائي ينسب بين الحسن حبيب العجمي واخو فرج الزنجاني انما المعروف انه صاحب باب العباس النها وندي وصاحب النها وندي ابا عبد الله بن خفيف وصاحب ابن خفيف ابا محمد روميا وصاحب روميا بالعالسم الجنيد وأما محمد بن عبد الله عمويه فهو الذي صاحب الشيخ أحمد الدينوري الاسود ولبس بينهما احد والله اعلم والذي صاحب اخا فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والدا أبي النجيب (رجع) ثم سافرا من اصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد بن بشيراز وبينهما مسيرة عشرة ايام فوصلنا الى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مد) وبينهما وبين اصفهان مسيرة ثلاثة وهي بلدة صغيرة ذات انهار وبساتين وفواكد رأيت التفاح يباع في سوقها خمسة عشر رطلا عراوية بدرهم ودرهم ثلث النقرة ونزلنا منها زاوية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بنواجه كافي وله مال عريض قد أعانه الله على انفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لا بناء السبيل ثم سرنا من كليل يومين ووصلنا الى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زاوية فيها الطعام للوارد والصادر عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرنا منها الى يزدا (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاي وضم الدال المهمل وخاء معجم وألف وصاد مهمل) بلدة صغيرة متقنة العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالحجارة مسقف بها والبلدة علي ضفة خندق فيه بساتينها ومياها ويخارجها رباط ينزل به المسافرون عليه باب حديد وهو في النهاية من الحصانة والمنع وبداخله حوانيت يباع فيها كل ما يحتاجه المسافرون وهذا الرباط عمره الامير محمد شاه ينجو والد السلطان أبي اسحاق هلاك شيراز في يزدا خاص يصنع الخين اليزدا ولا نظيره في طيبة وزن الجنة منه

من اوقيتين الى اربع ثم سرنا منها على طريق دشت الروم وهي صحراء يسكنها الانراك
ثم سافرنا الى ماين (واسمها بياين مسفواتين اولاهما مكسورة) وهي بلدة صغيرة
كثيرة الانهار والبساتين حسنة الاسواق وأكثر أشجارها الجوز ثم سافرنا منها الى مدينة
شيراز وهي مدينة أصلية البناء فسيحة الارعاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها البساتين
الموئقة والانهار المتدفقة والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهي كثيرة العمارة متقنة
المباني عجيبة الترتيب وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم وأهلها حساس الصور
نظاف الملابس وليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها
وأنهارها وحسن صورساكنيها إلا شيراز وهي في بساط من الارض تحفها البساتين
من جميع الجهات وتشقق خمسة أنهار أحدها النهر المعروف بركن آباد وهو عذب الماء
شديد البرودة في الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى
القلعة ومسجدها الاعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها
بناء وصحنه متسع مفروش بالمرمر يغسل في أوان الحرك ليلة ويجتمع فيه كبار أهل
المدينة كل عشية ويصلون به المغرب والعشاء وشماله باب يعرف بباب حسن يقضى الى
سوق الفاكه وهي من أبداع الاسواق وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البر بد من دمشق
وأهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نسائها وهن يلبسن الخفاف ويخرجن
ملتحفات متبرقات فلا يظهر منهن شيء ولهن الصدقات والايثار ومن غريب حالهن انهن
يجتمعن لسماع الواعظ في كل يوم اثنين وخميس وجهة بالجامع الاعظم فرما اجتمع منهن
الالف والالفان بأيديهن المراوح يروحن بها على انفسهن من شدة الحر ولم ار اجتماع
النساء في مثل عددهن في بلدة من البلاد وعند دخولي الى مدينة شيراز لم يكن لي هم
الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الاولياء فريد الدهر ذى الكرامات الظاهرة مجد
الدين اسماعيل بن محمد بن خداداد ومعنى خداداد عطية الله فوصلت الى المدرسة المجيدة
المنسوبة اليه وبها سكناته وهي من عمارته دخلت اليه رابع أربع من أصحابي ووجدته
الفقهاء وكبار أهل المدينة في انتظاره فخرج الى صلاة العصر ومعهم حب الدين وعلاء الدين
ابنا أخيه شقيقه روح الدين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهما نائبا في القضاء لضعف
بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعانقني وأخذ بيدي الى أن وصل الى مصلاه فأرسل يدي
وأومأ الى أن أصلي الى جانبه فقامت وصلى صلاة العصر ثم قرأ بين يديه من كتاب
المصاييح وشوارق الانوار للصاغاني وطالعاها نائبا بما جرى لديهم من القضاء وتقدم كبار

المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحاً ومساءً ثم سألتني عن حالي وكيفية قدومي
 هو سألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فانزلوني بدويرة
 صغيرة بالمدرسة وفي غذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد
 وهو ناصر الدين الندرقندي من كبار الامراء خراساني الاصل فعند وصوله اليه نزع
 شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا وقيل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكاً اذن
 نفسه بيده وهكذا فعل أمراء التتار عند ملوكهم وكان هذا الامر قد قدم في نحو خمسائة
 فارس من مماليكهم وخدامه وأصحابه ونزل خارج المدينة ودخل الى القاضي في خمسة نفر
 ودخل مجلسه وحده منفرداً نادياً

— حكاية هي السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة —

كان ملك العراق السلطان محمد خدا بنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية
 يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه التتر زاد في تعظيم
 هذا الفقيه فزبن له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة
 وقرر لديه ان أبابكر وعمر كاوزيرين لرسول الله وان علياً ابن عمه وصهره فهو وارث
 الخلافة ومثل لذلك بما هو مأثوف عنده من ان الملك الذي بيده انما هو وارث عن
 أجداده وأقاربه مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر
 السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك الى العراقيين وفارس واذر بيجان واصفهان
 وكرمان وخراسان وبعث الرسل الى البلاد فكان أول بلاد وصل اليها ذلك بغداد وشيراز
 واصفهان قائماً أهل بغداد فامتنع أهل باب الازج منهم وهم أهل السنة وأكثرهم على
 مذهب الامام أحمد بن حنبل وقالوا لا نسمع ولا طاعة وأتوا المسجد الجامع يوم الجمعة في
 السلاح وهدروا رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا اليه وهم نحو اثني عشر ألفاً في
 سلاحهم وهم حاة بغداد والمشار اليهم فيها خلفوا له انه ان غير الخطبة المعتادة أوزاد فيها
 أو نقص منها فانهم قاتلوه وقتلوه رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله وكان
 السلطان أمراً بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر الا اسم علي
 ومن تبعه كعبار رضى الله عنهم خاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل
 أهل شيراز واصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل الى الملك فأخبروه بما جرى في
 ذلك فأمر أن يؤتي بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أتى به منهم القاضي محمد الدين
 قاضي شيراز والسلطان اذذاك في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل

القاضي أمر أن يرمي به الى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل
معدة لا كل بني آدم فاذا أوفى بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا غير
مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفر امامها ولا مفرله فتدركه فتمزقه وتاكل لحمه فلما
أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت اليه بصبغت اليه وحركت أذناها بين
يديه ولم تهجم عليه بشيء فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فاكب على
رجلي القاضي يقبلهما وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم
كرامات السلطان عندهم واذا خلع ثيابه كذلك علي أحدكأنت شرفا له ولبنيه وأعقاب
ثمرات ثونسادات تلك الثياب أوشي منها وأعظمها في ذلك السراويل ولما خلع السلطان
ثيابه على القاضي مجد الدين أخذ بيده وأدخله الى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به
ورجع السلطان عن مذهب الرافض وكتب الى بلادهم ان يقر الناس على مذهب أهل
السنة والجماعة وأجرل العطاء للقاضي وصرفه الى بلاده مكرما معظما وأعطاه في جملة
عطاياه مائة قرية من نرى جمكان وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخا
يشقه نهر عظيم والقرى منتظمة بجانبه وهو أحسن موضع بشيراز ومن قرأه العظيمة
التي تضاهي المدن قرية ميمن وهي للقاضي المذكور ومن عجائب هذا الموضع المعروف
بجمكان ان نصفه مما يلي شيراز وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديد البرد وينزل فيه
الثلج وأكثر شجره الجوز والنصف الآخر مما يلي بلاد هنج وبال وبلاد اللار في طريق
هرمز شديد الحروفية شجر النخيل وقد تكرر لي لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين
خروجه من الهند قصدته من هرمز متبركا بلقائه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هرمز
وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت عليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت
عليه فعرفني وقام الى فعانقني ووقعت يدي على مرفقه وجده لاصق بالعظم لالحم بينهما
وأنزلي بالمدرسة حيث أنزلي أول مرة وزرته يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أبا
اسحاق وسيقع ذكره قاعدا بين يديه ممسكا باذن نفسه وذلك هو غاية الادب عندهم
ويفعله الناس اذا قعدوا بين يدي الملك وأنته مرة أخرى الى المدرسة فوجدت بابها مسدودا
فسالت عن سبب ذلك فاخبرت ان أم السلطان وأخته نشأت بينهما خصومة في ميراث
فصرهما الى القاضي مجد الدين فوصلنا اليه الى المدرسة وتحاكما عنده وفصل بينهما بواجب
الشرع وأهل شدعونه ازالا يبر بالقاضي وانما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكسبون في
التسجيلات والعقود التي تفتقر الى ذكر اسمه فيها وكان آخر عهدى به في شهر ربيع

الثاني من عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولاحت على أنواره وظهرت لى بركانته نفع الله به وبأمثاله
— ذكر سلطان شيراز —

وسلطان شيراز فى عهد قدومى عليها الملك الفاضل أبواسحاق بن محمد شاه ينجو سباه أبوه
باسم الشيخ أبى اسحاق الكازرونى نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة
والسيرة والهيئة كرم النفس جميل الاخلاق متواضع صاحب قوة وملك كبير وعسكره
يذيف على خمسين ألفا من الترك والاعاجم وبطانته الادنون اليه أهل اصفهان وهو لا ياتمن
أهل شيراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لاحد منهم حمل السلاح لانهم
أهل نجدة وبأس شديد وجراءة على الملوك ومن وجد يديه السلاح منهم عوقب ولقد
شاهدت مرة رجلا تجره الجنادة وهم الشرط الى الحاكم وقد ربطوه فى عنقه فسالت عن
شانه فاخبرت انه وجدت فى يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور الى قهر أهل
شيراز وتفضيل الاصفهانيين عليهم لانهم لا يخافهم على نفسه وكان ابود محمد شاه ينجو واليا على
شيراز من قبل ملك العراق وكان حسن السيرة محبا الى أهلها فلما توفى ولى السلطان
ابوسعيد مكانه الشيخ حسينا وهو ابن الجوبان امير الامراء وسياق ذكره وبعث معه
العساكر الكثيرة فوصل الى شيراز وملكها وضبط مجاييها وهى من أعظم بلاد الله
مجي ذكر لى الحاج قوام الدين الطمغنجي وهو والى الحجى بها انه ضمنها بعشرة آلاف
دينار دراهم فى كل يوم وصرفها من ذهب المغرب الثمان وخمسمائة دينار ذهباً وأقام بها
الامير حسين مدة ثم أراد القدوم على ملك العراق فقبض على أبى اسحاق بن محمد
شاه ينجو وعلى أخويه ركن الدين ومسعود بك وعلى والدته طاش خاتون واراد حملهم
الى العراق ليطلبوا باموال ايهم فلما توسطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها
وكانت متبرقة حياء ان ترى فى تلك الحال فان عادة نساء الاتراك أن لا يغطين وجوههن
واستغاثت باهل شيراز وقالت أهكذبا أهل شيراز أخرج من بينكم وأنا فلانة زوجة
فلان فقام رجل من التجار ين سمي بهـ لو ان محمود قد رأته بالسوق حين قدومى على
شيراز فقال لا نتركها نخرج من بلدنا ولا نرضي بذلك فتابعه الناس على قوله وثارَت عامتهم
ودخلوا فى السلاح وقتلوا كثير من العسكر واخذوا الاموال وخلصوا المرأة وأولادها
وفر الامير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبى سعيد مهزوما فاعطاه العساكر الكثيفة
وأمره بالعود الى شيراز والتحكم فى أهلها بما شاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا انهم لا طاقة
لهم به فقصدا والقاضي مجد الدين وطلبوا منه ان يحقن دماء الفريقين ويوقع الصلح فخرج الى

الامير حسن فترجل له الامير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الامير حسين ذلك اليوم خارج المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في اجمال ترتيب وزينوا البلد وواقدوا الشمع الكثير ودخل الامير حسين في ابهة وحفل عظيم وسار فيهم باحسن سيرة فلما مات السلطان ابوسعيدوا نقرض عقبه وتغلب كل امير على ما بيده خافهم الامير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان ابواسحاق عليها وعلى اصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر واشتدت شوكرته وطمحت همته الى تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالاقرب منها وهي مدينة بزد مدينة حسنة نظيفة عجيبة الاسواق ذات أنهار مطردة وأشجار نضيرة وأهلها تجار شاعرية المذهب فحاصرها وتغلب عليها ومحصن الامير مظفر شاه ابن الامير محمد شاه ابن مظفر بقلعة على ستة أميال منها منيعة تحرق بها الرمال فحاصرها فظهر من الامير مظفر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان أبي اسحاق ليلا ويقتل ماشاء ويحرق المضارب والفساطيطو يعود الى قلعة فلا يقدر على النيل منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق خيله عشرة وعاد الى قلعة فامر السلطان أن تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون له الكائن ففعلوا ذلك وخرج على عادته في مائة من اصحابه فضرب على العسكر وأحاطت به الكائن وتلاحقت العساكر فقاتلهم وخلص الى قلعة ولم يصب من اصحابه الا واحد أتى به الى السلطان أبي اسحاق فخلع عليه وأطلقه وبعث معه أمانا لمظفر لينزل اليه فابى ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبة في قلب السلطان أبي اسحاق لما رأى من شجاعته فقال أر يد أن أراه فاذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليه فقال له السلطان انزل على الامان فقال له مظفر اني عاهدت الله أن لا أنزل اليك حتى تدخل أنت قلعتي وحينئذ أنزل اليك فقال له اعمل ذلك فدخل اليه السلطان في عشرة من اصحابه الخواص فلما وصل باب القلعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فادخله داره وأكل من طعامه ونزل معه الى الحلة راكباً فاجلسه السلطان الى جانبته وخلع عليه ثيابه وأعطاه مالا عظيماً ووقع الاتفاق بينهما ان تكون الخطبة باسم السلطان أبي اسحاق وتكون البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان الى بلاده وكان السلطان ابواسحاق طمع ذات مرة الى بناء ايوان كابوان كسرى وأمر أهل شيراز ان يقولوا حفر اساسه فاخذوا في ذلك وكان أهل كل صناعة يباهون كل من عداهم فاتهموا في المباهاة الى ان صنعوا القفاف لثقل التراب من الجلد وكسوها ثياب الحرير المزرکش وفعلوا

نحو ذلك في برازغ الدواب واخراجها وصنع بعضهم القوس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم ويربطون فوط الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم من منظرته وقد شاهدت هذا المبنى وقد ارتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع ولما بني أساسه رفع عن أهل المدينة الترخيم فيه وصارت القعلة تخدم فيه بالاجرة ويحضر لذلك آلاف منهم وسمعت إلى المدينة يقول ان معظم مجباها ينشق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الأمير جلال الدين بن الفلكي التوريزي وهو من الكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبي سعيد المسمي على شاه جيلان ولهذا الأمير جلال الدين الفلكي أخ فاضل اسمه هبة الله ويلقب بهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودى عليه ووفد معنا شرف الملك أمير نخت فتحلع ملك الهند علينا جميعاً وقدم كل واحد في شغل يليق به وعين لنا المرتب والاحسان وسند كرز ذلك وهذا السلطان أبواسحاق يريد التشبه بملك الهند المذكور في الايثار واجزال العطايا ولكن أين الثريا من الثري او اعظم ما تعرفنا من عطيات أبي اسحاق انه اعطى الشيخ زاده الخراساني الذي أتاه رسولا عن ملك هراة سبعين ألف دينار وأما ملك الهند فلم يزل يعطى اضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم

— حكاية —

ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين انه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروى الدار من سكان خوارزم يسمى بالا مير عبد الله بعثته الخاتون ترابك زوج الأمير قطلود مور صاحب خوارزم بهدية إلى ملك الهند المذكور فقبلها وكافاً عنها باضعافها وبعث ذلك اليها واختار رسولها المذكور الإقامة عنده فصيره في ندائه فلمسا كان ذات يوم قال له ادخل الى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع ان تحمله من الذهب فذهب الى داره فاتي بثلاث عشرة خريطة وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من أعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ولم يستطع النهوض فامر السلطان بوزن ما خرج به فكان جملة ثلاث عشرة مناجمان دهلي والمن الواحد منها خمسة وعشرون رطلا مصرية فامر ان ياخذ جميع ذلك فاخذه وذهب به

— حكاية تناسبها —

اشتكي مرة أمير نخت الملقب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدم ذكره آنفاً بحضرة ملك الهند فأتاه الملك عائدولاً دخل عليه اراد القيام فحلف له الملك أن لا ينزل عن كته والبكت هو السرير ووضع للسلطان متكأة يسمونها المورة فقعد عليها ثم دعا بالذهب والميزان فجيء بذلك وأمر المريض ان يقعد في احدى كفتي الميزان فقال ياخوند عالم

لوعلمت انك تفعل هذا للبيت على ثيابا كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب فلبس ثيابه المعدة للبرد المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة الاخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا فصدق به على رأسك وخرج عنه — حكاية تناسبها — وفد عليه الفقير عبد العزيز الاردوبلى وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق وتفقه فيه فجعل مرتبه مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون دينارا ذهباً وحضر مجلسه يوماً فماله السلطان عن حديث فسرده له أحاديث كثيرة في ذلك المعنى فاعجبه حفظه وحلف له برأسه أنه لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل الملك عن مجلسه فقبل قدميه وأمر بإحضار صينية من ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر أن يأتى فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فصمها عليه وقال هي لك من الصينية * ووفد عليه مرة رجل خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الاسفراينى وكان أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخلعاً * وسند كركثير آمن أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وإنما ذكرنا هذا لما قدمناه من أن السلطان أباً إسحق يريد التشبه به في العطايا وهو وإن كان كرمًا فاضلاً فلا يباحق بطبقة ملوك الهند في الكرم والسخاء — ذكر بعض المشاهد بشيراز —

فمنها مشهد أحمد بن موسى أخى على الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو مشهد معظم عند أهل شیراز يتبركون به ويتوسلون إلى الله تعالى بفضله وبنيت عليه طاش خاتون أم السلطان أبى اسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر والقراء يقرؤون القرآن على الترتيب دائماً ومن عادة الخاتون أنها تاتى إلى هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجتمع في تلك الليلة القضاة والعقهاء والشرفاء وشيراز من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقات أن الذين لهم بها المراتب من الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير ونقيبهم عضد الدين الحسينى فإذا حضر القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقرأ القراء بلاصوات الحسنة وأتى بالطعام والقواكه والحلوى فإذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك كله من بعد صلاة الظهر إلى العشي والخاتون في غرفة مظلة على المسجد لها شباك ثم تضرب الطبول والانتفاخ والبوقات على باب الترتيب كما يفعل عند أبواب الملوك * ومن المشاهد بها مشهد الامام القطب النولى أبى عبد الله بن خفيف المعروف عندهما الشيخ وهو قدوة بلاد فارس كلها ومشهده معظم عند همياتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به وقد رأيت القاضي مجد الدين أتاه زائرًا واستلمه وتاتي الخاتون إلى هذا المسجد

في كل ليلة جمعة وعليه زاوية ومدرسة ويجتمع به القضاة والعقهاء ويقعون به كفعلهم في مشهد
أحد بن موسى وقد حضرت الموضوعين جميعاً وتربة الأمير محمد شاه ينتجو والد السلطان أبي اسحاق
متصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الاولياء شهر المذكور وهو الذي
أظهر طريق جبل سرنديب بجزيرة سيلان من أرض الهند
— كرامة لهذا الشيخ —

يحكي أنه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فاصابهم مجاعة في طريق
الجبل حيث لا عمارة وتاهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ ان يأذن لهم في القبض على
بعض الفيلة الصغار وهي في ذلك المحل كثيرة جداً ومنه نحمل الى حضرة ملا الهند
فنهاهم الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدوا قول الشيخ وقبضوا على فيل صغير
منها وذكوه وأكلوا لحمه وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت الفيلة
من كل ناحية وأنت البهم فكانت تشم الرجل منهم وتفتله حتى أنت على جميعهم وشمّت
الشيخ ولم تتعرض له وأخذ فيل منها ولف عليه خرطوميه ورمى به على ظهره وأتى
به الموضع الذي فيه العمارة فلما رآه أهل تلك الناحية عجبوا منه واستقبلوه ليتعرفوا
أمره فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطوميه ووضعته عن ظهره الى الأرض بحيث يرويه
لخو إليه وتمسحوا به وذهبوا به الى ملكهم فعرّفوه خبره وهم كفار وأقام عندهم أياماً
وذلك الموضع على خور يسمى خور الخيزران والخور هو النهر وبذلك الموضع مغاص
الجوهر ويذكر ان الشيخ غاص في بعض تلك الايام بحضر ملكهم وخرج وقد ضم يديه
معاً وقال للملك اختزما في احداها فاخترما في المني فرمي اليه بما فيها وكانت ثلاثة أحجار
من الياقوت لا مثل لها وهي عند ملوككم في التاج يتوارثونها وقد دخلت جزيرة سيلان
هذه وهم مقيمون على الكفر الا أنهم يعظمون فقراء المسلمين ويؤوونهم الى دورهم
ويطعمونهم الطعام ويكونون في بيوتهم بين أهليهم وأولادهم خلافاً لسائر كفار الهند فانهم
لا يقرّبون المسلمين ولا يطعمونهم في آيتهم ولا يسقونهم فيها مع انهم لا يؤذونهم ولا
يهجونهم ولقد كنا نضطر الى ان يطبخ لنا بعضهم اللحم فيأتون به في قدورهم ويقعدون
على بعد منا ويأتون بأوراق الموز فيجعلون عليها الارز وهو طعامهم ويصبون عليه الكوشان
وهو الادام ويذهبون فنأكل منه وما فضل علمنا تأكله السكّالاب والطير وان أكل منه
الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه وأطعموه روث البقر وهو الذي يطهر ذلك في زعمهم ومن
المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح القطب روز جهان القبلى من كبار الاولياء وقبره في مسجد

جامع يخطب فيه وبذلك المسجد يصلي القاضي مجد الدين الذي تقدم ذكره رضي الله عنه وبهذا المسجد سمعت عليه كتاب مسند الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال أخبرتنا بوزيرة بنت عمر بن المنجأ قالت أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزبيدي قال أخبرنا بوزرة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال أخبرنا أبو الحسن المكي ابن محمد بن منصور بن علان العرضي قال أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي عن أبي العباس بن يعقوب الأصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام أبي عبد الله الشافعي وسمعت أيضا عن القاضي مجد الدين بهذا المسجد المذكور كتاب مشارق الانوار للامام رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني بحق سماعه له من الشيخ جلال الدين أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام نظام الدين محمود بن محمد بن عمر الهروي عن المصنف ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زركوب وعليه زاوية لاطعام الطعام وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها فان الرجل منهم يموت ولده أو وزوجه فيتخذله تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك ويفرش البيت بالحصير والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع للميت بابا الى ناحية الزقاق وشباك حديد يدخل منه القراء يقرؤون بالا صوات الحسان وليس في بعمور الارض أحسن أصواتا بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالترتبة ويفرشونها ويوقدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكر لي انهم يطبخون في كل يوم نصيب الميت من الطعام ويتصدقون به عنه

— حكاية —

مررت يوما ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجدا متقنا البناء جميل الفرش وفيه مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من المسجد زاوية فيها شباك مفتوح الى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين يديه مصحف يقرأ فيه فسامت عليه وجلست اليه فسالني عن مقدمي فاخبرته وسالته عن شأن هذا المسجد فاخبرني انه هو الذي عمره ووقف عليه اوقافا كثيرة للقراء وسواهم وان تلك الزاوية التي جلست اليه فيها هي موضع قبره ان قضى الله موته بتلك المدينة ثم رفع بساطا كان تحته والقبر مغطى عليه الواح خشب وأراني صندوقا كان بإزائه فقال في هذا الصندوق كفني وحنوطي ودبراهم كنت استاجرت بها نفسي في حفر بئر لرجل صالح فدفعت لي هذه الدراهم فتركتها لتكون نفقة مواراتي وما فضل منها يتصدق بها فعجبت من شأنه وأردت الانصراف فحلف علي وأضأني بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالاسعدي

وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمع في كلامه بالعربي وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلها بستان مليح وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع الشيخ هنالك أحواضا صغارا من المرمر لغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارته وياكلون من سباطه ويغسلون ثيابهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عنده رحمه الله وبمقربة من هذه الزاوية زاوية أخرى تتصل بهامدرسة مبنية على قبر شمس الدين السمناني وكان من الامراء الفقهاء ودفن هنالك بوصية منه بذلك وبمدينة شیراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين وأمره في الكرم عجيب وربما جاد بكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس مرقعة له فيدخل عليه كبراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه ومرتبته في كل يوم من السلطان خمسون دينارادراهم ثم كان خروجي من شیراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح أبي اسحاق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شیراز فنزلنا أول يوم ببلاد الشول وهم طائفة من الاعاجم يسكنون البرية وفيهم الصالحون — كرامة لبعضهم —

كنت يوما ببعض المساجد بشیراز وقد قعدت أتلو كتاب الله عز وجل إثر صلاة الظهر فخطر بخاطري انه لو كان لي مصحف كريم لتلوت فيه فدخل علي في اثناء ذلك شاب وقال لي بكلام قوي خذ فرفعت رأسي اليه فالتقي في حيجري مصحفا كريما وذهب عني ختمته ذلك اليوم قراءة وانتظرته لارده فلم يعد الي فسات عنه فقيل لي ذلك بهلول الشولي ولم أره بعد ووصلنا في عشي اليوم الثاني الى كازرون فقصدنا زاوية الشيخ أبي اسحاق نفع الله به وبتنا بها تلك الليلة ومن عادتهم أن يطعموا الواردا كئنا من كان من الهريسة المصنوعة من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرقاق ولا يتركون الوارد عليهم للسفر حتي يقيم في الضيافة ثلاثة أيام ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه وبذلك كرهها الشيخ للفقراء الملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم الاعزاب المتجردون فيختمون القرآن وبذلك يرون الذكرو ويدعون له عند صرح الشيخ أبي اسحاق فتقضي حاجته باذن الله وهذا الشيخ أبو اسحق معظم عند أهل الهند والصين ومن عادة ركاب بحر الصين انهم اذا تغير عليهم الهواء وخافوا اللصوص نذروا لابي اسحاق نذورا وكتب كل منهم على نفسه مандр فاذوا صلو ابر السلامة صعد خدام الزاوية الى المركب وأخذوا الزمام وقبضوا من كل ناذر نذره وامن مركب يأتي من الصين او الهند الاوفيه آلاف من الدنانير فياتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من ياتي طالبا

صدقة الشيخ فيكتب له أمر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضة فيضعون القلب في صبيغ أحمر ويلصقونه بالأمر فيبقى اثر الطابع فيه ويكون مضمنا ان من عنده نقد للشيخ أبي اسحق فليعط منه لفلان كذا فيكون الأمر بالالف والمائة وما بين ذلك ودونه على قدر الفقير فاذا وجد من عنده شيء من النذر قبض منه وكتب له رسما في ظهر الأمر بما قبضه ولقد نذر ملك الهند مرة للشيخ أبي اسحق بعشرة آلاف دينار فبلغ خبرها الى فقراء الزاوية فأتى أحدهم الى الهند وقبضها وانصرف بها الى الزاوية ثم سافروا من كازرون الى مدينة الزيد بن سميث بذلك لان فيها قبر زيد بن ثابت وقبر زيد بن أرقم الانصارين صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضي الله عنهما وهي مدينة حسنة كثيرة البساتين والمياه مليحة الاسواق عجيبة المساجد ولا هاهنا اصلاح وأمانة وديانة ومن أهلها القاضي نور الدين الزيداني وكان ورد على أهل الهند فولى القضاء منها بديعة المهمل وهي جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صالح وتزوج باخت هذا الملك وسياتي ذكره وذكر بنته خديجة التي تولت الملك بعده بهذه الجزائر وبها توفي القاضي نور الدين المذكور ثم سافروا منها الى الحوزاء بالزاي وهي مدينة صغيرة يسكنها العجم بينها وبين البصرة مسيرة أربع و بينها وبين الكوفة مسيرة خمس ومن أهلها الشيخ الصالح العابد جمال الدين الحوزاني شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ثم سافروا منها قاصدين الكوفة في ليلة لأماء بها الا في موضع واحد يسمى الطرفاوى وردناه في اليوم الثالث من سفرنا ثم وصلنا بعد اليوم الثاني من ورودنا عليه الى مدينة الكوفة

— مدينة الكوفة —

وهي إحدى مهمات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مشوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الان الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدو وان التي امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها فانهم يقطعون طرقها ولا سور عليها وبنائها بالآجر وأسواقها حسان وأكثربايع فيها الثمر والسمن وجامعها الاعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبعة قائمة على سوارى حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول وبهذا المسجد آثار كثيرة فمنها بيت ازاء الخراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان الخليل صلوات الله عليه كان له مصلي بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب علق عليه باعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهناك ضربه

الشيقي ابن ملجم والناس بقصدون الصلاة وفي الزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير
مخلق عليه ايضا باعواد الساج يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح
عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام وازاءه بيت
يزعمون أنه متعبد ادريس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء متصل بالجدار القبلي من
المسجد يقال انه موضع لإنشاء سفينة نوح عليه السلام وفي آخر هذا الفضاء دار على بن
أبي طالب رضى الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال ايضا انه بيت نوح
عليه السلام والله اعلم بصحة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد
اليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه وبقرية منه خارج المسجد قبر
عاتكة وسكينة بنت الحسين عليه السلام وأما قصر الامارة بالكوفة الذى بناه سعد بن
أبي وقاص رضى الله عنه فلم يبق منه الا أساسه والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ
في الجانب الشرقى منها وهو منتظم بمحاذات النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغيري
جبانة الكوفة موضعا مسودا شديدا للسواد في بسيط ابيض فاخبرت انه قبر الشيقي ابن ملجم
وان اهل الكوفة ياتون في كل سنة بالخطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة
أيام وعلى قرب منه قبة اخبرت انها على قبر المختار بن ابي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بئر ملاحه
وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلات بخارجها وكرهت دخولها لان اهلها روافض
ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها
ولها اسواق حسنة جامعة للبراقق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل
منتظمة بها داخلا وخارجا ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب
متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مر بوظة في كلا
الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها إمامية اثنا عشرية
وهم طائفتان احدهما تعرف بالاكراد والاخرى تعرف باهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة
والقتال قائم ابدًا وبقرية من السوق الاعظم بهذه المدينة مسجد على بابها سترحبر مسدول
وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من اهل
المدينة عليهم السلاح ويايديهم سيوف مشهورة فياتون امير المدينة بعد صلاة العصر
فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما او بغلة كذلك وبضر بون الطبول والافانوار والبوقات
إمام تلك الدابة يتقدمها خمسون منهم واتباعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها
وياتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله

ماخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أران خروجك فبفرق الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق والأطبال والأنفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الأمير أحمد بن رميثة بن أبي نجي أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة يحمد له أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافروا منها الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها انطعام للوارد والصادرو على باب الروضة بالحجاب والقومة لا يدخل أحد الا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من القصة وعلى الضريح المقدس قبائل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد رخيص وأولاد فئز ويدها القتال ابداءهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولاجل فتنةهم تحربت هذه المدينة ثم سافروا منها الى بغداد

— مدينة بغداد —

مدينة دار السلام . وحضرة الاسلام . ذات القدر الشريف . والفضل المنيف . مؤوي الخلفاء . ومقر العلماء . قال أبو الحسين بن حبيرضى الله عنه وهذه المدينة العتيقة وان لم تزَل حضرة الخلافة العباسية . ومثابة الدعوة الامامية القرشية . فقد ذهب رسمها . ولم يبق الا اسمها . وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النواصب اليها كالطلل الدارس . أو تمثال الخبال الشاخص . فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر . الا دجلتها التي هي بين شريقها وعربيهما كالمرآة الجلوة بين صفحتين . أو العقد المنتظم بين لبنتين . فهي تردها ولا تنظم . وتتطوع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ . والحسن الحريري بن هوائها ومائها ينشأ . قال ابن جزى وكان أباً تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل اليه أمرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعية * فليبكها لخرب الدهر باكية
كانت على مائها والحرب موقدة * والنار تطفأ حسناً في نواحيها
ترجى لها عودة في الدهر صالحة * فالآن أضمر منها الياس راجية
مثل المعجوز التي ولت شببتها * وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس في مدحها وذكر محاسنها فاطنوها * ووجدوا مكان القول ذاسعة فاطالوها
وأطابوها * وفيها قال الامام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالك البغدادي
وأشدني به والدي رحمه الله مرات (بسيط)

طيب الهواء ببغداد يشوقي * قربا اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواء من ممدود ومقصود
وفيها يقول أيضا رحمه الله تعالى ورضي عنه (طويل)

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها مني السلام المضاعف
فسواله ما فارقتها عن قلبي لها * واني بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبيها * ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت كخيل كنت أهوى دنوه * وأخلاقه تنائي به وتخالف
وفيها يقول أيضا مغاضبا لها وأشدني به والدي رحمه الله غير مامرة (بسيط)

بغداد دار لأهل المال واسعة * وللصعاليك دار الضنك والضييق
ظالت أمشي مضافا في أزقتها * كاني مصحف في بيت زنديق
وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن النديم من قصيدة (خفيف)
آنست بالبعراق بدرا منيرا * فطوت غيبتها وخاضت هجيرا
واستطابت ريانا سائما ببغدا * دفكادت لولا البيري ان تطيرا
ذكرت من مسارح الكرخ روضا * لم يزل ناضرا وماء نسييرا
واجتنت من ربا المحول نورا * واجتلت من مطالع التاج نورا
ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في احداقها
وبجاليها عند الفرات باوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كائنا * خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسى القداء لها فاني محاسن * في الدهر تشرق من سنا اشراقها
(رجع) ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة
والناس يعبرونهما ليلا ونهارا رجالا ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة وببغداد من المساجد
التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب
الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس إلا أنها خربت وحمامات بغداد

كثيرة وهي من أبداع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه انه رخام اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدأ به ويصير في جوانبها كالصلصال فيجرف منها ويحلب الى بغداد وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلى نصف حائطها بما يلي الأرض به والنصف الأعلى مطلى بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الانسان الخلوة منها مفرد لا يشاركه أحد الا ان أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً انبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثاً من القوط احداها يتربها عند دخوله والاخرى يتربها عند خروجه والاخرى ينشف به الماء عن جسده ولم أر هذا الا تقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقار بها في ذلك

— ذكر الجانب الغربي من بغداد —

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محلة كل محلة كانها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثمان منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي من المشاهدة قبر معروف الكرخي رضي الله عنه وهو في محلة باب البصرة وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا والى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

— ذكر الجانب الشرقي منها —

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها وفي آخره المدرسة المستنصرية ونسبتها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر ابن أمير المؤمنين الظاهر ابن أمير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الأربعة لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط وبقعد المدرس وعليه السكينة والقار لا يسا نيا

السواد معتماً وعلى يمينه و يساره معيدان يعيدان كل ما يليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة وهو والمتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومظاهر كثيرة للوضوء والغسل لفيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أباحفص عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة قال أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستاني قال أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن شعيب السنجرى الصوفى قال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي عن أبي محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي والجامع الثاني جامع السلطان وهو خارج البلد وتصل به قصور تنسب للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميلى — ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها —

وقبور الخلفاء العباسيين رضى الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فمنهم قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الامين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفى وقبر المقنن وقبر القاهر وقبر الراضى وقبر المتقي وقبر المستكنى وقبر المطيع لله وقبر الطائع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المفدى وقبر المستنجد وقبر المستضى وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه دخل التتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وسبعمائة وبقرب الرصافة قبر الامام أبي حنيفة رضى الله عنه وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وايس بمدينة بغداد اليوم زاوية بطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية تسبحان بميد الاشياء وغيرها وبالقرب منها قبر الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه ولاقبة عليه وبذكر انها بنيت على قبره مراراً فتمدمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظموا أكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي

بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سري السقطي وقبر بشر الخافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجنيد رضي الله عنهم أجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع وبغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وإنما يجلب إليها من الجهة الغربية لأن فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكره هاهنا

— ذكر سلطان العراقيين وخراسان —

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بها درخان وخان عندهم الملك (وبهادر بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره راء) ابن السلطان الجليل محمد خذا بنده وهو الذي أسلم من ملوك التتر وضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال إن اسمه خذا بنده (بخاء معجمة مضمومة وذال معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بباء موحدة مفتوحة ونون مسكنة ودال مهمل مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبد الله لأنه خذا بالفارسية اسم الله عز وجل وبنده ظلام أو عبد أو مافي معناهما وقيل إنما هو خربنده (بفتح الخاء المعجم وضم الراء المهمل) وتفسير خر بالفارسية الحمار فعناه على هذا غلام الحمار فشد ما بين القولين من الخلاف على أن هذا الأخير هو المشهور وكان الأول غيره إليه من تعصب وقيل إن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمونه خربنده فسمي به وأخو خربنده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازغان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لأنه لما ولد دخلت الجارية معها القدر وخذا بنده هو الذي أسلم وقد ناقضته وكيف أراد أن يحمل الناس لما أسلم على الرضى وقصة القاضي مجد الدين معه ولما مات ولي الملك ولده أبو سعيد بها درخان وكان ملكاً كافضاً لا كريماً ملكاً وهو صغير السن ورأيت ببغداد وهو شاب أجمل خلق الله صورة لانات بعرضيه ووزيره اذ ذاك الامير غياث الدين محمد بن خواجهر رشيد وكان ابوه من مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خذا بنده والد أبي سعيد رأيتهما يوماً محرقة في الدجلة وتسمى عندهم الشيارة وهي شبه سلورة وبين يديه دمشق خواجهر ابن الامير جويان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شباركان فيهما أهل الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم أنه تعرض لجماعة من العميان فشكوا ضعف حائلهم فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده

ونفقة تجرى عليه ولما ولي السلطان أبوسعيد وهو صغير كما ذكرناه استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان وحجّر عليه التصرفات حتى لم يكن يسده من الملك الا الاسم وبذكرانه احتاج في بعض الاعياد الى نفقة ينفقها فلم يكن له سبيل اليها فبعث الى أحد التجار فاعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك الى ان دخلت عليه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهى أمر دمشق خواجه بن الجوبان أن يقتك بحرم أبيك وانه بات البارحة عند طغى خاتون وقد بعث الى وقال لي الليلة أبيت عندك وما الرأي إلا أن نجتمع الأمراء والعساكر فاذ صعد الى القلعة مخفيا برسم المبيت أمكنك القبض عليه وابوه بكفي الله أمره وكان الجوبان اذذاك غائبا بخراسان فغلته الغيرة وبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواجه بالقلعة أمر الأمراء والعساكر أن يطيفوا بها من كل ناحية فلما كان بالغدو خرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فوجد سلسلة معرصة على باب القلعة وعليها قفل لم يمكنه الخروج راكبا فضرب الحاج المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرجها معا فاحاطت بهما العساكر ولحق أمير من الأمراء الخاصكية يعرف بمصر خواجه وفي يعرف بأثول دمشق خواجه فقتلاه وأتيا الملك أبوسعيد برأسه فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم ان يفعلوا برأس كبار أعدائهم وأمر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومما ليكه واتصل الخبر بابيه الجوبان وهو بخراسان ومعه أولاده أمير حسن وهو الاكبر وطاش وجلوخان وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر وحاميتها فانفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا اليه فلما التقى الجمعان هرب التتر الى سلطانهم وأفردوا الجوبان قطار رأى ذلك نكص على عقبيه وفر الى صحراء سجستان وأوغل فيها وأجمع على اللحاق بملك هراة غياث او لدين مستجير به ومتحصنا بمدينته وكانت له عليه ايد سابقة فلم يوافق له ولده حسن وطاش على ذلك وقال له انه لا يفي بالعهد وقد غدر فيروز شاه بعد ان لما اليه وقتله فابى الجوبان الا ان يلحق به ففارق ولده وتوجه ومعه ابنة الاصغر جلوخان فخرج غياث الدين لاستقباله ونزل له وادخله المدينة على الامان ثم غدره بعد ايام وقتله وقتل ولده وبعث برأسيهما الى السلطان أبي سعيد وأما حسن وطاش فانهما قصد اخوارزم وتوجها الى السلطان مجد أوز بك فآكرم مشواهما وأنزلهما الى ان صدر منهما ما اوجب قتلهم فاقتلتهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمري طاش فهرب الى ديار مصر فآكرمه

الملك الناصر واعطاه الاسكندرية فاني من قبولها وقال انما اريد العساكر لا قاتل ابوسعيد وكان متي بعث اليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو للذي يوصلها اليه أحسن منها ازراه على الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله وبعث برأسه الى أبي سعيد وقذفنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم ولما قتل الجويان جيء به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملوا الى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها الجويان باقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع من ذلك ودفن بالبقيع والجويان هو الذي جلب الماء الى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبوسعيد بالملك أراد أن يتزوج بنت الجويان وكانت تسمى بغداد خاتون وهي من اجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغلب بعد موت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمته فامر به فقتل عنها وتزوجها أبوسعيد وكانت احظى النساء لديه والنساء لدى الاثراك والتتر لهن حظ عظيم وهم اذا كتبوا امرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولكل خاتون من البلاد والولايات والحجابي العظيمة واذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت على ذلك مدة أيام ثم انه تزوج امرأة تسمى بد لشاد فاجبها حبسا شديدا وهاجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في منديل مسخته به بعد الاجتماع فمات وانقرض عقبه وغلبت أمراؤه على الجهات كما سنذكره ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمته اجمعوا على قتلها وبدر لذلك الفتى الرومي خواجه لؤاؤ وهو من كبار الامراء وقدمائهم فاناهو وهي في الحمام فضر بها بد بوسه وقتلها وطرحته هناك أياها مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق العرب وتزوج دلشاد امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبوسعيد فعله من تزوج امرأته

— ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد —

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته الذي ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعا ومنهم ابراهيم شاه ابن الامير سنيتها تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الامير تارتاغلب على بلاد التركان المعروفة ايضا ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدرماش بن الجويان تغلب على تبريز والسلطانية وهمدان وقم وقاشان والري ورامين وفرغان والكرج ومنهم الامير طغتمور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الامير حسين ابن الامير غياث الدين تغلب على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك ديار تغلب على بلاد مكران وبلاد كنج ومنهم محمد شاه ابن مظفر تغلب على يزد وكرمان وورقو ومنهم الملك قطب الدين تمين تغلب على هرمز

وكيش والقطيف والبحر بن وقلبات ومنهم السلطان أبو اسحاق الذي تقدم ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين ومنهم السلطان افراسياب أتاك تغلب على ابدج وغيرهما من البلاد وقد تقدم ذكره ﴿ولنعد الى ما كنا بسبيله﴾ ثم خرجت من بغداد في محلة السلطان أبي سعيد وغرضي أن أشاهد ترتيب ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفية تنقله وسفره وعادتهم انهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى وترتيبهم ان يأتي كل امير من الامراء بعسكره وطبوله وأعلامه فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له إما في الميمنة أو الميسرة فإذا توافوا جميعا وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وأنقاره وأتى كل امير منهم فسلم على الملك وعاد الى موقفه ثم يتقدم أمام الملك الحجاب والقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو مائة رجل عايمهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم بمسكون ويغني عشرة من أهل الطرب نوبتهم فإذا قضوا ضربت تلك الاطبال والصرنايات ثم أمسكوا وغني عشرة آخرون نوبتهم هكذا الى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام والاطبال والانقار والبوقات ثم ما يليك السلطان ثم الامراء على مراتبهم وكل امير له اعلام وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله امير جند روله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن فوجه وجماعته ان يؤخذ تماقه فيملا رملا ويلقى في عنقه ويمشي على قدميه حتى يبلغ المنزل فيؤتى به الى الامير فيبطح على الارض ويضرب خمسا وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان رفيعا أو وضعيا لا يحاشون من ذلك احدا وإذا نزلوا ينزل السلطان ومما يليه في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتمه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتاب وأهل الاشغال على حدة وينزل كل امير على حدة ويأتون جميعا الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة والمشاعل بين أيديهم فإذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم أطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم أطبال الوزراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انقال السلطان وزاملته وأنفال الخواتين ثم أمير ثان في عسكره يمنع الناس من الدخول فيما بين الانقال والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة ايام ثم صحبت الامير علاء الدين محمد الى بلدة تبريز وكان من الامراء الكبار الفضلاء فوصلنا بعد

عشرة أيام الى مدينة تبريز ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء وأزاني الامير بتلك الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة وفي غد ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد ووصلنا الى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان من أحسن سوق رأيتها في بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخلطها أخرى واجنزت بسوق الجواهر بين غار بصرى مزاريتها من أنواع الجواهر وهي ما يدي ممالك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الاتراك وهن يشتريه كثيرا ويتنافسن فيه فرأيت من ذلك كله فتنه يستعاذ بالله منها ودخلنا سوق العنبر والمسك فرأينا مثل ذلك أو أعظم ثم وصلنا الى المسجد الجامع الذي عمره الوزير على شاه المعروف بجيـلان وبخارجـه عن يمين مستقبل القلعة مدرسة وعن يساره زاوية وصحنه مفروش بالمرمر وحيطانه بالقاشاني وهو شبه لزاليج وبشفته نهر ماء وبه أنواع الاشجار ودوا الى العنب وشجر ياسمين ومن عاداتهم انهم يقرأون في كل يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر في صحن المسجد ويجتمع لذلك أهل المدينة وبقنا ليلة بتبريز ثم وصلنا بغداد أمر السلطان أبي سعيد الى الامير علاء الدين بان يصل اليه فعدت معه ولم الق بتبريز احدا من العلماء ثم سافرنا الى أن وصلنا محلة السلطان فاعلمه الامير المذکور بمكانى وادخلني عليه فسألني عن بلادي وكسائي وأركبني واعلمه الامير اني أريد السفر الى الحجاز الشريف فامرني بالزاد والركوب في السبيل مع الحمل وكتب لي بذلك الى أمير بغداد خواجه معروف فعدت الى مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لي به السلطان وكان قد بقي لا وان سفر الركب أزيد من شهرين فظهر لي ان اسافر الى الموصل وديار بكر لا شاهد لك البلاد واعود الى بغداد في حين سفر الركب فاتوجه الى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد الى منزل على نهر دجيل وهو يتفرع عن دجلة فيسقى قرى كثيرة ثم نزلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربة مخصصة فسيحة ثم رحلنا فزلنا موضعا على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق وهو مبنى على الدجلة وفي العدو الشرقية من هذا الحصن مدينة سرمن رأى وتسمى أيضا سامرا ويقال لها سامراء ومعناه بالفارسية طريق سامراء هو الطريق وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها الا الليل وهي معتدلة الهواء رائقة الحسن علي بلائها ودروس معالمها وفيها أيضا مشاهد صاحب الزمان كالحلقة ثم سرنا منها مرحلة ووصلنا الى مدينة تكريت وهي مدينة كبيرة فسيحة الارعاء مليحة الاسواق

كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا الى قرية تعرف بالعقر على شط الدجلة وباعلاها ربوة كان بها حصن وباسفلها الخان المعروف بخان الحديد له أبراج و بناؤه حافل والقرى والعمارة متصلة من هنالك الى الموصل ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالقيارة بمقر به من دجلة وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض ويجمع فيها فتراه شبه الصلصال على وجه الارض حالك اللون صقيلا رطابوله رائحة طيبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه الى جوانبها فيصير أيضا قارا ومقر به من هذا الموضع عين كبيرة فاذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتتشف النار ما هنا لك من رطوبة مائية ثم يقطهونه قطعاً وينقلونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدها الى الموصل

— مدينة الموصل —

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور يحكم البناء مشيد البروج وتتصل بهادور السلطان وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلي البلد الى اسفله وعلى البلد سوران اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره قد تمكن فتحها فيه لسعته ولم أرفى اسوار البلاد مثله الا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند وللموصل ربض كبير فيه المساجد والحمامات والفنادق والاسواق وبه مسجد جامع على شط الدجلة تدور به شبايك حديد وتتصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والاتقان وامامه مارستان وبداخل المدينة جامعان احدهما قديم والآخر حديث وفي صحن الحديث منهما قبة في داخلها خصة رخام مثمنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة وانزاع ف يرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن وقيسارية الموصل مليحة لها ابواب حديد ويدور بهادكا كين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء وبهذه المدينة مشهد جرجيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه وهو فيا بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده والحمد لله تعالى وهنالك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة اليه يقال انه أمر قومه بالتطهير فيها ثم صعدوا التل ودعا ودعوا فكشف الله عنهم العذاب

ومقرية منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة ببنوى مدينة يونس عليه السلام وأثر السور المحيط بها ظاهر ومواضع الابواب التي هي متبينة وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومظاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع يقال انه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده عليه السلام وأهل الموصل يخرجون في كل ليلة الجمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل الموصل لهم مكارم أخلاق واين كلام وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه وكان أميرها حين قدومى عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين على بن شمس الدين مجد المنقلب بحيدر وهو من الكرماء الفضلاء أنزاني بداره وأجرى على الاتفاق مدة مقامي عنده وله الصدقات والا يثار المعروف وكان السلطان أبوسعيد يعظمه وفوض اليه امر هذه المدينة وما يليها ويركب في موكب عظيم من ممالিকে وأجناده ووجوه أهل المدينة وكبرائها ياتون للسلام عليه غدواً وعشياً وله شجاعة ومهابة وولده في حين كتب هذا في حضرة قاس مستقر الغرباء وماوى الفرق ومحط رحال الوفود زادها الله بسعادة أيام مولانا أمير المؤمنين بهجة واشراقا وحرس أرجاءها ونواحيها ثم رحلنا من الموصل ونزلنا قرية تعرف بعين الرصد وهي على نهر عليه جسر مبنى وبها خان كبير ثم رحلنا ونزلنا قرية تعرف بالمو يلحهم ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة ابن عمرو هي مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادى ولذلك سميت جزيرة أكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبنى بالحجارة محكم العمل وسورها مبنى بالحجارة أيضاً وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء ويوم نزلنا بها رأينا جبل الجودى المذكور في كتاب الله عز وجل الذى استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا الى مدينة بصيين وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي في بسيط أفصح فسيح فيه المياه الجارية والبساتين الملتفة والاشجار المنتظمة والقواكد الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذى لا نظير له في العطاراة والطيب ويدور بهانهر يعطف عليها انعطاف السوار متبعه من عيون في جبل قريب منها ويتقسم انقساماً فيتحلل بساكنها ويدخل منه نهر الى المدينة فيجرى في شوارعها ودورها ويخترق صحن مسجدها الاعظم وينصب في صهر يحين أحدها في وسط الصحن والآخرة عند الباب الشرقى وبهذه المدينة نارستان ومدرستان وأهلها أهل صلاح ودين وصدق وامانة ولقد صدق ابو نواس في قوله

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها * ياليت حظي من الدنيا نصيبين
قال ابن جزي والناس يصفون مدينة نصيبين بفساد الماء و الوخامة وفيها يقول بعض الشعراء

لنصيبين قد عجبت وما في * دارها لي داع الى العلات

يعدم الورد أحمر في ذراها * لسقام حتي من الوجنات

ثم رحلنا الى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة القواكه والاشجار والعيون المطردة
والانهار مبددة في سفح جبل تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
مشهور البركة يذكر ان الدعاء به مستجاب ويدور به نهر ماء ويشقه وأهل سنجار اكراد
ولهم شجاعة وكرم من لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبدالله الكردي أحد المشايخ
الكيار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر الا بعد أربعين يوما يكون افطاره على نصف
قرص من الشعير لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعاني وزودني بدرام لم تنزل عندي الى
أن سلبنى كعكاً الهنود ثم سافرنا الى مدينة دارا وهي عتيقة كبيرة ييضاء المنظر لها قلعة مشرفة
وهي الآن خراب لا عمارة بها وفي خارجها قرية معمورة بها كان نزولنا ثم رحلنا منها فوصلنا
الى مدينة ماردين وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الاسلام وأبدعها وأتقنها
وأحسنها أسواقها تصنع الثياب المنسوجة اليها من الصوف المعروف بالمرعز ولها قلعة شماء
من مشاهير القلاع في قنة جبلها قال ابن جزي قلعة ماردين هذه تسمى الشهباء وياها عني شاعر
العراق صفى الدين عبدالعزيز بن سراي الحلبي بقوله في سمطه — سريع —

فدع ر بوع الحلة الفيحاء * وازور بالعيس عن الزوراء

ولا تقف بالموصل الحدباء * ان شهاب القلعة الشهباء

— محرق شيطان صروف الدهر —

وقلعة حلب تسمى الشهباء أيضاً وهذه المسمطة بدعة مدح بها الملك المنصور سلطان ماردين
وكان كريماً شهيراً الصيت ولى الملك بهانحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك التتر وصاهر
السلطان خذاً ابنته دنيا خاتون

— ذكر سلطان ماردين في عهد دخولى اليها —

وهو الملك الصالح ابن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفا ورت الملك عن أبيه وله المنكارم
الشهيرة وليس بارض العراق والشام ومصر أكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل
لهم العطايا جرياً على سنن أبيه قصده أبو عبدالله محمد بن جابر الاندلسي المروى الكفيف
مادحا قاعطاه عشرين ألف درهم وله المصدقات والمدارس والزوايا لا طعام الطعام وله

وزير كبير القدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفر يد العصر جمال الدين السنجاري قرأ بمدينة تبريز وأدرك العلماء الكبار وقاضى قضاته الامام الكامل برهان الدين الموصلى وهو ينتسب الى الشيخ الولي فتح الموصلى وهذا القاضى من أهل الدين والورع والفضل يلبس الخشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويعتم بنحو ذلك وكثيرا ما يجلس الاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فاذا رآه من لا يعرفه ظنه بعض خدام القاضى وأعوانه

— حكاية —

ذكر لي ان امرأة أتت هذا القاضى وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ أين يجلس القاضى فقال لها وما تر يدى منى فقالت له ان زوجى ضربنى وله زوجة ثانية وهو لا يعدل بيننا فى القسم وقد دعوت به الى القاضى فابى وأنا فقيرة ليس عندى ما أعطيه لرجال القاضى حتى يحضروه بمجاسه فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقرية الملاحين خارج المدينة فقال لها أنا أذهب معك اليه فقالت والله ما عندى شيء أعطيك اياه فقال لها وأنا لا آخذ منك شيئا قال لها اذهبي الى القرية وانتظرينى خارجها فاني على أثرك فذهبت كما أمرها وانتظرته فوصل اليها وليس معه أحد وكانت عادته ان لا يدع أحدا يتبعه فخبأت به الى منزل زوجها فلما رآه قال لها ما هذا الشيخ النجس الذى معك فقال له نعم والله أنا كذلك ولكن أرض زوجتك فلما طال الكلام جاء الناس فعرفوا القاضى وسلموا عليه وخاف ذلك الرجل وخجل فقال له القاضى لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجتك فارضاها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضى نفقة ذلك اليوم وانصرف لقيت هذا القاضى وأضافنى بداره ثم رحلت عائدا الى بغداد فوصلت الى مدينة الموصل التى ذكرناها فوجدت ركبها بخارجها متوجهين الى بغداد وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالسبت زاهدة وهي من ذرية الخلفاء حجت مرار او هي ملازمة الصوم سلمت عليها وكنيت فى جوارها ومعها جملة من الفقراء يتخدمونها وفى هذه الوجهة توفيت رحمة الله عليها وكانت وفاتها بزور ودوفنت هنالك ثم وصلنا الى مدينة بغداد فوجدت الحاج فى أهبة الرحيل فقصدت أميرها معروف خواجه فطلبت منه ما أمرلى به السلطان فعين لى شقة حارة وزاد أربعة من الرجال وماءهم وكتبلى بذلك ووجهه الى أمير الركب وهو البهلوان محمد الحويج فاوصاه بى وكانت المعرفة بينى وبينه متقدمة فزادها تأكيد اولم أزل فى جواره وهو يحسن الى ويزيدنى على ما أمرلى به وأصابنى عند خروجننا من الكوفة اسهال فكانوا ينزلونى من أعلى الحمل مرات كثيرة فى اليوم والامير يتفقد حالى ويوصى بى ولم أزل مريضا حتى وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفا وتعظيما

وظفت بالبيت الحرام كرم الله تعالى طواف القدوم وكنت ضميها بحيث أؤدي المكتوبة قاعدا فظفت وسعيت بين الصفا والمروة راكبا على فرس الامير الحويج المذكور ووقفتا تلك السنة يوم الاثنين فلما نزلنا مني أخذت في الراحة والاستقلال من مرضي ولما انقضى الحاج أقمت مجاوراً بمكة تلك السنة وكان بها الامير علاء الدين بن هلال مشيد (مشد) الدواوين مقيماً لعمارة دار الوضوء بظاهر العطارين من باب بني شعبة وجاور في تلك السنة من المصريين جماعة من كبرائهم منهم تاج الدين بن الكويك ونور الدين القاضي وزين الدين بن الاصيل وابن الخليلي وناصر الدين الاسيوطي وسكنت تلك السنة بالدرسة المنظفرية وعافاني الله من مرضي فكنت في أتم عيش وتفرغت للطواف والعبادة والاعمار وأقي في أثناء تلك السنة حجج الصعيد وقد معهم الشيخ الصالح نجم الدين الاصفهاني وهي أول حجة حجها والاخوان علاء الدين علي وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين البالسي قاضي مصر وجماعة غـيرهم في منتصف ذي القعدة وصل الامير سيف الدين بلك وهو من الفضلاء ووصل في صحبته جماعة من أهل طنجة بلدي حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن القاضي أبي العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء الله والفقيه أبو محمد عبد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسى وأبو العباس بن الفقيه أبي علي البلنسي وأبو محمد ابن القابلة وأبو الحسن البياري وأبو العباس بن نافوت وأبو الصبر أبو الفخار وأحمد بن حكامه ومن أهل قصر الجاز الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن القاضي أبي العباس بن خلوفاً ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد بن مسلم وأبو اسحاق ابراهيم بن يحيى وولده ووصل في تلك السنة الامير سيف الدين تغر دمور من الخاصكية والامير موسى بن قرمان والقاضي نحر الدين ناظر الجيش كاتب الممالك والتاج أبو اسحاق والست حديق مربية الملك الناصر وكانت لهم صدقات عجيبة بالحرم الشريف واكثرهم صدقة القاضي نحر الدين وكانت ووقفتا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان وعشرين ولما انقضى الحج أقمت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه السنة وصل أحمد بن الامير ميثمة ومبارك بن الامير عطفه من العراق صحبة الامير مجد الحويج والشيخ زاده الحرباوي والشيخ دانيال وأتوا بصدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق وفي تلك السنة ذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعوا له بأعلى قبة زمزم وذكروا بعده سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين ولم يوافق الامير

عطيفة على ذلك وبعث شقيقه منصورا ليعلم الملك الناصر بذلك فامر رميثة برده فرد فبعثه ثانية على طريق جده حتى أعلم الملك الناصر بذلك ووقفنا تلك السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ولما انقضى الحج اقامت مجاورا بمكة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة وبين ايدمور أمير جنود الناصري وسببه ذلك ان تجارا من أهل اليمن سرقوا فتشكوا الى ايدمور بذلك فقال ايدمور لمبارك بن الامير عطيفة إئت بهؤلاء السراق فقال لا أعرفهم فكيف تأتي بهم وبعد فاهل اليمن تحت حكمنا ولا حكم عليهم لك ان سرق لاهل مصر والشام شيء فاطلبنى به فشتحه ايدمور وقال له يا قواد تقول لي هكذا وضربه على صدره فسقط ووقعت عمامته عن رأسه وغضب له عبيده وركب ايدمور يريد عسكره فلحقه مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده ووقعت الفتنة بالحرم وكان به الامير أحمد ابن عم الملك الناصر ورمي الترك بالشباب فقتلوا امرأة قيل انها كانت تحرض أهل مكة على القتال وركب من الركب من الاتراك وأميرهم خاص ترك فخرج اليهم القاضي والأئمة والجاورون وفوق رؤسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحجاج مكة فاخذوا ما لهم بها وانصرفوا الى مصر وبلغ الخبر الى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر الى مكة ففر الامير عطيفة وابنه مبارك وخرج أخوه رميثة واولاده الى وادي نخلة فلما وصل العسكر الى مكة بعث الامير رميثة أحدا ولاده يطلب له الامان ولولده فامنوا وأتي رميثة وكفنه في يده الى الامير فخلع عليه وسلمت اليه مكة وعاد العسكر الى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حليفا فاضلا فخرجت في تلك الايام من مكة شرفهم الله تعالى قاصدا بلاد اليمن فوصلت الى حدة (بالحاء المهملة المفتوح) وهي نصب الطريق ما بين مكة وجدة (بالجيم المضموم) ثم وصلت الى جدة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال انها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة وبها جباب للماء منقورة في الحجر الصلد يتصل بعضها ببعض تفوت الاحصاء كثرة وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب الى جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يسالون الماء من أصحاب البيوت

— حكاية —

ومن غريب ما اتفق لي بحجة انه وقف على بابي سائل أعني يطلب الماء بقوده غلام فسلم على وسامني باسمي وأخذ يبدى ولم أكن عرفته قط ولا عرفني فمجببت من شأنه ثم أمسك أصبعي بيده وقال اين الفتخة وهي الخاتم وكنت حين خروجي من مكة قد لقيني بعض الفقراء وسألني ولم يكن عندي في ذلك الحين شيء فدفعته له خاتمي فلما سألني عنه هذا

الاعشى قلت له اعطيته لفقيه فقال ارجع في طلبه فان فيه أسماء مكتوبة فيها سر من الاسرار
فطال تعجبي منه ومن معرفته بذلك كله والله أعلم بحاله وبجدته جامع يعرف بجامع
الآبنوس معروف البركة يستجاب فيه الداء وكان الامير بها أبا بقوب بن عبد الرزاق
وقاضيهما وخطبها الفقيه عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب واذا كان يوم الجمعة واجتمع
الناس للصلاة أتى المؤذن وعد أهل جدة المقيمين بها فان كلوا أربعين خطب وصلى بهم الجمعة
وان لم يبلغ عددهم أربعين صلى ظهرا أربعاً ولا يعتبر من ليس من أهلها وان كانوا عددا
كثيراً هم ركبتا البحر من جدة في مركب يسمونه الجلبة وكان لرشيد الدين الالفى النيني
الحبشي الاصل وركب الشريف منصور بن ابي نعي في جلبية اخري ورغب مني ان
اكون معه فلم افعل لكونه كان معه في جلبته الجمال خفت من ذلك ولم اكن ركبت البحر
قبلها وكان هناك جملة من اهل اليمن قد جعلوا ازوادهم وامتعتهم في الجلب وهم بنتاهون للسفر
— حكاية —

ولما ركبتا البحر امر الشريف منصور احد غلمانه ان ياتيه بعديلة دقيق وهي نصف
حمل وبطاسة من يأخذها من جلب أهل اليمن فاخذها واتى بهما اليه فاتانى التجار
يا كين وذكروا الى ان في جوف تلك العديلة عشرة آلاف درهم نقرة ورغبوا مني ان
اكنهم في ردها وان ياخذوا سواها فاتيتهم وكلمتهم في ذاك وقلت له ان للتجار في جوف
هذه العديلة شيئا فقال ان كان سكرافلا رده اليهم وان كان سوى ذلك فهو لهم ففتحوها
فوجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لي لو كان عجلان ماردة وعجلان هواين اخيه رميثة
وكان قد دخل في تلك الايام دار تاجر من اهل دمشق قاصدا لليمن فذهب بمعظم ما كان
فيها وعجلان هواين مكة على هذا العهد وقد صلح حاله واظهر العدل والفضل ثم سافرنا في
هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح بعد ذلك وصدتنا عن السبيل التي قصدناها
ودخلت امواج البحر معنا في المركب واشتد الميذ بالناس ولم نزل في احوال حتى خرجنا
في مرسى يعرف برأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بسا حله عربش
تصب على هيئة مسجد وفيه كثير من قشوربيض النعام مملوءة ماء فشربنا منه وطبخنا
ورأيت بذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر فكان الناس ياخذون
الثوب ويسكون باطرافه ويخرجون به وقد امتلأ سمكا كل سمكة منها قدر الذراع
ويعرفونه بالبورى فطبخ منه الناس كثير واشتروا وقصدت اليناطة من البجاة وهم
سكان تلك الارض سودا لوان لباسهم الملاحف الصفرو يشدون على رؤسهم عصائب

حمراني عرض الاصبع وهم أهل نجدة وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الصهب يركبونها بالسروج فاكثرنا منهم الجمال وسافرنا معهم في برية كثيرة الغزلان والبجاة لا ياكلونها فهي تانس بالآدمى ولا تنفر منه وبعديومين من مسيرنا وصلنا الى حي من العرب يعرفون باولاد كاعل مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم وفي ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولما بها ولا زرع ولا شجر والماء يجلب اليها في الفوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهي جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش والمعزى عندهم كثير والابلان والسمن ومنها يجلب الى مكة وحبوبهم الجرجور وهو نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضا الى مكة — ذكر سلطانها —

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي اليها الشريف زيد بن أبي ندى وابوه أمير مكة وأخوه أميرها بعده وهما عظيمة ورميثة اللذان تقدم ذكرهما وصارت اليه من قبل البجاة قانهم اخواله ومعه عسكر من البجاة وأولاده كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن نريد أرض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانما يسافرون فيه من طلوع الشمس الى غروبها ويرسون ويتزلون الى البر فاذا كان الصباح صعدوا الى المركب وهم يسمون رئيس المركب الربان ولا يزال أبدان مقدم المركب يديه صاحب السكان على الاحجار وهم يسمونها النبات وبعد ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن وصلنا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وكسر اللام وتخفيفها) وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها بها قديما وهي كبيرة حسنة العمارة يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبولة الهندي من كبار الصالحين لباسه مرقعة وقلنسوة لبدوله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط ولم أر بها حين لقائي له شيئا الا ابريق الوضوء وسفرة من خوص النخيل فيها كمر شعر يابسة وصحيفة فيها ملح وسعتر فاذا جاءه احد قدم بين يديه ذلك ويسمع به أصحابه فياتي لكل واحد منهم بما حضر من غير تكلف شيء واذا اصلوا العصر اجتمعوا للذكر بين يدي الشيخ الى صلاة المغرب واذا صلوا المغرب أخذ كل واحد منهم موقفه للتنقل فلا يزالون كذلك الى صلاة العشاء الآخرة فاذا صلوا العشاء الآخرة اقاموا على الذكر الى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون في اول الثالث الثالث الى

المسجد فيتمجدون الى الصبح ثم يذكرون الى ان تحين صلاة الاشراق فينصرفون بعد صلاتها ومنهم من يقيم الى ان يصلى صلاة الضحى بالمسجد وهذا ابداهم ابداءا ولقد كنت اردت الاقامة معهم باقى عمرى فلم اوفق لذلك والله تعالى يتداركنا بلطفه وتوفيقه
— ذكر سلطان حلي (

وسلطانها عامر بن ذؤيب من بني كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشعراء صحبته من مكة الى جدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني وأقامت في ضيافته أياما وركبت البحر في مركب له فوصلت الى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين المهمل واسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي وهم طائفة من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصعداء ولهم مفضل وكرم واطعام لابناء السبيل ويعينون الحجاج ويركبونهم في مراكبهم ويزودونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهروا به وكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير وليس بالارض من يمان لهم في ذلك الا الشيخ بدر الدين النقاش الساكن ببلدة القحمة فله مثل ذلك من المناثر والايثار وأقاما بالسرجة ليلة واحدة في ضيافة المذكورين ثم رحلنا الى مرسى الحادث ولم ننزل به ثم الى مرسى الابواب ثم الى مدينة زبيد مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغني من أهلها واسعة البساتين كثيرة المياه والقوا كهمن الموز وغيره وهي برية لا شطية احدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها النخل والبساتين والمياه أملح بلاد اليمن وأجملها ولا هلم الطافة الشمال وحسن الاخلاق وجمال الصور اولئسانها الحسن الفائق الفائق وهي وادى الخصب الذي يذكر في بعض الآثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ في وصيته يا معاذ اذا جئت وادى الخصب فهرول ولا هل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة وذلك انهم يخرجون في أيام البسر والرطب في كل سبت الى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغريب ويخرج أهل الطرب وأهل الاسواق لبيع الذواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال في الحامل ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الاخلاق الحسنة والكارم والغريب عندهم مزية ولا يمتنعن من تزوجهن كما يفعله نساء بلادنا فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته وان كانت بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له الى ان يرجع أبوه ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوه ولا سواها واذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن

لأن يخرجن عن بلدن أبدا ولو أعطيت أحداهن ماعسى أن تعطاه على أن تخرج من بلدها
 لم تفعل وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق لقيت
 بمدينة زيد الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني والفقيه الصوفي المحقق أبا العباس الإبياني
 والفقيه المحدث أبا علي الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت
 أحداً منهم واجتمعت عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد
 فضلاء اليمن ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العجيل اليمني وكان من كبار
 الرجال وأهل الكرامات — كرامة —

ذكروا أن فقهاء الزيدية وكبراءهم أتوا مرة إلى زيارة الشيخ أحمد بن العجيل فجلس لهم
 خارج الزاوية واستقبلهم أصحابه ولم يبرح الشيخ عن موضعه فسلموا عليه وصافحهم ورحب
 بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون إن لا قدر وإن المكلف يخلق أفعاله
 فقال لهم الشيخ فإن كان الأمر على ما تقولون فتقووا عن مكانكم هذا فأرادوا القيام فلم
 يستطيعوا وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتد بهم الحر ولحقهم
 وهيج الشمس وضجوا لما نزل بهم فدخل أصحاب الشيخ إليه وقالوا له إن هؤلاء القوم قد
 تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرج عليهم الشيخ فأخذ بأيديهم وعاهدهم
 على الرجوع إلى الحق وترك مذهبهم النسيء وأدخلهم زاويته فأقاموا في ضيافته ثلاثاً
 وانصرفوا إلى بلادهم وخرجت لزيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقرية يقال لها غسانة
 خارج زبيد ولقيت ولده الصالح أبا الوليد اسماعيل فاضافني وبث عنده وزرت ضريح
 الشيخ وأقيمت معه ثلاثاً وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي وهو من
 كبار الصالحين ويقدم حجج اليمن إذا توجهوا للحج وأهل تلك البلاد وأعرابها يعظمونه
 ويحترمونونه فوصلنا إلى جيلة وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكد وأنهار فلما سمع
 الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدوم الشيخ أبي الوليد استقبله وأنزله بزاويته وسلمت عليه
 معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا وبعث معنا أحد الفقراء فتوجهنا إلى
 مدينة تعز حضرة ملك اليمن (وضبط اسمها بفتح التاء المملوءة وكسر العين المهملة وزاء)
 وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهلها ذوو نجبر وتكبر وقظاظه وكذلك الغالب
 على البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات أحداها يسكنها السلطان ومما يليه
 وحاشيته وأرباب دولته وتسمى باسم لا ذكره والثانية يسكنها الأمراء والجناد وتسمى
 عدينة والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى الحالب

— ذكر سلطان اليمن —

وهو السلطان المجاهد نور الدين علي ابن السلطان المنصور يدهز بر الدين داود ابن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده برسول لان أحد خلفاء بني العباس أرسله الى اليمن ليكون بها أميراً ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ الفقيه أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني الى قاضي القضاة الامام المحدث صفى الدين الطبري الذي فسلمنا عليه ورحب بنا وأقام بداره في ضيافته ثلاثاً فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وفيه يجلس السلطان لعامة الناس دخل في عليه فسلمت عليه وكيفية السلام عليه ان يمس الانسار الارض بسبابتهم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي وقعد القاضي عن عين الملك وأمرني فقعدت بين يديه فسألتني عن بلادي وعن مولانا أمير المسلمين جواد الاجواد أبي سعيد رضى الله عنه وعن ملك مصر وملك العراق وملك اللور فجبته عنما سألت من أحوالهم وكان وزيره بين يديه فامر به بكرامتي وانزالي وترتيب قعوده هذا الملك انه يجلس فوق دكانة مفروشة مزينة بثياب الحر يرو عن يمينه ويساره أهل السلاح و يلبه منهم أصحاب السيوف والدرق و يلبهم أصحاب القسي و بين أيديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وارباب الدولة وكاتب السر وأمير جندار على رأسه والشاوشية وهم من الجنادة رقوف على بعد فاداقعد السلطان صاحبوا صبيحة واحدة نسم الله فاذا قام فعلوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده فاذا استوي قاعد ادخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة أو الميسرة لا يتعدي أحدهم وضعه ولا يقعد الا من أمر بالقعود يقول السلطان للامير جندار مرهلاً لا يقعد فيتعذر ذلك المأمور بالقعود عن وقفة قليلاً ويقعد على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاعى القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والامراء ووجوه الاجناد ويجلس كل انسان للطعام معين لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم احد او على مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهندي في طعامه فلا اعلم ان سلاطين الهند اخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند وأقامت في ضيافة سلطان اليمن أياماً وأحسن الى وأركتني وانصرفت مسافراً الى مدينة صنعاء وهى قاعدة بلاد اليمن الاولى. مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالآجر والجص كثيرة الاشجار والنواكه والزروع معتدلة

الهواء طيبة الماء ومن الغريب ان المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة انما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الاوان فالساقرون يستمعون عند الزوال لثلا يصيبهم المطر وأهل المدينة ينصرفون الى منازلهم لان أمطارها وابلّة متدفقة ومدينة صنعاء مفروشة كلها فاذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأنقاها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر نبي من الانبياء عليهم السلام ثم سافرت منها الى مدينة عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الا عظم والجبال تحفها ولا مدخل اليها الا من جانب واحد وهي مدينة كبيرة ولا زرعها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والماء على بعد منها فر بما منعت العرب وحاولوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوه بالمال والثياب وهي شديدة الحر وهي مرسى اهل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة من كينيايت وتانه وكولم وقالقوت وفندراينه والشاليات ومنجورور وفاكنور وهنوز وسندا بور وغيرها وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضا وأهل عدن ما بين تجار وحمايين وصيادين للسماك وللنجار منهم اموال عريضة وربما يكون لاحدهم المراكب العظمى بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الاموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة

﴿حكاية﴾ ذكر على أن بعضهم بعث غلامه ليشترى له كبشا وبعث آخر منهم غلامه برسم ذلك أيضا فاتفق أنه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم الا كبش واحد فوقعت الزايدة فيه بين الغلامين فانهي عنه الى أر بعائة دينار فاخذها أحدها وقال ان رأس مالي أر بعائة دينار فان أعطاني مولاى ثمنه فحسن والا دفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسى وغلبت صاحبي وذهب بالكبش الى سيده فلما عرف سيده بالقضية أعتقه وأعطاه ألف دينار وعاد الآخر الى سيده خائبا فضر به وأخذ ماله ونفاه عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بتناصر الدين الفارنى فكان يحضر طعامه كل ليلة نحو عشرين من التجار وله غلمان وخدام أكثر من ذلك ومع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون الى الغرب و يؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيهما الصالح سالم بن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الجمالين واشتغل ابنه بالعلم فرأس وساد وهو من خيار القضاة وفضلائهم أقيمت في ضيافته اياما وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت الى مدينة زبلع وهي مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهر بن اولها زبلع وآخرها مقدشو ومواسيم الجمال ولهم أغنام مشهورة السمن وأهل زبلع سود الاوان وأكثرتهم افضة وهي مدينة

كبيرة لها سوق عظيمة الا انها أفقر مدينة في المعمور واورحشها و أكثرها تشاوسب تشها
 كثرة سمكها ودماء الابل التي ينحرونها في الازقة ولما وصلنا اليها اخترنا المبيت بالبحر على
 شدة هوله ولم نبت بها لقدرها ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقدشو
 وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان
 اللواو وهي مدينة متناهية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين في كل يوم
 ولهم اغنام كثيرة وأهلها تجار اقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها التي لا نظير لها ومنها
 تحمل الى ديار مصر وغيرها ومن عادة اهل هذه المدينة انه متى وصل مركب الى المرسى تصعد
 الصنابق وهي القوارب الصغار اليه ويكون في كل صنبق جماعة من شبان اهلها فباتي كل
 واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه لتاجر من تجار المركب ويقول هذا نزيل
 وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب الا الى دار نزيله من هؤلاء
 الشبان الامن كان كثير التردد الى البلد وحصلت له معرفة اهلها فانه ينزل حيث شاء فاذا نزل
 عند نزيله اعلمه ما عنده واشترى له ومن اشترى منه ببخس او باع منه بغير حضور نزيله فذلك
 البيع مردود عندهم ولهم منفعة في ذلك ولما صعد الشبان الى المركب الذي كنت فيه جاء
 لي بعضهم فقال له اصحابي ليس هذا بتاجر وانما هو فقيه فصاح باصحابه وقال لهم هذا
 نزيل القاضي وكان فيها أحد اصحاب القاضي فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر في جملة
 من الطلبة وبعث الى احدهم فنزلت انا واصحابي وسلمت على القاضي واصحابه وقال
 في بسم الله نتوجه للسلاط على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا
 للسلطان الشيخ فقلت له اذا نزلت توجهت اليه فقال لي ان العادة اذا جاء الفقيه او
 الشريف او الرجل الصالح لا ينزل حتي يرى السلطان فذهبت معهم اليه كما طلبو

— ذكر سلطان مقدشو —

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ واسمه ابو بكر ابن الشيخ عمرو وهو في
 الاصل من البريرة وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائده انه متى وصل
 مركب يصعد اليه صنبق السلطان فيسال عن المركب من ابن قدم ومن صاحبه ومن
 زبانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كله ويعرض
 على السلطان فن استحق ان ينزله عنده انزله ولما وصلت مع القاضي المذكور وهو يعرف
 بابن البرهان المصري الاصل الى دار السلطان خرج بعض الغتيان فسلم على القاضي فقال
 له بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فبلغ ثم عاد

وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطاني عشرة أوراق مع قليل من الفوفل وأعطى للقاضي كذلك وأعطى لأصحابي ولطلبة القاضي ما بقي في الطبق وجاء بمقدم من ماء الورد الدمشقي فسكب على وعلى القاضي وقال إن مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهي دار معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضي بيدي وجئنا إلى تلك الدار وهي بمقربة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بما تحتاج إليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قدمتم خير مقدم ثم وضع الطعام فاكلنا وطعامهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحف الكوشان وهو الادم من الدجاج والاعم والحوت والبقول ويطحون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب ويجعلونه في صحفة ويجعلون اللبن المريب في صحفة ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر والمخلل والمملوح والزنجبيل الاخضر والعنبا وهي مثل التفاح ولكن لها نواة وهي اذا نضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كالليمون يصبرونها في الخل وهم اذا أكلوا لقمة من الارز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات والواحد من أهل مقدشو يأكل قدر ماتا كله الجماعة منا عادة لهم وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسميها ثم اساطعنا انصرف عنا القاضي وأقننا ثلاثة أيام يؤتى اليها بالطعام ثلاث مرات في اليوم وتلك عادتهم فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاء في القاضي والطلبة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة وكسوتهم فوطه خز يشدها الانسان في وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونها ودراعة من المقطع المصري معاملة وفرجية من القدسي مبطنة وعمامة مصرية معاملة وأتوا لأصحابي بكسي تناسبهم وأتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضي ثم قال باللسان العربي قدمت خير مقدم وشرقت بلادنا وأستنا وخرج إلى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرا ودعا ثم جاء الوزراء والامراء ووجوه الاجناد فسلموا وعادتهم في السلام كعادة أهل اليمن يضع سبابته في الارض ثم يجعلها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعليه وأمر القاضي أن ينتعل وأمرني أن أنتعل وتوجه إلى منزله ماشيا وهو بالقرب من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون وعلى أعلى كل قبة صورة طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي أخضر وتحتها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان وهو متقلد بفوطه حرير

وهو معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والأبواق والانقار وامراء الاجناد امامه وخلفه والقاضي والفقهاء والشرقاء معه ودخل الى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والامراء وجوه الاجناد في سقيفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرقاء معه ولم يزالوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلوا العصر مع الشيخ أتى جميع الاجناد ووقفوا صفوفًا على قدر مراتبهم ثم ضربت الأبطال والأنفار والأبواق والصراياح وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتحرك عن مقامه ومن كان ماشيا وقف فلم يتحرك الى خلف ولا الى امام فاذا فرغ من ضرب الطبل خاضعوا باصابعهم كاذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة واذا كان يوم السبت يأتي الناس الى باب الشيخ فيقعدون في سقائف خارج الدار ويدخل القاضي والفقهاء والشرقاء والصالحون والمشايخ والحجاج الى المشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك ويكون القاضي على دكانة وحده وكل صنف على دكانة تخصصهم لا يشاركون فيها سواهم ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويبعث الى القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبرائهم بين يديه وسائرهم يسلمون وينصرفون ثم يدخل الشرقاء فيقعد كبرائهم بين يديه ويسلم سائرهم وينصرفون وان كانوا ضيوفا جلسوا عن يمينه ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبرائهم ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الامراء ثم وجوه الاجناد طائفة بعد طائفة أخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتى بالطعام فياكل بين يدي الشيخ القاضي والشرقاء ومن كان قاعدا بالجلس وياكل الشيخ معهم وان أراد تشریف أحد من كبار أمرائه بعث اليه فاكل معهم وياكل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ الى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الامراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات لما كان متعلقا بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والامراء وما كان مفتقرا الى مشاوره السلطان كتبوا اليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره وتلك عادتهم دائما ثم كبت البحر من مدينة مقدشو متوجها الى بلاد السواحل فاصدم مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى جزيرة منبسى (وضبط اسمها مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهملة مفتوحة وباء) وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون والآنترج ولهم فاكهة يسمونها الجون وهي شبه

الزيتون ولها نوى كنواها الا انها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وانما يجلب اليهم من السواحل وأكثر طعامهم الموز والسّمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومسا جدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر والثنتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدر خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الزراع والارض حول البئر والمسجد مسطحة فمن أراد دخول المسجد غسل رجله ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجله من أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه وصب على يديه وتوضأ وجميع الناس يشون حفاة الاقدام ويتناهب الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهى مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكو السواد ولهم شرطات في وجوههم كما هي في وجوه الليميين من جنادة وذكرلى بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وان بين سفالة ويوفى من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفى يؤتى بالتبر الى سفالة ومدينة كلوا من أحسن المدن وأنقنها عمارة وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس والامطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لا نهم في بروجاد متصل مع كفار الزوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب — ذكر سلطان كلوا —

وكان سلطانها في عهد دخولى إليها ابو المطفر حسن ويكنى أيضاً أبو المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزو الى أرض الزوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة فاداجاهه الشرفاء دفعه اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورايت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جهاز ومنصور بن لبدة بن أبي نمي ومحمد بن شميلة بن أبي نمي ولقيت بمقد شواتيل بن كيش بن جهاز وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف — حكاية من مكارمه —

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا الى داره فتعرض له أحد الفقراء البنيين فقال له يا أبا المواهب فقال ليلىك يا فقير ما حاجتك قال أعطني هذه الثياب التي عليك فقال له نعم أعطيكم قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخلع تلك الثياب وقال للفقير ادخل فخذها اندخل الفقير وأخذها وربطها

في مندبل وجعلها فوق رأسه وانصرف فعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه وأخذ ابنه ولى عهده تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فامر للفقير أيضا بعشرة رؤس من الرقيق وحملين من العاج ومعظم عطاياهم العاج وقاموا يعطون الذهب ولما توفي هذا السلطان الغاضل الكبري رحمة الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد من ذلك إذا أتاه سائل يقول له مات الذي كان يعطي ولم يترك من بعده ما يعطي ويقم الوفود عنده الشهور الكثيرة وحينئذ يعطيهم القليل حتى انقطع الوافدون عن بابه وركبنا البحر من كلوا الى مدينة ظفار الحموض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راه مدينة على الكسر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخليل العتاق الى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل قد قطعت مرة من قاقوط من بلاد الهند الى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لما جرى بالليل ولا بالنها وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء وبينها وبين حضرة هوت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار في صحراء متقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة برى يعرف بالخرقاء وهي من أقدر الاسواق وأشدّها تناءوا كثرة هذا بالكثرة ما يباع بها من الثمرات والسمك وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو سمك في النهاية من السمك ومن العجائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها وأكثر باعها الخدم وهن يلبسن السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلوأ كبيرة ويجمعون لها حبلا كثيرة ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البر ويصبونها في صهريج يسقون منه ولهم قمح يسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت والارز تجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم الا منها ومن عاداتهم انه اذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان الى الساحل وصعدوا في صنبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللابان وهو الرئيس والسكراني وهو كاتب المركب ويؤتي اليهم ثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب امامهم الاطبال والابواق من ساحل البحر الى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جندار وتبعث الضيافة لكل من المركب ثلاثا وبعد الثلاث ياكلون بدار

السلطان وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ولناسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض السروال وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ويغتسلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد ولهم في كل مسجد مظاهر كثيرة معدة للاغتسال وبصنع بهائيات من الحرير والقطن والكتان حسان جدا والغالب على أهلها رجالا ونساء المرضى المعروف بداء القيل وهو انتفاخ القدمين وأكثر رجالهم مبتلون بالادر والعميا بالله ومن عوايدهم الحسنة التصافح في المسجد أثر صلاة الصبح والعصر يستند أهل الصف الأول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعون ومن خواص هذه المدينة وعجائبها انه لا يقصدها أحد بسوء الا عاده عليه مكروه وحيل بينه وبينها وذكر لي أن السلطان قطب الدين تمتهن بن طوران شاه صاحب هرمز نازها مرة في البر والبحر فارسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها وكذلك ذكر لي ان الملك المجاهد سلطان اليمع عين ابن عمه لم يعسكر كبير برسم انزعاعها من يده ملكها وهو أيضا ابن عمه فلما خرج ذلك الامير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهاكوا جميعا ورجع انذاك عن رأيه وترك حصارها وطلبها ومن الغرائب ان أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم نزات بدار الخطيب بمسجدها الاعظم وهو عيسى ابن علي كبير القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات باسماء خدم المغرب احدها ن اسمها نجيتة والاخرى زاد المال ولم أسمع هذه الاسماء في بلادها وأكثر أهلها رؤسهم مكشوفة لا يجمعون عليها العمام وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة في البيت يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الذرة وهذا التشابه كله مما يقوى القول بان صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير ويقرب من هذه المدينة بين بسانينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى من أهل ظفار وهذه الزاوية معظمه عندهم يأتون اليها غدوا وعشيا ويستجيرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه رأيت بها شخصا ذكر لي ان له بها مدة سنين مستجيرا لم يتعرض له السلطان وفي الايام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان واقام فيها حتى وقع بينهما الصلح أتيت هذه الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر المذكور وشاهدت لهما فضلا عظيما ولما غسلنا أيدينا من الطعام

أخذ أبو العباس منهم ذلك المساء الذي غسلناه به فشرب منه وبعث الخادم بباقيه الى أهله وأولاده فشر به وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتربى خدمني وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك الى غيره وبقرة من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم ويستجير بها من طلب حاجة فتقضي له ومن عادة الجند انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها الى ان يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة الاحقاف وهي منازل عاد وهناك زاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية لصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر عليه افضل الصلوة والسلام وقد ذكرت ان بمسجد دمشق موضعا عليه مكتوب هذا قبر هود بن عابر والاشبه أن يكون قبره بالاحقاف لانها بلاده والله أعلم ولهذه المدينة بساكن فيها موز كثير كبير الجرم وزنت بمحضرى حبة منه فكان وزنها اثنتى عشرة أوقية وهو طيب المظم شديد الحلاوة وبها أيضا التنبول والبارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا ببلاد الهندو بمدينة ظفار هذه اشبهها بالهندوقر بها منها اللهم الا أن في مدينة زبيد في بستان السلطان شجيرات من النارجيل وانقد وقع ذكر التنبول والنارجيل فلنذكرها ولنذكر خصائصهما

— ذكر التنبول —

والتنبول شجر يفرس كما تفرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يفرس في مجاورة شجر النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد القفل ولا تمر للتنبول وانما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيما شديدا وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكان كما أعطاه الدنيا وما فيها لاسمان كان أميرا أو كبيرا واعطاؤه عندهم أعظم شأنا وأدل على الكرامة من اعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله أن يؤخذ قبله القوفل وهو شبه جوز الطيب فيكسر حتى يصير أطرافا صغارا ويجعله الانسان في فمه ويعلمه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئا من النورة ويضعها مع القوفل وخاصيته انه يطيب النكهة ويذهب بروائح القم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شراب الماء على الريق ويفرخ أكله ويعين على الجماع ويجعله الانسان عند رأسه ليلا فاذا استيقظ من نومه أو يقظته زوجته أو جار بته أخذ منه فيذهب بما في فمه من رائحة كريهة ولقد

ذكر لي ان جوارى السلطان والامراء ببلاد الهند لا ياكلن غيره وسنذكره عند ذكر بلاد الهند — ذكر النار جيل —

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الاشجار شانا وأعجبها أمرا وشجره شبه شجر النخل لافرق بينهما الا أن هذه تنمر جوزاً وتلك تنمر ثمرأ وجوزها يشبه رأس ابن آدم لان فيها شبه العينين والقمود اخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون به حبالا يخيطون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه الحبال للمراكب والجوزة منها وخصوصاً التي يجزأثر ذببة المهل تكون بمقدار رأس الآدمي ويزعمون ان حكما من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومعظماً لديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معادة فقال الحكيم للملك ان رأس هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تنمر بشمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذ الحكيم وغرس نواة تمر في دماغه وعلجها حتى صارت شجرة وأثمرت به هذا الجوز وهذه الحكاية من الاكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزياة في حمرة الوجه واما الاعانة على الباءة ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء أمره أخضر فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الخلاوة والبرودة ومزاجه حار معين على الباءة فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه المعلقة وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضة اذا شويت ولم يتم نضيجها كل التام ويتغذي به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بجزائر ذببة المهل مدة من عام ونصف عام وعجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون القازانية يصعدون الى النخلة غدواً وعشيا اذا أرادوا أخذ ماؤها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار أصبعين ويربطون عليه قدراً صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق فاذا ربطها غدوة صعد اليها عشيًا ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحد القدحين و يغسله بالماء الذي في القدح الآخر وينجر من العذق قليلاً ويربط عليه القدر ثانية ثم يفعل غدوة كفعله عشيًا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ

ماء العنب اذا صنع منه الرب فيصير عسلا عظيم النفع طيبا فيشتر به تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم و يصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسي تجلس فوقة المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحيفة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شئ ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضا ويكون طعمه كطعم الحليب ويأندم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره وقطعوه قطعاً ويجعل في الشمس فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيتهم به يستصبحون ويأندمون به ويجعله النساء في شعورهن وهو عظيم النفع

— ذكر سلطان ظفار —

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفائز بن عم ملك اليمن وكان أبوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بملكها وامتنع من ارسال الهدية وكان من عزم ملك اليمن على محاربتة وتعيين ابن عمه لذلك ووقع الحائط عليه ما ذكرناه آنفاً والسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن عظيم فسيح والجامع بازائه ومن عاداته ان تضرب الطبول والبوقات والانفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة العصر وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر الى بابه فيقفون خارج المشور ساعة وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراه أحد الا في يوم الجمعة فيخرج للصلاة ثم يعود الى داره ولا يمنع أحداً من دخول المشور وأمير جندار قاعد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يطاع السلطان ويأتيه الجواب للحين وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكيبه من القصر وسلاحه ومما ليكه الى خارج المدينة وأتى بجمل عليه يحمل مستور يستر أبيض منقوش بالذهب فيركب السلطان وديمه في الحمل بحيث لا يرى وإذا خرج الى بستانه وأحب ركوب الفرس ركبه ونزل عن الجمل وعادته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا لشكايته ولا غيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس اذا سمعوا بخروج السلطان فروا عن الطريق وتحاموا وهاوز يرهذا السلطان الفقيه محمد العدني وكان معلم صبيان فعمل هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على ان يستوزره ان ملك فلما ملك استوزره فلم يكن يحسنها فكان الاسم له والحكم غيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان في مركب صغير

لرجل يعرف بعلي بن ادريس المصيرى من أهل جزيرة مصيرة وفي الثاني لركوبنا نزلنا
بمرسى حاسك وبه ناس من العرب صيادون للسماك ساكنون هنالك وعندهم شجر
الكندر وهو رقيق الورق واذا شربت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغ
وذلك الصمغ هو اللبان وهو كثير جدا هنالك ولا معيشة لاهل ذلك المرسى الا من
صيد السمك وسمكهم يعرف باللخم (بخاء معجم مفتوح) وهو شبه كلب البحر يشرح
ويقددو يقتات به ويؤتهم من عظام السمك وسقفها من جلود الجمال وسرنا من مرسى
حاسك اربعة أيام ووصلنا الى جبل لمعان (بضم اللام) وهو في وسط البحر وابعاده
رابطة مبنية بالحجارة وسقفها من عظام السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر

﴿ ذكرولى لقيناه هذا الجبل ﴾

ولما أرسينا تحت هذا الجبل صعدناه الى هذه الرابطة فوجدناها شيخا نائما فسلمنا عليه
فاستيقظ وأشار برد السلام فكلمناه فلم يكلمنا وكان يحرك رأسه فانا هاهل المركب بطعام
فاني أن يقبله فطلبنا منه الدعاء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعليه مرقعة وقلنسوة
ليد وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل وقال أهمل المركب انهم مارأوه قط
بهذا الجبل وأقمنا تلك الليل بساحل هذا الجبل وصلينا معه العصر والمغرب وجئناه بطعام
فردوه وأقام يصلي الى العشاء الآخرة ثم أذن وصلينا معه وكان حسن الصوت بالقراءة
مجيدالها ولما فرغ من صلاة العشاء الآخرة أو ما لينسا بالا نصراف فودعناه وانصرفنا
ونحن نعجب من أمره ثم انى اردت الرجوع اليه لما انصرفنا فلما دنوت منه هبته وغلب
على الخوف ورجعت الى أصحابي وانصرفت معهم وركبنا البحر ووصلنا بعد يومين الى
جزيرة الطير وليست بها عمارة فارسينا وصعدنا اليها فوجدناها ملائكة بطيور تشبه
الشقائق الا انها أعظم منها وجاءت الناس ببيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها
واصطادوا جملة من تلك الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها وكان يجالسني تاجر
من أهل جزيرة مصيرة ساكن بظفار اسمه مسلم فرأيتهم يأكل معهم تلك الطيور
فانكرت ذلك عليه فاشتد خجله وقال لى ظننت انهم ذبحوها وانقطع عني بعد ذلك من
الخجل فكان لا يقربني حتى ادعوبه وكان طعامي في تلك الايام بذلك المركب التمر
والسمك وكانوا يصطادون بالغدو والعشى سمك يسمى بالفارسية شير ماهي ومعناه أسد
السمك لان شير هو الاسد وماهي السمك وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتازرت وهم
يقطعونه قطعاً وبشورونه ويعطون كل من في المركب قطعة لا يفضلون أحداً على احد ولا

صاحب المركب ولا سواه وياكلونه بالتمر وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار فلما نفذت كنت أقتات من تلك السمك في جملتهم وعيدنا عيد الاضحى على ظهر البحر وهبت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تغرقنا

﴿كرامة﴾

وكان معاني المركب حاج من أهل الهند يسمى بخضر ويدعي بمولانا لانه يحفظ القرآن ويحسن الكتابة فلما رأى هول البحر لف رأسه بعباءة كانت له وتناوم فلما فرج الله ما نزل بنا قلت له يا مولانا خضر كيف رأيت قال قد كنت عند أهول أفتج عيني أنظر هل أرى الملائكة الذين يقبضون الارواح جاؤا فلا أراهم فاقول الحمد لله لو كان الفرق لأنوا لقبض الارواح ثم أغلق عيني ثم أفتحتها فانظر كذلك الى ان فرج الله عنا وكان قد تقدمنا مركب لبعض التجار ففرق ولم ينج منه الا رجل واحد خرج عوما بعد جهد شديد وأكلت في ذلك المركب نوعا من الطعام لم آكله قبليه ولا بعده صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة طبخها من غير طحن وصب عليها السيلان وهو عسل التمر واكلناه ثم وصلنا الى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا فيه وهى على لفظ مصير وزيادة ثمانية جزيرة كبيرة لا عيش لاهلها الا من السمك ولم نزل اليها لبعده مرساها عن الساحل وكنت قد كرهتهم لما رأيتهم ياكلون الطير من غير ذكاة وأقنابها يوما وتوجه صاحب المركب فيه الى داره وعاد اليها ثم سرنا يوما وليلة فوصلنا الى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور ورأينا منها مدينة قلعة في سفح جبل فخيّل لنا انها قرية وكان وصولنا الى المرسى وقت الزوال أو قبله فلما ظهرت لنا المدينة أحببت المشي اليها والمبيت بها وكنت قد كرهت صحبة اهل المركب فسالنا عن طريقها فاخبرت أنني أصل اليها عند العصر فكثرت أحد البحريين ليدلني على طريقها وصحبتني خضر الهندي الذي تقدم ذكره وتركت اصحابي مع ما كان لى بالمركب ليلحوقاني في غد ذلك اليوم وأخذت أثوابا كانت لى فدفعتهن لذلك الدليل ليكنفيني مؤنة حملها وحملت في يدي رحا فاذا ذلك الدليل يحب ان يستولى على اثوابي فاتى بنا الى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فاراد عبوره بالثياب فقلت له انما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزا والا صعدنا نطلب المجاز فرجع ثم رأينا رجلا جازوه عوما فتحققنا انه كان قصده ان يفرقنا ويذهب بالثياب فحينئذ اظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشددت وسطى وكنت أهز الرمح فها بنى ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ثم خرجنا الى

صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتد بنا الامر فبعث الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه وبيد
أحدهم ركوة ماء فسقاني وسقي صاحبي وذهبنا نحسب المدينة قريبة منا وبيننا وبينها خنادق
نمشي فيها الاميال الكثيرة فلما كان العشي أراد الدليل أن يميل بنا الى ناحية البحر وهو
لا طريق له لان ساحله حجارة فاراد أن ننشب فيها ويذهب بالثياب فقلت له انما نمشي
على هذه الطريق التي نحن عليها وبينها وبين البحر نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا ان
للمدينة قرية منافعة لو انمشي حتي نبيت بخارجها الى الصبح تخفت أن يتعرض لنا أحد
في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي اليها فقلت له انما الحق أن نخرج عن الطريق فننام
فاذا أصبحنا اتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد رأيت جملة من الرجال في سفح
جبل هنالك فخفت أن يكونوا الموصوا وقلت التستروا وغلّب العطش على صاحبي
فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من شجر أم غيلان وقد أعيت
وأدركني الجهد لكنني أظهرت قوة وتحلداً خوف الدليل وأما صاحبي فريض لا قوة
له فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي وجعلت الثياب بين نوني وجسدي وأمسكت الرمح
بيدي وردد صاحبي ورقد الدليل وبقيت ساهرا فكلمنا نحرك الدليل كلمته وأريته اني
مستيقظ ولم نزل كذلك حتي أصبح فخرجنا الى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين بالمرافق
الى المدينة فبعثت الدليل ليأتي بنا ماء وأخذ صاحبي الثياب وكان بيننا وبين المدينة مهاو
وخنادق فانا بالماء ثم بنا وذلك أو ان الحر ثم وصلنا الى مدينة قلها (وضبط اسمها
بفتح القاف واسكان اللام وآخره تاء مثناة) فأتيناها ونحن في جهد عظيم وكنت قد ضاقت
نعلى على رجلى حتي كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها فلما وصلنا باب المدينة كان
ختام المشقة ان قال لنا الموكل بالباب لا بذلك أن تذهب معي الى أمير المدينة ليعرف
قبضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه اليه فرأته فاضلا حسن الاخلاق وسالني عن حالي
وأزواني وأقمت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقهما من الآلام
ومدينة قلها على الساحل وهي حسنة الاسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه
بالقشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه الى البحر والمرسى وهو من عمارة
الصالحه بيبي مريم ومعنى بيبي عندهم الحرية وأكلت بهذه المدينة سمكا لم آكل مثله في
إقليم من الاقليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق
الشجر ويجعلونه على الارز ويأكلونه والارز يجلب اليهم من أرض الهند وهم أهل
تجارة ومعيشتهم مما ياتي اليهم في البحر الهندي واذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد

الفرح وكلامهم ليس بالقصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا فيقونون مثلاً تأكل لا تمشي لا تفعل كذا ولا وأكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرّون على اظهار مذاهبهم لانهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تهمّز ملك هرمز وهو من أهل السنة وبمقرّبة من قلعات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب اذا أضافه لمتكلم لنفسه وهى من أجل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار باضرة وبساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه الى قلعات ربها الموز المعروف بالمروارى والمروارى بالفارسية هو الجوهرى (المرور الجوهري) وهو كثير بها ويجلب منها الى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول لكن ورقته صغيرة والتمر يجلب الى هذه الجهات من عمان ثم قصداً بنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهى خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق تخل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد وهى مدينة زوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاى مسكن وواو مفتوح) مدينة فى سفح جبل تحف بها البساتين والانهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمة نقية وعادة أهلها انهم ياكلون فى صحون المساجد يأتى كل انسان بما عنده ويجتمعون للاكل فى صحن المسجد وياكل معهم الوارد والصادر ولهم محبة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم ابداً وهم بأضمية المذهب ويصلون الجمعة ظهراً أربعاً فاذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ونزل كلاماً شبه الخطبة يرضى فيه عن أبى بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلى وهم اذا أرادوا ذكر على رضى الله عنه كنوعاً عنه فقالوا ذكر عن الرجل ارقال الرجل ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم ويقولون فيه العبد الصالح قانع الفتنة ونسأؤهم يكثرون الفساد ولا غيره عندهم ولا انكار لذلك وسند ذكر حكاية إثر هذا ما يشهد بذلك

— ذكر سلطان عمان —

وسلطانها عربى من قبيلة الازد بن الغوث ويعرف بابى محمد بن نهان وأبو محمد عندهم سمة لكل سلطان بلى عمان كماهى اتابك عند ملوك اللور وعادته ان يجلس خارج باب داره فى مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع احداً من الدخول اليه من غريب أو غيره ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله اخلاق حسنة ويؤكل على مائدة لحم الحمار الانسى ويبيع بالسوق لانهم قائلون بتحليله ولكنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهرونه بمحضره ومن مدن عمان مدينة زكى لم أدخلها وهى على ماذكرلى مدينة عظيمة ومنها القرىات وشبا وكلبا وخور فكان

وصحاروكها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل وأكثرت هذه البلاد في عمالة هرمز

— حكاية —

كنت يوما عند هذا السلطان أبي محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغى الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي واطردى الشيطان فقال له لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فاعلى ماشئت فذكري لي لما انصرفت عنه ان هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذوق رابتها أن يغير واعليها وان قتلوها قتلوا بها لانها في جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هرمز وهرمز مدينة على ساحل البحر وتسمى أيضا موغستان وتقالبها في البحر هرمز الجديدة وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ ووصلنا الى هرمز الجديدة وهي جزيرة مدينتها تسمى جرون (بفتح الجيم والراء وآخرها نون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها اسواق حافلة وهي مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند الى العراقيين وفارس وخراسان وهذه المدينة سكنى السلطان والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباخ وجبال ملح وهو الملح الداراني ومنه يصنعون الاواني للزينة والمنسارات التي يضعون السرج عليها وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان ويقولون بلسانهم خرما وماهى لوت بادشاهي معناه بالعربي التمر والسمك طعام الملوك والماء في هذه الجزيرة قيمة ونها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر وهي على بعد من المدينة وياتون اليها بالقرب فيملأونها ويرفعونها على ظهورهم الى البحر بسقونتها في القوارب وياتون بها الى المدينة ورأيت من العجائب عند باب الحامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كانه رابية وعيناه كأنهما بابان فتري الناس يدخلون من احدها ويخرجون من الاخرى ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الاقصراني وأصله من بلاد الروم فاضافني وزارني والبسني ثوبا وأعطاني كرا الصحبة وهو يحتجب به فيعين الجالس فيكون كأنه مستند وأكثر فقراء العجم يتقلدونه وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب الى الخضر والياس عليهما السلام يذكر أنهما بصليان فيه وظهرت له بركات وبراكين وهناك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر وأقناعته يوما وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة قد نحت غارا اسكنناه فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة فيها جارية وله عبيد خارج الغار يرعون بقرا له وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار فحج البيت وقطع

العلائق وانقطع هنالك للعبادة ودفع ماله لرجل من اخوانه يتجر له به وبتنا عنده ليلة فاحسن القرى وأجل رضى الله تعالى عنه وسيمة الخير والعبادة لائحة عليه

— ذكر سلطان هرمز —

وهو السلطان قطب الدين تمهت بن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التاء بن المعلوتين و بينهما ميم مفتوح وهاء مسكنة وآخره نون) وهومن كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الاخلاق وعادته أن يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف يقوم بحقه ولما دخلنا جزيرته وجدناه مهيباً للحرب مشغولاً بهامع ابني اخيه نظام الدين فكان في كل ليلة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فاتي الينا وزيره شمس الدين محمد بن علي وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بانهم عليه من مباشرة الحرب وأقنعنا عندهم ستة عشر يوماً فلما أردنا الانصراف قلت لبعض اصحاب كيف ننصرف ولا نرى هذا السلطان فجئنا دار الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها فقلت له اني اريد السلام على الملك فقال بسم الله وأخذ بيدي فذهب بي الى داره وهي على ساحل البحر والا جفان مجلسه عندها فذا شيخ عليه أقبية ضيقة دنسة وعلى رأسه عمامة وهو مشدود الوسط بمنديل فسلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم اعرف انه الملك وكان الى جانبه ابن اخته وهو على شاه بن جلال الدين الكيجي وكانت بيني وبينه معرفة فانشات احادثه وانا لا اعرف الملك فعرفني الوزير بذلك فخرجت منه لاقبالي بالحديث على ابن اخته دونه واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت مع الوزير فوجدناه قاعداً على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبد لها وفي يده سبحة جوهر لم تر العيون مثلاً لأن مغاصات الجوهر تحت حكمه فجلس أحد الامراء الى جانبه وجلست الى جانب ذلك الامير وسألني عن حالى ومقدمى وعمى لقيته من الملوك فأخبرته بذلك وحضر الطعام فأكل الحاضرون ولم ياكل معهم ثم قام فودعته وانصرفت وسبب الحرب التي بينه وبين ابني اخيه أنه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم الزهرة في هرمز القديمة وبساتينها وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قدمناه فخالف عليه أخوه نظام الدين ودعى لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر الى مدينة قلها التي تقدم ذكرها وهي من جملة بلاده فأقام بها شهوراً وجهاز المراكب وأتى الجزيرة فقاتله أهلها مع اخيه وهزموه وعاد الى قلها وفعل ذلك مراراً فلم تكن له حيلة الا ان راسل بعض نساء أخيه فسمته ومات وأتى هو الى الجزيرة فدخلها وفر

ابن أخيه بالخزائن والاموال والعسا كرا الى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند وبغبيرون علي بلاده البحرية حتي تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون برسم لقاء رجل صالح ببلد خبيج بال فلما عدنا البحر اكثر نادوا ب من التريكان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافر فيها الا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطع بها الطريق لصوص الاعراب وتنب فيها ريح السموم في شهرى تموز وحزيران فمن صادفته فيها قتلته ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتلته تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفصل كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنا نسافر فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ونرحل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه الصحراء وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال اللك (اللوك) الشهير الاسم هنالك

— حكاية —

كان جمال اللك من أهل سجستان أعجمى الاصل (واللك بضم اللام) معناه الاقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطع بهم الطرق وكان يبني الزوايا ويطعم الوارد والصادر من الاموال التي يسلبها من الناس ويقال انه كان يدعوا ان لا يسلط الا على من لا يزكى ماله وأقام على ذلك دهرأ وكان يغيره و فرسانه ويسلكون براري لا يعرفها سواهم ويدفون بها قرب الماء ورواياه فاذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تاب وتعب حتى مات وقبره يزار ببلده وسلكنا هذه الصحراء الى ان وصلنا الى كور استان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الانهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا منه ثلاثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وأخر اسمها لار) مدينة كبيرة بكثرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منها بزاوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذي قصدنا زيارته بمخرج مال وبهذه الزاوية ولده أبو زيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عاداتهم انهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة العصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان فيطعمون منها الوارد والصادر وأهل الدور قد ألفوا ذلك فهم يجعلونه في جملة قوتهم ويعدونه لهم اعانة على اطعام الطعام وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة

وصلحائها وياقي كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة ويبيتون في عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح

— ذكر سلطان لار —

وهذه المدينة سلطان يسمى بجلال الدين تركاني الاصل بعث الينا بضيافة ولم يجتمع به ولا رأبناه ثم سافرنا الى مدينة خنج بال (وضبط اسمها بضم الخاء المعجم وقد يعوض منه هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معقودة وألف ولام) وبها سكنى الشيخ أبى دلف الذي قصدنا زيارته وبزوايته نزلنا ولما دخلت الزاوية رأيت قاعدا بناحية منها على التراب وعليه جبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسلمت عليه فاحسن الرد وسألني عن مقدمي وبلادي وأزلي وكان يبعث الى الطعام والفاكهة مع ولد له من الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة ولهذا الشيخ أبى دلف شان عجيب وأمر غريب فان نفقته في هذه الزاوية عظيمة وهو يعطي العطاء الجزيل ويكسو الناس ويركبهم الخيل ويحسن لكل وارد وصاير ولم أرى في تلك البلاد مثله ولا يعلم له جهة الا ما يصله من الاخوان والاصحاب حتي زعم كثير من الناس انه ينفق من الكون وفي زاويته المذكورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بتلك البلاد شهر وشان في الولاية كبير وعلى قبره قبة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تمتم بن طوران شاه وأقيمت عند الشيخ أبى دلف يوما واحدا لاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها وسمعت أن بالمدينة خنج بال المذكورة زاوية فيها جملة من الصالحين المتعبدين فرحت اليها بالاعشى وسلمت على شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صقرا لاوان نحاف الجسوم كثير البكاء غزير الدموع وعند وصولي اليهم أتوا باطعام فقال كبيرهم فدعوا لي ولدي محمدا وكان معتزلا في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كائنما خرج من قبر مما نهكته العبادة فسلم وقعد فقال له أبوه يا بني شارك هؤلاء النواردين في الأكل كل تنل من بركاتهم وكان صائما فافطر معنا وهم شافعية المذهب فلما فرغنا من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفنا ثم سافرنا منها الى مدينة قيس وتسمى أيضا بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس وعددها في كور فارس مدينة لها انفساح وسعة طيبة البقعة في دورها بسايتين عجيبة فيها الرياحين والاشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون معنبثة من جبالها وهم عجم من الفرس أشرف وفيهم طائفة من عرب بني سفاف وهم الذين يخصوصون على الجوهر

— ذكر مغاص الجوهر —

ومغاص الجوهر فيما بين سيرا ف والبحرين في خور را كدمثل الوادى العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر مايه تاتي اليه القوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه مهبا أراد أن يغوص شيئا يكسوه من عظم الغيلم وهي السلحفاة ويصنع من هذا العظم أيضا شكلًا شبه المقرض يشده على أنفه ثم يربط حبلا في وسطه ويغوص ويتفادتون في الصبر في المساء فمنهم من يصبر الساعة والساعتين فادون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا في الرمل فيقتله بيده أو يقطعه بمحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في غللة جلد منوطة بعنقه فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه الغللة و يفتح الصدف فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بمحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسة والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينه أو ماوجب له منه ثم سافروا من سيرا ف الى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالابدى فيوجد بها حدائق النخل والمان والارج ويزرع بها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال ورمالها على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استوائت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسير وهو في غربها ويسمى الآخر عوير وهو في شرقها وبهما ضرب المثل فقيل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافروا الى مدينة القطيف (وضبط اسمها بضم القاف) كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم افضية غلاة يظهرون الرضى جهارا لا يتقون أحدا ويقول مؤذنين في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن عليا ولي الله ويزيد بعد الحيعلتين حي على خير العمل ويزيد بعد التكبير الاخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافروا منها الى مدينة هجر وتسمى الآن بالحسا (بفتح الحاء والسين واهما لها) وهي التي يضرب المثل بها فيقال كجالب التمر الى هجر وبها من النخل ما ليس ببلد سواها ومنه يعلقون دوابهم وأهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفضى ثم سافروا منها الى مدينة البعامة وتسمى أيضا بحجر (بفتح الحاء المهمل واسكان الجيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار

يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديما وأميرهم طفيل ابن غانم ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ثنتين وثلاثين فوصلت الى مكة شرفها الله تعالى وحج في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أمرائه وهي آخر حجة حجها وأجزل الاحسان لاهل الحرمين الشريفين وللمجاورين وفيها قتل الملك الناصر أمير أحمد الذي يذكر انه ولده وقتل أيضا كبير أمرائه بكتمور الساقى

— حكاية —

ذكر ان الملك الناصر وهب لبكتمور الساقى جارية فلما أراد الدنو منها قالت له اني حامل من الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولدا سماه بامير أحمد ونشأ في حجره فظهرت نجايته واشتهر بابن الملك الناصر فلما كان في هذه الحجة تعاهدا على الفتك بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد الملك وحمل بكتمور معه العلامات والطبول والكسوات والاموال فمني الخبر الى الملك الناصر فبعث الى أمير أحمد في يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقداح الشرب فشرب الملك الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحا ثانيا فيه السم فشربه وأمر بالرسيل في تلك الساعة ليشغل الوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتي مات أمير أحمد قاتل بكتمور لموته وقطع أثوابه وامتنع من الطعام والشراب وبلغ خبره الى الملك الناصر فأنه بنفسه ولا طفه وسلاه وأخذ قدحا فيه سم فنأوله اياه وقال له بحياتي عليك إلا شربت فبردت نار قلبك فشربه ومات من حينه ووجد عنده خلع السلطنة والاموال فتحقق ما نسب اليه من الفتك بالملك الناصر ولما انقضى الحج توجهت الى جدة برسم ركوب البحر الى اليمن والهند فلم يفض الى ذلك ولا تاقى لى رفيق وأقمت بمدة نحو أربعين يوما وكان بها مركب لرجل يعرف بعبد الله التونسي بروم السفر الى القصير من عمالة قوص فصعدت اليه لا نظر حاله فلم ير ضني ولا طابت نفسى بالسفر فيه وكان ذلك لطفًا من الله تعالى فانه سافر فلما توسط البحر غرق ووضع يقال له رأس أبي محمد فخرج صاحبه وبعض التجار في العشارى بعد جهد عظيم وأشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركب البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عيداب فردتنا الريح الى مرسى يعرف برأس دواير وسافرنا منه في البرمجة البجاة فسلكننا صحراء كثيرة النعام والغزلان فيها عرب جهينة وبني كاهل وطاعتم للبجاة ووردنا ماء يعرف بفرور وماء يعرف بالجديد ونقد زادنا فاشترينا من قوم من البجاة وجدناهم بالغلاة أغناما وتزودنا لحومها ورأيت بهذه الغلاة صبيانا من العرب كلنى باللسان العربي

وأخبرني ان البجاه أسروه وزعم انه منذ عام لم يأكل طعاما لما يقتات بلبن الابل ونقد لنا بعد ذلك اللحم الذي اشتريناه ولم يبق لنا زاد وكان عندي نحو حمل من التمر الصيحاتي والبرني برسم الهدية لاصحابي فقرقته علي الرفقة وتزودناه ثلاثا وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواير وصلنا الى عيذاب وكان قد تقدم اليها بعض الرفقة فطلقنا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقنابها أياما واكثر ينال الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجنيب ولعله (الخبيب) وحللنا بجميثر حيث قبر ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي وحصلت لنا زيارته ثانية وبناني جواره ثم وصلنا الى قرية العطوانى وهى على ضفة النيل مقابلة لمدينة أدفو من الصعيد الأعلى وأجزنا النيل الى مدينة اسنا ثم الى مدينة أرمنت ثم الى الأقصر وزرنا الشيخ أبا الحجاج الاقصرى ثانية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قنا وزرنا الشيخ عبد الرحيم القناوى ثانية ثم الى مدينة هـو ثم الى مدينة اخميم ثم الى مدينة أسيوط ثم الى مدينة منفوط ثم الى مدينة منلوى ثم الى مدينة الاشموين ثم الى مدينة منية ابن الخصيب ثم الى مدينة البهنسة ثم الى مدينة بوش ثم الى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد ثم الى مصر وأقمت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس الى الشام ورافقني الحاج عبد الله بن أبي بكر بن الفرخان التوزري ولم يزل في صحبتى سنين الى ان خرجنا من بلاد الهند فتوفي بسندابور وسند كر ذلك فوصلنا الى مدينة غزة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام وتكررت لنا زيارته ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة طرابلس ثم الى مدينة جبلة وزرنا ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ثانية ثم الى مدينة اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في قرقورة كبيرة للجنو بين يسمى صاحبها بمرتلين وقصدنا بر التركية المعروف ببلاد الروم وانما نسبت الى الروم لانها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية ثم استفتحها المسلمون وبها الآن كثير من النصاري تحت ذمة المسلمين من التركان وسرنا في البحر عشرا بر يبح طيبة وأكرمنا النصراي ولم يأخذنا نولا وفي العاشر وصلنا الى مدينة العاليا وهي أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع الله فيه ما تفرق من الحسن في البلاد فأهله أجمل الناس صورا وأنظفهم ملبسا وأطيبهم مطاعا وأكثر خاق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم وانما عني به أهل هذه البلاد وكنا متى نزلنا بهذه البلاد زاوية أو دارا يتفقد أحوالنا جيرانا من الرجال والنساء وهن لا يحتاجن فاذا

سافروا عنهم ودعونا كأنهم أقاربنا وأهلنا وترى النساء باقيات لفراقنا متأسفات ومن عادتهم بتلك البلاد ان يجزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يقوتهم سائر هافكان رجالهم يأتون إلينا بالخبز الحار في يوم خبزته ومعه الادم الطيب إطرافنا بذلك وبقولون لنا ان النساء بعثن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السنة لا قدرى فيهم ولا رافضى ولا معتزلى ولا خارجي ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها الا انهم يأكلون الحشيش ولا يعيبون ذلك ومدينة العلايالي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهى كثيرة الخشب ومنها يحمل الى اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومي ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجانى وصعد معى الى القلعة يوم الجمعة فصلينا بها وأضافني وأكرمني وأضافني أيضا بها شمس الدين ابن الرجيحاني الذى توفى أبوه علاء الدين بمالى من بلاد السودان

— ذكر سلطان العلايا —

وفي يوم السبت ركب معى القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العلايا وهو يوسف بك ومعنى بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف والراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاعدا على الساحل وحده فوق رابية هنالك والامراء والوزراء أسفل منه والاجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألتني عن مقدمى فاخبرته عما سألت وانصرفت عنه وبعث الى احسانا وسافرت من هنالك الى مدينة انطالية (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل وألف ولا م مكسور وباء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي انطاكية على وزنها الا أن الكاف عوض عن اللام وهى من أحسن المدن متناهية فى اتساع الساحة والضخامة أجمل ما يرى من البلاد وأكثره عمارة وأحسنه ترتيباً وكل فرقة من سكانها منفردة بأى نفسها عن الفرقة الاخرى فنجار النصارى ما كثون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور تسد أبوابه عليهم ليلا وعند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قديما ساكنون بموضع آخر منفردين به وعليهم أيضاً سور واليهود فى موضع آخر وعليهم سور والملك وأهل دولته ومما ليكه يسكنون ببلدة عليها أيضاً سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة وحمامات كثيرة

وأسواق ضخمة مرتبة بابتدع ترتيب وعليها سور عظيم يحيط بها وبجميع المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والقواكه الطيبة والشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين وفي نواته لوز حلوه ووييس ويحمل إلى ديار مصر وهو بها مستظرف وفيها عيون الماء الطيب العذب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلنا من هذه المدينة بمدرستها وشيخها شهاب الدين الحموي ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالاصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضاً سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم

— ذكر الاخيه الفتيان —

واحد الاخيه اخي على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم إلى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالاً بالغرباء من الناس واسرع إلى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاختذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر والاخي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجربين ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً وبني زاوية ويجعل فيها الفرش والسرير وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم اصحابه بالنهار في طلب معاشهم ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيسترون به القواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينفق في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد واردا جتمعوا هم على طعامهم فاكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغد وأتوا بعد العصر إلى مقدمهم بما اجتمع لهم ويسمون بالفتيان ويسمي مقدمهم كاذكرنا الاخيه ولم أرى في الدنيا أجمل أفعالا عنهم ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز واصفهار إلا أن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم كراما له وشفقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا إلى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان إلى الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه أبواب خنقة وعلي رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ أنعلم ما يقول هذا الرجل فقلت لأعلم ما قال فقال لي انه يدعوك إلى ضيافته أنت واصحابك فعجبت منه وقلت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا زبدان نكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا أحد شيوخ الفتيان الاخيه وهو من الخرازين وفيه كرم نفس واصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية للضيافة وما يجتمع لهم بالنهار انفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل

وذهبنا معه الى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي وفي المجلس خمسة من البياسيس والبيسوس شبيه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة وبها من الشمع المذاب والى جانبها آنية نحاس ملاءة بالشحم وفيها مقراض لاصلاح الفتيل واحد منهم وكلها وبسمى عندهم الخراجي (الجرانجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الاقية وفي أرجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعلى رؤسهم قلائس بيض من الصوف باعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض أصبعين فاذا استقربهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني وسواه حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين ولما استقربنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والغاكة والحلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص فراقنا حالهم وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم

— ذكر سلطان انطالية —

وسلطانها خضريك بن يونس بك وجدناه عند وصولنا اليها عليلاً فدخلنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلمنا بالطف كلاماً وأحسنه وودعناه وبعث اليها باحسان وسافرنا الى بلدة بردور (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء) وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الاخوية وأرادوا نزولنا عندهم فابى عليهم الخطيب فصنعوا لنا ضيافة في بستان لآحدهم وذهبوا بنا اليها فكان من العجائب اظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لساننا ونحن لا نعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا وأقمنا عندهم يوماً وانصرفنا ثم سافرنا من هذه البلدة الى بلدة سيرنا (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح التاء المعلوة والالف) وهي بلدة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ وصلنا اليها بالعشي ونزلنا عند قاضيها وسافرنا منها الى مدينة أكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدودال مهمل مضموم وواو مد وراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب

فيها يومين الى أقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع
الاعظم بها المدرس العالم الحاج الجاور الفاضل مصلح الدين قرأ بالديار المصرية والشام
وسكن بالعراق وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروفة من طرف الزمان اكرمنا غاية
الاكرام وقام بحققنا أحسن قيام

— ذكر سلطان أكر بدور —

وسلطانها أبو اسحاق بك بن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر
أيام أبيه وحج وله سير حسنة ومن عاداته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالمسجد
الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وقعد القراء بين يديه على مصطبة
خشب عالية فقرأ سورة الفتح والملك وعم باصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب
وتقشعر الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف الى داره وأظننا عنده شهر رمضان فكان يقعد
في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويستند الى مخدة كبيرة ويجلس
الفقيه مصلح الدين الى جانبه وأجلس الى جانب الفقيه ويلبنا أرباب دولته وامراء حضرته
ثم يوتي بالطعام فيكون أول ما يقطر عليه ثريد في صحفة صغيرة عليه العدس مسقي بالسمن
والسكر ويقدمون الثريد ثم كاو يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام
فنحن نبدأ به لتفضيل النبي له ثم يوتي بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان
وتوفي في بعض تلك الايام ولد السلطان فلم يزدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام
خلاف لما قدمناه من فعل أهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان
والطلبة ثلاثة أيام يخرجون الى قبره بعد صلاة الصبح وفي ثاني يوم من دفنه خرجت مع
الناس فرأى السلطان ماشيا على رجلى فبعث الى بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة
بعثت الفرس فردده وقال انما أعطيته عطية لا عارية وبعث الى بكسوة ودراهم فانصرفنا الى
مدينة قل حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان اللام ثم جاء مهمل مكسور وصاد
مهمل وآخره راء) مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب قد بنيت فيها القصب فلا طريق
لها الا طريق كالجسر مهيأ بين القصب والمياه لا يسع الا فارسا واحدا والمدينة على تل
في وسط المياه منيعة لا يقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد القتيان الاخية بها

— ذكر سلطان قل حصار —

وسلطانها محمد جلبي وجلبي (بحجم معقود ولا مفتوحين وباءه واحدة وياه) وتفسيره بلسان
الروم سيدي وهو أخو السلطان أبي اسحاق ملك أكر بدور ولما وصلنا بمدينة كان غائبا

عنها فاقمنا بها أيامنا ثم قدمنا فأركبنا وزدنا وانصرفنا على طريق قرا أغاج وقرا
 (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأغاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره جيم) تفسيره الخشب
 وهي صحراء خضرة يسكنها التركان وبعث معنا السلطان فرسا نايبا فوئنا الى مدينة لاذق
 بسبب ان هذه الصحراء يقطع الطريق فيها طائفة يقال لهم الجرمان يذكرانهم من ذرية
 يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوثاهية فعصمنا الله منهم ووصلنا الى مدينة لاذق
 (وهي بكسر الذال المعجم وبعده قاف) وتسمى أيضا دون غزله وتفسيره بلد الخنازير
 وهي من أبداع المدن وأضخمها وفيها سبعة من المساجد لقاعة الجمعة ولها البساتين الرائقة
 والانهار المطردة والعيون المنبوعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب
 لا مثل لها تطول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزله وهذه الثياب معروفة بالنسبة اليها
 واكثر الصناعات بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف للسلطان
 من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الحمر والبياض ونساء الروم لهن
 عمائم كبار وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر بل كذلك أهل هذا الاقليم كله وهم يشترون
 الجوارى الروميات الحسان ويتكهنن للفساد وكل واحدة عليها وظيف لما لهن من ثوبه
 له وسمعت هنالك أن الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام
 من غير منكر عليه وذكر لي أن القاضي به الجوارى على هذه الصورة وعند دخولنا لهذه
 المدينة مررنا بسوق لها فنزل الينا رجال من حوايتهم وأخذوا باعنة خيلنا ونازعهم في
 ذلك رجال آخرون وطال بينهم النزاع حتى سل بعضهم السكاكين على بعض ونحن لا نعلم
 ما يقولون فخففنا منهم ووطننا انهم الجرمان الذين يقطعون الطرق وان تلك مدينتهم وحسبنا
 انهم يريدون نهبنا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف اللسان العربي فسالته عن مرادهم
 منا فقال انهم من الفتيان وان الذين سبقوا الينا أولاهم أصحاب الفتى أخي سنان والآخرون
 أصحاب الفتى أخي طومان وكل طائفة ترغب ان يكون نزولكم عندهم فاجبتنا من كرم
 نفوسهم ثم وقع بينهم الصلح على المقارعة فمن كانت قرعته نزلنا عنده أولا فوقع قرعة
 أخي سنان وبلغه ذلك فاتي الينا في جماعة من أصحابه فسلموا علينا ونزلنا بزاوية له
 وأتى بنا نوع الطعام ثم ذهب بنا الى الحمام ودخل معنا وتولى خدمتي بنفسه وتولى أصحابه
 خدمة أصحابي يخدم الثلاثة والاربعة الواحد منهم ثم خرجنا من الحمام فاتوا بطعام عظيم
 وحلوا وفاكهة كثيرة وبعد الفراغ من الاكل قرأ القراء آيات من الكتاب العزيز ثم
 أخذوا في السماع والرقص وأعلموا السلطان بخبرنا فلما كان من الغد بعث في طلبنا بالاعشي

فتوجهنا اليه والى ولده كما نذكره ثم عدنا الى الزاوية فالفينا الاخي طومان وأصحابه في انتظارنا فذهبوا بنا الى زاويتهم ففعلوا في الطعام والحمام مثل أصحابهم وزادوا عليهم ان صبوا علينا ماء الورد صبا بعد خروجنا من الحمام ثم مضوا بنا الى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال في الاطعمة والحلواء والفاكهة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الاكل ثم السماع والرقص كمثلى ما فعله أصحابهم أو أحسن وأقمنا عندهم بالزاوية أياما — ذكر سلطان لاذق —

وهو السلطان ينج بك (واسمه بياض آخر الحروف مفتوحة ثم نونين أولاهما مفتوحة والثانية مسكنة وجيم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية أخي سنان كما قدمناه بعث الينا الواعظ المذكر العالم علاء الدين القسطنطيني واستصحب معه خيلا عددا وذلك في شهر رمضان فتوجهنا اليه وسلمنا عليه ومن عادة ملوك هذه البلاد التواضع للواردين ولين الكلام وقلة العطاء فصلى معنا معه المغرب وحضر طعامه فافطرناعنده وانصرفنا وبعث الينا بدرهم ثم بعث الينا ولده مراد بك وكان ساكننا في بستان خارج المدينة وذلك في إبان الفاكهة وبعث أيضا خيلا على عددنا كما فعله أبوه فأتينا بستانه وأقمنا عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة وأظلمنا عيد الفطر بهذه البلدة فخرجنا الى المصلى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الاخية كلهم بالاسلحة ولاهل كل صناعة الاعلام والبوقات والطبول والانفار وبعضهم بفأخر بعضا وبباهيه في حسن الهيئة وكال الشكبة ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأعمال الخبز فيذبحون البهائم بالمقابر ويتصدقون بها وبالخبز ويكون خروجهم أولا الى المقابر ومنها الى المصلى ولما صلينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان الى منزله وحضر الطعام فجعل للفقهاء والمشايخ والفتيان سماء على حدة وجعل للفقراء والمساكين سماء على حدة ولا يرد على باب في ذلك اليوم فقير ولا غني وأقمنا بهذه البلدة مدة بسبب مخاوف الطريق ثم تهيأت رفقة فسافرنا معهم يوما بعض ليلة ووصلنا الى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتخفيف الواو وآخره سين مهملة) وهو حصن كبير ويذكران صهييا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه من أهل هذا الحصن وكان مبيتنا بخارجه ووصلنا بالغد الى باب ففسا لنا أهل من أعلى السور عن مقدمتنا فخيرناهم وحينئذ خرج أمير الحصن الياس بك في عسكره ليختبر نواحي الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على الماشية فلما طافوا بجماته خرجت مواشيهم وهكذا فعلهم أبدا ونزلنا من هذا الحصن بربطة في زاوية رجل فقير وبعث الينا أمير

الحصن بضيافة وزاد وسافرنا منه الى مغلة (وضبط اسمها بضم الميم واسكان الغين المعجم وفتح اللام) ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها وكان من الكرماء الفضلاء يكثر الدخول علينا بزاويته ولا يدخل الا بطعام أو فاكهة أو حلواء ولقينا بهذه البلدة ابراهيم بك ولد سلطان مدينة ميلاس وسند كره فاصكرنا وكسانا ثم سافرنا الى مدينة ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مد وآخره سين مهملة) وهى من أحسن بلاد الروم وأضخمها كثيرة الفواكه والبساتين والمياه نزلنا منها بزاوية أحد الفتيان الاخوية ففعل أضعاف ما فعله من قبله من الكرامة والضيافة ودخول الحمام وغير ذلك من حميد الافعال وجميل الاعمال ولقينا بمدينة ميلاس رجلا صالحا معمر ايسمى بابي الششتري ذكروا ان عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحركة وعقله ثابت وذهنه جيد دعالنا وحصلت لنا بركته

— ذكر سلطان ميلاس —

وهو السلطان المكرم شجاع الدين أرخان بك ابن المنتشا (وضبط اسمه بضم الهمزة واسكان الراء وخاء معجم وآخره نون) وهو من خيار الملوك حسن الصورة والسيرة جالسؤه للفقهاء وهم معظمون لديه وبيا به منهم جماعة منهم الفقيه الخوارزمي عارف بالقنون فاضل وكان السلطان في أيام لقائى له واجدا عليه بسبب رحلته الى مدينة ايسلوق ووصوله الى سلطانها وقبول ما أعطاه فسال مني هذا الفقيه أن أتكلم عند الملك في شأنه بما يذهب ما في خاطره فانثيت عليه عند السلطان وذكرت ما علمته من علمه وفضله ولم أزل به حتى ذهب سا كان يحده عليه وأحسن الينا هذا السلطان وأركبنا وزودنا وسكننا في مدينة برجين وهى قرية من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الباء الواحدة واسكان الراء وجيم وياء مد وآخره نون) وهى جديدة على تل هنالك بها العمارات الحسان والمساجد وكان قد بني بها مسجدا جامعالم يتم بناؤه بعد وبهذه البلدة لقيتنا ونزلنا منها بزاوية الفتي أخى على ثم انصرفنا بعد ما أحسن الينا كما قدمناه الى مدينة قونية (وضبط اسمها بضم القاف وواو مد ونون مسكن مكسور وياء آخر الحروف) مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره ويحمل منه أيضا الى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جدا واسواقها بدعة للترتيب واهل كل صناعة على حدة ويقال ان هذه المدينة من بناء الاسكندر وهى من بلاد السلطان بدر الدين بن قمران وسند كره وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات لقر بها من بلاده التى بهذا الاقليم نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه

هو ومن الفتیان وزاویته من أعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله واجل وبعث ولده عوضاً عنه لدخول الحمام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر وبارض الروم طائفة ينتمون اليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحدية بالعراق والحيدرية بخراسان وعلى تربيته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر — حكاية —

يذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا مجتمعا اليه الطلبة بمدرسته بقونية فدخل يوما الى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقطعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاه للشيخ فأخذها الشيخ بيده وأكلها فخرج الحلواني ولم يطعم أحدا سوى الشيخ فخرج الشيخ في اتباعه وترك التدريس فأبطأ على الطلبة وطال انتظارهم اياه فخرجوا في طلبه فلم يعرفوا له مستقراً ثم انه عاد اليهم بعد أعوام وصار لا ينطق الا بالشرع الفارسي المتعلق الذي لا يفهم فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر وألقوا منه كتابا سموه المتنوي وأهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه ويعلمونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجمعات وفي هذه المدينة أيضاً أمير الفقيه أحمد الذي يذكر انه كان معلم جلال الدين المذكور ثم سافرنا الى مدينة اللارندة وهي (بفتح الراء التي بعد الالف واللام واسكان النون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين — ذكر سلطان اللارندة —

وسلطانها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح القاف والراء) وكانت قبله لشقيقه موسى فنزل عنها للملك الناصر وعوضه عنها بعوض وبعث اليها أميراً وعسكراتهم تغلب عليها السلطان بدر الدين وبنى بهادر مملكته واستقام أمره بها ولقيت هذا السلطان خارج المدينة وهو عائد من تصيده فنزلت له عن دابتي فنزل هو عن دابته وسامت عليه وأقبل على ومن عادة ملوك هذه البلاد انه اذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعله وزادوا في اكرامه وان سلم عليهم راكباً ساءم ذلك ولم ير ضهم ويكون سببا لحرمان الوارد وقد جرى لي ذلك مع بعضهم وسأذكره ولما سامت عليه وركب وركبت ساء لي عن حالي وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالي أحسن نزل وكان يبعث الطعام

الكثير والفاكهة والحلواء في طيا فير الفضة والشمع وكساواركب واحسن ولم يطل مقامنا عنده وانصرفنا الى مدينة أقصرا (وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد المهمل والراء) وهى من أحسن بلاد الروم وأتقنها تحف بها العيون الجارية والبساتين من كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجرى الماء بدورها وفيها الاشجار ودوا الى العنب ودخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لامثل لها في بلد من البلاد ومنها تحمل الى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك وهذه المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها بزواية الشر يف حسين النائب بها عن الأمير أرتنا وأرتنا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الريم وهذا الشريف من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا كراما متناهيها وفعل أفعال من تقدمه ثم رحلنا الى مدينة نكدة (وضبط اسمها بفتح النون واسكان الكاف ودال مهمل مفتوح) وهى من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرب بعضها ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الانهار عليه ثلاث قناطر احداها بداخل المدينة وثنتان بخارجها وعليه النواعير بالداخل والخارج منها تسقى البساتين والقواكه بها كثيرة ونزلنا منها بزواية الفتى أخى جاروق وهو الأمير بها فأكرمنا على عادة الفتيان وأقمنا بها ثلاثا وسرنا منها بعد ذلك الى مدينة قيسارية وهى من بلاد صاحب العراق وهى احدي المدن العظام بهذا الاقليم بها عسكر أهل العراق واحدى خواتين الأمير علاء الدين أرتنا المذكور وهى من أكرم الخواتين وأفضلهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعى أغا (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعى بذلك واسمها طغى خاتون ودخلنا اليها فقامت لنا وأحسنت السلام والكلام وامرت باحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا بفرس مسرج ملجم وخلعة ودراهم مع أحد غلمانها واعتذرت ونزلنا من هذه المدينة بزواية الفتى الأخي أمير على وهو أمير كبير من كبار الاخوة بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاوية من أحسن الزوايا فرش وقناديل وطعاما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون في أكرام الوارد أضعاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه ما كان منها ليس به سلطان قال اخي هو الحاكم به وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك ثم سافرنا الى مدينة سيواس (وضبط اسمها بكسر السين المهمل ويا مد وآخره سين مهمل) وهى من بلاد ملك العراق وأعظم ماله بهذا الاقليم

من البلاد وبها منزل أمرائه وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة لا ينزلها الا الشرفاء ونقيهم ساكن بها وتجري لهم فيها مدة مقامهم الفرس والطعام والشمع وغيره فيزودون اذا انصرفوا ولما قدمنا الى هذه المدينة خرج الى لقائنا أصحاب الفتى أخى أحمد بجقجي وبحق بالتركية السكينة وهذا منسوب اليه والجيان منه معقودان بينهما قاف وبأوه مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ثم لقينا بعدهم أصحاب الفتى أخى جلبي وهو من كبار الاخوة وطبقته أعلى من طبقة أخى بجقجي فطلبوا ان نزل عندهم فلم يمكن لي ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفخرون والذين سبقوا الينا قد فرحوا اشد الفرح بنزلنا عندهم ثم كان من صنيعهم في الطعام والحمام والمبيت مثل صنيع من تقدم وأقمنا عندهم ثلاثة ايام أحسن ضيافة ثم آتانا القاضي وجماعة من الطلبة ومعهم خيل الامير علاء الدين أرتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا الامير الى دهليز داره فسلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسألني عن العراقيين وأصبهان وشيراز وكرمان وعن السلطان أنا بك وبلاد الشام ومصر وسلاطين التركان وكان مراده أن أشكر الكريم منهم وأذم البخیل فلم أفعل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك مني وشكرني عليه ثم أحضر الطعام فاكلنا وقال تكونون في ضيافتي فقال له الفتى أخى جلبي انهم لم ينزلوا بعد بزوايتي فليكونوا عندي وضيافتك تصلهم فقال افعلى فانتقلنا الى زاويته وأقمنا به استافى ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودراهم وكتب لنوابه بالبلاد ان يضيفونا ويكرمونا ويزودونا وسافرنا الى مدينة أماصية (وضبط اسمها بفتح الهمزة والميم وألف وصاد مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة) مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة وعلى أنهارها النواوير تسقى جناتها ودورها وهي فسيحة الشوارع والأسواق وملوكها أصحاب العراق ويقرب منها بلدة سونسي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو مدونون مضموم وسين مهمل مفتوح) وهي لصاحب العراق أيضا وبها سكني أولاد ولي الله تعالى أبي العباس أحمد الرافعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب سجادة الرافعي واخوته الشيخ على والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوجك ومعناه الصغير ابن تاج الدين الرافعي ونزلنا بزوايتهم ورأينا لهم الفضل على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة كش (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة عامرة ياتيها التجار من العراق والشام وبها معادن

الفضة وعلى مسيرة يومين منها جبال شاذة وعرة لم أصل إليها ونزلنا منها بزاوية الاخوي
 مجد الدين وأقمنا بها ثلاثا في ضيافته وفعل أفعال من قبله وجاء الينا نائب الامير أرتنا وبعث
 بضيافة وزاد وانصرفنا على تلك البلاد فوصلنا الى ارزنجان (وضبط اسمها بفتح الهمزة
 واسكان الراء وفتح الزاي وسكون النون وحيم وألف ونون) وهي من بلاد صاحب
 العراق مدينة كبيرة عامرة واكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ولها
 أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس ويصنعون
 منه الاواني والبياسيس التي ذكرناها وهي شبه المنار عندنا ونزلنا منها بزاوية الفتى أخوي
 نظام الدين وهي من أحسن الزوايا وهو أيضا من خيار الفتيان وكبارهم أضافنا أحسن
 ضيافة وانصرفنا الى مدينة أرز الروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب
 اكثرها بسبب فتنة وقعت بين طائفتين من التركان بها ويشققها ثلاثة أنهار وفي أكثر
 دورها بساتين فيها الاشجار والدوالي ونزلنا منها بزاوية الفتى أخى طومان وهو كبير السن
 يقال انه أناف على مائة وثلاثين سنة ورأيت به يتصرف على قدميه متوكئا على عصا
 ثابت الذهن مواظبا للصلاة في أوقاتها لم تنكر من نفسه شيئا الا أنه لا يستطيع
 الصوم وخدمنا بنفسه في الطعام وخدمنا أولاده في الحمام وأردنا الانصراف
 عنه ثاني يوم نزولنا فشق عليه ذلك وأبى منه وقال ان فعلتم نقصتم حرمتي وان
 أفل الضيافة ثلاث فاقمنا لديه ثلاثة ايام انصرفنا الى مدينة بركي (وضبط اسمها بياء موحدة
 مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما راء مسكن) ووصلنا اليها بعد العصر فلقينا رجلا
 من اهلها فسالنا عن زاوية الاخوي بها فقال انا دللكم علينا فاتبعناه فذهب بنا الى منزل
 نفسه في بستان له فانزلنا با على سطح بيته والاشجار مظلمة وذلك أوان الحر الشديد
 واتي الينا بانواع الفاكهة واحسن في ضيافته وعلف دوابنا وبتنا عنده تلك الليلة وكنا
 قد تعرفنا ان بهذه المدينة مدرسا فاضلا يسمى بمحيي الدين فاتي بنا ذلك الرجل الذي بتنا
 عنده وكان من الطلبة الى المدرسة واذا بالمدرس قد اقبل راكبا على بغلة قاهرة ومما ليكه
 وخدامه عن جانبيه والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرجة حسان مطرزة بالذهب فسلمنا
 عليه فرحب بنا واحسن السلام والكلام وامسك بيدي واجلسني الى جانبه ثم جاء
 القاضي عز الدين فرشني ومعني فرشني الملك لقب بذلك لدينه وعفافه وفضله فقمعد عن
 يمين المدرس واخذ في تدريس العلوم الاصلية والفرعية ثم لما فرغ من ذلك اتى دويرة
 بالمدرسة فامر بفرشها وانزلي فيها وبعث ضيافة حافلة ثم وجه الينا بعد المغرب فضيافته

اليه فوجدته في مجلس ببستان له وهنالك صهر يريح ماء ينحدر اليه الماء من خصبة رخام أبيض يدور بها القاشاني وبين يديه جملة من الطلبة ومما ليكه وخدامه وقوف عن جانبيه وهو قاعد على مرتبة عليها أقطاع منقوشة حسنة فخلته لاشاهدته ملكا من الملوك فقام الى واستقبلني وأخذ يدي وأجلسني الى جانبه على مرتبته وأتي بالطعام فاكلنا وانصرفنا الى المدرسة وذكري بعض الطلبة ان جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند المدرس فعادتهم الحضور لطعامه كل ليلة وكتب هذا المدرس الى السلطان بخبرنا وأني في كتابه والسلطان في جبل هنالك بصيف فيه لاجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته أن يصيف فيه — ذكر سلطان بركي —

وهو السلطان محمد بن آيدن من خيار السلاطين وكرمائم وفضلائهم ولما بعث اليه المدرس يعلمه بخبري وجه نائبه الى آتيه فاشار على المدرس ان أقيم حتى يبعث عني ثانية وكان المدرس اذذاك قد خرجت برجله قرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة ثم ان السلطان بعث في طلبي ثانية فشق ذلك على المدرس فقال أنا لا أستطيع الركوب ومن غرضي التوجه معك لا قرر لدى السلطان ما يجب لك ثم انه تحامل ولف على رجله خرقا وركب ولم يضع رجله في الركاب وركبت أنا وأصحابي وصعدنا الى الجبل في طريق قد نحتت وسويت فوصلنا الى موضع السلطان عند الزوال فنزلنا علي نهرماه تحت ظلال شجر الجوز وصادفنا السلطان في قلق وشغل بال بسبب فرار ابنه الاصغر سليمان عنه الى صهره السلطان أرخان بك فلما بلغه خبر وصولنا بعث اليينا ولديه خضر بك وعمر بك فسلما على الفقيه وأمرهما بالسلام على ففعلنا ذلك وسالاني عن حالي ومقدمي وانصرفا وبعث الى بيتي يسمى عندهم الخرقه (خركاه) وهو عصي من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادهنج ويسد متي احنيج الى سده وأتوا بالقرش فقرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه واصحابه واصحابي خارج البيت تحت ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما كان من الغد ركب المدرس الى السلطان وتكلم في شاني بما اقتضته فضائله ثم عاد الى وأعلمني بذلك وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا فجيئنا الى منزله ووجدناه قائما فسلمنا عليه وقعد الفقيه عن يمينه وأنا مما يلي الفقيه فسالني عن حالي ومقدمي وسالني عن الحجاز ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الاعاجم ثم حضر الطعام فاكلنا وانصرفا وبعث الارز والدقيق والسمن في كروش الاغنام وكذلك فعل الترك وأقنعنا على تلك الحال أيا ما يبعث

الينا في كل يوم فحضر طعامه وأتى يوم الينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزة الفقهاء عند الترك وطلب مني أن أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبت لها وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة فأمره أن يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير ابرار ولا خضر فأمر بعقاب صاحب خزائنه وبعث بالابرار والسمن وطايت لإقامتنا بذلك الجبل فأدركني الملل وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضا قد مل من المقام هنالك فبعث الي السلطان يخبره اني أريد السفر فلما كان من الغد بعث السلطان نائبه فتركهم مع المدرس بالتركية ولم أكن اذ ذاك أفهمها فاجابه عن كلامه وانصرف فقال لي المدرس أتدري ماذا قال قلت لا أعرف ما قال قال ان السلطان بعث الي ليسانني ماذا يعطيك فقلت له عنده الذهب والفضة والخيل والعبيد فليعطه ما أحب من ذلك فذهب الي السلطان ثم عاد الينا فقال ان السلطان يأمر ان تقبأ هنا اليوم وتنزل معه عند الى داره بالمدينة فلما كان من الغد بعث فرساجيد من مراكبه ونزل ونحن معه الى المدينة فخرج النمس لا ستقبأ له وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواه ودخل السلطان ونحن معه فلما نزل بباب داره ذهبت مع المدرس الى ناحية المدرسة فدعأنا وأمرنا بالدخول معه الى داره فلما وصلنا الى دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورهم فائقة الحسن وعليهم ثياب الحرير وشعورهم مفروفة ومرسلة والوانهم ساطعة الياض مشربة بحمرة فقلت للفقيه ما هذه الصور الحسن فقال هؤلاء فتیان روميون وصعدنا مع السلطان درجا كثيرة الى ان انتهينا الى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانها صورة سبع من نحاس يمج ماء من فيه وتدور بهذا المجلس مصاطب متصلة مفروشة وفوق احداها مرتبة السلطان فلما انتهينا اليها نحى السلطان مرتبة يده وقعد معنا على الاقطاع وقعد الفقيه عن يمينه والقاضي يمالي الفقيه وأنا يمالي القاضي وقعد القراء أسفل المصطبة والقراء لا يفارقونه حيث كان من مجاسم ثم جاؤا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة بالجلال المحلول قد عصر فيه ماء الليمون وجعل فيه كعكات صفار مقسومة وفيها ملاعق ذهب وفضة وجاؤا معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاعق خشب فمن تورع استعمال صحاف الصيني وملاعق الخشب وتكلمت بشكر السلطان وأثنت على الفقيه وبلغت في ذلك فاعجب ذلك السلطان وسره

وفي اثناء قعودنا مع السلطان اتى شيخ على رأسه عمامة لها ذؤابة فسلم عليه وقام له

جامعا وحيطانه من الرخام الملون وفرشه الرخام الابيض وهو مسقف بالرصاص وفيه احدى عشرة قبة متنوعة في وسط كل قبة صهريج ماء والنهر يشقه وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاجناس ودوالى العنب ومعرشات الياسمين وله خمسة عشر بابا وأمير هذه المدينة خضر بك ابن السلطان محمد بن آيدىن وقد كنت رأيت عند أبيه يركب ثم لقيت به في المدينة خارجها فسلمت عليه وانا راكب فذكره ذلك منى وكان سبب حرمانى لديه فان عادتهم اذا نزل لهم الوارد نزلوا له وأعجبهم ذلك ولم يبعث الى الانواب واحدا من الحرير المذهب بسمونه النخ (بفتح النون وخاء معجم) واشترت بهذه المدينة جارية رومية بكرا باربعين دينارا ذهباً ثم سرنا الى مدينة يزميز (وضبط اسمها بياء آخر الحروف مفتوحة وزاى مسكن وميم مكسورة وياء مد وراء) مدينة كبيرة على ساحل البحر معظم اخراب ولها قلعة متصلة باعلاها نزلنا منها بزاوية الشيخ يعقوب وهو من الاحمدية صالح فاضل ولقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن أحمد الرفاعي ومعه زاده الاخلاطى من كبار المشايخ ومعه مائة فقير من الموليين وقد ضرب لهم الامير الاخبية وصنع لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتها واجتمعت بهم وأمير هذه المدينة عمر بك ابن السلطان محمد بن آيدىن المذكور آنفا وسكنه بقلعتها وكان حين قدومنا عليها عند أبيه ثم قدم بعد خمس من نزولنا بها فكان من مكارمه ان ألقى الى بالزاوية فسلم على واعتذر وبعث ضيافة عظيمة وأعطاني بعد ذلك مملوكا روميا خماسيا اسمه نقوله وثوبين من الكمخا وهى ثياب حرير تصنع ببغداد وتبريز ونيسابور وبالصين وذكر لى الفقيه الذى يؤم به ان الامير لم يبق له مملوك سوى ذلك المملوك الذى أعطاني بسبب كرمه رحمه الله وأعطى أيضا للشيخ عز الدين ثلاثة أفراس مجهزة وآنية فضة كبيرة تسمى عندهم المشربة مملوءة دراهم وثيابا من الملف والمرعز والقسى والكمخا وجوارى وغلمانا وكان هذا الامير كريما صالحا كثير الجهاد له أجفان غزوية يضرب بها على نواحى القسطنطينية العظمى فيسبى ويغنم وبقي ذلك كرما وجودا ثم يعود الى الجهاد الى ان اشتدت على الروم وطاته فرفعوا أمرهم الى البابا فامر نصارى جنوة وافرانسة بغزوه وجزوه وجهز جيشا من رومية وطرقوا مدينة ناسه ليلسا في عدد كثير من الاجفان وملكوا المرسى والمدينة ونزل اليهم الامير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من ناسه واستقر النصارى بالبلد ولم يقدروا على القلعة لمعتها ثم سافروا من هذه المدينة الى مدينة مغنيسية (وضبط اسمها بهم مفتوحة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة وياء مدوسين مهملة مكسورة وياء آخر الحروف

مشددة) نزلنا بها عشى يوم عرفة بزاوية رجل من الفتيان وهى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه — ذكر سلطان مغنيسية —

وسلطانها يسمى صاروخان ولما وصلنا الى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفى منذ أشهر فكان هو وأم الولد ليلة العيد وصبيحتها بترية والولد قد صبر وجعل فى تابوت خشب مغشى بالحديد المقزدر وعاقى فى قبة لا سقف لها لان تذهب رائحته وحينئذ تسقف القبة ويجعل تابوته ظاهراً على وجه الارض وتجعل ثيابه عليه وهكذا رأيت غيره أيضاً من الملوك فعل وسلمنا عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا الى الزاوية فأخذ الغلام الذى كان لى افراسنا وتوجه مع غلام لبعض الاصحاب برسهم سقيماً فبطاً ثم لما كان العشى لم يظهر لهما أثر وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الفاضل مصلح الدين فركب معى الى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث فى طلبهما فلم يوجدوا واشتغل الناس فى عيدهم وقصدا مدينة للكفار على ساحل البحر تسمى فوجة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار فى بلد حصين وهم يبعثون هدية فى كل سنة الى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بها لحصانة بلدهم فلما كان بعد الظهر أتى بهما بعض الاتراك وبالا فراس وذكروا انهما اجتازا بهم عشية النهار فانكروا أمرهما واشتدوا عليهما حتى أقرا بما عزم عليه من الفرار ثم سافروا من مغنيسية وبتنا ليلة عند قوم من التركان قد نزلوا فى مرعى لهم ولم نجد عندهم ما نعالف به دوأنا تلك الليلة وبات اصحابنا يحرصون مداولة بينهم خوف السرة فانت نوبة لفقيه عفيف الدين التوزرى فسمعته يقرأ سورة البقرة فقلت له اذا أردت النوم فاعلمني لانظر من يحرس ثم نمت فما أيقظني الا الصباح وقد ذهب السراق بفرس لى كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجامه وكان من جياذ الخيل اشتريته بيا سلقو ثم رحلنا من الغد فوصلنا الى مدينة برغمة (وضبط اسمها بياء موحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة باعلى جبل ويقال ان افلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة وداره تشتهر باسمه الى الآن ونزلنا منها بزاوية فقبر من الامم حدية ثم جاء أحد كبراء المدينة فتهللنا الى داره وأكرمنا اكراما كثيرا

— ذكر سلطان برغمة —

وسلطانها يسمى بنخشى خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان وبنخشى (بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور) ومعناه جيد صادفناه فى مصيف له فاعلم

بقدمنا فبعث بضيافة وثوب قدسى ثم أكثر بنا من يد لنا على الطريق وسرنا في جبال
شامخة وعرة الى أن وصلنا الى مدينة بلى كسرى (وضبط اسمها بياء موحدة مفتوحة
ولام مكسور وياء مدوكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وياء) مدينة حسنة
كثيرة العمارات مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه وأرادوا بناء جامع خارجها متصل بها فبنوا
حيطانها ولم يجعلوا له سقفاً وصاروا يصلون به ويجمعون تحت ظلال الاشجار ونزلنا من هذه
المدينة بزواية الفتى أخى سنان وهو من أفاضلهم وأتى إلينا قاضياً وخطيباً الفقيه موسى

— ذكر سلطان بلى كسرى —

ويسمى دمورخان ولاخير فيه وأبوه هو الذى بنى هذه المدينة وكثرت عمارتها بمن لاخير
فيه في مدة ابنه هذا الناس على دين الملك ورايته وبعث الى ثوب حرير واشترت بهذه
المدينة جارية رومية تسمى مرغليظة ثم سرنا الى مدينة برصى (وضبط اسمها بضم الباء
الموحدة واسكان الراء وفتح الصاد المهمل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة
الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبحارها نهر شديد الحرارة
يصب في بركة عظيمة وقد بنى عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء والمرضى
يستشفون بهذه الحمة وياً تون اليها من أقاصي البلاد وهنالك زاوية للواردين ينزلون بها
ويطعمون مدة مقامهم وهي ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحد ملوك التركان ونزلنا في هذه
المدينة بزواية الفتى أخى شمس الدين من كبار الفتيان ووافقنا عنده يوم عاشوراء فصنع
طعاماً كثيراً ودعا وجوه العسكر وأهل المدينة ليلاوأفطروا عنده وقرأ القراء بالاصوات
الحسنة وحضر الفقيه الواعظ مجد الدين القونوى ووعظ وذكر وأحسن ثم أخذوا
في السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من الصالحين يصوم الدهر ولا
يفطر الا في كل ثلاثة أيام ولا يأكل الا من كديمينه ويقال انه لم يأكل طعاماً أحرق ولا
منزل له ولا متاع الا ما يستتر به ولا بنام الا في المقبرة ويعظ في المجلس ويذكر فيتوب
علي يديه في كل مجلس الجماعة من الناس وطلبته بعد هذه الليلة فلم أجده وأتيت الجبانة
فلم أجده ويقال انه يأتى بها بعد هجوع الناس

— حكاية —

لما حضرنا ليلة عاشوراء بزواية شمس الدين وعظ بها مجد الدين من آخر الليل فصاح
أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها فصبا عليه ماء الورد فلم يبق فأعادوا عليه ذلك
فلم يبق واختلفت الناس فيه فمن قائل انه ميت ومن قائل انه مغشى عليه وأتم الواعظ
كلامه وقرأ القراء وصلينا الصبح وطلعت الشمس فاخترنا حال الرجل فوجدوه فارق

الدينار حجه الله فاشتغلوا بغسله وتكفينه وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفنه وكان هذا الفقير يسمى الصباح وذكروا ان فكان يتعبد بغار هنالك في جبل فثقي علم ان الواعظ مجد الدين يعظ قصده وحضر وعظه ولم يأكل طعاماً أحدًا فاذا وعظ مجد الدين يصيح ويغشى عليه ثم يفيق فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم اذا سمع الواعظ صاح يفعل ذلك مراراً في الليلة وسمى الصباح لاجل ذلك وكان أعذر الابد والرجل لا قدرة له على الخدمة وكانت له والدة تقوته من غزلها فلما توفيت اقتات من نبات الارض ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح عبد الله المصري السائح وهو من الصالحين جال الارض الا انه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الاندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الاقاليم — ذكر سلطان برصا —

وسلطانها اختيار الدين أرخان بك وأرخان (بضم الهمزة وخاء معجم) ابن السلطان عثمان جوق (وجوق بحجم معقود مضموم وآخره قاف) وتفسيره بالتركية الصغرى وهذا السلطان أكبر ملوك التركان وأكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطوف عليها ويقبض بكل حصن منها أيا ما لاصلاح شأنه وتفقد حاله ويقال انه لم يقيم قط شهراً كاملاً ببلد ويقال ان الكفار ومحاصره ووالده هو الذي استفتح مدينة برصا من أيدي الروم وقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة للنصارى ويذكر انه حاصر مدينة بريتك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها ولده هذا الذي ذكرناه اثنى عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي له وبعث الى بدراهم كثيرة ثم سافرنا الى مدينة بزنيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف وإسكان الزاي وكسر النون وياء مدوكاف) وبتنا قبل الوصول اليها ليلة بقرية تدعى كركة بزأوية فثقي من الاخوة ثم سرنا من هذه القرية يوماً كاملاً في انهار ماء على جوانبها أشجار الرمان الحلو والحامض ثم وصلنا الى بحيرة ماء تثبت القصب على ثمانية أميال من بزنيك لا يستطيع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت هذه المدينة والبحيرة محيطتها من جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها الا أناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجته بيون خاتون وهي الحاكمة عليهم امرأة صالحة قاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب متى أرادوا رفعها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض والمزارع فلكل انسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة وشربها من آبار بها قرية وبها من

جميع أصناف الفواكه والجوز والفستقل عندهم كثير جدا رخيص الثمن ويسمون
 الفستقل قسطنطين بالنون والجوز القوز بالقاف وبها العنب العذارى لم أر مثله في سواها
 متناهى الحلاوة عظيم الجرم صافى اللون رقيق القشر لاجبة منه نواة واحدة انزلنا بهذه
 المدينة الفقيه الامام الحاج المجاور علاء الدين السلطانيو كى وهو شيخ الفضلاء الكرماء
 ماجئت قطا لى زيارته الا أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه معي الى
 الخاتون المذكورة فأكرمت وأضافت وأحسنّت وبعد قدومنا بآيام وصل الى هذه المدينة
 السلطان أرخان بك الذى ذكرناه وأقمت بهذه المدينة نحو أربعين يوما بسبب مرض فرس
 لى فلما طال على المكث تركته وانصرفت ومعى ثلاثة من أصحابى وجارية وغلامان وليس
 معنا من يحسن اللسان التركى ويترجم عنا وكان لنا ترجمان فارقتنا بهذه المدينة ثم خرجنا
 منها قتبنا بقربة يقال لها مكيجا (بفتح الميم والكاف رالجيم) بقا عند فتيه بها أكرمنا
 وأضافنا وسافرنا من عنده ونقدمتنا امرأة من الترك على فرس ومعها خديم لها وهى
 قاصدة مدينة ينجيا ونحن فى اتباع اثرها فوصلت الى واد كبير يقال له سقرى كأنه نسب
 الى سقر أعادنا الله منها فذهبت نجوز الوادى فلما توسطت كادت الدابة تغرق بها ورمتها
 عن ظهرها وأراد الخديم الذى كان معها استخلاصها فذهب الوادى به مامعا وكان فى
 عدوة الوادى قوم رموا بانفسهم فى اثرها سباحة فاخرجوا المرأة وبها من الحيا رفق
 ووجدوا الرجل قد قضى نحبهم رحمة الله وأخبرنا أولئك الناس ان المدينة أسفل من ذلك
 الموضع توجهنا اليها وهى أربع خشبات مربوطة بالجبال يجعلون عليها سروج الدواب
 والمتاع ويحجز بها الرجال من العدو الاخرى ويركب عليها الناس وتجاز الدواب سباحة
 وكذلك فعلنا ووصلنا تلك الليلة الى كاوية واسمها على مثل فاعلة من الكى نزلنا منها براوية أحد
 الاخوة فكلمنا به العربية فلم يفهم عنا وكلمنا بالتركية فلم يفهم عنه فقال اطلبوا الفقيه فانه يعرف
 العربية فأتى الفقيه فكلمنا بالفارسية وكلمناه بالعربية فلم يفهمهم امنا فقال للفتى ايشان عربى
 كهنا ميقوان (ميكويند ومن عربى نوا ميدانم وايشان معناه هؤلاء وكننا قديم وميقوان
 ية ولون ومن أنا ونوجد بد وميدانم تعرف وانما أراد الفقيه بهذا الكلام ستر نفسه عن
 الفضيحة حين ظنوا أنه يعرف اللسان العربى وهو لا يعرفه فقال لهم هؤلاء يتكلمون
 بالكلام العربى القديم وأنا لا أعرف الا العربى الجدى بد فظن الفتى ان الامر على ما قاله الفقيه
 ونفعا ذلك عنده وبالغ فى اكرامنا وقال هؤلاء نجب كرامتهم لانهم يتكلمون باللسان
 العربى القديم وهو لسان النبى صلى الله عليه وسلم تسليما وأصحابه ولم يفهم كلام الفقيه

اذذاك لكننى حفظت لفظه فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبتنا تلك الليلة بالزاوية وبعث معنا دليلا الي ينجا وضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم) بلدة كبيرة حسنة بمحنتها عن زاوية الاخي فوجدنا بها أحد الفقراء الموهلين فقلت له هذه زاوية الاخي فقال لي نعم فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اخترت به أيرز الغيب انه لا يعرف من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء الينا أحد الطلبة بطعام ولم يكن الاخي حاضرا وحصل الانس بهذا الطاب ولم يكن يعرف اللسان العربي لكنه تفضل وتكلم مع نائب البلدة فاعطاني فارسا من أصحابه وتوجه معنا الى كبنوك(وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صغيرة يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكام عليهم وهي من بلاد السلطان أرخان بك فنزلنا بدار عجوز كافرة وذلك ابان الثلج والشتاء فاحسنا اليها وبتنا عندها تلك الليلة وهذه البلدة لاشجربها ولادو الي العنب ولا يزدرع بها الا الزعفران وأنتنا هذه العجوز بزعفران كثير وظنث أننا نجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأتانا الفارس الذي بعثه الفتي معنا من كاوية فبعث معنا فارساً غيره ليوصلنا الى مدينة مطرني وقد وقع في تلك الليلة ثلج كثير عفى الطرق فتقدمنا ذلك الفارس فاتبعنا أثره الى ان وصلنا في نصف النهار الى قرية للترك كان فاتوا بطعام فاكلنا منه وكلهمهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم وسلك بنا أوعارا وجبالا ومجرى ماء تكرر لنا جوازه أزيد من الثلاثين مرة فلما خلاصنا من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئا من الدراهم فقلنا له اذا وصلنا الى المدينة نعطيك ونرضيك فلم يرض ذلك منا أولم يفهم عنا فاخذ قوسا لبعض أصحابي ومضي غير بعيد ثم رجع فرد الينا القوس فاعطيته شيئا من الدراهم فاخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين نقصد ولا طريق يظهر لنا فكنا نتلمح أثر الطريق تحت التاج ونسلكه الى أن بلغنا عند غروب الشمس الى جبل يظهر الطريق به لكثرة الحجارة فخفت الهلاك على نفسي ومن معي وتوقعت نزول التاج ليلا ولا عمارة هنا لك فان نزلنا عن الدواب هلكنا وان سريتنا ليلتنا لا نعرف أين تتوجه وكان لي فرس من الجياد فعملت على الخلاص وقلت في نفسي اذا سلمت لعلنى أحتال في سلامة أصحابي فكان كذلك واستودعتهم الله تعالى وسرت وأهل تلك البلاد يبنون على القبور بيوتا من الخشب يظن رائيها انها عمارة فيجدها قبورا فظهر لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت الى البيوت فقلت اللهم اجعلها عامرة فوجدتها عامرة ووفقي

الله تعالى الى باب دار فرأيت عليها شيخاً فكلمته بالعربي فكلمني بالتركي وأشار الى بالدخول فاحبرته بشأن أصحابي فلم يفهم عني وكان من لطف الله ان تلك الدار زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينه معرفة فسلم على وأخبرته خبر أصحابي وأشارت اليه بان يمضي مع الفقراء لاستخلاص الاصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي الى أصحابي وجئنا جميعا الى الزاوية وحمدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل القرية وقطعوا ليلتهم بذكر الله تعالى وأني كل منهم بما تيسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا عند الصباح فوصلنا الى مدينة مطري عند صلاة الجمعة (وضبط اسمها بضم الميم والطاء المهمة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فزلنا بزاوية أحد الفتيان الاخوة وبها جماعة من المسافرين ولم نجد مريطاً للدواب فصلينا الجمعة ونحن في قلق لكثرة الثلج والبرد وعدم المربط فلقينا أحد الحجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسررت برؤيته وطلبت منه أن يدلنا على مربط للدواب بالكراء فقال أمارطها في منزل فلا يتأني لان أبواب دور هذه البلدة صغار لا تدخل منها الدواب ولكنني أدلكم على سقيفة بالسوق يربط فيها المسافرون دوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدلتنا عليها وربطنا بهادوا بنا ونزل أحد الاصحاب بحانوت خال ازاء هالي جرس الدواب — حكاية —

وكان من غريب ما اتفق لنا اني بعثت أحد الخدام ليشتري التبن للدواب وبعثت أحدهم يشتري السمن فأتى أحدهما بالتبن والآخر دون شيء وهو يضحكك فسألناه عن سبب ضحكك فقال ناواقفنا على دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فإشار اليه بالوقوف وكأله فدفعنا له الدراهم فابطاً ساعة واتى بالتبن فأخذناه منه وقلنا له انا نريد السمن فقال هذا السمن وأبرز الغيب انهم يقولون للتبن سمن بلسان الترك وأما السمن فيسمى عندهم رباغ ولما اجتمعنا بهذا الحاح الذي يعرف اللسان العربي رغبنا منه أن يسافر معنا الى قصصمونية وبينها وبين هذه البلدة مسيرة عشر وكسوته ثوبا مصرياً من ثيابي وأعطيته نفقة تركها لعماله وعينت له دابة لركوبه ووعدته الخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله انه صاحب مال كثير وله ديون على الناس غير انه ساقط الهمة خسيس الطبع سيء الافعال وكنا نعطيه الدراهم لنفقتنا فياخذ ما يفضل من الخبز ويشتري به الازرار والخضر والملح ويمسك ثمن ذلك لنفسه وذكر لي انه كان يسرق من دراهم النفقة دون ذلك وكنا نحتمله لما كنا نكابه من عدم المعرفة بلسان الترك وانتهت حاله الى ان فضحناه وكنا نقول له في آخر

النهار يا حاح كم سرقت اليوم من النفقة فيقول كذا فنضحك منه ونرضى بذلك ومن أفعاله الخسيسة انه مات لنا فرس في بعض المنازل فتولى سلخ جلده ييده وباعه ومنها اننا نزلنا ليلة عند أخت له في بعض القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الاجاص والتفاح والشمش والخواخ كلها ميبسة وتجعل في المساء حتي ترطب فتؤكل ويشرب ماؤها فاردنا ان نحسن اليها فلم بذلك فقال لا تعطوها شيئا واعطوا ذلك لي فاعطيناه ارضاء له واعطيناه احساسا في خفية بحيث لم يعلم بذلك ثم وصلنا الى مدينة بولي (وضبط اسمها بياء موحدة مضمومة وكسر اللام) ولما انتهينا الى قريب منها وجدنا واديا يظهر في رأي العين صغيرا فلما دخله بعض اصحابنا وجدوه شديد الجربة والانزعاج فجازوه جميعا وبقيت جارية صغيرة خافوا من تجويزها وكان فرسي خير امن افراسهم فاردتهم واخذت في جـواز الوادي فلما توسطته وقع بي الفرس ووقعت الجارية فاخرجها اصحابي وبها رمق وخلصت أنا ودخلنا المدينة فقصدنا زاوية أحد الفتيان الاخوية ومن عوائدهم انه لا تزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء أبدأ يجعلون في كل ركن من أركان الزاوية موقد الدار ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذى الزاوية ويسمون بها البخاري واحدا بحري قال ابن جزى وقد أحسن صفى الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلبي في قوله في التورية وتذكرته بذكر البخيري ان البخيري مذكور قتموه غدا * يحثو الرماد على كانوا له الترب

لوشتم انه يسمى أبا لهب * جاءت بغالكم حملة الخطب

(رجع) قال فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقودة فنزعت ثيابي وليست ثيابا سواها واصطلت بالنار واتى الاخى بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك فلقد درهم من طائفة ما أكرم نفوسهم وأشد إيثارهم واعظم شفقتهم على الغريب وأطفهم بالوارد وأحبهم فيه وأجملهم احتفالا بامرهم فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومه على أحب أهله اليه وبتنا تلك الليلة بحال مرضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردي بولي (وضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والذال المهمل وسكون الياء وباء موحدة مضمومة وواو مدولام مكسورة وياه) وهي مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق من أشد البلاد بردا وهي محلات مفترقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم — ذكر سلطانها —

وهو السلطان شاه بك من متوسطى سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق قليل العطاء صلينا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا بزاوية منها ولقيت بها الخطيب

الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنيه منذ سنين وله بها أولادوهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرته على فعله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسالني عن حالي وعن مقدمي وعن لقيته من السلاطين فاخبرته بذلك كله واقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة وانصرفنا الى مدينة بلرو (وضبط اسمها بضم الياء الموحدة واسكان الراء وضم اللام) وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة باعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرستها وطلبها ويحضر معهم الدرس وهو على علانته من الطلبة حنفى المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو على بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قسطنطينية وسنذكره فصعدنا اليه الى القلعة فسلمنا عليه فرحب بناوأكرمنا وسالني عن اسفاري وحالي فاجبته عن ذلك وأجلسني الى جانبه وحضر قاضيه وكان به الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعام فاكلنا ثم قرأ الفراء باصوات مبكية والخان عجيبية وانصرفنا وسافرنا بالغدا الى مدينة قسطنطينية (وضبط اسمها بقاف مفتوح وصاد مهمل مسكن وطاء مهمل مفتوح وميم مضمومة وواو ونون مكسور وياه آخر الحروف) وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالاطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجا و هو ان أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الارض باصبعه فيفهم عنه ويحييه ويحكى له بذلك الحكايات فيفهمها وأقمنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فكاننا نشترى طابق اللحم الغنمي السمين بدرهمين ونشترى خبزا بدرهمين فيكفيانا ليو مننا ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فتكفيانا أجمعين ونشترى جوزا بدرهم وقسطلا بمثله فذا كل منها أجمعون ويفضل باقيها ونشترى حمل الحطب بدرهم واحد وذلك اوان البرد الشديد ولم أر في البلاد مدينة ارخص اسعارا منها ولقيت بها الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطانيوكي من كبار العلماء قرأ بالعراقين وتبريز واستوطنها مدة وقرأ بدمشق وجاور بالحرمين قديما ولقيت بها العالم المدرس صدر الدين سليمان الفنيكي من اهل فنيكة من بلاد الروم و اضافني بمدرسته التي بسوق الخليل ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أمير على دخلت عليه بزاويته بمقربة من سوق الخليل فوجدته ملتي علي ظهره فاجلسه بعض خدامه ورفع بعضهم حاجبيه عن عينييه ففتحهما وكلمني بالعربي الفصيح وقال قدمت خيرا مقدم وسا لته عن عمره فقال

كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفي وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة وثلاث وستون سنة فطلبت منه الدعاء فدعاني وانصرفت
— ذكر سلطان قصطمونية —

وهو السلطان المكرم سليمان بادشاه (واسمه بيا معقودة وألف ودال مسكن) وهو كبير السن ينيف على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالسه الفقهاء والصلحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني الى جانبه وسأني عن حالى ومقدمي وعن الحرمين الشرقيين وهصر والشام فأجبتته وأمر بانزالي على قرب منه واعطاني ذلك اليوم فرسا عتيقا قرطاسي اللون وكسوة وعين لي نفقة وعلفا وأمر لي بعد ذلك بقمح وشعير نفذلي في قرية من قري المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجد من يشتريه لرخس الاسعار فأعطيته للحاج الذي كان في صحبتنا ومن عادة هذا السلطان ان يجلس كل يوم بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتي بالطعام فتفتح الابواب ولا يمنع أحدا من حضري أو بدوي أو غريب أو مسافر من الاكل ويجلس في أول النهار جلوسا خاصا أو ياتي ابنه فيقبل يديه وينصرف الى مجلس له ويأتي أرباب الدولة فيأكلون عنده ينصرفون ومن عادته في يوم الجمعة ان يركب الى المسجد وهو بعيد عن داره والمسجد المذكور هو ثلاث طبقات من الخشب فيصلى السلطان وأرباب دولته والقاضي والفقهاء ووجوه الاجناد في الطبقة السفلى ويصلى الافندي وهو اخو السلطان وأصحابه وخدامه وبعض أهل المدينة في الطبقة الوسطى ويصلى ابن السلطان ولي عهده وهو أصغر أولاده ويسمي الجواد وأصحابه ومما ليكه وخدامه وسائر الناس في الطبقة العليا ويجتمع القراء فيقعدون حلقة امام الحراب ويقعد معهم الخطيب والقاضي ويكون السلطان بازاء الحراب ويقرؤ سورة الكهف بأصوات حسان ويكررون الآيات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها بعد الخطيب المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القاري بين يدي السلطان عشرا وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القاري بين يدي أخي السلطان فاذا أتم قراءتها انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القاري بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءتها قام المعروف وهو المذكر فيمدح السلطان بشعر تركي ويمدح ابنه ويدعو لها وينصرف أو ياتي ابن الملك الى دار أبيه بعد ان يقبل يده في طريقه وعمه واقف في انتظاره ثم يدخلان الى السلطان فيتقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم ياتي ابنه فيقبل يده وينصرف الى مجلسه فيقعد به مع ناسه فاذا حانت صلاة العصر صلوا جميعا وقبل أخو السلطان يده وانصرف عنه فلا يعود اليه الا في الجمعة الاخرى وأما الولد فانه ياتي كل يوم غدوة كما ذكرناه

ثم سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة باحدي القرى من أحسن زاوية رأيتها في تلك البلاد بناها أمير كبير تاب الى الله تعالى بسمي فخر الدين وجعل النظر فيها لولده والاشراف لمن أقام بالزاوية من الفقراء وفوائد القرية وقف عليها وبنى بازاء الزاوية حماما للسبيل يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبنى سوقا بالقرية ووقفه على المسجد الجامع وعين من اوقاف هذه الزاوية لكل فقير يرد من الحرمين الشريفين أو من الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة درهم يوم سفره والنفقة أيام مقامه وهي الخبز واللحم والارز المطبوع بالسمن والحلواء ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافة ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثانية زاوية في جبل شامخ لا عمارة فيه عمرها بعض الفتيا الاخية و يعرف بنظام الدين من أهل قصطمونية ووقف عليها قرية يتفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنا من هذه الزاوية الى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم النون وآخره باه) وهي مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهي جهة الشرق ولها هناك باب واحد لا يدخل اليها أحد الا باذن أميرها وأميرها ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكرناه ولما استؤذن لنا عليه دخلنا البلد ونزلنا بزاوية عز الدين أخى جلبي وهي خارج باب البحر ومن هناك يصعد الى جبل داخل في البحر كميناسية فيه البساتين والمزارع والمياه واكثر فواكه التين والعنب وهو جبل مانع لا استطاع الصعود اليه وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وباعلاها رابطة تنسب للخضر والياس عليهما السلام لا تخلو عن متعبد وعندا عين ماء والدما فيها مستجاب وبسفتح هذا الجبل قبر الولي الصالح الصحابي بلال الحبشي وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر والمسجد الجامع بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفي وسطه بركة ماء عليها قبة تعلوها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام وفوقها مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان بروانه ابن السلطان علاء الدين الرومي وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة وملاك بعده ابنه غازي جلبي فلما مات تغلب عليها السلطان سليمان المذكور وكان غازي جلبي المذكور شجاعا مقداما ووهبه الله خاصية في الصبر تحت الماء وفي قوة السباحة وكان يسافر في الاجفان الحربية لحرب الروم فاذا كانت الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء ويده آلة حديد يخرق بها أجفان العدو فلا يشعرون بما حل بهم حتى يدهمهم الفرق وطرقت مرسى بلده مرة أجفان

العدو فخرقها واسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاء لها الا انهم يذكرون انه كان
يكثر أكل الخشيش وبسببه مات فانه خرج يوما للتصيد وكان مولعاً به فاتبع غزالة
ودخلت له بين أشجار وزاد في ركض فرسه فعارضته شجرة فضربت رأسه فشدخته
فمات وتغلب السلطان سليمان على البلد وجعل به ابنة ابراهيم ويقال انه أيضاً ياكل ما كان
ياكله صاحبه على ان اهل بلاد الروم كلها لا ينكرون أكلها ولقد مررت يوماً على باب
الجامع بصنوب وبخارجه دكاكين يقعد الناس عليها فرأيت نفران كبار الاجناد وبين
أيديهم خديم لهم يبيده شكارة مملوءة بشيء يشبه الحناء واحدهم يأخذ منها بعلقة ويأكل وأنا
أنظر اليه ولا علم لي بما في الشكارة فسالت من كان معي فاخبرني انه الخشيش وأضافنا بهذه
المدينة قاضيها ونائب الامير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق — حكاية —

لما دخلنا هذه المدينة رأنا أهلها ونحن نصلي مسجلى أيدينا وهم حنفيّة لا يعرفون مذهب
مالك ولا كيفية صلاته والمختار من مذهبه هو اسبال اليدين وكان بعضهم يري الروافض
بالحجاز والعراق يصلون مسجلى أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فاخبرناهم اننا
على مذهب مالك فلم يقيموا بذلك منا واستقرت التهمة في نفوسهم حتي بعث اليانا نائب
السلطان بارتب وأوصى بعض خدامه ان يلازمنا حتى يري ما نفعل به فذبحناه وطبخناه
واكلناه وانصرف الخديم اليه واعلمه بذلك فحينئذ زالت عنا التهمة وبعثوا اليانا بالضيافة
والروافض لا ياكلون الارنب وبعد أربعة أيام من وصولنا الى صنوب توفيت أم الامير
ابراهيم بها فخرجت في جنازتها وخرج ابنها على قدميه كاشفا شعره وكذلك الامراء والمماليك
وثيابهم مقلوبة وأما القاضي والخطيب والفقهاء فانهم قلبوا ثيابهم ولم يكشفوا رؤسهم بل جعلوا
عليها مناديل من الصوف الاسود عوضاً عن العمامة وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يوماً وهي
مدة الغزاء عندهم وكانت اقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يوماً ننتظر تيسير السفر في البحر
الى مدينة القرم فاكترينا مركباً للروم وأقمنا أحد عشر يوماً ننتظر مساعدة الريح ثم ركبنا
البحر فلما توسطناه بعد ثلاث هال علينا واشتد بنا الامرار وابتنا الهلاك عياناً وكنت بالطارمة
ومعي رجل من أهل المغرب يسمى أبابكر فامرته أن يصعد الى أعلى المركب لينظر كيف
البحر ففعل ذلك وأنا تاني بالطارمة فقال لي استودعكم الله ودهمنا من الهول ما لم يعهد مثله
ثم تغيرت الريح ووردتنا الى مقربة من مدينة صنوب التي خرجنا منها وأراد بعض التجار
الزول الى مرساها فمنعت صاحب المركب من انزاله ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا
البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرة الاولى ثم ساعدت الريح وراينا جبال البروقصدنا مرسى

يسمى الكرش فارد نادخوله فاشار الينا ناس كانوا بالجل ان لا تدخلوا فخفنا على أنفسنا وظننا ان هنالك أجفا ناللعديو فرجعنا مع البرولما قربناه قلت لصاحب المركب أريد ان انزل هاهنا فانزلى بالساحل ورأيت كنيسة فقصدتها فوجدت بهاراهبا ورأيت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربي عليه عمامة مقلد سيفاً ويده رمح وبين يديه سراج يوقد فقلت للراهب ماهذه الصورة فقال هذه صورة النبي على فاعجبت من قوله وبناتك الليلة بالكنيسة وطبخنا دجاجاً فلم نستطع أكلها اذ كانت مما استصحبناه في المركب ورائحة البحر قد غلبت على كل ما كان فيه وهذا الموضع الذى نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قفجق (والدشت بالشين المعجم والتاء المثناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجر بها ولا جبل ولا تلى ولا أبنية ولا حطب وانما يوقدون الارواث ويسمونهم الترك (بالزاي المفتوح) فترى كبراءهم يلقطونها ويجعلونها في أطراف ثيابهم ولا يسافر في هذه الصحراء الا في العجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمد أوزبك وثلاثة في بلاد غيره ولما كان الغد من يوم وصولنا الى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا الى من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقفجق وهم على دين النصرانية فاكثري منهم عجلة يجرها الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واسمها بكاف وفاء مفتوحتين) وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصراني وأكثرتهم الجنوبيون ولهم أمير يعرف بالنديرونزلنا منها بمسجد المسلمين — حكاية — ولما نزلنا بهذا المسجد أقمنا به ساعة ثم سمعنا أصوات النواقيس من كل ناحية ولم أكن سمعنا قط فيها لى ذلك وأمرت أصحابي أن يصعدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا الله ويؤذنوا ففعلوا ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الدرع والسلاح فسلم علينا واستفهمناه عن شأنه فاخبرنا انه قاضى المسلمين هنالك وقال لما سمعت القراءة والاذان خفت عليكم فجئت كما ترون ثم انصرف عنا ومارأينا الا خيراً ولما كان من الغد جاء الينا الامير وصنع طعاماً فاكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة الاسواق وكلهم كفار ونزلنا الى مرساها فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغيرا وكبيرا وهو من مراسى الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا الى مدينة القرم وهي (بكسر الهمزة وفتح الراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تليكت مور وضبط اسمه (بقاء مثناة مضمومة ولا م مضموم وكاف مسكن وتاء كالاولى مضمومة وميم مضمومة وواو وراء) وكان أحد خدام هذا الامير قد صحبنا في

طريقنا عرفه بقدمونا فبعث الى مع امامه سعد الدين بفرس ونزلنا بزاوية شيخنا زاده الخراساني فاكرمنا هذا الشيخ ورحب بنا واحسن الينا وهو معظم عندهم ورأيت الناس ياتون للسلام عليه من قاض وخطيب وفقه وسواهم واخبرني هذا الشيخ زاده ان بخارج هذه المدينة راهبا من النصاري في دير يتعبد به ويكثر الصوم وانه انتهى الى ان يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وانه يكشف بالامور ورغب مني ان اصحبه في التوجه اليه فايت ثم ندمت بعد ذلك على ان لم اكن رأيت وعرفت حقيقة أمره ولقيت بهذه المدينة قاضيا الاعظم شمس الدين السائلي قاضي الحنفية ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر والفقيه المدرس علاء الدين الاضي وخطيب الشافعية أبابكر وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع الذي عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ الصالح العابد مظفر الدين وهو من الفقهاء المعظمين وكان الامير تليكتمور مرضا فدخلنا عليه فاكرمنا واحسن الينا وكان على التوجه الى مدينة السرا حضرة السلطان محمد أوزبك فعملت في السير في صحبته واشترت العجلات برسم ذلك

— ذكر العجلات التي يسافر عليها بهذه البلاد —

وهم يسمون العجلة عربية (بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنهما ما يجره فرسان ومنهما ما يجره أكثر من ذلك وتجرها أيضا البقر والجمال على حال العربية في ثقلها أو خفتها والذي يخدم العربية يركب احدى الافراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركها للمشي وعود كبير يصوبها به اذا عاجت عن الفصد ويحمل على العربة شبه قبة من قضبان خشب مربوط بعضها الى بعض بسور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتنكس باليد أو بالملف ويكون فيها طيقان مشبكة وبري الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام وياكل ويقرب أو يكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الانتقال والازواد وخزائن الاطعمة من هذه العربات يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليها قفل وجهاز لما أردت السفر عربية لركوبي مغشاة بالبد ومهي بها جارية لي وعربة صغيرة لرفيقي عفيف الدين التوزري وعجلة كبيرة لسائر الاصحاب يجرها ثلاثة من الجمال يركب أحدها خادم العربية وسرنا في صحبة الامير تليكتمور وأخيه عيسى وولديه قتلود مور وصارر بك وسافرو أيضا معه في هذه الوجهة امامه سعد الدين والخطيب أبو بكر والقاضي شمس الدين

والفقيه شرف الدين موسى والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي
الأمير في مجلسه فإذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال بسم الله سيدنا
ومولانا قاضي القضاة والحكام مبین الفتاوى والاحكام بسم الله وإذا أتى فقيه معظم أو
وجل مشار اليه قال بسم الله سيدنا فلان الدين بسم الله فيتمها من كان حاضر الدخول
للداخل ويقوم اليه ويفسح له في المجلس وعادة الأتراك أن يسيروا في هذه الصحراء
سيراً أكسيراً الحجاج في درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح وينزلون ضحى ويرحلون
بعد الظهر وينزلون عشياً وإذا نزلوا حلوا الخيل والابل والبقر عن العربات وسرحوها
للرعى ليلاً ونهاراً ولا يعلف أحدداً به لا السلطان ولا غيره وخاصة هذه الصحراء أن
خباتها يقوم مقام الشعير للدواب وليست لغيرها من البلاد هذه الخاصية ولذلك كثرت
الدواب بها ودوابهم لارعاة لها ولا حراس وذلك لشدة أحكامهم في السرقة وحكمهم فيها
أنه من وجد عنده فرس مسروق كلف أن يردّه إلى صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فإن
لم يقدر على ذلك أخذ أولاده في ذلك فإن لم يكن له أولاد ذبح كما تذبح الشاة وهؤلاء الأتراك
لا يأكلون الخبز ولا الطعام الغليظ وإنما يصنعون طعاماً من شئ عندهم شبه الآلى يسمونه
الدوقى (بدال مهمل مضموم وواو واقف مكسور معقود) يجعلون على النار الماء فإذا
غلى صبوا عليه شيئاً من الدوقى وإن كان عندهم لحم قطعوه قطعاً صغيراً وطبخوه معه
ثم يجعل لكل رجل نصيبه في صحفة ويصبون عليه اللبن الرائب ويشربونه ويشربون
عليه لبن الخيل وهم يسمونه القمز (بكسر القاف والميم والزاي المشددة) وهم أهل قوة
وشدة وحسن مزاج ويستعملون في بعض الاوقات طعاماً يسمونه البورخاني وهو عجين
يقطعونه قطيعات صغيرة أو يثقبون أو ساطها ويجعلونها في قدر فإذا طبخت صبوا عليها اللبن
الرائب وشربوها ولهم نبيذ يصنعونه من حب الدوقى الذى تقدم ذكره وهم يرون أكل
الحلواء عيباً ولقد حضرت يوماً عند السلطان أوزبك في رمضان فحضرت لحوم الخيل
وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الاغنام والرشا وهو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن
وأنتبه تلك الليلة بطبق حلواء صنعها بعض اصحابي فقد متها بين يديه فجعل أصبعه عليها
وجعله على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الأمير تلكتمور أن أحد الكبار من مماليك هذا
السلطان وله من أولاده وأولاد أولاده نحو أربعين ولداً قال له السلطان يوماً كل الحلواء
وأعتقكم جميعاً فاني وقال لو قتلنى ماأكلتها ولما خرجنا من مدينة القرم نزلنا بزاوية
الأمير تلكتمور في موضع يعرف بسجان فبعث إلى أن أحضر عنده فركبت اليه وكان

لى فرس معدلر كوفي بقوده خديم العربى فاذا أردت ركوبه ركبته وأتيت الزاوية فوجدت الامير قد صنع بها طعاما كثيرا فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض في صحاف صغار فشرب القوم منه وكان الشيخ مظفر الدين بلى الامير فى مجلسه وأنا اليه فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن فلم أفهم ما قال فدقته فوجدت له حموضة فتركته فلما خرجت سالت عنه فقالوا هو نبيذ يصنعونه من حب الدوقى وهم حنفية المذهب والنبيذ عندهم حلال ويسمون هذا النبيذ المصنوع من الدوقى البوزه (بضم الباء الموحدة وواو مد وزاى مفتوح) وانما قال لى الشيخ مظفر الدين ماء الدخن ولسانه فيه اللبنة الاعجمية وظننت انه يقول ماء الدهن وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلا من مدينة القرم وصلنا الى ماء كثير نخوضه يوما كاملا واذا كثر خوض الدواب والعربات فى هذا الماء اشتد وحله وزاد صعوبة فذهب الامير الى راحلتي وقد منى أمامه مع بعض خدامه وكتب لى كتابا الى امير أزاق يعلمه أنى أريد القدوم على الملك ويخضه على اكرامى وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نخوضه نصف يوم ثم سرنا بعده ثلاثا ووصلنا الى مدينة أزاق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاى وآخره قاف) وهى على ساحل البحر حسنة العمار يقصدها الجنويون وغيرهم بالتجارات وبها من الفتيان أخى بمحججى وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب القاضى تلتكتمور الى امير أزاق وهو محمد خواجه الخوارزمى خرج الى استقبالى ومعه القاضى والطلبة وأخرج الطعام فلما سلمنا عليه نزلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا الى المدينة ونزلنا بخارجها بمقربة من رابطة هنالك تنسب للخضر والياس عليهما السلام وخرج شيخ من أهل أزاق يسمى بربح النهر ملكى نسبة الى قرية بأعراق قاضا فتنازوا به ضيافة حسنة وبعد يومين من قدومنا قدم الامير تلتكتمور وخرج الامير مجد للقائه ومعه الامير والطلبة وأعدوا له الضيافة وضر بواثلاث قباب متصلا بعضها ببعض احداها من الحرير الملون عجيبة والثنتان من الكتان وأداروا عليهم اسراجه وهى الممعة عندنا أفراج وخارجها الدهليز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الامير بسطت بين يديه شقائق الحرير يمشى عليها فكان من مكارمه وفضله أن قدمنى أمامه ليرى ذلك الامير منزلتى عنده ثم وصلنا الى الخباء الاولى وهى المعدة للجلسة وفى صدرها كرسى من الخشب للجلسة كبير مرصع وعليه مرتبة حسنة فقد منى الامير أمامه وقدم الشيخ مظفر الدين وصعد هو فجلس فيما بيننا ونحن جميعا على المرتبة وجلس قاضيه وخطيبه وقاضى هذه المدينة وطلبتها عن يسار الكرسى على فرش فاخرة ووقف ولدا الامير تلتكتمور وأخوه والامير مجد

وأولاده في الخدمة ثم أتوا بالاطعمة من لحوم الخيل وسواها وأتوا بالبان الخيل ثم أتوا
بالبوزه وبعد الفراغ من الطعام قرأ القراء بالاصوات الحسان ثم نصب منبر وصعد الواعظ
وجلس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان وللأمير وللحاضرين يقول ذلك
بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بتجيع عحيب ثم
أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه القول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه المامع ثم أتوا
بطعام آخر ولم يزالوا على ذلك إلى العشي وكلما أردت الخروج منعني الأمير ثم جاؤا بكسوة
للأمير وكساوى لولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بعشرة أفراس للأمير ولأخيه
ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولى بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة
جدا ومنها نزر قيمة الجيد منها خمسون درهما أو ستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من
دنانيرنا أو نحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالكاديش ومنها معاشهم وهي ببسلادهم
كالغنم ببلادنا بل أكثر فيكون للتركي منهم آلاف منها ومن عادة الترك المستوطنين تلك
البلاد أصحاب الخيل انهم يضعون في العربات التي تركب فيها نسائهم قطعة لبد في طول
الشبر مربوطة إلى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربة ويجعل لكل ألف فرس
قطعة ورأت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل هذه الخيل إلى بلاد
الهند فيكون في الرفقة منها ستة آلاف وما فوقها ومادونها لكل تاجر المائة والمائتان فأدون
ذلك وما فوقه ويستأجر التاجر لكل خمسين منها راعيا يقوم عليها ويرعاها كالغنم ويسمي
عندهم القشي ويركب أحدها ويده عصا طويلة فيها حبل فإذا أراد أن يقبض على فرس
منها أحاذاه بالفرس الذي هو راكبه ورمي الحبل في عنقه وجذبه فبركبه ويتركه الآخر للرى
وإذا وصلوا إليها إلى أرض السند أطعموها العلف لأن نبات أرض السند لا يقوم مقام الشعير
 ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها بأرض السند سبعة دنانير فضة على الفرس
بموضع يقال له ششنقار ويغرمون عليها بمائتان قاعدة بلاد السند وكانوا فيما تقدم يغرمون
ربع ما يجلبونه فرفع ملك الهند إلى السلطان محمد ذلك وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة
ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك بقي للتجار فيها فضل كبير لأنهم يبيعون الرخيص منها
ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرقها من الذهب المغربي خمسة وعشرون دينارا وربما
باعوها بضعف ذلك وضعفه وضعفه وألجيا منها تساوى خمسمائة دينار وأكثر من ذلك
وأهل الهند لا يبتاعونها للجري والسبق لأنهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل
وانما يبتغون قوة الخيل واتساع خطاها والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب اليهم من

البحرين وعمان وفارس وبياع الفرس منها بألف دينار الى أربعة آلاف ولما سافر الامير
تلكتمور عن هذه المدينة أقمت بعده ثلاثة أيام حتي جهزني الامير محمد خواجه آلات
سفري وسافرت الى مدينة الماجر وهي (بفتح الميم وألف وجم مفتوح معقود وراء)
مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك علي نهر كبير وبها البساتين والنفواكه الكثيرة نزلنا
منها بزاية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحي من بطائح العراق وكان خليفة الشيخ
أحمد الرفاعي رضي الله عنه وفي زايوته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك
والروم منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء
وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالخليل والبقرة والغنم ويأتى السلطان والخواتين لزيارة
الشيخ والتبرك به ويمجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصاً النساء فانهم يكثرن
الصدقة ويتحرين أفعال الخير وصلينا بمدينة الناجرة صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعد
الواعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخارى وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء
يقرؤون بين يديه ووعظ وذكر وأمر المدينة حاضروكبرائها فقام الشيخ محمد البطائحي
فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زواجة ثم خلع فرجة مرعز كانت عليه
وقال هذه منى اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطى فرساً ومن أعطي
دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله ورأيت بقية سارية هذه المدينة يهوديا سلم على وكلمي
بالعربي فسأله عن بلاده فذكر انه من بلاد الاندلس وانه قدم منها في البر ولم يسلك بحراً
وأقنى علي طريق القسطنطينية العظمي وبلاد الروم وبلاد الجرجس وذكر ان عهده بالاندلس
منذ أربعة أشهر وأخبرني التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقاله ورأيت
بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأناً من الرجال فأما نساء الامراء
فكانت أول رؤيتي لهن عند خروجي من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطانية في
عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبوابه وبين يديها
أربع جوار فائتات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها
ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري
يرفعن أذيالها ولاتوا بها عري تأخذ كل جارية بعروة ويرفعن الاذيال عن الارض من كل
جانب ومشت كذلك متبخرة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلم عليها واجلسها الى
جانبيه ودار بها جوار بها وجاؤا بروايا القمز فصبت منه في قدح وجلست علي ركبته اقام
الامير وناولته القدح فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الامير وحضر الطعام فأكلت معه

وأعطاه كسوة وانصرفت وعلى هذا الترتيب نساء الامراء وسند كرنساء الملك فيما بعد وأما نساء الباعة والسوقة فرأيتهم واحداً من تسكون في العربة والخيول تجرها وبين يديها الثلاث والاربعة من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لان نساء الاتراك لا يحبجن وتأتى احداً من علي هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللين فتدفعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الافروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكلاوتجهزناه من مدينة الماجر نقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الماجر بموضع يقال له بش دغ ومعني بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعني دغ الجبل وهو (بفتح الدال المهمل وغين معجم) وبهذه الجبال الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الاتراك ويزعمون انه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض وارتحلنا الى موضع الحلة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا الحلة قدر حلت فعدا الى الموضع الذي رحلنا منه لان الحلة تنزل بالقرب منه فضربت بيدي على تل هنالك وركزت العلم أمام البيت وجعلت الخيل والعربات وراء ذلك وأقبلت الحلة وهم يسمونها الأردو بضم الهمزة فرأينا مدينة عظيمة تسير أهلها فيها المساجد والاسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء وهم يطبخون في حال رحيلهم والعربات تجرها الخيل بهم فاذا بلغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الارض وهي خفيفة الحمل وكذلك يصنعون بالمساجد والخوانيت واجتاز بنا خواتين السلطان كل واحدة بنا سها على حدة ولما اجتازت الرابعة منهن وهي بنت الامير عيسى بك وسند كرها رأيت البيت باعلى التل والعلم امامه وهو علامة الوارد فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا سلاما الى وهي واقفة تنتظرهم فبعثت اليها هدية مع بعض اصحابي ومع معرف الامير تلمكتهم ورفق بملتها تبركا وأمرت ان أنزل في جوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في محلته على حدة

— ذكر السلطان المعظم محمد أوز بك خان —

واسمه محمد أوز بك (بضم الهمز وواو زاي مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعني خان عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر لاعداء الله اهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها التكفار والقرم والماجروا زاق وسرداق (سوداق) وخوارزم وحضرته السراوهو

أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظمائها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان اوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان اذا سافر في محلة على حدة معه مما يليكه وأرباب دولته وتكون كل خاتون من خواتينه على حدة في محلتها فاذا أراد أن يكون عنده واحدة منهن بعث اليها يعلمها بذلك فتتهيأ له وله في قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة بصفائح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه فضة خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كيك وعلى يساره الخاتون ييلون وتليها الخاتون اردجي ويقف أسفل السرير على اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك وتجلس بين يديه ابنته إيت كيجيك واذا أنت احداهن قام لها السلطان وأخذ بيدها حتى تصعد على السرير وأما طيطغلي وهي الملكة واحظا هن عنده فانه يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها وياخذ بيدها فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس دون احتجاب ويأتي بعد ذلك كبار الامراء فيتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل انسان منهم اذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان أبناء الملوك من بني عمه واخوته وأقاربه ويقف في مقابلة لهم عند باب القبة أولاد الامراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام بالامثال فلأمثل ثلاثة ثلاثه فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فاذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين ثم ينصرف سائرهن فيتبعها الى محلتها فاذا دخلت اليها انصرفت كل واحدة الى محلتها راكبة عربتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربية وخلف الجميع نحو مائة عمولك من الصبيان وامام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبا واملهم مشاة يابدهم القضبان والسيوف مشدودة على اوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في انصرافها ومجيئها وكان نزول من الحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي الغد من يوم وصولي دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة

والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا وأفطرننا بمحضرة وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأني بالخير وأشاروا على السلطان بكرامتي وهؤلاء الأتراك لا يعرفون أنزال الوارد ولا اجراء النفقة وإنما يبعثون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمز وتلك كرامتهم وبعد هذا بإيام صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرني بالقيود وجاءوا بالطعام من المشروبات كما يصنع من الدوق ثم باللحوم المصلوقة من الغنم والخيل وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل أصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على ذلك

— ذكر الخواتين ترتيبهن —

وكل خاتون منهن تركب في عربة وللبنت الذي تكون فيه قبة من الفضة المموهة بالذهب أو من الخشب المرصع وتكون الخيل التي تجر عربتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم العربة الذي يركب أحد الخيل فتى يدعى القشى والخاتون قاعدة في عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعني ذلك الوزيرة وعن شمالكها امرأة من القواعد أيضا تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعني ذلك الحاجبة وبين يديها ست من الجواري الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متناهيات الكمال ومن وراء اثنتان منهن تستند اليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وأعلامها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر شبه المنوت (المسبوطة) التي يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجبة مقنعة حرير مزركشة الخواشي بالذهب والجواهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلا وهو شبه الأقروفي وأعلامها دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وريش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى الخج ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من الفتيان الروميين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويسد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة في كل عربة الثلاث والأربع من الجواري الكبار والصغار ثيابهن الحرير وعلى رؤسهن الكلا وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل خزائن الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ومع كل عربة غلام موكل بها متزوج بجمارية من الجواري التي ذكرنا فان العادة عندهم انه لا يدخل بين الجواري من الغلمان الا من كان له بينهن زوجة وكل خاتون فهي على هذا الترتيب ولندكرهن على الانفراد

— ذكر الخاتون الكبرى —

والخاتون الكبرى هي الملكة أولدي السلطان جان بك وتين بك وسنذكرهما وليست أم ابنته إيت كيجك وأما كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطغلي (بفتح الطاء المهملة الاولى واسكان الياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي أحظى نساء هذا السلطان عنده وعندما يبيت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها والافهى أبجل الخوانين وحدثني من أعتده من العارفين بأخبار هذه الملكة ان السلطان يحبها للخاصية التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنها بكر وذكر لي غيره انها من سلالة المرأة التي يذكر ان الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه أمر ان توضع بصحراء لا عمارة فيها فوضعت بصحراء فقبحق وان رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خلقة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء فقبحق ولا غيره امانه رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها الا هذه الخاتون اللهم الا ان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين صنفان نساءها على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشر من النساء القواعد كانهن خديمات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغار اسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والفضة مملوءة يحب المملوك وهن يتقينه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة منه وهي تنقيه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قاريء يقرأ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأتم أمرت ان يؤتى بالقمر قاتي به في أقداح خشب لطاف خفاف فاخذت القدرح يسدها وناولتني اياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شر بت القمر قبلها ولكن لم يمكنني الا قبوله وذقته ولا خير فيه ودفعته لاحد أصحابي وسالتني عن كثير من حال سفرنا فاجبتنا هائم انصرفنا عنها وكان ابتداءنا بها لاجل عظمتها عند الملك

— ذكر الخاتون الثانية التي تلى الملكة —

واسمها كبك خاتون (بفتح الكاف الاولى وكسر الباء الموحدة) ومعناها بالتركية النخالة وهي بنت الامير نغطى (واسمه بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها حي مبتلى بيلة النقرس وقد رأيتاه وفي غد دخولنا على الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فاسما عليها وأحسنن في السلام والكلام وقرأ قارئنا

فاستحسنته وأمرت بالقمز فاحضروا وولتني القدح بيدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها
— ذكر الخاتون الثالثة —

واسمها بيلون (بياء موحدة وباء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وواو مدونون)
وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي
قاعدة على سرير مرصع قوائمها فضة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات
منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسالت
عن حالنا ومقدمنا وبعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان بين يديها رقة منها
وشفقة وأمرت بالطعام فاحضروا كلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولما أردنا الانصراف
قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا إلينا واطلبونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الاخلاق وبعثت
في أثرنا طعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاثة من جياد الخيل وعشرة
من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفرى الى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد

— ذكر الخاتون الرابعة —

واسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهمل وجيم وألف) وأردو
بلسانهم المحلة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي بنت الامير الكبير عيسى بك أمير
الالوس (بضم الهمز واللام) ومعناه أمير الامراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان
إيت كيجيك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وأطلقهن شئائل وأشققهن وهي التي
بعثت الى لما رأت يتي على النل عند جواز المحلة كما قدمناه دخلنا عليها فرأينا من حسن
خلقها وكرم نفسها مالا مزيد عليه وأمرت بالطعام فاكلنا بين يديها ودعت بالقمز فشرب
أصحابنا وسالت عن حالنا فاجبتناها ودخلنا أيضا الى أختها زوجة الامير على بن أرزق

— ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك —

واسمها إيت كيجيك وإيت (بكسر الهمزة وباء مدونة مثناة وكيجيك بضم الكاف وضم
الجيمين ومعنى اسمها الكلب الصغير فان إيت هو الكلب وكيجيك هو الصغير وقد قدمنا
ان الترك يسمون بالقال كما تفعل العرب وتوجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة
منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فامرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف
ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقهاء وحضر زوجها الامير عيسى الذي بنته زوجة
السلطان فقدم معها على فراش واحد وهو معتل بالنقرس فلا يستطيع التصرف على قدميه
ولاركوب الفرس وانما يركب العربية واذا اراد الدخول على السلطان انزله خدامه وادخلوه

الى المجلس محمولا وعلي هذه الصورة رأيت أيضا الامير نغلي وهو أبو الخاتون الثانية وهذه العلة قاشية في هؤلاء الاتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المسكرين وحسن الاخلاق ما لم نره من سواها وأجزأت الاحسان وأفضلت جزاها لله خيرا

— ذكر ولدي السلطان —

وهما شقيقان وأمهما جميعا المملكة طيطغلي التي قدمنا ذكرها والا كبرمنهما اسمه تين بك (بناء معلولة مكسورة وياه مدونون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكان اسمه أمير الجسد واسم أخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر النون) ومعني جان الروح فكانه يسمى أمير الروح وكل واحد منهما له محلة على حدة وكان تين بك من أجمل خلق الله صورة وعهدله أبوه بالملك وكانت له الخطوة والتشر يف عنده ولم يرد الله ذلك فانه لما مات أبوه ولي سيرا ثم قتل لامور قبيحة جرت له وولي أخوه جان بك وهو خير منه وأفضل وكان السيد الشر يف ابن عبد الحميد هو الذي تولى تربية جان بك وأشار على هو والقاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والامام المقرئ حسام الدين البخاري وسواهم حين قدومي أن يكون نزولي بمحلة جان بك المذكور لفضله ففعلت ذلك

— ذكر سفري الى مدينة بلغار —

وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه اليها لاري ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضا في عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر فطلبت منه من يوصلني اليها فبعث معي من أوصلني اليها ووردي اليه ووصلتها في رمضان فلما صليتنا المغرب أفطروا وأذن بالعشاء في أثناء إفطارنا فصليتناها ووصلتنا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر إثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها في فصل قصره أيضا وأقمت بها ثلاثا

— ذكر أرض الظلمة —

وكننت أردت الدخول الى أرض الظلمة والدخول اليها من بلغار وبينهما أربعون يوما ثم أضربت عن ذلك لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر اليها لا يكون الا في عجالات صغار تجرها كلاب كبار فان تلك المنافسة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدمي ولا حافر الدابة فيها والكلاب لها الاظفار فتثبت أقدامها في الجليد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين يكون لاحدهم مائة عجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وحطبها فانها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مارا كثيرة وتنتهي قيمته الى ألف دينار ونحوها وترتبط العربية الى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون

هو المقدم وتبعه سائر الكلاب بالعبادات فاذا وقف وقفت وهذا الكلب لا يضر به صاحبه ولا ينهره واذا حضر الطعام أطمع الكلاب أولا قبل بنى آدم والاغضب الكلب وفر وترك صاحبه للتلف فاذا كملت للمسافر ين بهذه القلاة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك كل واحد منهم ما جاء به من انتاع هنالك وعادوا الى منزلهم المعتاد فاذا كان من الغد عادوا للتفقد متاعهم فيجدون بازائه من السمور والسنجاب والفاقم فان أرضي صاحب الانتاع ما وجده ازاء متاعه أخذه وان لم يرضه تركه فيزيدونه ور بما رفعوا متاعهم أعني أهل الظلمة وتركوا متاع التجار وهكذا يبيعهم وشراؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من يبايعهم ويشاربهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون أحدا والفاقم هو أحسن أنواع الفراء وتساي الفروة منه بيلاد الهند ألف دينار وصر فها من ذهبنا مائتان وخمسون وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله والسمور دون ذلك تساي الفروة منه أربع مائة دينار فنادوا منها من خاصية هذه الجلود انه لا بدخلها القمل وأمرأ الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا بغيرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين وعدت من مدينة بلقار مع الأمير الذي بعثه السلطان في صحبتي فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في ثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

— ذكر ترتيبهم في العيد —

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها ذهبي الملمعة على الحقيقة ورثت الملك من أمها وركب أولاد السلطان كل واحد في عسكره وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايي ومعهم جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب أحسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمى عندهم الكشك فجلس فيه ومعهم خواتينه ونصب برج فان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان وأقاربه ونصبت للكراسي للامراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على كرسبه ثم نصبت طبقات للرمي اسفل أمير طومان طيلة مختصة به

هو أمير طومان عندهم هو الذي يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان
سبعة عشر يقودون مائة وسبعين الفاً وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبه
منبر فعد عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على
كل أمير خلعة وعند ما يلبسها يأتي إلى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته ان يمس
الأرض بركبته اليمنى ويمد رجله تحتها والأخرى قائمة ثم يؤتى بفرس مسرج ملجم فيرفع
حافره ويقبل فيه الأمير ويقوده بنفسه إلى كرسيه وهناك يرتبه ويقف مع عسكره
ويفعل هذا الفعل مع كل أمير منهم ثم ينزل السلطان على البرج ويركب الفرس وعن يمينه
ابنته وإلى العمد وتلمسه بنته الملكة إيت كيجك وعن يساره ابنته الثاني وبين يديه الخواتين
الأربع في عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب والخيول التي تجرها بحللة بالحرير المذهب
وينزل جميع الأمراء الكبار والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة
فيمشون بين يدي السلطان على أقدامهم إلى أن يصل إلى الوطاق والوطاق (يكسر الواو)
وهو أفراج وقد نصبت هنالك باركة (باركاد) عظيمة والباركة عندهم بيت كبير له أربعة
أعمدة من الخشب مكسوة بصفايح الفضة المموهة بالذهب وفي أعلى كل عمود جامور من
الفضة المذهبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على البعد كأنها ثنية ويوضع عن يمينها
ويسارها سقائف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب في وسط
الباركة السرير الأعظم وهم يسمونه التخت وهو من خشب مرصع وأعواده مكسوة
بصفايح فضة مذهبة وقوائمها من الفضة الخالصة المموهة وفوقه فرش عظيم وفي وسط هذا
السرير الأعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها بنته
إيت كيجك ومعها الخاتون اردواجا وعن يساره مرتبة جلست بها الخاتون بيلون ومعها
الخاتون كيك ونصب عن يمين السرير كرسى قعد عليه تين بك ولد السلطان ونصب عن
شماله كرسى قعد عليه جان بك ولده الثاني ونصبت كراسى عن اليمين والشمال جلس
فوقها أبناء الملوك والأمراء الكبار ثم الأمراء الصغار مثل أمراء هزارة وهم الذين يقودون
ألقا ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يحملها أربعة رجال وأكثر من
ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقة وتوضع بين يدي كل أمير مائدة ويأتى الباورجي
وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليها فوطه حريري في حزامه جملة سكاكين
في أعمادها ويكون لكل أمير باورجي فإذا قدمت المائدة قعد بين يدي أميره ويؤتى
بصحفة صغيرة من الذهب أو الفضة فيها ملح محلول بالماء فيقطع الباورجي اللحم قطعاً

صغاراً ولهم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطاً بالعظم فانهم لا ياكلون منه الا ما اختلط
بالعظم ثم يؤتى باواني الذهب والفضة للشرب وأكثر شربهم نبيذ العسل وهم حنيفة
المذهب يحملون النبيذ فاذا أراد السلطان أن يشرب أخذت بنته القدح بيدها وخدمت
برجلها ثم ناولته القدح فشرب ثم تأخذ قدحاً آخر فتناولها لخاتون الكبرى فتشرب منه
ثم تناول لسائر الخواتين على ترتيبهن ثم يأخذ ولي العهد القدح ويخدم ويناوله أباه فيشرب
ثم تناول الخواتين ثم أخته ويخدم جميعهن ثم يقوم الولد الثاني فيأخذ القدح ويسقي اخاه
ويخدم له ثم يقوم الامراء الكبار فيسقي كل واحد منهم ولي العهد ويخدم له ثم يقوم أبناء
الملك فيسقي كل واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدم له ثم يقوم الامراء الصغار فيسقون
أبناء الملك ويغنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قبة كبيرة أيضاً إزاء المسجد
للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنامهم فواتين بموائد الذهب
والفضة يحمل كل واحدة أربعة من كبار الأتراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي
السلطان الا الكبار فيأمرهم برفع ما أراد من الموائد الى من أراد فكانت من الفقهاء من
أكل ومنهم من تورع عن الاكل في موائد الفضة والذهب ورأيت مد البصر عن اليمين
والشمال من العربات عليها روايا القمزم فامر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا الى بركة
منها فاعطيتها لجيرانى من الأتراك ثم أتينا المسجد ننتظر صلاة الجمعة فاطا السلطان فمن
قائل انه لا يأتى لان السكر قد غلب عليه ومن قائل انه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن
الوقت أتى وهو يتمايل فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأطأ وهو الابل
لسان التركية ثم صلينا الجمعة وانصرف الناس الى منازلهم وانصرف السلطان الى الباركة
فبقى على حاله الى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه
وبنته ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحلة المنقضي العيد فوصلنا الى مدينة الحاج ترخان
ومعنى ترخان عندهم الموضع الحرر من المغارم (وهو بفتح المثناة وسكون الراء وفتح
الخاء المعجم وآخره نون) والمنسوب اليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركى نزل
بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمددت وهى من أحسن
المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهر أتل وهو من أنهار الدنيا الكبار وهنالك يقيم السلطان
حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر وتجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأتون
بالآلاف من احمال التبن فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر والتبن هنالك لا تاكله
الدواب لانه بضرها وكذلك يبلاد الهند وانما أكلها الحشيش الاخضر لخصب البلاد.

ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء فيغرقون وبها يكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبت الخاتون ييلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده وتعود إليه فاذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في التوجه بصحبتهما لمشاهدة القسطنطينية العظمى فنهني خوفا على فلاطفته وقلت له إنما أدخلنا في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد فاذن لي وودعناه ووصلني بالف وخمسمائة دينار وخلعة وأفراس كثيرة وأعطتني كل خاتون منهن سبائك الفضة وهم يسمونها مصوم (بفتح الصاد المهملة) واحدها صومة وأعطت بنته أكثر منهن وكستني واركتني واجتمع لي من الخيل والثيران وفروا والسجاب والسمور جملة — ذكر سفرى الى القسطنطينية —

وسافرنا في العاشر من شوال في صحبة الخاتون ييلون ونحت حرمتها ورحل السلطان في تشييعها مرحلة ورجع هو والملكة وولى عهده وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلة ثانية ثم رجعنا وسافر صحبتها الاله مير بيديره في خمسة الآف من عسكره وكان عسكرا الخاتون نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مائتين والباقيون من الترك وكان معها من الجوارى نحو مائتين وأكثرهن روميات وكان لهما من العربات نحو أربع عشرة ونحو ألفي فرس لجرها وللا ركوب ونحو ثلثمائة من البقر ومائتين من الجبال لجرها وكان معها من الفتيان الروميين عشرة ومن الهندين مثلهم وقائدهم الاكبر يسمى بسنبيل الهندي وقائدهم الروميين يسمى بميخائيل ويقول له الاتراك أو تو وهو من الشجعان الكبار وتركت أكثر جواربها واثقا لها بمحلة السلطان اذ كانت قد توجهت برسم الزيارة ووضع الحمل وتوجهنا الى مدينة ألك وهي (بضم الهمزة وفتح الكاف الاولى) مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد وبينها وبين السراخضرة السلطان مسيرة عشر وعلى يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقرو الشعور زرق العيون قباج الصور أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن الالدهم يؤتى بالصوم وهي سبائك الفضة التي يبيع ويشتري في هذه البلاد ووزن الصومعة منها خمس أوقى ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة الى مدينة سرادق (وضبط اسمها بضم السين المهملة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وآخره قاف) وهي من مدن دشت قفقج على ساحل البحر ومرساها من أعظم المراسي وأحسنها وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك ووطائفة من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة

كبيرة فخرّب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فأنهصر للترك أصحابهم وقتلوا الروم شرقا ولفوا أكثرهم وبقى بعضهم تحت الذمة الى الآن وكانت الضيافة تحمل الى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوقي والقمز وألبان البقر والغنم والسفر في هذه البلاد مضجى ومعشى وكل أمير بتلك البلاد يصحب الخاتون بعساكره الى آخر حد بلاده تعظيما لالاخوة فاعليهم الان تلك البلاد آمنة ثم وصلنا الى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبابا عندهم معناه عند البربر سواء الا انهم يفتخمون الباء وسلطوق (بفتح السين المهمل واسكان اللام وضم الطاء المهمل وآخره قاف) وبذلكرون ان سلطوق هذا كان مكاشفا لكن يذكرونه أشياء ينكرها الشرع وهذه البلدة آخر بلاد الترك بينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما في برية غير معمورة منها ثمانية أيام لأماء بها يتزود لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان دخولنا إليها في أيام البرد فلم نحتاج الى كثير من الماء والأتراك يرفعون الألبان في القرب ويخلطونها بالدوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون واخذنا من هذه البلدة في الاستعداد للبرية واحتجت الى زيادة افراس فاقبت الخاتون فاعلمتها بذلك وكنت أسلم عليها صاحبها ومشيقتها ضيافة تبعته الى باقرسين والثلاثة وبالغنم فكسنت أترك الخيل لاذبحها وكان من معي من الغلمان والخدام ياكلون مع أصحابنا الأتراك فاجتمع لي نحو خمسين فرسا وامرت الى الخاتون بمحمة عشر فرسا وأمرت وكيلها ساروجة الرومي ان يختارها سما نامن خيل المطبخ وقالت لا تخف فان احتجت الى غير هازدناك ودخلنا البرية في منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان الى اول البرية تسعة عشر يوما واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوما مضجى ومعشى ومارأينا الا خيرا والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك الى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوة وواو مد ولام مكسور وياء) وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلنا الى هذا الحصن ككفالى بقوله الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دار اسية ملك القسطنطينية وبين ومهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما الى الخليج وسنة منه الى القسطنطينية ولايسافر من هذا الحصن الا بالخيل والبغال وترك العربات به لاجل الوعر والجبال وجاء كفالى المذكور ببغال كثيرة وبعت الى الخاتون بستة منها وأوصت أمير ذلك الحصن بن تركته من أصحابي وغلمانى مع العربات والاقبال فامر لهم بدار ورجع الامير بيدرة بعساكر ولم يسافر مع الخاتون الا ناسه

وتركت مسجد هاهنا الحصن وارتفع حكم الاذان وكان يؤتى اليها بالخور في الضيافة
 قشر بها وبالختازير وأخبرني بعض خواصها انها أكلتها ولم يبق معهم من يصلي الا بعض
 الاتراك كان يصلي معنا وتغيرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر ولكن الخاتون أوصت
 الأمير كفالى بكرامى ولقد ضرب مرة بعض مما ليكم لما ضحك من صلاتنا ثم وصلنا حصن
 مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخار يقال له اصططيلى ولم يبق من هذا
 الحصن الا آثاره وبخارجه قرية كبيرة ثم سرنا يومين ووصلنا الى الخليج وعلى ساحله
 قرية كبيرة فوجدنا فيه المد فاقمتنا حتى كان الجزر وخصناه وعرضه نحو ميلين ومشينا
 أربعة أميال فى رمال ووصلنا الخليج الثانى فخصناه وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو
 ميلين فى حجارة ورمل ووصلنا الخليج الثالث وقدا بدأ المد فتبعنا فيه وعرضه ميل
 واحد فعرض الخليج كله مائة وياسته اثناعشر ميلا وتصير ماء كلها فى أيام المطر فلا
 تخاض الا فى القوارب وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الفنيكة (واسمها بقاء
 مفتوحة ونون و ياء مدوكاف مفتوح) وهى صغيرة لكنها حسنة مائة وكناسها وديارها
 حسان والانهار تخرقها والبساتين تحفها ويدخر بها العنب والاجاص والتفاح والسفرجل
 من السنة الى الاخرى وأقمنا بهذه المدينة ثلاثا والخاتون فى قصر لا يباهى هالك ثم قدم
 أخوها شقيقها واسمه كفالى قراس فى خمسة آلاف فارس شاكين السلاح ولما أرادوا
 لقاء الخاتون ركب أخوها المذكور فرسا أشهب وليس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا
 مكللا بالجواهر وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لابسين البياض
 أيضا وعليهم مظلات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشائين ومائة فارس قد
 أسيغوا الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرعا عليه شكة
 فارس من البيضة المجوهره والدروع والتركش والقوس والسيف وبه رمح فى طرف
 رأسه راية وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هى
 مراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج كل فوج فيه مائتا فارس ولهم أمير قد قدم
 أمامه عشرة من الفرسان شاكين فى السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلقه عشرة
 من العلامات ملونة بأبدى عشرة من الفرسان وعشرة أطبال يتقلدها عشرة من الفرسان
 ومعهم ستة يضر بون الابواق والانفار والصرنايات وهى الغيطات وركبت الخاتون فى
 مما ليكمها وجواربها وفتيانها وخدامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب
 المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضا النسيج مرصعة بالجواهر وعلى

رؤسها تاج مرصع وفرسها بجمل بجمل حرير مزر كمش بالذهب وفي يده ورجليه خلاخل
 الذهب وفي عنقه قلاند مرصعة وعظم السرج مكسو ذهباً مكلل جوهرها وكان التقاؤها
 في بسط من الارض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لانه أصغر سناً منها وقبل
 ركابها وقبلت رأسه وترجل الامراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعاً ركابها وانصرفت مع
 أخيها وفي غد ذلك اليوم وصلنا الى مدينة كبيرة على ساحل البحر - لا أنبت الآن اسمها
 ذات أنهار وأشجار نزلنا بحارجهما ووصل أخوال الخاتون ولى العهد في ترتيب عظيم وعسكر
 ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك
 وعن يساره مثلهم وقد ترتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر
 وتلاقت معه أخته في مثل زيارته الأولى وترجلا جميعاً وأتوني بخيـاء حرير فدخلنا فيه فلا أعلم
 كيفية سلامهما ونزلنا على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهلها من
 وجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في أحسن زي وأجمل لباس وضربت عند الصبح الاطبال
 والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب
 الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال
 في أعلى كل عصي شبه كرة من جلد يرفعونها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها
 الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم أقدر على الدخول
 فيما بينهم فلزمت أئمال الخاتون وأصحابها خوفاً على نفسي وذكركى أنها لما قربت من أبيها
 ترجلت وقبلت الارض بين أيديهما ثم قبلت حافري فرسيهما وفعل كبار أصحابها مثل
 فعلها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال وبعدنا الى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا
 نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لا اختلاط أصواتها ولما وصلنا الباب من أبواب قصر
 الملك وجدنا به مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكانه وسمعتهم يقولون سرا كنوا سرا كنوا
 ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون انهم من جهنم فقالوا
 لا يدخلون إلا باذن فاقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبعث من أعلمها بذلك
 وهي بين يدي والدها فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا داراً بمقربة من دار
 الخاتون وكتب لنا أمراً بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودى بذلك في الاسواق
 وأقمنا بالدار ثلاثاً تبعث الينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج والسمن والفاكهة
 والحوت والدرام والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

واسمه تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء واوراء) ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه تزهو وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسند كره وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينية بعثت الى الخاتون الفتى سنبل الهندى فاخذ بيدي وأدخلني الى القصر فجزنا أربعة أبواب في كل باب سقائف بهار جال وأساجتهم وقائدهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا الى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على انك من خاص أوعام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بارض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فاخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلوا بي الى مشور كبير حيطا نه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يمينا ويسار اسكونا لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني أولئك الاربعة اليهم فامسكوا بشيبي كما فعل الآخرون وأشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان أحد هم يهوديا فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وأنا التزجان وأصلي من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريره وزوجته أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل المرير الخاتون واخوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فإشار اني قبل السلام والوصول اليه بالجلوس هنية ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليه فسلمت عليه وأشار الى ان اجلس فلم أفعل وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبته عن ذلك كله واليهودي يترجم بنبي وبينه فاعجبه كلامي وقال لا ولاده اكرموا هذا الرجل وأمنوه ثم خلع على خلعة وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة من التي يعملها الملك فوق رأسه وهي علامة الامان وطلبت منه ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادى فعين لي ذلك ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك و يركب فرسه يطاف به في أسواق المدينة بالا وواق والانتار والاطبال ليراه الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالانراك الذين ياتون من بلاد السلطان أوز بك لئلا يؤذون فطا فوا بي في الاسواق

— ذكر المدينة —

وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخربت وهو الآن يعبر في القوارب واسم هذا النهر أسمى (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهمل وكسر الميم وياء مد) وأحد القسمين من المدينة يسمى اصطنبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو مد ولام) وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشار كهم سواهم وعلى كل سوق أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصنائع والباعة بها النساء والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لاسبيل لأعدائيه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني منها فيسمى الغلاطة (بغين معجمة ولام وطاء مهمل مفتوحات) وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح في قرية من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه وهم أصناف فمنهم الجنوبيون والبنادقة وأهل رومية وأهل افرانسة وحكمهم الى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونهم القمص وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية وربما استعصوا عليه فيحاربهم حتي يصلح بينهم البابا وجميعهم أهل تجارة ومرسأهم من أعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر وسواها من الكبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة الا ان الاقدار غالبية عليها ويسبقها نهر صغير قدر نجس وكنائسهم قدرة لا خير فيها

— ذكر الكنيسة العظمى —

وانما ذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده وهي تسمى عندهم أياصوفيا (بفتح الهمزة والياء آخر الحروف والفاء وصاد مضموم وواو مد وفاء مكسورة وياء كالاولى وألف) ويذكر انها من بناء آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكانها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابا ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان

نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزج المنقوش باحسن صعة والاشجار منتظمة عن جهتي الساقية ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع عليه دوالى العنب وفي أسفله الياسمين والرياحين وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبة مساطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها فضائهم وكماب دواونهم وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد اليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالملف يجلس فوقه قاضيههم وسند كره وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين احدهما يمر بسوق العطارين والآخر يمر باسوق حيث النضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقها وبوقون سرجهما ويغلقون أبوابها ولا يدعون أحدا يدخلها حتى يسجد للصليب الاعظم عندهم الذي يزعمون انه بقية من الخشبة التي صلب عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جمعة ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرضوا عليها جمعة ذهب مثلها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بصفايح الفضة والذهب وحلقته من الذهب الخالص وذكر لي ان عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي الى آلاف وان بعضهم من ذرية الحواريين وان بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيها من الابكار المنقطعات للعبادة أن يرد من ألف وأما القواعد من النساء فأكثرن من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس ان يؤثوا كل يوم صباحا الى زيارة هذه الكنيسة ويأني اليها بالامرة في السنة واذا كان على مسيرة أربع من البلد يخرج الملك الى لقائه ويترجل له وعند دخول المدينة يمشي بين يديه على قدميه ويأتيه صباحا ومساء للسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف — ذكر المانستارات بقسطنطينية —

والمانستار على مثل لفظ المارستان الا أن نونه متقدمة وراءه متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمره الملك جرجيس والدملك القسطنطينية وسند كره وهو بخارج اصطنبول مقابل الغلطة ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل اليها وهما داخل بستان يشقهما نهرا واحدهما للرجال والآخر للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهما احباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم بتأها أحد الملوك ومنها مانستاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى علي مثل هذين الآخرين وبطيف

بهما بيوت واحدها يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبد الملك الذي بناه وأكثر هؤلاء الملوك اذا بلغ الستين أو السبعين بني مانستارا ولبس المسوح وهى ثياب الشعر وقلدوله الملك واشتغل بالعبادة حتي يموت وهم يحتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهى كثيرة هذه المدينة ودخلت مع الرومى الذى عينه الملك للركوب معى الى مانستار يشقه نهروفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهم المسوح ورؤسهن مخلوقة فيها قلائس البلد ولهن جمال فائق وعليهن أثر العبادة وقد قد صبي على منبر يقرأ لهن الانجيل بصوت لم أسمع قط أحسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيسهم فلما قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لى الرومى ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج لك الكنيسة ودخلت معه أيضا الى كنيسة في بستان فوجدناها نحو خمسمائة بكر أو أزيد وصبي يقرأ لهن على منبر وجماعة صبيان معه على منابر مثل الاولين فقال لى الرومى هؤلاء بنات الوزراء والامراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معه الى كنائس فيها اباكر من وجوه أهل البلد والى كنائس فيها العجائز والقواعد من النساء والى كنائس فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثر وأقل وأكثر أهل هذه المدينة رهبان ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندى وغيره صغير وكبير يعملون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفا والنساء لهن عمام كبار

— ذكر الملك المترهب جرجيس —

وهذا الملك ولى الملك لابنه وانقطع للعبادة وبني مانستارا كما ذكرناه خارج المدينة على ساحلها وكنت يوما مع الرومى العيين للركوب معى فاداب هذا الملك ماش على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلفه وامامه جماعة من الرهبان ويده عكاز وفى عنقه سبحة فلما رآه الرومى نزل وقال لى انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومى سألته عنى ثم وقف وبعث لى فجئت اليه فاخذ بيدي وقال لذلك الرومى وكان يعرف اللسان العربى قل لهذا السرا كنو يعنى المسلم أنا أصافح اليد التى دخلت بيت المقدس والرجل التى مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التى تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فعجبت من

اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ يبدى ومشيت معه فسألتني عن بيت المقدس ومن فيه من النصاري واطال السؤال ودخلت معه الى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولما قارب الباب الاعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليه وهو من كبارهم في الرهبانية ولما رأهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان قل له لا بد لدخولها من السجود للصليب الاعظم فان هذا مما سنته الاوائل ولا يمكن خلافه وتركتته ودخل وحده ولم أره بعدها

— ذكر قاضي القسطنطينية —

ولما فارقت الملك المترب المذكور دخلت سوق الكتاب فرأيت القاضي فبعث الى أحد اعدائه فسأل الرومي الذي معي فقال له انه من طلبية المسلمين فلما عاد اليه وأخبره بذلك بعث الى أحد أصحابه وهم يسمون القاضي النجشي كفالتي فقال لي النجشي كفالتي يدعوك فصعدت اليه الى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخاً حسن الوجه واللغة عليه لباس الرهبان وهو الملقب الاسود وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقام الى وقام أصحابه وقال أنت ضيف الملك ويحب علينا كرامك وسألتني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك أن تأتي الى داري فاضيفك فانصرفت عنه ولم ألقه بعد

— ذكر الانصراف عن القسطنطينية —

ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الانراك انها علي دين أبيها وراغبة في المقام معه طلبوا منها الاذن في العودة الى بلادهم فاذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلاً وبعثت معهم من يوصلهم الى بلادهم أميراً يسمى ساروجة الصغير في خمسة آلاف فارس وبعثت عني فاعطتني ثلاثمائة دينار من ذهبهم وهم يسمونه البريرة وليس بالطيب والنفى درهم بندقيّة وشقة ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه وعشرة أثواب من حرير وكتان وصوف وفرسين وذلك من عطاء أبيها وأوصتني ساروجة وودعتها وانصرفت وكانت مدة مقامي عندهم شهراً وستة أيام وسافرنا صحبة ساروجة فكان يكرمني حتى وصلنا الى آخر بلادهم حيث تركنا أصحابنا وعرباتنا فركبنا العربات ودخلنا البريرة ووصل ساروجة معنا الى مدينة بابا سلطوق وأقام بها ثلاثاً في الضيافة وانصرفت الى بلاده وذلك في اشتداد البرد وكنت ألبس ثلاث فروات وسروالين احدهما مبطن وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب

وكننت أنوضاً بالماء الحار بمقربة من النار فاستقطر من الماء قطرة الاجمدت لحينها واذا غسلت وجهي يصل الماء الى الحيتي فيجمد فاحركها فيسقط منها شبه الثلج والماء الذي ينزل من الانف يجمد على الشارب وكننت لا أستطيع الركوب لكثرة ما على من الثياب حتى يركبني أصحابي ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث قارقنا السلطان أوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرنا على نهر اتل وما يليه من المياه ثلاثا وهي جامدة وكنا اذا احتجنا الماء قطعنا قطعاً من الجليد وجعلناه في القدر حتى يصير ماء فنشرب منه ونطبخ به ووصلنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهمل وراء مفتوحة وألف) وتعرف بسرايركة وهي حضرة السلطان أوزبك ودخلنا على السلطان فسألنا عن كيفية سفرنا وعن ملك الروم ومدينته فأعلمناه وأمر بأجراء النفقة علينا وانزلنا ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في سيط من الارض تغص بأهلها كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبنا يوماً مع بعض كبرائهم وأغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غداة فواصلنا لآخرها الا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فواصلنا الى المنزل الا عند المغرب ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساين وفيها ثلاثة عشر مسجداً لأقامة الجمعة أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والساطين وبعضهم مسامون ومنهم الاصل وهم مسلمون ومنهم الفقهاء والحر كس والروس والروم وهم نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العرافين ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطاً على أموال التجار وقصر السلطان بها يسمى الطون طاش والطنون (بفتح الهززة وسكون اللام وضم الطاء المهمل وواو مدونون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه حيز وقاضى هذه الحضرة بدر الدين الاعرج من خيار القضاة وبها من مدرسى الشافعية الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سليمان اللكزى أحد الفضلاء وبها من المالكية شمس الدين المصري وهو ممن يطعن في ديانته وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافاها وأكرمنا وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمي رأيت به وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم النفع شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا يأتي اليه السلطان أوزبك زائراً في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه وبكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد

ذلك وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان فانه يتواضع لهم
ويكلمهم بالطف كلام ويكرمهم واكرمني جزاه الله خيرا وبعث الى بسلام تركي
وشاهدت له بركة — كرامة نه —

كنت أردت السفر من السرا الى خوارزم فنهاني عن ذلك وقال لي أقم أياما وحينئذ
تسافر فنازعني النفس ووجدت رفقة كبيرة أخذة في السفر فيهم تجار اعرفهم فاتفقت
مهم على السفر في صحبتهم وذكرت له ذلك فقال لي لا بد لك من الإقامة فعزمت على السفر
فابقي لي غلام اقمت بسببه وهذه من الكرامات الظاهرة ولما كان بعد ثلاث وجد بعض
أصحابي ذلك الغلام الآبق بمدينة الحاج ترخان فجاء به الي فحينئذ سافرت الى خوارزم
وبينها وبين حضرة السرا صحراء مسيرة أربعين يوما لا تسافر فيها الخيل لقلة الكلاء وانما
تجر العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيام فوصلنا الى مدينة سرا جوق وجوق
(بضم الجيم المعقود وراو واقف) ومعنى جوق صغير فكانهم قالوا سرا الصغيرة وهي علي
شاطيء نهر كبير زخار يقال له الوصو (بضم الهمزة واللام وواو مد وضم الصاد المهمل
وواو) ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب كجسر بغداد والى هذه المدينة انتهى
سفرنا بالخيول التي تجر العربات وبناها بها تاجر بحساب أربعة دنانير دراهم للفرس وأقل من
ذلك لاجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجر العربات وبهذه المد ينتزأوية
لرجل صالح معمر من الترك يقال له اطا (بفتح الهمزة والطاء المهمل) ومعناه الوالد اضافنا
بها وودعنا وأضافنا أيضا قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوما سيرا جادا
لا نزل الا ساعتين احداها عند الضحى والاخرى عند المغرب وتكون الإقامة قدر
ما يطبخون الدوق ويشربونه وهو يطبخ من غلية واحدة ويكون معهم الخليج من اللحم
يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل انسان انما ينأى أو ياكل في عربته حال السير وكان
لي في عربتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين في هذه البرية الاسراع لقلة أعشابها
والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما يبقى منها لا ينتفع به الا في سنة أخرى بعد ان يسمن
والماء في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيان ثم
لما سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه وصلنا الى خوارزم وهي أكبر مدن الانراك
وأعظمها وأجملها وأضخمها الاسواق المليحة والشوارع النسيجة والعمارة الكثيرة
والحاسن الاثيرة وهي ترتج بسكانها الكثرتهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها يوما
ودخلت السوق فلما اتوسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشهور (بفتح الشين

المعجم واسكان الواو) لم أستطع ان أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأرت الرجوع
 فلما مكنتي لكثرة الناس فبقيت متحيرا وبعد جهد شديد رجعت وذكرك لي بعض الناس
 ان تلك السوق يخف زحاما يوم الجمعة لانهم يسدون سوق القيساريه وغيرها من الاسواق
 فركبت يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة تحت إمرة السلطان
 أوزبك وله فيها أمير كبير يسمى قطاودمور وهو الذي عمر هذه المدرسة وماعها من
 المواضع المضافه وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة ترابك وترا (بضم التاء المعلو
 وفتح الراء وألف) وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوارزم مارستان له طبيب
 شامي يعرف بالصهيوني نسبة الى صهيون من بلاد الشام ولم أرى بلاد الدنيا أحسن
 أخلاقا من أهل خوارزم ولا أكرم نفوسا ولا أحب في الغرباء ولهم عادة جميلة في الصلاة
 لم أرها لغيرهم وهي ان المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده
 معلمهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام بمحضرة الجماعة وفي
 كل مسجد درة معلقة برسم ذلك ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح المسجد أو تطعم
 للفقراء والمساكين وبذكرون ان هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان وبخارج
 خوارزم نهر جيحون أحد الانهار الاربعة التي من الجنة وهو يجمد في أوان البرد كما
 يجمد نهر آمل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جهوده خمسة أشهر وربما سلكوا عليه عند
 أخذه في الذوبان فهلكوا وسافروا في أيام الصيف بالراكب الى ترمذ ويجلبون منها
 القمح والشعير وهي مسيرة عشر للمنحدر وبخارج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ
 نجم الدين الكبرى وكان من كبار الصالحين وفيها الطعام للوارد والصادر وشيخهم المدرس
 سيف الدين بن عضبة من كبار أهل خوارزم وبها أيضا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال
 الدين السمرقندي من كبار الصالحين أيضا فتابها وبخارجها قبر الامام العلامة أبي القاسم
 محمود بن عمر الزخشري وعليه قبة وزخشر قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم
 ولما أتيت هذه المدينة نزات بخارجها وتوجه بعض أصحابي الى القاضي الصدر أبي حفص
 عمر البكري فبعث الى نائبه نور الاسلام فسلم على ثم عاد اليه ثم أتى القاضي في جماعة من
 صحابه فسلم على وهو في السن كبير الفعال وله نائبان احدهما نور الاسلام المذكور والآخر
 نور الدين الكرمانى من كبار الفقهاء وهو الشديد في احكامه القوى في ذات الله تعالى
 ولما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي ان هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهارا لا يتاتي
 وسياتي اليكم نور الاسلام لتدخلوا معه من آخر الليل ففعلنا ذلك ونزلنا بمدرسة جديدة

ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح أتى الينا القاضي المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولا ناهام الدين ومولا نا زين الدين المقدسى ومولا نارضى الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوى ومولا نا جلال الدين العمادى ومولا ناشمس الدين السنجرى امام أميرها وهم اهل مكارم وفضائل والغالب على مذهبهم الاعتزال لكنهم لا يظهره لانه لان السلطان أوزبك وأميره على هذه المدينة قتلود مور من أهل السنة وكنت أيام اقامتى بها أصلي الجمعة مع القاضي أبى حفص عمر المذكور بمسجده فاذا فرغت الصلاة ذهبت معه الى داره وهي قريبة من المسجد فادخل معه الى مجلسه وهو من أبداع المجالس فيه الفرش الحافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقتان كثيرة وفى كل طاق منها أوانى الفضة المموهة بالذهب والوانى العراقية وكذلك عادة أهل تلك البلاد ان يصنعوا فى بيوتهم ثم يأتى بالطعام الكثير وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرابع وهو سلف الامير قتلود مور متزوج باخت امرأته واسمها جيچا أغا وبهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكرين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسى والخطيب مولا نا حسام الدين المشاطي الخطيب المصقع أحد الخطباء الاربعة الذين لم أسمع فى الدنيا أحسن منهم

— وأمير خوارزم —

هو الامير الكبير قتلود مور وقطلو (بضم القاف) وسكون الطاء المهمل وضم اللام) ودمور (بضم الدال المهمل والميم وواو مدوراه) ومعنى اسمه الحديد المبارك لان قتلوه هو المبارك ودمور هو الحديد وهذا الامير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك وأكبر أمرائه وهو واليه على خراسان وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التي أمها الملكة طيغلى المتقدم ذكرها وأمرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة ولما أتاني القاضي مسلما على كاذكرته قال لى ان الامير قد علم بقصدومك وبه بقية مرض يمنعك من الاتيان اليك فركبت مع القاضي الى زيارته وأتينا اداره فدخلنا مشورا كبيرا أكتريوته خشب ثم دخلنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب مزخرفة قد كسيت حيطانها بالملف الملون وسقفها بالحريز المذهب والامير على فرش له من الحرير وقد غطي رجله لما بهما من النقرس وهي علة فاشية فى الترك فسلمت عليه وأجلسنى الى جانبه وقعد القاضي والفقهاء وسألني عن سلطانه الملك محمد أوزبك وعن الخاتون بيبلون وعن أبيهما وعن مدينة القسطنطينية فأعلمته بذلك كله ثم أتى بالموائد فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكى وافراخ الحمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والكحك والحلوى ثم أتى بموائد أخرى فيها

تلقوا كه من الرمان المحبب في أوالي الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب وبعضه في أوالي
 الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن العنب والبطيخ العجيب ومن عوائد هذا
 الأمير ان يأتي القاضي في كل يوم الى مشوره فيجلس بمجلس معدله ومعه الفقهاء وكتابه
 ويجلس في مقابله أحد الامراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء امراء الترك وشيوخهم
 يسمون الارغجية (يارغوجي) ويتحاكم الناس اليهم فما كان من القضايا الشرعية حكم
 فيها القاضي وما كان من سواها حكم فيها أولئك الامراء وأحكامهم مضبوطة عادلة
 لانهم لا يتهمون بميل ولا بقلوب رشوة ولما عدنا الى المدرسة بعد الجلوس مع الامير
 بحث الينا الارز والدقيق والغنم والسمن والابزار وأعمال الحطب وتلك البلاد كلها
 لا يعرف بها الفحش وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم وأما الصين فيوقدون فيها
 حجارة تشتعل فيها النار كما تشتعل في الفحم ثم اذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه
 بالشمس وطبخوا به ثمانية كذلك حتي يتلاشي

— حكاية ومكرمة لهذا القاضي والامير —

صليت في بعض أيام الجمع على عادي بمسجد القاضي أبي حفص فقال لي ان الامير أمرلك
 بخمسمائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة يتفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ
 والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت له أيها الامير تصنع دعوة يا كل من حضرها لقمة
 أو لقمتين لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع فقال افعل ذلك وقد أمرلك
 بالالف كاملة ثم بعثها الامير صحبة امامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه
 وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللون
 بخمسة وثلاثين ديناراً وراهم وركبته في ذهابي الى المسجد فما أعطيت ثمنه الا من تلك
 الاف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت الى عدد لا أذكره خيفة مكذب
 يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة
 لكنني كنت أفضل هذا الفرس وأوتره وأربطه امام الخيل وبقى عندي الى انقضاء ثلاث
 سنين ولما هلك تغيرت حالي وبعثت الى الخاتون جيحاً أغا امرأة القاضي مائة دينار درهم
 وصنعت لي أختها ترابك زوجة الامير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزوايتها التي
 ينتها وفيها الطعام للوارد والصادر وبعثت الى بفروسة سمور وفرس جيد وهي من أفضل
 النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيراً

— حكاية —

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت

على الباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لأذكر عددهن
فسلمت على فرددت عليها السلام ولم أقف معها ولا التفت إليها فلما خرجت أدركني
بعض الناس وقال لي ان المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون فخرجت عند ذلك وأردت
الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت
عما كان مني لعدم معرفتي بها — ذكر بطيخ خوارزم —

و بطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا الا ما كان من بطيخ بخاري و يليه
بطيخ أصفهان وقشره أخضر و باطنه أحمر وهو صاقد الحلاوة وفيه صلابة ومن العجائب
أنه يقدد و يبس في الشمس و يجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة و بالتين المائتي
و يجعل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين و ليس في جميع القواكر اليابسة أطيب
منه و كنت أيام اقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم
قديد البطيخ وكان ملك الهند اذا أتى اليه شيء منه بعث الى بهلما يعلم من يحبتي فيه
و من عادته انه يطرف الغرباء بقواكر بلادهم و يتفقد هم بذلك — حكاية —

كان قد صحبني من مدينة السري الى خوارزم شريف من أهل كر بلاه يسمى على بن
منصور وكان من التجار فكانت أكله أن يشتري لي الثياب و سواها فكان يشتري لي
الثوب بعشرة دنانير و يقول اشتريته بثمانية و يحاسبني بالثمانية و يدفع الدينارين من ماله وأنا
لا أعلم لي بفعله الى أن تعرفت ذلك علي أسنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما
وصل الى احسان أمير خوارزم رددت اليه ما أسلفنيه وأردت أن أحسن بعده اليه مكافأة
لأفعاله الحسنة فأبى ذلك وحلف أن لا تفعل وأردت ان أحسن الى فتى كان له اسمه
كافور خلف أن لا أفعل وكان أكرم من لقيته من العراقيين وعزم على السفر معي الى
بلاد الهند ثم ان جماعة من أهل بلده وصلوا الى خوارزم برسم السفرا الى الصين فأخذ
في السفر معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يعودون الى أهلي وأقاربي
و يذكرون اني سافرت الى الهند برسم الكدية فيكون سبة علي لا أفعل ذلك وسافر معهم
الى الصين فبلغني بعدوا أنا بأرض الهند انه لما بلغ الى مدينة المائق وهي آخر البلاد التي
من عمالة ما وراء النهر وأول بلاد الصين أقام بها و بعث فتى له بما كان عنده من المتاع
فأبطأ الفتى عليه وفي أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معي في فندق واحد
فطلب منه الشريفة أن يسلفه شيئا بخلال ما يصل فتاه فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم
التيوسعة على الشريفة بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له في الفندق فبلغ ذلك

الشر يف قاغم منه ودخل الى بيته فذبح نفسه فأدرك وبه رمق وانهموا غلاما كان له بقتله فقال لهم لا تظلموه فاني انا فعلت ذلك بنفسى ومات من يومه غفر الله له وكان قد حكى الى عن نفسه انه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضا فلقية ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيا من صاحب المال ودخل الى بيته ووربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يحنق نفسه وكان في أجله تأخير فتذكر صاحباً له من الصيارفة فقصده وذكرك له الفضية فسلفه مالا دفعه للتاجر ولما أردت السفر من خوارزم كثرت جمالا واشترت محارة وكان عديلي بها عفيف الدين التوزرى وركب الخدام بعض الخيل وجللنا باقيها لاجل البرد ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخارى وهى مسيرة ثمانية عشر يوما فى رمال لا عمارة بها الا بلدة واحدة فودعت الامير قطلودمور وخلع على خلعة وخلع على القاضي أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعى وسرنا أربعة أيام ووصلنا الى مدينة الكات ولبس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره تاء مثناة) وهى صغيرة حسنة نزلنا خارجها على بركة ماء قد جدت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها وسمع بقدمي قاضى الكات ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضى خوارزم فجاء الى مسلماً مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوقي ثم عرض على القاضي الوصول الى أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وان كانت لداهمة نذهب الى أمير المدينة ونأق به ففعلوا ذلك وأقنى الامير بعد ساعة فى اصحابه وخدامه فسلمنا عليه وكان غرضنا تهجيل السفر فطلب منا الإقامة وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجود العساكر وسواهم وقف الشعراء بمدحونه وأعطاني كسوة وفسا جيداً وسرنا على الطريق المعروفة بسيبائية وفى تلك الصحراء مسيرة ست دون ماء ووصلنا بعد ذلك الى بلدة وبكة (وضبط اسمها بفتح الواو واسكان الباء الموحدة وكاف ونون) وهى على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات انهار وبساتين وهم يدخرون العنب من سنة الى سنة وعندهم فاكهة يسمونها العلو (الآلو) بالعين المهملة وتشديد اللام فيلبسونه ويحلبه الناس الى الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب مأدوه وهو أيام كونه أخضر حلو فاذا يبس صار فيه يسير حموضة ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا فى بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا ووصلنا الى مدينة بخارى التي ينسب اليها امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري

وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البسلاد وخر بها اللعين تنكيز التتري جد ملوك العراق فسادها الآن ومدارسها واسواقها خربة الا القليل وأهلها أذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيره الاشتهارهم بالتعصب ودعوي الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به

— ذكر أولية التترو مخربهم بخارى وسواها —

كان تنكيز خان حادا بارضا الخطا وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدّموه على أنفسهم وغلب على بلده وقوى واشتدت شوكرته واستفحل أمره فغلب على مالك الخطائين على ملك الصين وعظمت جيوشه وغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالاق وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فها به تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتفق ان بعض تنكيز تجارا بامعة الصين والخطا من الثياب الحريرة وسواها الى بلدة أطرار (بضم الهمزة) وهي آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامله عليها معاهم بذلك واستاذنه ما يفعل في أمرهم فكتب اليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع أعضاهم ويردهم الى بلادهم لأراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحتتهم رأيا قاتلا وتندبير سياستهم ما فعلوا ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرة برسم غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل اطرار بحركته بعث الجواسيس ليا توه بخبره فذكر ان احدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاد ولا أطعمه شيئا فلما أمسى أخرج مصرا نايابسة عنده قبلها بالماء وفصد فرسه وملاها بدمه وعقدتها وشواها بالنار فكانت طعامه فعاد الى اطرار فاخبر عاملها بامرهم وأعلمه ان لا طاقة لاحد بقتالهم فاستمد مليكه جلال الدين فامده بستين ألفا زيادة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة اطرار بالسيف فقتل الرجال وسبي الذراري وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربتهم فكانت بينهم وقائع لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الامر الى ان تملك تنكيز ما وراء النهر وخرج بخارى وسمرقند وترمد وغير النهر وهونر جيحون الى مدينة بلخ فتملكها ثم الى الياميان (الباميان) فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق العجم فنار عليه المسلمون في بلخ وفي ما وراء النهر ففكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها ثم فعل مثل ذلك في ترمد فخربت ولم تعمّر بعد لكنها بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمد

وقتل أهل اليا ميان (الباميان) وهدمها بأسرها الا صومعة جاسمها وعفا عن أهل بخاريه
وسمرقند ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار
الخلافة بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله
(قال ابن جزى) أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزه الله قال سمعت
الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نورا الدين ابن الزجاج من علماء العراق ومعه
ابن أخ له فتفاوضنا الحديث فقال لي هلك في فتنة التتر بأعراق أربعة وعشرون ألف رجل
من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك وأشار الى ابن أخيه
(رجع) قال ونزلنا من بخارى بربضها المعروف بفتح آباد حيث قبر الشيخ العالم العابد
الزاهد سيف الدين البخارزي وكان من كبار الاولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ
حيث نزلنا عظيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو الحاج
السياح يحيى البخارزي وأضاف في هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ القراء
بالاصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركي والعارسي على طريقته حسنة ومرت لنا
هنالك ليلة بدعية من أعجب الليالي ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم
من هراة وهو من الصالحاء الفضلاء وزرت ببخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخارى
مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضى الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن
اسماعيل البخارى وقد صنف من الكتب كذا وكذا وكذلك على قبور علماء بخارى
أسماءهم وأسماء نساء نيفهم وكننت قيدت من ذلك كثير اوضاع مني في جملة ماضع لي لما
سلمني كفار الهند في البحر ثم سافروا من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم
علاء الدين طر مشير بن وسند كره فررنا على نخشب البلدة التي ينسب اليها الشيخ أبو تراب
النخشي وهي صغيرة تحف بها البسانين والمياه فنزلنا بخارجها بدار لا ميرها وكان عندي
جارية قد قاربت الولادة تركنت أردت حملها الى سمرقند لتلد لها فاتفق انها كانت في
الحمل فوضع الحمل علي الجمل وسافر أصحبا بنا من الليل وهي معهم والزاد وغيره من أسباني
وأقمت أنا حتى ارتحل نهارا مع بعض من معي فسلكو طريقا وسلكت طريقا سواهما
فوصلنا عشية النهار الى محلة السلطان المذكور وقد جمعنا فنزلنا على بعد من السوق واشترى
بعض أصحبا بنا مسدجو عتنا وأعار بعض التجار خباءا بتنا به تلك الليلة ومضي أصحبا بنا من
الغد في البحث عن الجمال وباقي الأصحاب فوجدوهم عشيا وجأوا بهم وكان السلطان غائبا عن
المحلة في الصيد فاجتمعت بنائيه الامير تقيبا فأنزلى بقرب مسجده وأعطاني خرقه (خرقه)

وهي شبه الخباء وقد ذكرنا صفتها فيما تقدم فجعلت الجارية في تلك الحفرة فولدت تلك الليلة مولوداً وأخبروني أنه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد العقيقة أخبرني بعض الأصحاب أن المولود بنت فاستحضرت الجواري فساألتهن فأخبرني بذلك وكانت هذه البنت مولودة في طامع سعد فأريت كل ما يسرني وبرضيني منذ ولدت وتوفيت بعد وصولي إلى الهند بشهرين وسيد كذلك واجتمعت بهذه الحلة بالشيخ الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغي (بالياء آخر الحروف والعين المعجمة) ومعناه بالتركية الثائر وهو من أهل أطرار وبالشيخ صهر السلطان

— ذكر سلطان ما وراء النهر —

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشير بن (وضبط اسمه) بفتح الطاء المهمل وسكون الراء وفتح الميم وكسر الشين المعجم وياء مد وراء مكسور وياء مد ثانية ونون) وهو عظيم المقدار كثيراً لجيوش والعساكر ضخم المملكة شديد القوة عادل الحكم وبلاده متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق والملك أوزبك وكلهم ينادونه ويعظمونه ويكرمونونه وولي الملك بعد أخيه الجكطي (وضبط اسمه) بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهمل وسكون الياء) وكان الجكطي هذا كافراً وولي بعد أخيه الأكبر بك وكان بك هذا كافراً أيضاً لكنه كان عادل الحكم منصفاً للمظلومين يكرم المسلمين ويعظمهم

— حكاية —

يذكر أن هذا الملك بك تكلم يوماً مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين الميداني فقال له أنت تقول أن الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز قال نعم فقال ابن اسمي فيه فقال هو في قوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك فاعجبه ذلك وقال يخشي ومعناه بالتركية جسد فأكرمه أكراما كثيراً وازاد في تعظيم المسلمين

— حكاية —

ومن أحكام بك ما ذكر أن امرأة شكت له بأحد الأمراء وذكرت أنها فقيرة ذات أولاد وكان لها ابن تقوهم بشمته فاغتصبه ذلك الأمير وشر به فقال لها أنا أوسطه فان خرج اللين من جوفه مضى لسبيله والا وسطتك بعده فقالت المرأة قد حللته ولا اطلبه بشيء فامر به فوسط فخرج اللين من بطنه ولتعد لذكر السلطان طر مشير بن ولما اقت بالحلة وهم يسمونها الاردر أيا ما ذهبت يوماً لصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس أن السلطان بالمسجد فلما قام عن مصلاه تقدمت للسلام عليه وقام الشيخ حسن والفقيه حسام الدين الياغي واعلماه بحالي وقدومي منذ أيام فقال لي بالتركية

خش ميسن يخشى ميسن قطلوا يوسن ومعني خش ميسن في عافية أنت ومعني يخشى ميسن جيد أنت ومعني قطلوا يوسن مبارك قدومك وكان عليه في ذلك الحين قبا قدسي أخضر وعلي رأسه شاشية مثله ثم انصرف الى مجلسه راجلا والناس يتعرضون اليه بالشكايات فيقف لكل مشتك منهم صغيرا أو كبيرا ذكر أو انثى ثم بعث عنى فوصلت اليه وهو في خرقة والناس خارجها ميمنة ومبصرة والامراء منهم على الكراسى واصحابهم وقوف على رؤسهم وبين ايديهم وسائر الجند قد جلسوا صقفا وامام كل واحد منهم سلاحه وهم اهل النوبة بقعدون هنالك الى العصر ويأتي آخرون فيقعدون الى آخر الليل وقد صنعت هنالك سقائف من ثياب القطن يكونون بها ولما دخلت الى الملك بداخل الخرقة ووجدته جالسا على كرسى شبه المنبر مكسوبا بالحرير المزركش بالذهب وبداخل الخرقة ملابس الحرير المذهب والتاج المرصع بالجوهر والياقوت معلق فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع والامراء الكبار على الكراسى عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بايديهم المذاب بين يديه وعند باب الخرقة النائب والوزير والحاجب وصاحب العلامة وهم يسمون آل طمغني وآل (بفتح الهمزة) معناه الاحمر وطمغني (بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والغين المعجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام الى اربعتهم حين دخولي ودخلوا معي فسلمت عليه وسالني وصاحب العلامة بترجم يني وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفها لله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملوكهم وبلاد الاغاجم ثم أذن المؤذن بالظهر فانصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات وذلك أيام البرد الشديد المهلك فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد لذلك بالتركية بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس ويأتي اليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد يده على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر وكان اذا أوتي بهدية من زبيب أو تمر والتمر يحز عز عندهم وهم يتبركون به يعطى منها بيده لكل من في المسجد — حكاية — ومن فضائل هذا الملك انه حضر صلاة العصر يوما ولم يحضر السلطان فجاء أحد فتيانه بسجادة ووضعها قبالة الحراب حيث جرت عادته ان يصلي وقال للامام حسام الدين الياغي إن مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا ريثما يتوضأ فقام الامام المذكور وقال نماز ومعناه الصلاة برأي خد أو برأي طر مشيرين أي الصلاة لله أو اطر مشيرين ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منها ركعتان فصلي الركعتين الآخريتين حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنعلة الناس عند باب المسجد وقضى ماقاته وقام الى الامام

ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة الخراب والشيخ الامام الى جانبه وأثا الى جانب الامام فقال لي اذ امشيت الى بلادك فحدث ان فقيرا من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويامر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلفظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبيكي وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئا ولم ياكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرا ما أرى عليه قباء قطن مبطنا بالقطن محشوا به وقد بلى وتمزق وعلى رأسه قلنسوة لبد يساوي مثلها قيراطا ولا عمامة عليه فقلت له في بعض الايام يا سيدي ما هذا القباء الذي أنت لا بسهانه ليس يجيد فقال لي يا ولدي ليس هذا القباء لي وانما هو لابنتي فرغبت منه ان ياخذ بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة ان لا أقبل من أحد شيئا ولو كنت أقبل من أحد لقبلت منك ولما عزمت على السفر بعد مقامي عندها السلطان أربعة وخمسين يوما أعطاني السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لاجل البرد ولما ذكرتها له أخذ أكلامي وجعل يقبلها بيده تواضعا منه وفضلا وحسن خلق وأعطاني فرسين وجلين ولما أردت وداعه أدرأته في أثناء طريقه الى متصيده وكان اليوم شديد البرد جدا فوالله ما قدرت على أن أنطق بكلمة لشدة البرد ففهم ذلك وضحك وأعطاني بده وانصرفت وبعد سنتين من وصولي الى أرض الهند بلغنا الخبر بان الملائمة من قومه وأمرائه اجتمعوا باقصي بلاده المجاورة للصين وهنالك معظم عساكره ويايعوا ابن عم له اسمه بوزن أغلي وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلي (بضم الهمزة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الباء الموحدة وضم الزاي) وكان مسلما الا انه هاسد الدين سيء السيرة وسبب بيعتهم له وخلعهم لطر مشيرين ان طر مشيرين خالف أحكام جدهم تنكيز اللعين الذي خرب بلاد الاسلام وقد تقدم ذكره وكان تنكيز ألف كتابا في أحكامه يسمى عندهم البساق (بفتح الباء آخر الحروف والسين المهملة وآخره قاف) وعندهم انه من خالف أحكام هذا الكتاب فخلعه واجب ومن جملة أحكامهم يجتمعون يوما في السنة يسمونه الطوي ومعناه يوم الضيافة وياي اولاد تنكيز والامراء من أطراف البلاد وبحضر الخواتين وكبار الاجناد وان كان سلطانهم قد غير شيئا من تلك الاحكام يقوم اليه كبارهم فيقولون له غيرت كذا وغيرت كذا وقد وجب خلعتك وياخذون بيده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز وان كان أحد الامراء الكبار أذنب ذنبا في

(١٦ - رحلة - ل)

بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طرمشيرين قد أبطل حكم هذا اليوم
 ومحا رسمه فانكروه عليه أشد الانكار وأنكروا عليه أيضا كونه أقام أربع سنين فيما
 بلى خراسان من بلاده ولم يصل الى الجهة التي توالى الصين والعادة ان الملك يقصد تلك
 الجهة في كل سنة فيخبر أحوالها وحال الجند بها لان أصل ملكهم منها ودار الملك هي
 مدينة المائق فلما بايعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طرمشيرين على نفسه من
 أمرائه ولم يامنهم فركب في خمسة عشر فارسا يريد بلاد غزنة وهي من عملاته وواليتها
 كبير أمرائه وصاحب سره برنطيه وهذا الامير محب في الاسلام والمسلمين قد عمر في
 عملاته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة ولم أر
 قط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاده الدنيا أعظم خلقة منه فلما عبر نهر جيحون
 وقصد طريق بلخ رآه بعض الاتراك من أصحاب ينقي ابن أخيه بك وكان السلطان
 طرمشيرين المذكور قتل أخاه بك المذكور وقي ابنه ينقي ببلخ فلما علمه التركى بخبره
 قال ما فرالا لأمر حدث عليه فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن الى
 سمرقند وبخارى فبايعه الناس وجاءه ينقي بطرمشيرين فيذكر كراهه لما وصل الى نسف
 بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربيته الشيخ شمس الدين كردن بريد
 وقيل انه لم يقتل كما سئد كره وكردن (بكاف معقودة وراه مسكن ودال مهمل مفتوح
 ونون) ومعناه العنق وريد (بضم الباء الموحدة وكسر الراء وياء مدودال مهمل)
 معناه المقطوع ويسمي بذلك لضربة كانت في عنقه وقد رأيت به بارض الهند ويقع ذكره
 فيما بعد ولما ملك بوزن هرب ابن السلطان طرمشيرين وهو بشاي أغل (أغلى) وأخته
 طرمشيرين من الود والمكاتب والمهاداة وكان يحاط به بالآخ ثم بعد ذلك أتى رجل من
 أرض السند وادعي انه هو طرمشيرين واختلف الناس فيه فسمع بذلك عماد الملك سرتيز
 غلام ملك الهند ووالى بلاد السند ويسمي ملك عرض وهو الذى تعرض بين يديه
 عساكر الهند واليه أمرها ومقره ببلتان قاعدة السند فبعث اليه بعض الاتراك العارفين به
 فعادوا اليه وأخبروه انه هو طرمشيرين حقا فامر له بالسراجة وهي افراج فضر ب خارج
 المدينة ورتب له ما يرتب لمثله وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى في خدمته الى
 السراجة فدخلها راكبا كعادة الملوك ولم يشك أحد انه هو وبعث الى ملك الهند بخبره
 فبعث اليه الامراء يستقبلونه بالضيافات وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم طرمشيرين

فما تقدم وهو كبير الحكماء بالهند فقال لذلك أنا أتوجه اليه وأعرف حقيقة أمره فاني كنت عالجت لدملا تحت ركبته وبقي أثره وبه أعرفه فاني اليه ذلك الحكيم واستقبله مع الامراء ودخل عليه ولازمه لسابقته عنده وأخذ يغمر رجله وكشف عن الاثر فشمته وقال لثريد ان تنظر الى الدم الذي عالجته ها هو ذا وأراه أثره فتحقق انه هو وعاد الى ملك الهند فاعلمه بذلك ثم ان الوزير خواجه جهان أحمد بن اياس وكبير الامراء قتلوخان معلم السلطان أيام صغره دخل على ملك الهند وقال له ياخو ند عالم هذا السلطان طرمشير بن قد وصل وصح انه هو وها هنا من قومه نحو أربعين ألفا وولده وصهره أرايت ان اجتمعوا عليه ما يكون من العمل فوق هذا الكلام بموقع منه عظيم وامر ان يؤتى بطرمشير بن معجلا فلما دخل عليه امر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان بما ذكر كافي وهي شتمة قبيحة كيف تكذب وتقول انك طرمشير بن وطرمشير بن قد قتل وهذا خادم تربته عندنا والله لولا المنة لقتلتك ولكن أعطوه خمسة آلاف دينار واذهبوا به الى دار بشاي اغلي واختمه ولدي طرمشير بن وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه والدكم فدخل عليهم فغرفوه وبات عندهم والحراس يحرسونه واخرج بالغد وخافوا ان يهلكوا بسببه فانكروه ونفى عن بلاد الهند والسند فسلك طريق كيج ومكران وأهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فاكرمه سلطانها ابواسحق واجرى له كفايته ولما دخلت عند وصولي من الهند الى مدينة شيراز ذكر لي انه باق بها وادرت لقاءه ولم أفعل لانه كان في دار لا يدخل اليه احد الا باذن من السلطان ابواسحق فخفت مما يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقاءه

(رجع الحديث الى بوزن) وذلك انه لما ملك ضيق على المسلمين وظلم الرعية واباح للنصارى واليهود عمارة كنائسهم فضج المسلمون من ذلك وترنصوا به الدوائر واتصل خبره بخليل ابن السلطان اليسور المهزوم على خراسان فقصد ملك هراة وهو السلطان حسين ابن السلطان غياث الدين الغوري فاعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الاغاثة بالعساكر والمال على أن يشا طره انك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكريا عظيما وبين هراة وترمز تسعة أيام فلما سمع أمراء السلطان بقدوم خليل تلقوه بالسمع والطاعة والرغبة في جهاد العدو وكان أول قادم عليه علاء الملك خداوند زاده صاحب ترمز وهو أمير كبير شريف حسيني النسب قاتاه في أربعة آلاف من المسلمين فسر به وولاه وزارته وفوض اليه أمره وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل

والتي مع بوزن فمات العساكر الى خليل وأسلموا بوزن وأتوا به أسيراً فقتله خنقاً باونار
القسي وتلك عادة لهم انهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك الا خنقاً واستقام الملك لخليل
وعرض عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين ألفاً عليهم وعلى خيلهم الدروع وفصرف العسكر
الذي جاء به من هراة وقصد بلاد المايق فقدم التتر على أنفسهم واحداً منهم والقود على
مسيرة ثلاث من المايق بمقربة من اطراز (طراز) وحى القتال وصبر الفريقان فحمل
الامير خداوندزاده وزيره في عشرين ألفاً من المسلمين حملة لم يشب لها التتر فانهمزوا
واشدت فيهم القتل وأقام خليل بالمايق ثلاثاً وخرج الى استئصال من بقي من التتر فاذعنوا
له بالطاعة وجاز الى تخوم الخطا والصين وفتح مدينة قراقرم ومدينة بش بالغ وبعث اليه
سلطان الخطا بالعساكر ثم وقع بينهما الصلح وعظم أمر خليل وهابته الملوك وأظهر العدل
ورتب العساكر بالمايق وترك بها وزيره خداوند زاده وانصرف الى سمرقند وبخارى ثم
ان التتر أرادوا الفتنة فسمعوا الى خليل بوزيره المذكور وعملوا انه يريد الثورة ويقول
انه أحق بالملك لقربته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا الى المايق
عوضاً عنه وأمره أن يقدم عليه في نفر يسير من أصحابه فلما قدم عليه قتله عند وصوله
من غير تثبت فكان ذلك سبب خراب ملكه وكان خليل لما عظم أمره بغى على صاحب
هراة الذي أورثه الملك وجهزه بالعساكر والمال فكتب اليه أن يخطب في بلاده باسمه
ويضرب الدنانير والدرهم على سكتة فغاض ذلك الملك حسينا وأنف منه وأجابه بأقبح
جواب فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الاسلام ورأوه باغيا عليه وبلغ خبره الى
الملك حسين فجهد العساكر مع ابن عمه ملك ورنال وتقي الجمعان فانهمز خليل وأتى به
الى الملك حسين أسيراً فأن عليه بالبقاء وجعله في دار وأعطاه جارية واجرى عليه النفقة
وعلى هذا الحال تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجي من الهند ~~و~~ ولنعد
الى ما كنا بسبيله ~~و~~ ولما ودعت السلطان طر مشير بن سافرت الى مدينة سمرقند وهي من
أكبر المدن وأحسنها وأمنها جملاً مبنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القصار بن عليه
النواعير تسقي البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للأنزهة والتفرج ولهم
عليه مساطب ومجالس يقدعون عليها ودكاكين يتابعها الفاكهة وسائر المأكولات وكانت
على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم أهلها فدرأ كثير ذلك وكذلك
المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند
لهم مكارم اخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن

العباس بن عبد المطلب رضى الله عن العباس وعن ابنه وهو المشتبه حين فتحها ونحرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتتر ياتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة وياتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساربتان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحمر وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرخام وعلى القبر خشب الآبنوس المرصع مكسو الاركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وفرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك وعلى حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر ولم يغير التتر أيام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك وما يليه حين نزولنا به لأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبدالعزيز بن يوسف ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان طر مشيرين لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند وسياقي ذكره ولقيت بسمرقند قاضيا مسمي عندهم صدر جهان وهو من الفضلاء ذوى الشكر مرسا فرأى بلاد الهند بعد سفرى إليها فادركته منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند

— حكاية —

لمات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بامره الى ملك الهند وانه قدم برسم بابه فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر الى الملك أمر أن يبعث الى أولاده عدد من آلاف الدنانير لاذكره الآن وأمر أن يعطى لأصحابه ما كان يعطى لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة وللملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من الامور وبمن يرد عليه من الواردين واذا أتى الوارد كتبوا من أي البلاد ورد وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل وجميع شؤنه وتصرفاته وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد الى الملك الا وهو عارف بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتازنا ببلدة نسف واليهما ينسب أبو حفص عمر النسفى مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الاربعة رضى الله عنهم ثم وصلنا الى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والاسواق تخرقها الانهار وبها البساتين الكثيرة والعنب والسفرجل بها كثير متناهي الطيب

واللحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يغسلون رؤسهم في الحمام اللين عوضا عن الطفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوءة لبنا فاذا دخل الرجل الحمام أخذ منها في اناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجعلون في رؤسهم زيت السمسم ويسموناه الشيراج ويغسلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم ويصقل الشعر ويطيله وبذلك طالت لحى أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على شاطيء جيجون ولما خربها تنكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر وكان نزولنا بها بزأوة الشيخ الصالح عزبزان من كبار المشايخ وكرمائم كثير المال والرباع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي الى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خداند زاده وكتب لي اليها بالضيافة فكانت تحمل الينا أيام قدامنا بها في كل يوم ولقيت أيضا قاضيا قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان طر مشيرين وطالب للاذن له في السفر الى بلاد الهند وسياقي ذكر لقائي له بعد ذلك ولاخو به ضياء الدين وبرهان الدين بلمتان وسفرنا جميعا الى الهند و ذكر أخويه الآخرين عماد الدين وسيف الدين ولقائي لهما بحضرة ملك الهند وذكر ولديه وقدمهما على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجه جهان وماجري في ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم اجزنا نهر جيجون الى بلاد خراسان وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ واجازة الوادى بوما ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ وهي خاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها ظنها عامرة لا تقان بنائها وكانت ضخمة فسيحة ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيها مدخلة باصبيغة اللازورد والناس ينسبون اللازورد الى خراسان وانما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب اليها الياقوت البدخشي والعامرة يقولون البلخش وسياقي ذكرها ان شاء الله تعالى وخرب هذه المدينة تنكيز اللعين وهدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كبره انه تحت سارية من سواريه وهو من أحسن مساجد الدنيا وإسجها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه ومسجد بلخ أجمل منه في سوى ذلك

— حكاية —

ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميرا بلخ لبني العباس يسمى داود بن علي فانفق ان الخليفة غضب مرة على أهل بلخ لحادث الحدوث فبعث اليهم من يغرمهم مغراما قادحا فلما بلغ الى بلخ أتى نساؤها وصبيانها الى تلك المرأة التي بيت المسجد وهي زوج أميرهم وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم فبعثت الى الأمير الذي

قدم برسم تمر يمهم بثوب لها مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتفريجه فقالت له اذهب بهذا الثوب الى الخليفة فقد أعطيته صدقة عن أهل بلخ لضعف حالهم فذهب به الى الخليفة والتي الثوب بين يديه وقص عليه القصة ففعل الخليفة وقال أتكون المرأة أكرم منا وأمره يرفع الغرم عن أهل بلخ وبالعودة اليها ليرد للمرأة ثوبها وأسقط عن أهل بلخ خراج سنة فعاد الامير الى بلخ وأتى منزل المرأة وقص عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب فقالت له أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب قال نعم قالت لا اليس ثوبا وقع عليه بصر غير ذى محرم منى وأمرت ببيعته فبني منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلته مبني بالكذان وهو عامر حتى الآن وفضل من ثمن الثوب مقدار ثلثه فذكر انها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد ليكون هنالك متيسرا ان احتيج اليه خرج فاخبر تنكير بهذه الحكاية فامر بهدم سوارى المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم يجد شيئا فترك الباقي على حاله وبخارج بلخ قبر يذكر انه قبر عكاشة بن محصن الاسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذى بدخل الجنة بلا حساب وعليه زاوية معظمة بها كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلالها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خرد وهو الصغير من الفضلاء وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزيفيل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة وزرنا بها أيضا قبورا كثيرة من قبور الصالحين لأذكركها الآن ووقفنا على دار ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه وهي دار ضخمة مبنية بالصخر الابيض الذى يشبه الكذان وكان زرع الزاوية مقترنا بها وقد سدت عليه فلم ندخلها وهي بمقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فسرنا في جبال قوه أستان (فغانستان) سبعة أيام وهي قري كثيرة عامرة بها المياه الجارية والاشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون الى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا الى مدينة هراة وهي أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة أربع ثنتان عامرتان وهما هراة ونيسابور وثنتان خربتان وهما بلخ ومرو ومدينة هراة كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولا هلهما صلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وبلد هم طاهر من الفساد

— ذكر سلطان هراة —

وهو السلطان المعظم حسين ابن السلطان غياث الدين الغورى صاحب الشجاعة الماتورة والتأييد والسعادة ظهر له من اتحاد الله تعالى وتأييده في موطنين اثنين ما يقضي منه

العجب أحدهما عند ملاقاته جيشه للسلطان خليل الذي بغى عليه وكان منتهى أمره حصوله أسيرافي يديه والموطن الثاني عنده ملاقاته بنفسه لمسعود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبيده وفراره وذهاب ملكه وولى السلطان حسين الملك بعد أخيه المعروف بالحافظ وولى

أخوه بعد أبيه غياث الدين — حكاية الرافضة —

كان بخراسان رجلا نأحدهما يسمى بمسعود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الاصحاب وهم من القتاك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان بسرا بداران (سربداران) ويعرفون بالمغرب بالصقورة فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الاموال وشاع خبرهم وسكنوا جبلا متيعا بمقرية من مدينة بيهق وتسمي ايضا مدينة سيزار (سيزوار) وكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي فيضربون على القرى ويقطعون الطرق وياخذون الاموال وانتال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثرت عدده واشتدت شكواهم وهابهم الناس وضربوا على مدينة بيهق فملكوها ثم ملكوا سواها من المدن واكتبسبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمي مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرون عن مواليهم اليه فكل عبد فر منهم يعطيه الفرس والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بمذهب الرفض وطمحوا الى استئصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلمة واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو عندهم من الصالحاء فوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة وأمرهم بالعدل فأنظروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي ربا فيأخذها وغلبوا على نيسابور وبعث اليهم السلطان طغتمور بالعتسا كرفهزموه ثم بعث اليهم نائيه أرغون شاه فهزموه وأسروه ومنوا عليه ثم غزاه طغتمور بنفسه في خمسين الفامن التتر فهزموه وملكوا البلاد وتغلبوا على سرخس والزاه وطوس وهى من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خليفةهم بمشهد على بن موسى الرضى وتغلبوا على مدينة الجاه ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هراة وبينها وبينها مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسينا جمع الامراء والعساكر وأهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى ياتي القوم أو يمحضون اليهم فيناجزونهم فوقع لاجماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون القوراية ويقال انهم منسوبون الى غور الشام وان اصلهم منا فتجهزوا وجمعوا واجتمعوا من أطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهى مسيرة اربع لايزال عشبا اخضر ترى منه ماشيتهم وخيلهم واكنة

شجرها الفستق ومنها يحمل الى أرض العراق وعضدهم أهل مدينة سمنان ونفروا جميعا الى الرافضة وهم مائة وعشرون ألفا ما بين رجاله وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وصبر الفريقان معانم كانت الدائرة على الرافضة وفرسلطانهم مسعود وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفا حتى قتل وقتل أكثرهم وأسروا منهم نحو أربعة آلاف وذكروا بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى وأتى بالطعام فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناقهم الأسرى وعاد الى حضرته بعد هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفا نار الفتنة وكانت هذه الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين ونشأ بهرة رجل من الزهاد والصلحاء الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان أهل هراة يحبونه ويرجعون الى قوله وكان يعظمهم ويذكروهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وتعاقدهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك ورنا وهو ابن عم الملك حسين ومتزوج بزوجة والده وهي من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا مني علموا بمنكر ولو كان عند الملك غيره

— حكاية —

ذكر لي انهم تعرفوا يوما بان الملك حسين منكر فاجتمعوا للتغيير وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل فخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فاقاموا عليه الحد بداخل قصره وانصرفوا عنه

— حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور —

كانت الاثراك المجاورون لمدينة هراة الساكنون بالصحراء وملكهم طغيت مور الذي مر ذكره وهم نحو خمسين ألفا يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا في كل سنة ويدارهم وذلك قبل هزيمته للرافضة وأما بعده هزيمته للرافضة فتغلب عليهم وعن عادة هؤلاء الاثراك التردد الى مدينة هراة وربما شربوا بها الخمر وأتاها بعضهم وهو سكران فكان نظام الدين يحمد من وجد منهم سكرانا وهؤلاء الاثراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون وربما سبوا بعض المسلمات اللاتي يكن بارض الهند ما بين الكفار فاذا خرجوا بنهن الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمات من أيدي الترك وعلامة النسوة المسلمات بارض الهند ترك ثياب الاذن والكافرات اذا نهن مثقوبات فاتفق مرقة ان أميرا من أمراء الترك يسمى تمورالطي سبي امرأة وكلف بها كلفا شديدا فاذكرت انها

مسلمة فانزعها الفقيه من يده فبلغ ذلك من التركي مبلغا عظيما وركب في آلاف من أصحابه وأغار على خيل هراة وهي في مرعاها بصحراء مرغيس (بدغيس) واحتملوا فلم يتركوا لاهل هراة ما يركبون ولا ما يحلبون وصعدوا بها الى جبل هنالك لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيلا يتبعونهم بها فبعث اليهم رسولا يطلب منهم رد ما أخذوه من الماشية والخيل ويذكرهم العهد الذي بينهم فاجابوا بانهم لا يردون ذلك حتى يمكنوا من الفقيه نظام الدين فقال السلطان لا سبيل الى هذا وكان الشيخ أبو أحمد الجسقي حفيد الشيخ مودود الحسني له بخراسان شان عظيم وقوله معتبر لديهم فركب في جماعة خيل من أصحابه ومما ليكه فقال أنا أحمل الفقيه نظام الدين معي الى الترك ليرضوا بذلك ثم أردده فكان للناس ما لو الى قوله ورأي الفقيه نظام الدين اتفاقهم على ذلك فركب مع الشيخ أبي أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تورالطي وقال له أنت أخذت امرأتى مني وضربه يد بوسه فكسر دماغه نحر مينا فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد وانصرف من هنالك الى بلده ورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية وبعد مدة قدم ذلك التركي الذي قتل للفقيه على مدينة هراة فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فتقدموا اليه كأنهم مسلمون عليه ونحت نياهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولما كان بعد هذا بعث الملك حسين ابن عمه ملك ورنال الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير المنكر رسولا الى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هنالك ولا يعود اليه فقصده بلاد الهند ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سيوستان من السند وهو أحد الفضلاء وفي طبعه حب الرئاسة والصييد والبزاة والخيل والماليك والاصحاب واللباس الملوكي الفاخر ومن كان على هذا الترتيب فانه لا يصلح حاله بارض الهند فكان من أمره ان ملك الهند ولاية بلاد اصغيرا وقتله به بعض أهل هراة المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند سد عليه من قتله بسعي الملك حسين في ذلك ولاجله خدم الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال المذكور وهاداه ملك الهند وأعطاه مدينة بكار من بلاد السند ومجباها خمسون الفان من دنانير الذهب في كل سنة (ولمعد) الى ما كنا بسبيله فنقول سافرنال من هراة الى مدينة الجام وهي متوسطة حسنة ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار واكثر شجرها التوت والحريز بها كثير وهي تنسب الى الولي العابد الزاهد شهاب الدين احمد الجامي وسندكر حكايته بحفيده الشيخ احمد المعروف بزاده الذي قتله ملك الهند والمدينة الآن لا ولاده وهي محررة من قبل السلطان ولهم بها نعمة وثروة وذكر لي من اتقى به ان السلطان أباسعيد

هلك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خبء بمحلته رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم ولكل دابة بالحلة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في الحلة حيوان الا وصلته ضيافته

— حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الجام —

يذكر انه كان صاحب راحة مكثرا من الشرب وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يومافى منزل كل واحد منهم فتدور النوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا على ذلك مدة ثم ان النوبة وصلت يومافى الشيخ شهاب الدين فعقد النوبة ليلة النوبة وعزم على اصلاح حاله معر به وقال فى نفسه ان قلت لاصحابى ، انى قد نبت قبل اجتماعهم عندى ظنوا ذلك عجزا عن مؤنتهم فأحضرت ما كان يحضر مثله قبل من ماء كولات ومشروب وجعل الخمر فى الزقاق وحضر أصحاه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقا فذاقه أحدهم فوجده حلوا ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ثم ثالفا فوجدوه كذلك فكلموا الشيخ فى ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره وصدقهم سن بكرة وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا الا الشراب الذى كنتم تشربونه فىما تقدم فتأبوا جميعا الى الله تعالى وبنا تلك الزاوية وانقطعوا بها لعبادة الله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم سافرونا من الجام الى مدينة طوس وهى من أكبر بلاد خراسان وأعظمها بلد الامام الشهير أبى حامد الغزالى رضى الله عنه وبها قبره ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضا وهو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهى أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة القواكه والمياه والارحاء الطاحنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى النقيب عند أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتركستان بقولون السيد الاجل وكان أيضا بهذا المشهد القاضى الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف على وولداه أمير هند ودولة شاه وصحبونى من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم عليه قبة عظيمة فى داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها ملبح البناء مصنوع الخيطان بالقاشانى وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة وعتبة باب القبة فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب وهى مبسوطة بأنواع البسط وازاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضى الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات التى يعرفها أهل المغرب بالحسك والمناثر واذا دخل الرافضى للزيارة ضرب

قبر الرشيد برجله وسلم على الرضا ثم سافروا الى مدينة سرخس واليه ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسي رضي الله عنه ثم سافروا منها الى مدينة زاوة وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين حيدر واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء وهم الذين يجعلون حلق الحديد في أيديهم وأعناقهم وأذانهم ويجعلونها أضياف في كورهم حتى لا يتأذي لهم النكاح ثم رحلنا منها فوصلنا الى مدينة نيسابور وهي احدي المدن الاربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياها وحسنها وتحترقها أربعة من الانهار وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويليها أربع من المدارس يجري بها الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرؤون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر وان بلغت الغاية من الانفاق والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله المجاهد في سبيل الله عالم الملوك واسطة عقد الخلفاء العادليين أبو عنان وصل الله سعه ونصر جنده وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاع ونقش الجص بها لا قدوة لاهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والكساء وغيرها وتحمل منها الى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن البقري وأكرم ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة

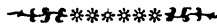
— كرامة له —

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاما تركيا فرآه معي فقال لي هذا الغلام لا يصلح لك فبعه فقلت له نعم وبعث الغلام في غد ذلك اليوم واشترته بعض التجار وادعت الشيخ وانصرفت فلما حلت بمدينة بسطام كتب الى بعض أصحابي من نيسابور وذكر ان الغلام المذکور قتل بعض أولاد الانراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت من نيسابور الى مدينة بسطام التي ينسب اليها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير رضي الله عنه وبهذه المدينة قبره ومعه في قبة واحدة أحد أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه وبسطام أيضا قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الخرقاني وكان نزولي من هذه المدينة بزواية الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند خير الى قندوس وبغلان وهي قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البسانين والانهار فنزلنا بقندوس على نهر ماء به زاوية لا حد شيوخ الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سياه

ومعنى ذلك الاسد الاسود وأضأفنا بها الى تلك الارض وهـ ومن أهل الموصل وسكنها
بستان عظيم هنالك وأقمنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يوما لرعي الجبال والخيل وبها
مراعي طيبة واعشاب كثيرة والامن بها شامل بسبب شدة احكام الامير برنطيه وقد قدمنا
ان احكام الترك في من سرق فرسا ان يعطى معه تسعة مثله فان لم يجد ذلك أخذ فيها أولاده
فان لم يكن له أولاد ذبح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهملة دون راع بعد ان يسم
كل واحد دوابه في أخاذها وكذلك فعلنا في هذه البلاد واتفق ان تفقدنا خيلنا بعد
عشر من نزولنا بها ففقدنا منها ثلاثة أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التتر بها الى
منزلنا خوفا على أنفسهم من الاحكام وكنا نربط في كل ليلة ازاء أخبيتنا فرسين للامعي
أن يقع بالليل ففقدنا الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة
جاءوا بهم البنات في أثناء طريقنا وكان أيضا من أسباب اقامتنا خوف الثلج فان باثناء الطريق
جبلا يقال له هند وكوش ومعناه قاتل الهنود لان الهنود والجوارى الذين يؤتى بهم من
بلاد الهند يموت هنالك الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقمنا
حتى تمكن دخول الحر وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا الى
الغروب وكنا نضع اللبودين ايدى الجبال نطا عليها لئلا تغرق في الثلج ثم سافرنا الى
موضع يعرف باندرو وكانت هنالك فيما تقدم مدينة عني رسمها ونزلنا بقرية عظيمة فيها
زاوية لاحد الفضلاء ويسمى بمحمد المهروى ونزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا
أيدينا من الطعام يشرب الماء الذى غسلناها به لحسن اعتقاده وفضله وسافر معنا الى ان
صعدنا جبل هند وكوش المذكور ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا
فتقشرت وتألما لذلك ثم نزلنا بموضع يعرف بدينج هير ومعنى دينج خمسة وهير الجبل فعناه
خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة كثيرة العمارة على نهر عظيم أزرق كانه بحر ينزل
من جبال بدخشان وهذه الجبال يوجد الياقوت الذى يعرفه الناس بالبلخش وخرب
هذه البلاد تنكيز ملك التتر فلم تعمر بعد وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكي وهو
معظم عندهم ووصلنا الى جبل بشاى (وضبطه بفتح الباء المعقودة والشين المعجم وألف
ويا ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء وأطا (بفتح الهمزة) معنا بالتركية
الاب وأولياء باللسان العربي فعناه أبوالاولياء ويسمى أيضا سيصد صاله وسيصد (سين
مهمل مكسور وياء مدو صا د مهمل مفتوح ودال مهمل) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة وصاله
(ساله) (بفتح الصاد المهمل واللام) معنا عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون

صاموا لهم فيه اعتقاد حسن وياتون لزيارته من البلاد والقرى ويقصده السلاطى والخواطين
 وأكرمنا وأضافنا ونزل على نهر عند زاويته ودخلنا اليه فسلمت عليه ومانقنى وجسمه
 وطب لم أر ألين منه ويطن رائيه ان عمره خمسون سنة وذكرلى انه فى كل مائة سنة
 يثبت له الشعر والاسنان وانه رأى أبا رهم الذى قبره بملتان من السند وساتته عن رواية
 حديث فاخبرني بحكايات وشككت فى حاله والله أعلم بصدقه ثم سافرنا الى برون (وضبطها
 بفتح الباء المعقودة وسكو والراء وفتح الواو وآخرها نون) وفيها لقيت الامير برنطية وضبط
 اسمها بضم الباء وضم الراء وسكون النون وفتح الطاء المهمل وياه آخر الحروف مسكن
 وهاء) وأحسن الى وأكرمنى وكتب الى نوابه بمدينة غزنة فى اكرامى وقد تقدم ذكره
 وذكر ما أعطى من البسطة فى الجسم وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء اهل الزوايا
 ثم سافرنا الى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقودة واسكان الراء وخاء المعجم)
 وهي كبيرة لها بساين كثيرة وفوا كهها طيبة قدمناها فى أيام الصيف ووجدناها جماعة من
 الفقراء والطلبة وصلينا بها للجمعة وأضافنا أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافرنا
 الى مدينة غزنة وهي لد السلطان المحاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار
 السلاطين يلعب بيمين الدولة وكان كثير الغزوا الى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره
 بهذه المدينة عليه زاوية وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا سير وكانت كبيرة وهي
 شديدة البرد والسالكون بها يخرجون عنها أيام البرد الى مدينة القندهار وهي كبيرة خصبة
 ولم أدخلها وبينهما مسيرة ثلاث ونزلنا بخارج غزنة فى قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها
 وأكرمنا أميرها مرذك أغا ومرذك (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم) ومعناه
 الصغير وأغا (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعناه الكبير الاصل ثم سافرنا الى كابل وكانت فيها
 سلف مدينة عظيمة وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال
 وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق وجبلهم الكبير يسمى كوه سليمان وبذكران نبي
 الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر الى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها
 فسمى الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكال زاوية الشيخ اسماعيل الافغانى تلميذ الشيخ
 عباس من كبار الاولياء ومنهار حلنا الى كرماش وهي حصن بين جبلين تقطع به الافغان وكنا
 حين جوارنا عليه نقالهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالذشاب فيفرون وكانت رفقتنا خفة
 ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لى جمال انقطعت عن القافلة لاجلها ومعى جماعة
 بعضهم من الافغان وطرحنا بعض الزاد وتركنا أحمال الجمال التي أعيت بالطريق وعادته

اليها خيلنا بالغد فاحتملتها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبتنا بمنزل ششغاروهى
 آخر العمارة مما بلى بلاد الترك ومن هنا دخلنا البرية الكبرى وهى مسيرة خمس عشرة
 لا تدخل الا فى فصل واحد وهو بعد نزول المطر بارض السند والهند وذلك فى أوائل
 شهر يولية وتهب فى هذه البرية ريح السموم القاتلة التى تعفن الجسوم حتى ان الرجل اذا
 مات تنفسخ أعضاؤه وقد ذكرنا ان هذا الريح تهب أيضا فى البرية بين هرمز وشيراز
 وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فىمـاخداً ونزداده قاضى ترمذ فمات لهم جمال وخيل
 كثيرة ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى الى بنج آب وهوماء السند وبنج (بفتح
 الباء الموحدة وسكون النون والجيم) ومعناه خمسة وآب (بهمزة مفتوحة ومدودة وباء
 موحدة) ومعناه الماء فعنى ذلك الاودية الخمسة وهى تصب فى النهر الا عظم وتسقى تلك
 النواحى وسندكرها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذى الحجة واستهل
 علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبع مائة ومن هنا كـتب المخبرون
 بنحبرنا الى أرض الهند وعرفوا ملـكمـا بكيفية أحوالنا وها هنا ينتهى بنا الكلام فى هذا السفر
 والحمد لله رب العالمين



﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى ﴾

﴿تذيل﴾ يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة
إلى هذا الحد وهو أول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر مشاهدته من العجائب
والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المفيدان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن
خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تنميما للفائدة وتقييدا للشاردة ونصا بقصصها وفصلها
وورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف
بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن
والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وانصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان
محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب إلى
المغرب وانصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب
يملك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغفر به
السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرخ للسفر أخصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان
وقرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود
يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على
الظهر يرمي بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل ابوابه وأمثال هذه الحكايات
فتنحى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن
ودار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن ورأيت أنه إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في
الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس أياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك
لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيراً اعتقله سلطاناً فمكث في السجن
سنتين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سال عن اللحدان التي كان يتغذى
بها فإذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفه له أبوه بشيائهن ونعوتها فيقول يا أبت
تراهما مثل الفارفينكر عليه ويقول أين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل أذلم يعاين
في حبسه الالفار فيحسبها كلها أبناء جنس للفار وهذا كثير ما يعتري الناس في الأخبار كما
يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان
إلى اصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصرح عقله ومستقيم
قطرته فإذا دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي
المطابق فان نطاقه أوسع شيء فلا يفرض حداً بين الواقعات وإنما مرادنا الامكان بحسب المادة
التي لاشي فإذا نظرنا أصل الشئ وجنس وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة
ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربي زدني علماً (اه بحروفه)

الجزء الثاني

من

﴿ رحلة ابن بطوطة ﴾

﴿ المسماة ﴾

تحفة النظار . في غرائب الامصار
وعجائب الاسفار

—*—*—*—*—*—*—*—*—*—

طبع بالطبعة الانكليزية في

مستأن رفعة الفتح في ٦ جوار الانكليزية في مصر

﴿ على نفقة اصحابها ﴾

ورثة الرحمة فضيلة الشيخ محمد عبد الحليم الميراني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٤٦ هـ — سنة ١٩٢٨ م)



﴿ وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم ﴾
قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي
المعروف بابن بطوطه رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبع مائة وصلنا الى وادي السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياه الخمسة وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوان الحر فيزرع أهل تلك البلاد على فيضه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند ولما وصلنا الى هذا النهر جاء إلينا أصحاب الاخبار الموكلون بذلك وكتبوا بخبرنا الى قطب الملك أمير مدينة ملتان وكان أمير أمراء السند على هذا العهد ملوك للسلطان يسمى سرتيز وهو عرض الممالك وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاد الرأس لان سر (بفتح السين المهملة وسكون الراء) هو الرأس وتيز (بقاء معلوة وياء مد وزاي) معناه الحاد وكان في حين قدومنا بمدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة هلي مسيرة خمسين يوماً وإذا كتب المخبرون الى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب اليه في خمسة أيام بسبب البريد — ذكر البريد —

والبريد ببلاد الهند صنفان قاما بريد الخيل فيسمونه الولاقي (اولاق) (بضم الواو وآخره قاف) وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال وأما بريد الرجال فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوة (بالدال المهملة والواو) والداوة هي ثلث ميل والميل عندهم يسمى الكروة (بضم الكاف والراء) وترتيب ذلك ان يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقيم فيها الرجال مستعدين

للحركة قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البر يد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى وخرج يشتد بمتنهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تاهبوا له فاذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومرباً قصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الى الداوة الأخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب الى حيث يراد منه وهذا البر يد أسرع من بر بداخل وربما حملوا على هذا البر يد القوا كالمستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها في الاطباق ويشتدون بها حتى تصل الى السلطان وكذلك يحملون أيضاً الكبار من ذوي الجنائيات يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤسهم ويسرون به شداو كذلك يحملون الماء لشرب السلطان اذا كان بدولة أبداً يحملونه من نهر الكنك الذي تخرج الهنود اليه وهو على مسيرة أربعين يوماً منها واذا كتب الخيرون الى السلطان بخير من يصل الى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدداً صحاباً به وغلماناً به وخدامه وودابه وترتيب حاله في حركته وسكوته وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كلمة شيئاً فاذا وصل الوارد الى مدينة ملتان وهي قاعدة بلاد السند أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدمه وما يجري له من الضيافة وانما يكرم الا انسان هنالك بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته اذا لا يعرف هنالك ما حسبه ولا آباءه ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه اكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والماراتب الرفيعة ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاة واصهاره غرباء ونفذ أمره بان يسمى الغرباء في بلاده بالاعزة فصار لهم ذلك اسماعلماً ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها اليه ويقدمها وسيلة بين يديه فيكافئه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسيمر من ذكره ايا الغرباء اليه كثير ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد الهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير ديناً ويجهزونهم بما يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتعدة ويخدمونه باموالهم وأنفسهم ويقفون بين يديه كالخشم فاذا وصل الى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقطى ديوهم ووفاهم حقوقهم فتنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم ذاك عادة مستمرة ولما وصلت الى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشترت من التجار الخيل والجمال والماليك وغير ذلك ولقد اشترت من تاجر عراقي من أهل تكريت يعرف بمحمد الدورى بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرساً وجمل عليه حمل من النشاب فانه مما يهدي الى السلطان وذهب التاجر المسد كور الى خراسان ثم عاد

الى الهند وهنا لك تقاضى مني ماله واستفاد بسببي فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبنى الكفار مما كان بيدي فلم ألق منه خيرا — ذكر الكركدن —

ولما أجزنا نهر السند المعروف بدينج آب دخلنا غيضة قصب لسلكنا للطر يق لانه في وسطها فخرج علينا الكركدن وصورته انه حيوان اسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت الضخامة ولذلك يضرب به المثل فيقال الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة اذرع وعرضه نحو شبر ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه فانفذ فخذاه وصرعه وعاد الى الغيضة فلم تقدر عليه وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الارض فلما قصدناه هرب مناورا بتهمة مرة اخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرحالة والفرسان فاناروه وقتلوه واستاقوا رأسه الى الحلة وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا الى مدينة جنافى (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الاولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها اسواق مليحة وسكانها طائفة يقال لهم السامرة استوطنوها قديما واستقر بها اسلافهم حين فتحتها على أيام الحجاج بن يوسف حسبا أثبت المؤرخون في فتح السند وأخبرني الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابدركن الدين ابن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين ابن الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين زكريا القرشي وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ الولي الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية اني سألهم في رحلتي فلقيتهم والحمد لله ان جده الاعلى كان يسمى بحمد بن قاسم القرشي وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام امارته على العراق وأقام بها وتكاثر ذريته وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا ياكلون مع أحد ولا ينظر اليهم أحد حين ياكلون ولا يصاهرون أحدا من غيرهم ولا يصاهر اليهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى نار (بضم النواو وفتح النون) وسند كرخبره ثم سافرنا من مدينة جنافى الى ان وصلنا الى مدينة سيوستان (وضبط اسمها بكسر السين الاولى المهملة وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلولة وآخره نون) وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال لا شجر بها الا شجر أم عيلان ولا يزرع على نهرها شي ما عدا البطيخ وطعمهم الذرة والجلبان ويسمونه المشك (بضم وشين معجم مضمومين ونون مسكن) ومنه يصنعون الخبز وهي كثيرة السمك والالبان الجاموسية

وأهلها ياكلون السقنقور وهي دويبة شبيهة بام حبين التي يسميها المغاربة حنينة الجنة الا
 أنها لا ذنب لها ورايتهم يحترفون الرمل ويستخرجونها منه ويشقون بطنها ويرمون بما فيه
 ويمشونه بالكركم وهم يسمونه زرد شوبه ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران
 ولما ريت تلك الدويبة وهم ياكلونها استقدرتها فلم آكلها ودخلنا هذه المدينة في احتدام
 القيقظ وحرها شديد فكان أصحابي يقعدون عريانيين يجعل أحدهم فوطه على وسطه
 وفوطه على كتفيه مبلولة بالماء فما يضيئ السير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطه فيبليها
 مرة أخرى وهكذا بدا ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني وارانني كتاب أمير
 المؤمنين الخليفة عمر بن عبدالعزيز يرضى الله عنه لجدته الاعلى بخطابة هذه المدينة وهم
 يتوارثونها من ذلك العهد الى الآن

(ونص الكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز لفلان وتاريخه
 سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الحمد لله وحده
 على ما أخبرني الخطيب المذكور ولقيت بها أيضا الشيخ المعمر محمد البغدادي وهو بالزاوية
 التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندي وذكر أن عمره يزيد على مائة وأربعين سنة وأنه
 حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس رضى الله عنهم لما قتله الكافر هلاون
 ابن تنكين التتري وهذا الشيخ على كبر سنه قوى الجثة يتصرف على قدميه

— حكاية —

كان يسكن بهذه المدينة الأمير ونار السامري الذي تقدم ذكره والأمير قيصر الرومي
 وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود
 اسمه رتن (بفتح الراء وبفتح التاء المعلولة والنون) وهو من الخذاق بالحساب والكتابة
 فوفد على ملك الهند مع بعض الأمراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند وولاه تلك
 البلاد وأقطعه سيستان وأعمالها وأعطاه المراتب وهي الاطبال والعلامات كما يعطى كبار
 الأمراء فلما وصل الى تلك البلاد عظم على ونار وقيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم
 فاجتمعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه أشاروا عليه بالخروج الى احوال المدينة
 ليتطلع على أمورها فخرج معهم فلما جن الليل أقاموا ضجة بالحلة وزعموا ان السبع ضرب
 عليها وقصدوا مضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فاخذوا ما كان بها من مال السلطان
 وذلك اثنا عشر لكا والاك مائة ألف دينار وصرف الالك عشرة آلاف دينار من ذهب
 الهند وصرف الدينار الهندي ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب وقدموه على أنفسهم
 ونار المذكور وسموه ملك فيروز و قسم الاموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده

عن قبيلته نخرج فيمن معه من أناربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم
قيصر الرومي واتصل خبرهم بعماد الملك سرتيز مملوك السلطان وهو يومئذ أمير أمراء
السند وسكنائه بملتان فجمع العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند وبين ملتان وسيوستان
عشرة أيام وخرج اليه قيصر فوقع اللقاء وانهمز قيصر ومن معه اشنع هزيمة وتحصنوا
بالمدينة فحصرهم ونصب الجانيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الامان بعد أربعين
يوما من نزولهم عليهم فاعطاهم الامان فلما نزلوا اليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم
فكان كل يوم بضرب أعناق بعضهم ويوسط بعضهم ويسلخ آخر بن منهم ويملا جلودهم
تدينا ويعلقها على السور فكان معظمه عليه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر اليها وجمع
رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هناك ونزلت بتلك المدينة إثر هذه الواقعة
بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنا على سطحها فاذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود
المصلوبة فتشتمز النفس منها ولم تطب نفسى بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقيه
الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هراة في متقدم
التاريخ قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لا هري واعمالها من بلاد السند وحضر هذه
الحركة مع عماد الملك سرتيز بمن معه من العساكر فمزم على السفر معه الى مدينة لا هري وكان
لخمسة عشر مركبا قدم بها في نهر السند تحمل اثقاله فسادت

— ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذاك —

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مرأكبه مركب يعرف بالاهورة (بفتح الهمزة والهاء
وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من الطريدة عندنا الا انها أوسع منها وأقصر وعلى
نصفها معرش من خشب يصعد له على درج وفوقه مجلس مهيا لجلوس الأمير ويجلس
اصحابه بين يديه ويقف الممالك بمنه ويسرة والرجال يقذفون وهم نحوار بعين ويكون
مع هذه الاهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيهما مراتب الأمير
وهي العلامات والطبول والابواق والانتقار والصرايات وهي الغيطات والآخرا فيهما اهل
الطرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويغني المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول
النهار الى وقت الغداء فاذا كان وقت الغداء انضمت المراكب ووصل بعضها ببعض ووضعت
بينهما الاصفال وتأتي أهل الطرب الى أهورة الأمير فيغنون الى أن يفرغ من أكله
ثم ياكلون واذا انقضى الاكل عادوا الى مركبهم وشرعوا أيضا في المسير على ترتيبهم
الى الليل فاذا كان الليل ضربت الحلة على شاطئ النهر ونزل الأمير الى مضاربه ومد

السياط وحضر الطعام معظم العسكر فاذا صلوا العشاء الاخيرة سمر السهار بالليل نوبا فاذا
 أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى مناد منهم بصوت عال ياخوند ملك قد مضى من الليل
 كذا من الساعات ثم يسمر أهل النوبة الاخرى فاذا أتموها نادى مناد بهم أيضا معلما
 بما مر من الساعات فاذا كان الصبح ضربت الابواق والطبول وصليت صلاة الصبح
 وأتى بالطعام فاذا فرغ الاكل أخذوا في المسير فان أراد الامير ركوب النهر ركب على ماذ كرناه
 من الترتيب وان أراد المسير في البر ضربت الاطبال والابواق وتقدم حجاباه ثم تلاهم
 المشاءون بين يديه ويكون بين أبدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال
 قد تقلدها وعند ثلاثة صرنايات فاذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الارض مرتفع ضربوا
 تلك الاطبال والصرنايات ثم تضرب أطبال العسكر وأبواقه ويكون عن يمين الحجاب
 ويسارهم المغنون يغنون نوبا فاذا كان وقت الغداء نزلوا وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام
 ووصلنا الى موضع ولايته وهو مدينة لا هرى (وضبط اسمها بفتح الهاء وكسر الراء) مدينة
 حسنة على ساحل البحر الكبير وبها ينصب نهر السند في البحر فيلتقى بها بحران ولها مرسى عظيم
 يأتى اليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم وبذلك عظمت جباياتها وكثرت أموالها أخبرني
 الامير علاء الملك المذكور ان مجي هذه المدينة ستون لكافي السنة وقد ذكرنا مقدار
 الك وللأمر من ذلك ثم (نيم) دهيك ومعناه نصف العشر وعلى ذلك يعطى السلطان البالد
 لعماله ياخذون منها لانفسهم نصف العشر

— ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة —

وركبت يوما مع علاء الملك فاتتهما الى بسيط من الارض على مسافة سبعة أميال منها
 يعرف بتارنا فرأيت هناك مالا يحصره العدمن الحجارة على مثل صور الآدميين والهايم
 وقد تغير كثير منها ودثرت أشكاله فيبقى منه صورة رأس اورجل أو سواها ومن
 الحجارة أيضا على صورة الحبوب من البر والخص والفول والعدس وهناك آثار سور
 وجدران دور ثم رأيت رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة
 منحوتة كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي الا ان رأسه طويل وفمه في جانب من
 وجهه ويداه خلف ظهره كالمتكوف وهناك مياه شديدة النتن وكتابة على بعض الجدران
 بالهندي وأخبرني علاء الملك ان أهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة
 عظيمة أكثر أهلها الفساد ففسخوا حجارة وان ملكهم هو الذى على الدكانة في الدار
 التي ذكرناها وهى الى الآن تسمى دار الملك وان الكتابة التي في بعض الحيطان هناك

بالهندي هي تاريخ هلاك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها وأتمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد واصنرفت عنه إلى مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشلوخان أيام ولايته على بلاد السند وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي ولقيت بها قاضيها المسمى بابي حنيفة ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين ذكر لي أن سنه يزيد على مائة وعشرين عامًا ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت إلى مدينة أوجه (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها أسواق حسنة وعمارة جيدة وكان الأمير بها إذ ذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجي أحد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه

— مكرمة لهذا الملك —

ونشأت بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتأكدت بيننا الصلحة والحبّة واجتمعنا بحضرة دهلي فلما سافر السلطان إلى دولة آباد كما سنذكره وأمرني بالإقامة بالحضرة قال لي جلال الدين أنك تحتاج إلى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته فخذ قربي واستغلها حتى أعود ففعلت ذلك واستغلّيت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه ولقيت بمدينة أوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي والبسني الخرقه وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي البسنيه معي إلى أن سلّمني كفار الهند وفي البحر ثم سافرت من أوجه إلى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلوة) وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه وفي الطريق إليها على مسافة عشرة أميال منها الوادي المعروف بخسر وآباد وهو من الأودية الكبار لا يجاز إلا في المركب وبه يبحث عن امتعة المحتازين أشد البحث وتفتش رحالهم وكانت عادتهم في حين وصولنا إليها أن يأخذوا الربع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنانير مغرمًا ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم وأمر أن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر لما يبيع للخليفة أبي العباس العباسي ولما أخذنا في إجازة هذا الوادي وتفتش الرحال عظم علي تفتيش رحلي لأنه لم يكن فيه طائل وكان يظهر في أعين الناس كبيرًا فكنت أكره أن يطلع عليه ومن لطف الله تعالى أن وصل أحد كبار الاجتاد من جهة قطب الملك صاحب ملتان فأمر أن لا يعرض لي يبحث ولا تفتيش فكان كذاك فحمدت

الله على ما هياه لى من لطائفه وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادى وقدم علينا فى صبيحة
ملك البريد واسمه دهقان وهو سمرقندى الاصل وهو الذى يكتب للسلطان باخبار تلك
المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل اليها فتعرفت به ودخلت فى صحبتها الى أمير ملتان
— ذكر أمير ملتان وترتيب حاله —

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الامراء وفضلائهم لما دخلت عليه قام الى وصال فحني
وأجلسني الى جانبه وأهديت له مملوكا وفرسا وشيئا من الزبيب واللوز وهو من أعظم
ما يهدى اليهم — لا نه ليس ببلادهم وانما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الأمير على
دكانة كبيرة عليها البسطو على مقربة منه القاضى ويسمى سالاروا الخطيب ولا أذكر اسمه
وعن يمينه ويساره أمراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين
يديه وهناك قسي كثيرة فاذا أتى من يريد ان يثبت فى العسكر راميا أعطى قوسا من
تلك القسي ينزع فيهم — وهى متفادقة فى الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه — ومن أراد أن
يثبت فارسا فهناك طبله منصوبة فيجرب فرسه ويرميها برمح وهناك أيضا خاتم معلق
فى حائط صغير فيجرب فرسه حتى يحاذيه فان رفعه برمح — والجيد عندهم — ومن أراد
أن يثبت راميا فارسا فهناك كرة موضوعة فى الارض فيجرب فرسه ويرميها وعلى قدر
ما يظهر من الانسان فى ذلك من الاصابة يكون مرتبه ولما دخلنا على هذا الأمير وسألنا
عليه كما ذكرناه أمر بانزالنا فى دار خارج المدينة هى لاصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذى
تقدم ذكره وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى يأتى أمر السلطان بتضييفه

— ذكر من اجتمعت به فى هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند —

فمنهم خدوا ندزاده قوام الدين قاضى ترمذ قدم باهله وولده ثم ورد عليه بها اخوته عماد
الدين وضياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه أحد كبار سمرقند ومنهم أرنبغا
أحد كبار بخارى ومنهم ملك زاده ابن أخت خدوا ندزاده ومنهم بدر الدين الفصالح
وكل واحد من هؤلاء معه أصحابه وخدامه وأتباعه ولما مضى من وصولنا الى ملتان شهران
وصل أحد حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجى والملك محمد الهروى الكتوال
بعثهما السلطان لاستقبال خدوا ندزاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدمة
جهان وهى أم السلطان لاستقبال زوجة خدوا ندزاده المذكور وأتوا بالغلع لهما ولادهم
ولتجهيز من قدم من الوفود وأتوا جميعا الى وسالوني لما اذا قدمت فاخبرتهم انى قدمت
للاقامة فى خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يدعى فى بلاده وكان أمر أن لا يترك

أحد ممن يأتي من خراسان يدخل بلاد الهند الان كالبرسم الاقامة فلما أعلمتهم اني قدمت للاقامة استدعوا القاضي والعدول وكتبوا عقدا على وعلى من أراد الاقامة من أصحابي وأبي بعضهم من ذلك وتجهزنا للسفر الى الحضرة وبين ملتان وبينها مسيرة أربعين يوما في عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذي بعث معه ما يحتاج اليه في ضيافة قوام الدين واستصحبوا من ملتان نحو عشرين طبيا خا وكان الحاجب يتقدم ليلا الى كل منزل فيجهز الطعام وسواه فما يصل خداوندزاده حتي يكون الطعام متيسرا وينزل كل واحد من ذكرناهم من الوفود على حدة بمضاربه وأصحابه وربما حضروا الطعام الذي يصنع لخداوندزاده ولم أحضره انا الامرة واحدة وترتيب ذلك الطعام انهم يجعلون الخبز وخزهم الرقاق وهو شبه الجراد يقي ويقطعون اللحم المشوي قطعا كبارا بحيث تكون الشاة اربع قطع أو ستا ويجعلون أمام كل رجل قطعة ويجعلون اقراصا مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشرك ببلادنا ويجعلون في وسطها الحلواء الصابونية ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمى الخشتي ومعناه الاجري مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الاخضر في صحاف صينية ثم يجعلون شيئا يسمى سمونه سموسك وهو لحم مهرورس مطبوخ باللوز والجزر والفسق والسمن والبصل والابازير موضوع في جوف رقاقة مقلوة بالسمن يضعون أمام كل انسان خمس قطع من ذلك او اربعا ثم يجعلون الارز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج ثم يجعلون لقيمات القاضي ويسمون بها الهاشمي ثم يجعلون القاهرة ويقف الحاجب على السباط قبل الاكل ويخدم الى الجهة التي فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حط الرأس نحو الركوع فاذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى باقداح الذهب والفضة والزجاج مملوء بماء النبات وهو الجلاب محلولا في الماء ويسمون ذلك الشرابو بشربوته قبل الطعام ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشربون في الاكل فاذا أكلوا أتوا باكوازالفقاع فاذا شربوه أتوا بالتنبول والفوفل وقد تقدم ذكرها فاذا أخذوا التنبول والفوفل قال الحاجب بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولا وينصرفون وسافرا من مدينة ملتان وهم يحرقون هذا الترتيب على حسب ماسطرناه الى ان وصلنا الى بلاد الهند وكان اول بلد دخلناه مدينة ابهر (بفتح الهاء) وهي اول تلك البلاد الهندية صغيرة حسنة العمارة ذات انهار واشجار وليس هنالك من اشجار بلادنا شيء ماعدا النبق لكنه عندهم عظيم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص شديد

الحلاوة ولهم اشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا يسواها
 — ذكر اشجار بلاد الهند وفواكهها —

فمنها العنبية (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه اشجار
 النارج الا أنها أعظم اجراما وأكثر أوراقا وظلها أكثر الظلال غير انه ثقیل فمن نام
 تحته وعك ونمرها على قدر الاجاص الكبير فادا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا
 ماسقط منه وجعلوا عليه الملح وصبروه كما يصبر الليم والليمون ببلادنا وكذلك يصبرون
 أيضا الزنجبيل الاخضر وعناقيد الفلفل وباكلون ذلك مع الطعام يأخذون بانركل لقمة
 يسير امن هذه المملوحات فاذا نضجت العنبية في أوان الخريف اصفرت حباتها فاكلوها
 كالنفاخ فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمسحها بمصا وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير
 حموضة ولها نواة كبيرة زرعوها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارج وغيرها ومنها
 الشكى والبركى (بفتح الشين المعجم وكسر الكاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضا) وهي
 أشجار عادية أوراقها كاوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالارض
 فهو البركى وحلاوته أشد ومطعمه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكى وثمره يشبه
 القرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا اصفر في أوان الخريف قطعه وشقوه فيكون
 في داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة
 صفاق أصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير واذا شويت تلك النواة أو طبخت
 يكون طعمها كطعم الفول اذ ليس يوجد هنالك ويدخرون هذه النوى في التراب الاحمر فتبقى
 الى سنة أخرى وهذا الشكى والبركى هو خير فاكهة ببلاد الهند ومنها التندو (بفتح التاء
 المثناة وسكون النون وضم الدال) وهو ثمرة شجر الآبنوس وحباته في قدر حبات المشمش
 ولونها وهو شديد الحلاوة ومنها الجور (بضم الجيم المعقودة) وأشجاره عادية ويشبه ثمرة
 الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون ومنها النارج الحلو وهو عندهم كثير
 وأما النارج الحامض فعزير الوجود ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره
 على قدر الليم وهو طيب جدا وكنت يعجبني أكله ومنها الموهوا (بفتح الميم والواو) وأشجاره
 عادية وأوراقها كاوراق الجوز الا ان فيها حمرة وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد
 الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب بحوفة وطعمها كطعم العنب
 الا أن الاكثر من أكلها يحدث في الرأس صداعا ومن العجب ان هذه الحبوب اذا
 جيسست في الشمس كان طعمها كطعم التين وكنت أكلها عوضا من التين اذ لا يوجد ببلاد

الهند وهم يسمون هذه الحبة الانكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء) وتفسيره بلسانهم العنب والعنب بارض الهند عزيز جدا ولا يكون بها الا في مواضع بمحصرة دهلي وبيلا دأخرويشمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا (بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مد وراء) يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل وبيلا د الهند من فواكه بلادنا الرمان ويشمر مرتين في السنة ورأته ببلاد جزائر ذيبة المهل لا ينقطع له ثمر وهم يسمونه نار (بفتح الهمزة والنون) وأظن ذلك هو الاصل في تسمية الجلنار فان جل بالقارسية الزهر ونار الرمان

— ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند وبقتاتون بها —

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة فاذا نزل المطر عندهم في أوان القميط زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ومن هذه الحبوب الخريفة عندهم الكدرو (بضم الكاف وسكون الذاال المعجم وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الدخن وهذا الكدرو هو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بالقاف) وهو شبه انلى ومنها الشاماخ (بالشين والحاء المعجمتين) وهو أصغر حبا من القال وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين يخرجون لجمع ما نبت منه من غير زراعة فيمسك أحدهم قفة كبيرة بيساره وتكون يميناه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة وحب هذا الشاماخ صغير جدا واذا جمع جعل في الشمس ثم يذق في مهاريس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزها وكنتم آكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجنى ومنها الماش وهـ ونوع من الجلبان ومنها المنج (بميم مضموم ونون وجيم) وهو نوع من الماش الأدر حبوبه مستطيلة ولونه صافي الخضرة ويطبخون المنج مع الارز ويأكلونه بالسمن ويسمونه كشرى (بالكاف والشين المعجم والراء) وعليه يفترون في كل يوم وهو عندهم كالخربة ببلاد المغرب ومنها اللويسا وهي نوع من الفول ومنها الموت (بضم الميم) وهو مثل الكدرو الا أن حبوبه أصغر وهو من علف الدواب عندهم وتسمن الدواب باكله والشعير عندهم لاقوة له وانما علفه الدواب من هذا المسوت أو الحصن يجرشونه ويبلونه بالماء ويطعمونه الدواب ويطعمونها عوضا من القصيل أوراق الماش بعد ان تسقي الدابة السمن عشرة أيام في كل يوم مقدار

ثلاثة أرتال أو أربعة ولا تركب في تلك الايام وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهرا أو نحو هذه الحبوب التي ذكرناها هي الخريفية وإذا حصدها بعد ستين يوما من زراعتها ازرعو الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحبس والعنبر وتكون زراعتها في الارض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرة فيها وبلادهم كريمة طيبة التربة وأما الارز فانهم يزرعونه ثلاث مرات في السنة وهو من أكبر الحبوب عندهم ويزدرون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها ولقد كنا إلى ما كنا بسبيله فاقول سافرن من مدينة أبوهري في صحراء مسيرة يوم في أطرافها جبال منبعا يسكنها كفار الهنود وورما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار فثمهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم الذي تكون القرية في إقطاعه ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق

— ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند —

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهري خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها إلى نصف النهار في لمة من أصحابي ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم فخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان وكان أصحابي ذوى نجدة وعنى فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلا وأصابني نصابة وأصابني فرسي نصابة ثانية ومن الله بالسلامة منها لأن نصابهم لا قوة لها وجرح لاحدا أصحابنا فرس عوضناه له بفارس الكافر وذبحنا فرسه المجروح فاكله الترك من أصحابنا وأوصلنا تلك الرأس إلى حصن أبي بكهر فعلقناها على سوره وكان وصولنا في نصف الليل إلى حصن أبي بكهر المذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء) وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين إلى مدينة أجودهن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهملة والهاء وآخره نون) مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البذاواني الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الاعرج بالاسكندرية اني سألناه فلقيته والحمد لله وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس والعلياذ بالله فلا يصفح أحدا ولا يدنو منه وإذا ألقى ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه دخلت زوايته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فموجب وقال أنا دون ذلك ولقيته ولديه الفاضلين معز الدين وهو أكبرهما لما مات أبوه تولى الشياخة بعده وعلم الدين وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاواني منسوبة

الى مدينة بذاون بلد السنبيل (وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون) ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لى علم الدين لا بد لك من رؤية والدى فرأيتهم وهوى فى أعلى سطح له وعليه ثياب بيض وعمامة كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة الى جانب ودعالى وبعث الى بسكرونيات

— ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار —

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا فسالتهم ما الخبر فاخبروني ان كافرا من الهندومات وأججيت النار لحرقه وامراته تحرق نفسها معه ولما احترقا جاء أصحابى واخبروا أنها عانت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كنت فى تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهند متزينة بكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر والاطبال والابواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهند وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استاذنوا السلطان فى إحراقها فباذن لهم فيحرقونها ثم اتفق بعد مدة انى كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بالبحري وأميرها مسلم من سامرة السند وعلى مقربة منها الكفار العصاة فقطعوا الطريق يوما وخرج الامير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن وإحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة ممتحنة لعدم وفائها ولكنها لا تكره على إحراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام فى غناء وطرب وأكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا وباقى البهمن النساء من كل جهة وفى صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفى يدها جوزة نار جيل تلعب بها وفى يسراها امرأة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانتار وكل انسان من الكفار يقول لها ابلى السلام الى أبى أو أخى أو أمى أو صاحبى وهي تقول نعم وتضحك اليهم وركبت مع أصحابي لارى كيفية صنعهم فى الاحتراق فسرنا معهم نحو ثلاثة أميال واتهبنا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار متكائف الظلال وبين اشجاره أربع قباب فى كل قببة صنم من الحجارة وبين القباب صهرج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار فلا تخلله

الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم اعادنا الله منها ولما وصلنا الى تلك القباب
 نزلنا الى الصهريج وانغمسنا فيه وجردنا ما علينا من ثياب وحلى فتصدقن به وأثبت كل
 واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه علي وسطها وبعضه علي رأسها
 وكتفيتها والنيران قد أضرمت علي قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها
 روغن كنجت (كنجد) وهوزيت الجبلجلان فزاد في اشتعالها وهناك نحو خمسة عشر
 رجلا بايديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار وأهمل
 الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النار بملحفة يسكها الرجال
 بايديهم لئلا يدهشها النظر اليها فرأيت احدا من الماوصلت الى تلك الملحفة نزعتها من أيدي
 الرجال بعنف وقالت لهم ما زاميت ساني ازا طش (آنش) من ميدانم أو ااطش است
 رها كني ماراوهي تضحك ومعني هذا الكلام أبالنار تخوفوني أنا اعلم انها نار محرقة
 ثم جمعت يديها علي رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت الاطبال والابواق
 والابواق ورمى الرجال ما بايديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب من
 فوقها لئلا تتحرك وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن
 فرسي لولا أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل أهل الهند أيضا
 في الفرق يغرق كثير منهم انفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمى
 برماذ هؤلاء المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا أتى احدهم ليغرق نفسه يقوله
 لمن حضره لا تظنوا اني اغرق نفسي لاجل شيء من امور الدنيا أولقلة مال انما
 قصدي التقرب الى كساي وكساي (بضم الكاف والسين المهمل) اسم الله عز وجل
 بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات أخرجوه واحرقوه ورموا برماذه في البحر المذكور
 (ولنعد) الى كلامنا الاول فنقول سافرنا من مدينة أجوذهن فوصلنا بعد مسيرة اربعة
 أيام منها الى مدينة سرستي (وضبط اسمها بسينين مفتوحين بينهما راء سا كنة
 ثم تاء مثناة مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الارز وأرزها طيب ومنها يحمل الى حضرة
 دهلي ولها محبي كثير جدا اخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره وأسسيتها ثم
 سافرنا منها الى مدينة حانسي (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وألف ونون سا كن
 وسين مهمل مكسور وياء) وهي من احسن المدن وأتقنها واكثرها عمارة ولها سور
 عظيم ذكروا ان بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره (بضم التاء المعلوة
 وفتح الراء) وله عندهم حكايات واخبار ومن هذه المدينة كمال الدين صدر الجهان

قاضي قضاة الهند وأخوه قطلو خان معلم السلطان وأخواهما نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع إلى الله وجاور بمكة حتى مات ثم سافر نامن حانسي فوصلنا بعد يومين إلى مسعود آباد وهي على عشرة أميال من حضرة دهلي وأقنابها ثلاثة أيام وحانسي ومسعود آباد هما للملك المعظم هوشنج (نظم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم) ابن الملك كال كرك وكرك (بكافين معقودين أو لاها مضمومة) ومعناه الذئب وسياي ذكره وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائبا عنها بناحية مدبنة فتوج وبينها وبين حضرة دهلي عشرة أيام وكانت بالحضرة والدته وتدعى المخدومة جهان وجهان اسم الدنيا وكان بها أيضا وزيره خواجه جهان المسمى بإحد بن إياس الرومي الأصل فبعث الوزير إلينا أصحابه ليتلقوا وعين للقاء كل واحد منا من كان من صنقه فكان من الذين عينهم للقائي الشيخ البسطامي والشريف المازندراني وهو حاجب الغرياء والفقهاء علاء الدين الملتاني المعروف بقنره بضم القاف وفتح النون وتشديدها) وكتب إلى السلطان بنخبرنا وبعث الكتاب مع الدواة رهي يريد الرجالة حسبا ذكرناه فوصل إلى السلطان وأنه الجواب في تلك الأيام الثلاثة التي أقماها بمسعود آباد وبعد تلك الأيام خرج إلى لقائنا القضاة والعقهاء والمشايخ وبعض الأمراء وهم بسمون الأمراء ملوكا فحيث يقول أهل ديار مصر وغيرها الأمير يقولون هم الملك وخرج إلى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود آباد فزلنا بمقربة من قرية تسمى بالم (بفتح الباء المعقودة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مطهر الاوهرى أحد ندماء السلطان ومن له عنده الخطوة السابعة وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام) وهي المدينة العظيمة الشأن الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الاسلام كلها بالشرق

— ذكر وصفها —

ومدينة دهلي كبيرة الساحة كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات أحدها المسماة بهذا الاسم دهلي وهي القديمة من بناء الكفار وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سيري (بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد) وتسمى أيضا دار الخلافة وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي فلما قدم عليه وبها كان سكني السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين وسند كرها والثالثة

تسمى تغلق آباد باسم بانها السلطان تغلق والدسلطان الهند الذي قد مناعليه وكان سبب
بنائه لها انه وقف يوما بين يدي السلطان قطب الدين فقال له ياخوند عالم كان ينبغي ان
تبني هنا مدينة فقال له السلطان متها كما اذا كنت سلطانا فابنها فكان من قدر الله أن كان
سلطانا فبنها وسماها باسمه والرابعة تسمى جهان بناء وهي مختصة بسكنى السلطان محمد
شاه ملك الهند الآن الذي قد مناعليه وهو الذي بناها وكان أراد ان يضم هذه المدن
الاربعة تحت سور واحد فبني منه بعضا وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه

— ذكر سور دهلي وابوابها —

والسور المحيط بمدينة دهلي لا يوجد له نظير عرض حائطه أحد عشر ذراعا وفيه
بيوت يسكنها السمارو حة ظ الابواب وفيها مخازن للطعام ويسمونهم الانبارات ومخازن
للعدد ومخازن للمجانيق والرعادات ويبقى الزرع بهامدة طائلة لا يتغير ولا تطرقة آفة ولقد
شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسود ولكن طعمه طيب ورأيت
أيضا الكدرو يخرج منها وكل ذلك من اختزان السلطان بلين منذ تسعين سنة وبمشي في
داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة الى آخرها وفيه طيقتان مفتحة الى جهة
المدينة يدخل منها الضوء وأسفل هذا السور مبنى بالحجارة وأعلاه بالآجر وابعاد راجه كثيرة
مقاربة ولهذه المدينة ثمانية وعشرون بابا وهم يسمون البواب دروازة فتمها دروازة بذاون
وهي الكبرى ودروازة المندوى وبها رحبة الزرع ودروازة جل (بضم الجيم) وهي موضع
البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة بالم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة نجيب اسم
رجل ودروازة كمال كذلك ودروازة غزنة نسبة الى مدينة غزنة التي في طرف خراسان
وبخارجها مصلى العيد وبعض المقابر ودروازة البجالة (بفتح الباء والجيم والصاد المهمل)
وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلي وهي مقبرة حسنة يتنون بها القباب ولا بد عند كل قبر
من محراب وان كان لا قبلة له ويزرعون بها الاشجار المزهرة مثل قل شنبه (كل شنبو)
وريبول (راي بيل) والنسرين وسواها والازاهير هنالك لا تنقطع في فصل من الفصول

— ذكر جامع دهلي —

وجامع دهلي كبير الساحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة
أبداع تحت ملصقة بالرصاص أتقن الصاق ولا خشبة به أصلا وفيه ثلاث عشرة قبة من
حجارة ومنبره أيضا من الحجر وله أربعة من الصحن وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي
لا بدري من أي المعادن هو ذكر لي بعض حكمائهم انه يسمى هفت جوش (بفتح الهاء وسكون

القاء وتاء معلولة وجيم مضموم وآخره شين معجم) ومعنى ذلك سبعة معادن وأنه مؤلف منها وقد جلى من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك الجلومته بريق عظيم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعاً وادرنابه عمامة فكان الذى أحاط بدائرته منها ثمان أذرع وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالارض قد ألصقا بالحجارة ويطا عليهما كل داخل الى المسجد أو خارج منه وكان موضع هذا المسجد بدخانة وهو بيت الاصنام فلما افتتحت جعل مسجدا وفي الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها في بلاد الاسلام وهي مبنية بالحجارة الحجر خلافا للحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وفحلها من الرخام الابيض الناصع وتقافيجها من الذهب الخالص وسعة عمرها بحيث تصعد فيه القيلة حدثني من أتق به انه رأى القيل حين بنيت يصعد بالحجارة الى أعلاها وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين أن يبنى بالصحن الغربي صومعة أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها وأراد السلطان عهدا تمامها ثم ترك ذلك تشاؤما وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة عمرها بحيث تصعده ثلاثة من القيلة متقارنة وهذا الثالث المبنى منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرنا انها بالصحن الشمالى وصعدت هامة فرأيت معظم دور المدينة وعابثت الاسوار على ارتفاعها وسموها منحنطة وظهر لى الناس في أسفلها كأنهم الصبيان الصغار ويظهر لناظرها من أسفلها ان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبنى أيضا مسجدا جامعاً يسرى المسماة دار الخلافة فلم يتم منه غير الخائط القبلى والحراب وبنائه بالحجارة البيض والسود والحمر والخضر ولو كمل لم يكن له مثل في البلاد وأراد السلطان عهد اتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فزعموا انه ينفق في اتمامه خمسة وثلاثون لكافترك ذلك استكثاراله وأخبرني بعض خواصه انه لم يتركه استكثاراً لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

— ذكر الحوضين العظيمين بخارجها —

وبخارج دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان شمس الدين للعش ومنه يشرب أهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤها يجتمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج ينزل عليها الى الماء وبجانب كل دكان

قبة حجارة فيها مجالس للمتزهين والمتفرجين وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة بمجمولة طبعتين فاذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل اليها الا في القوارب فاذا قل الماء دخل اليها الناس وداخلها مسجد وفي أكثر الاوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون الى الله المتوكلون عليه واذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها اقصب السكر والخيار والقناء والبطيخ الاخضر والاصفر وهو شدد الحلاوة صغير الجرم وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخلاص وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب وموضعهم يسمى طرب آباد ولهم سوق هنالك من أعظم الاسواق ومسجد جامع ومساجد سواء كثيرة وأخبرت أن النساء المغنيات الساكنات هنالك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد بمجمعات ويؤمنهن الائمة وعدد هن كثير وكذلك الرجال المغنون ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الامير سيف الدين غدا بن مهني لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فاذا سمع الاذان قام فتوضا وصلى

— ذكر بعض مزاراتها —

فنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي وهو ظاهر البركة كثير التعظيم وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه كان اذا أتاه الذين عليهم الدين شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يحجزوهن به الى أزواجهن يعطى من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة حتي عرف من أجل ذلك بالكعكي رحمه الله ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلاي (بضم الكاف وسكون الراء والنون) ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكرمانى نسبة الى كرمان وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يظهر قبلة المصلي وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

— ذكر بعض علمائها وصالحيها —

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكباء (بالباء الموحدة) وهو من كبار الصالحين والناس يزعمون انه بنفق من الكون لانه لا مال له ظاهر وهو يطم الوا رد والصادر ويعطى الذهب والدرهم والاثواب وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها رأته مرات كثيرة وحصلت لى بركته ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النبلى كانه منسوب الى نيل مصر والله اعلم كان من اصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البزوانى وهو يعظ الناس في كل يوم جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم

— حكاية —

شاهدته في بعض الايام وهو يعظ فقراً الفارياً بين يديه (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة

الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة فاعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت فيمن صلى عليه وحضر جنازته ومنهم الشيخ الصالح العابد صدر الدين الكهراني (بضم الكاف وسكون الهاء وراء و نون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعا ونبذها ولباسه عباءة وبزوره السلطان وأهل الدولة وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه أن يقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين فإني ذلك وزاره يوما وأتي إليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها وذكروا أنه لا يفطرا لا بعد ثلاث وأنه قيل له في ذلك فقال لا أفطر حتى أضطر فتجلى لي الميته ومنهم الامام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كمال الدين عبد الله الغاري (بالغين المعجم والراء) نسبة إلى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقرية من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني زرت به هذا الغار ثلاث مرات — كرامة له —

كان لي غلام فابق مني وألفيته بيد رجل من الترك فذهبت إلى انزاعه من يده فقال لي الشيخ ان هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه وكان التركي راغبا في المصاحبة فصاحته بمائة دينار أخذتها منه وتركته له فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيده وأتى به إلى السلطان فامر بتسليمه لا ولا سيده فقتلوه ولم شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة انقطعت إليه ولا زمته وترك الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين وأقت عندة مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوما ويقوم أكثر الليل ولم أزل معه حتى بعث عني السلطان ونشبت في الدنيا ثانية والله تعالى يختم بالخير وسأذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعي إلى الدنيا

— ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك —

حدثني الفقيه الامام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلي افتتحت من أبدي الكفا في سنة أربع وثمانين وخمسمائة وقد قرأت أنا ذلك مكتوبا على محراب الجامع الاعظم بهار أخبرني أيضا انها افتتحت على يد الامير قطب الدين ايبك (واسمه بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الواحدة وكان يلقب سياه (سالار) ومعناه مقدم الجيوش وهو أحد عماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سنغام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك

ابراهيم ابن السلطان الغازي محمود بن سبكتكين الذي ابتداء فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الامير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه وسعي به الى السلطان والقي اليه جلساؤه انه يريد الانفراد بملك الهند وانه قد عصي وخالف وبلغ هذا الخبر الى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلا ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به اليه فلما كان بالغدق عهد السلطان على سريره وأقعد ابيك تحت السرير بحيث لا يظهر وجه الندماء والخواص الذين سعوا به فلما استقروا بهم الجلوس سألهم السلطان عن شأن ابيك فذكروا له انه عصي وخالف وقالوا قد صبح عندنا انه ادعى الملك لنفسه فضرب السلطان سريره برجله فصمق بيديه وقال يا ابيك قال لبيك وخرج عليهم فسقط في أيديهم وفزعوا الى نقبيل الارض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه الزلة واياكم والعودة الى الكلام في ابيك وأمره ان يعود الى بلاد الهند فعاد اليها وفتح مدينة دهلي وسواها واستقر بها الاسلام الى هذا العهد وأقام قطب الدين بها الى ان توفي

— ذكر السلطان شمس الدين المش —

(وضبط اسمه بفتح اللام الاولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم) وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا للامير قطب الدين أبيك وصاحب عسكره نائبا عنه فلما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة اذ ذاك وجيه الدين الكاشاني فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه وقعد القاضي الى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما ارادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا صالحا فاضلا ومن مآثره انه اشتد في رد المظالم وانصاف المظلومين وامران يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعا يلبسون البياض فكان متى فعد للناس اوركب فرأى احدا عليه ثوب مصبوغ نظرفي قضيته وانصفاه ممن ظلمه ثم انه أعيا في ذلك فقال ان بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل واريد تعجيل انصافهم فيجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينظرفي أمره للحين وينصفه ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الاولاد المذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبناتا تسمي رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه

— ذكر السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين —

ولما بوبع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدى على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته فأنكرت ذاك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم الجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم إن أخى قتل أخاه وهو يريد قتلى معه وذكروا أنهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا بأخيه وكان أخوها ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضية — ذكر السلطانة رضية —

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقر بان كما يركب الرجال ولا تستر وجهها ثم أنها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعهما وتزويجها فخلعت وزوجت من بعض أقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين

— ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين —

ولما خلعت رضية ولى ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدة ثم إن رضية وزوجها خالفا عليه وركبا في مما ليكمما ومن تبعهما من أهل الفساد وتبها لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبن متولى الملك بعده فوقع اللقاء وانهمز عسكر رضية وفرت بنفسها فادر كها الجوع واجهدا الأعياء فقصدت حراثا أن تبحرث الأرض فطلبت منه ما ناكله فاعطاها كسرة خبز فأكلتها وغلب عليها النوم وكانت في زى الرجال فلما نامت نظر إليها الحراث رهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباء مرصعا فعلم أنها امرأة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ودفنها في فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق ببيعها فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضر به فأقر بقتلها ودلهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكنفوها ودفنت هنالك وبني عليها قبة وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له إلا مر عشرين سنة وكان ملكا صالحا ينسخ نسخا من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بتمنأه وقد وقفني القاضي كمال الدين على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة ثم إن نائبه غياث الدين بلبن قتلوه وملك بعده ولبلبن هذا خبر ظريف نذكره

— ذكر السلطان غياث الدين بلبن —

(وضبط اسمه بيا بن موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخره نون) ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً ومن مكارمه أنه بني داراً وسماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه ومن دخلها خائفاً أمن ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أربلاء المقتول ومن دخلها من ذوى الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه وبثلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره — حكاية —

يذكر أن أحداً الفقراء ببخاري رأى بها بلبن هذا وكان قصيراً حقيراً دميماً فقال له يا تركك هو لفظه تعرب عن الاحتقار فقال له ليلىك ياخوند فاعجبه كلامه فقال له اشترى من هذا الرمان وأشار إلى رمان يباع بالسوق فقال نعم وأخرج فليسات لم يكن عنده سواها واشترى له من ذلك الرمان فلما أخذها الفقير قال له وهبناك ملك الهند فقبل بلبن يد نفسه وقال قبلت ورضيت واستقر ذلك في ضميره واتفق أن بعث السلطان شمس الدين للمش تاجراً يشتري له الممالك بسمرقند وبخاري وترمز فاشترى مائة مملوك كان من جملة بلبن فلما دخل بالممالك على السلطان أعجبه جميعهم إلا بلبن لما ذكرناه من دمايته فقال لا أقبل هذا فقال له بلبن ياخوند عالم لمن اشتريت هؤلاء الممالك فضحك منه وقال اشتريتهم لنفسى فقال له اشتري أن الله عز وجل فقال نعم وقبله وجعله في جملة الممالك فاحتقر شأنه وجعل في السقائين وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين أن أحد ممالكك ياخذ الملك من يد ابنك ويستولى عليه ولا يزالون يلقون له ذلك وهو لا يلتفت إلى أقوالهم لصلاحه وعدله إلى أن ذكر وأذلك للخاتون الكبرى أم أولاده فذكرت له ذلك وائر في نفسه وبعث على المنجمين فقال انعرفون المملوك الذى ياخذ ملك ابني اذارأ يتموه فقالوا له نعم عندنا علامة نعرفه بها فامر السلطان بعرض ممالكه وجلس لذلك فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والمنجمون ينظرون اليهم ويقولون لم نره بعد وحين وقت الزوال فقال السقائون بعضهم لبعض اننا قد جمعنا شئنا من الدراهم ونبعث أحداً إلى السوق ليشتري لنا ما ناكله فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بلبن إذ لم يكن فيهم أحقر منه فلم يجد بالسوق ما أرادوه فتوجه إلى سوق أخرى وأبطأ وجاءت نوبة السقائين في العرض وهو لم يات بعد فاخذوا زقه وماعونه وجعلوه على كاهل صبي وعرضوه على أنه بلبن فلما نودى باسمه جاز الصبي بين أيديهم وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصورة التي تطلبوها

وجاء بلبن بعد تمام العرض لما أراد الله من انفاذ قضائه ثم انه ظهرت نجاته فجعل أمير السقائين ثم صار من جملة الاجناد ثم من الامراء ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل ان يلى الملك فلماولى الملك جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بلبن واستولى على مملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك وكان للسلطان بلبن ولدان أحدهما الخان الشهيد ولى عهده وكان واليالا بيه بيلادالسند ساكتنا بمدينة ملتان وقتل في حرب له مع التتر وترك وادين كى قبادوكى خسرو وولد السلطان بلبن الثانى يسمى ناصر الدين وكان واليالا بيه بيلاداللكنوتى وبنجالة فلما استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بلبن العهد الى ولده كى خسرو وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين وكان لناصر الدين أيضا ولد ساكن بحضرة دهلي مع جده يسمى معزالدين وهو الذى تولى الملك بعد جده فى خبز عجيب نذكره وأبوه اذ ذاك حى كما ذكرناه

— ذكر السلطان معزالدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن —

ولما توفى السلطان غياث الدين ليلا وابنه ناصر الدين غائب ببيلاداللكنوتى وجعل العهد لابن ابنته الشهيد كى خسرو وحسبما قصصناه كان ملك الامراء نائب السلطان غياث الدين عدوا لكى خسرو قادر عليه حيلة تمت له وهى انه كتب ببيعة دلس فيها على خطوط الامراء الكبار بانهم بايعوا معزالدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كى خسرو كالمتمصح له فقال له ان الامراء قد بايعوا ابن عمك وأخاف عليك منهم فقال له كى خسرو فها الحيلة قال أنج بنفسك هارباً الى بلادالسند فقال وكيف الخروج والابواب مسدودة فقال له ان المفاتيح بيدي وأنا أفتح لك فشكله على ذلك وقبل يده فقال اركب الآن فركب فى خاصته ومما ليكه وفتح له الباب وأخرجه وسدى فى أثره واستاذن على معزالدين فبايعه فقال كيف لى بذلك وولاية العهد لابن عمى فاعلمه بما أدار عليه من الحيلة وباخراجه فشكله على ذلك ومضى به الى دار الملك وبعث الى الامراء والخواص فبايعوا ليلافلما أصبح بايعه سائر الناس واستقام له الملك وكان أبوه حياً ببيلادبنجالة واللكنوتى فاتصل به الخبر فقال أنا وارث الملك وكيف يلى ابني الملك ويستقل به وأنا بقيد الحيلة فتجهزنى جيوشه قاصدا حضرة دهلي وتجهز ولده فى جيوشه أيضا قاصدا المدافعة عنها ففتوا قيا معا بمدينة كراوى على ساحل نهر الكنك الذى تتج الهنود اليه فقتل ناصر الدين على شاطئه مما يلى كراونزل ولده السلطان معزالدين مما يلى الجهة الاخرى والنهر بينهما وعزما على القتال ثم ان الله تعالى أراد حقن دماء المسلمين فالتقى فى قلب ناصر الدين الرحمة لابنه وقال اذا ملك ولدى فذلك شرف وأنا أحق أن أرغب فى ذلك والتقى فى قلب السلطان معزالدين الضراعة لبيه

فركب كل واحد منهما في مركب منفردا عن جيوشه والتقيافي وسط النهر فقبل السلطان رجل أبيه واعتذر له فقال له أبوه قد وهبتك ملكي ووليتك وابعه وأراد الرجوع لبلاده فقال له ابنه لا بد لك من الوصول الى بلادى فضى معه الى دهلى ودخل القصر وأقعدده أبوه على سرير الملك ووقف بين يديه وسمي ذلك اللقاء الذى كان بينهما بالنهر لقاء السعدين لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والتجاني عن المنازعة واكثر الشعراء في ذلك وعاد ناصر الدين الى بلاده فمات بها بعد سنين وترك بها ذرية منهم غياث الدين بهادور الذى أسره السلطان تغلق وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته واستقام الملك معز الدين أربعة أعوام بعد ذلك وكانت كالا عياد رأيت بعض من أدركها يصفه خيرا أنها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه وهو الذى بنى الصومعة بالصحن الشمالى من جامع دهلى ولا نظير لها في البلاد وحكى لى بعض أهل الهندان معز الدين كان يكثر النكاح والشرب فاعتثرته علة أعجز الأطباء دواؤها وبس احد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلاجى (بفتح الخاء المعجم واللام والجيم)

— ذكر السلطان جلال الدين —

ولما اعترى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يبس احد شقيه خاف عليه نائبه جلال الدين وخرج الى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشفى فبعث معز الدين الامراء لقتاله فكان كل من يبعثه منهم يبيع جلال الدين ويدخل في جملة ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام وحدثني من شاهد ذلك ان السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الايام فلم يجد ما ياكل فبعث اليه احد الشرفاء من جيوانه ما أقام أوده ودخل عليه القصر فقتل وولى بعده جلال الدين وكان حليما فاضلا وحلمه اداه الى القتل كما سئذ كره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه وهو الذى أعطاه السلطان محمد لصهره الامير غدا ابن مهني لما زوجه باخته وسيد كرك ذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه ابنته وولاه مدينة كراوما نكبورو وناحياها وهي من أخصب بلاد الهند كثيرة القمح والارز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعة ومنها تجلب الى دهلى وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوما وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها الى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها وكان علاء الدين شهما شجاعا مظفرا منصورا وحب الملك ثابت في نفسه الا انه لم يكن له مال الا ما يستفيد به بسيفه من غنائم الكفار فالتقى انه ذهب مرة الى

الغزو ببلاد الدويقير وتسمى بلاد الكتكتة أيضا وسند كرها وهي كرسى بلاد المالوة والمرهنة وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعمرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابة له عند حجر فسمع له طيننا فامر بالحفر هناك فوجد تحتها كثيرا عظيما فقرقه في أصحابه ووصل الى الدويقير فاذعن له سلطانها بالطاعة ومكنه من المدينة من غير حرب وأهدى له هدايا عظيمة فرجع الى مدينة كرا ولم يبعث الى عمه شيئا من الغنائم فأغرى الناس عمه به فبعث اليه فامتنع من الوصول اليه فقال السلطان جلال الدين أنا أذهب إليه وآتي به فإنه محل ولدى فتجهز في عساكره وطوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج الى لقاء أبيه ناصر الدين وركب النهر برسم الوصول الى ابن أخيه وركب ابن أخيه أيضا في مركب ثان عازما على الفتك به وقال لأصحابه إذا أنا غنقته فاقتلوه فلما التقيا وسط النهر غانقه ابن أخيه وقتله أصحابه وكما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره

— ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلاجي —

ولما قتل عمه استقل بالملك وفر اليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم الى دهلي واجتمعوا على ركن الدين وخرج الى دفاعه فهربوا جميعا الى السلطان علاء الدين وفر ركن الدين الى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الامر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يثنون عليه كثيرا وكان يتفقد امور الرعية بنفسه ويسال عن أسعارهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس في كل يوم برسم ذلك ويذكر ان ساله يوما عن سبب غلاء اللحام فاخبره ان ذلك لكثرة المغرم على البقر في الرتب فامر برفع ذلك وامر باحضار التجار واعطاهم الاموال وقال لهم اشترؤا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبيت المال ويكون لكم أجرة على بيعها ففعلوا ذلك وفعل مثل هذا في الاثواب التي يؤتي بها من دولة ابادو كان اذا غلا ثمن الزرع فتحت الخازن وباع الزرع حتى يرخص السعر ويذكر ان السعر ارتفع ذات مرة فامر ببيع الزرع بثمان عينية فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فامر ان لا يبيع أحد زرعا غير زرع المخزن وباع للناس ستة أشهر فخاف المحتسبون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع فاذن لهم على أن يبيعوه بأقل من القيمة الاولى التي امتنعوا من بيعه بها وكان لا يركب لجمعة ولا لعيد ولا سواهما وسبب ذلك انه كان له ابن اخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويعظمه فركب يوما الى الصيد وهو معه وأضمر في نفسه ان يفعل به ما فعل هو بعمه جلال الدين من الفتك فلما نزل

الغداة رماه بنشابة فصرعه وغطاه بعض عبيده بترس وأني ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد انه قد مات فصدقهم وركب فدخل القصر على الحرم وأفاق السلطان علاء الدين من غشيته وركب واجتمعت العساكر عليه وفر ابن أخيه فادرك وأني به اليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الاولاد خضر خان وشادى خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذى ولى الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتضا عنده ناقص الحظ قليل الخطوة وأعطى جميع اخوته المراتب وهي الاعلام والاطبال ولم يعطه شيئا وقال له يوما لا بد أن أعطيك مثل ما أعطيت اخوتك فقال له الله هو الذى يعطيني فمال أباه هذا الكلام ووقع منه ثم ان السلطان أصابه المرض الذى مات منه وكانت زوجته أم ولده خضر خان وتسمى ماه حق والماء القمر بلسانهم لها أخ يسمى سننجر فعاهدت أخاها على تملك ولدها خضر خان وعلم بذلك ملك نائب أكبر أمراء السلطان وكان يسمى الاتقى لان السلطان اشتراه بألف تنكة وهي الفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشى الى السلطان بما اتفقوا عليه فقال لخواصه اذا دخل على سننجر فاني معطيه ثوبا فاذا لبسه فامسكوا بابكاه واضربوا به الارض واذبحوه فلما دخل عليه ففعلوا ذلك وقتلوه وكان خضر خان غائبا بموضع يقال له سندبت على مسيرة يوم من دهلي توجه لزيارة شهداء مدفونين به لئذ كان عليه ان يمشى تلك المسافة راجلا ويدعو الوالد بالراحة فلما بلغه ان أباه قتل خاله حزن عليه حزنا شديدا ومزق جيبه وتلك عادة لاهل الهند يفعلونها اذا مات لهم من يعز عليهم فبلغ والداه مافعله فبكروا ذلك فلما دخل عليه عنقه ولأمه وأمر به فقيدت يداه ورجلاه وسلمه للملك نائب المذكور وأمره أن يذهب به الى حصن كاليور وضبطه (بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضا كيالير بزيادة ياء ثانية وهو حصن منقطع بين كفار الهند ومنيع على مسيرة عشر من دهلي وقد سكنته أنامدة فلما أوصله الى هذا الحصن سلمه للاكتوال وهو أمير الحصن والمفردين وهم الزماميون وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فتمكرموه انما هو اعدى عدوه فاحفظوه كما يحفظ العدو ثم ان المرض اشتد بالسلطان فقال للملك نائب ابعت من ياتي بابني خضر خان لا وليه العهد فقال له نعم وماطله بذلك فمضى سالا عنه قال هو ذا يصل الى أن توفي السلطان رحمه الله

— ذكر ابنه السلطان شهاب الدين —

ولما توفي السلطان علاء الدين أقعد ملك نائب ابنه الاصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتلقب ملك نائب عليه وسمل أعين أبي بكر خان وشادى خان وبعث بهما

الى كاليور وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك وسجنوا وسجن قطب الدين لكنهم لم تسمل عينيه وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصه يسمى أحدهما ببشرو والآخر بمشرفبعثت اليهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين وهي بنت السلطان معز الدين فذكرتهم بنعمة مولاهما وقالت ان هذا الفتى نائب ملك قد فعل في أولادي ما تعلمانه وأنه يريد ان يقتل قطب الدين فقال لها سترين ما نفعل وكانت عادتاهما ان يبيتا عند نائب ملك ويدخلا عليه بالاسلح قد خلا عليه تلك الليلة وهو في بيت من الخشب مكسوبا باللف يسمى بسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فاتفق انه أخذ السيف من يد أحدهما فقلبه وردده اليه فضر به المملوك وتنى عليه صاحبه واحتزار أسه واتيا به الى مجلس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كان نائب له ثم عزم على خلع خلعاه

— ذكر السلطان قطب الدين بن السلطان علاء الدين —

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع أصبعه وبعث به الى كاليور فحبس مع اخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي الى دولة اياك وهي على مسيرة اربعين يوما منها والطريق بينهما تكنفه الاشجار من الصفصاف وسواه فكان الماشي به في بستان وفي كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد وقد ذكرنا ترتيبه وفي كل داوة جميع ما يحتاج المسافر اليه فكانه يمشي في سوق مسيرة الاربعين يوما وكذلك يتصل الطريق الى بلاد التلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفي كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر فلا يفتقر الفقير الى حمل زاد في ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة اتفق بعض الامراء على الخلاف عليه وتولية واد أخيه خضر خان المسجون وسنه نحو عشرة أعوام وكان مع السلطان فبلغ السلطان ذلك فاخذ ابن أخيه المذكور وأمسك برجله وضرب برأسه الى الحجارة حتي نثر دماغه وبعث احد الامراء ويسمي ملك شاه الى كاليور حيث أبوهذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعا فحدثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن قال قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان بحبس فسمع بقدمه خاف وتغير لونه ودخل عليه الامير فقال له فيما جئت قال في حاجة خذني الى عالم فقال له نفسي سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكتوال وهو صاحب الحصن والمفردين وهم الزماميون وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث على وعن العدول واستظهر بامر السلطان فقرؤه واتوا الى شهاب الدين المخلوع فضر بوا عنقه

وهو مثبت غير جزع ثم ضر بواغنى أبي بكر خان وشادي خان ولما أنوا ليضر بواغنى خضر خان فزع وذهل وكانت أمه معه فسدوا الباب دونها وقتلوه وسحبوهم جميعا في حفرة بدون تكفين ولا غسل وأخرجوا بعد سنين فدفنوا بمقابر آبائهم وعاشت أم خضر خان مدة ورأتها بمكة سنة ثمان وعشرين وحصن كاليور هذا في رأس شاهق كأنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل وبداخله جباب الماء ونحو عشرين ثرا عليها الاسوار مضافة الى الحصن منصوبا عليها الحانق والرعادات ويصعد الى الحصن في طريق متسعة يصعد بها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة فيال واذا رآه الانسان على البعد لم يشك انه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلها بالحجارة البيض المنحوتة مساجدها ودورها ولا خشب فيها ماعدا الابواب وكذلك دار الملك بها والقباب والجالس وأكثر سوقها كفار وفيها سائمة فارس من جيش السلطان لا يزالون في جهاد لانها بين الكفار ولما قتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من يتنازعه ولا من يخاف عليه بعث الله تعالى عليه خاصته الحظي لديه أكبر أمراءه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسر وخان فقتل به وقتله واستقل بملكه الا ان مدته لم تطل في الملك فبعث الله عليه أيضا من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق حسبا يشرح ذلك كله مستوفى ان شاء الله تعالى أن هذا ونسطره

— ذكر السلطان خسر وخان ناصر الدين —

وكان خسر وخان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جندبرى و بلاد المعبر وهى من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلى مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه حباً شديداً ويؤثره فخر ذلك حقه على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمى قاضى خان صدر الجهان وهو أكبر أمراءه وكنيت (كلید) داروهو صاحب مفاتيح القصر وعادته ان يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مناوبة بين أربع ليال و يكونون صفين فيما بين ابواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد الا فيما بين ساطيهم واذ اتم الليل أي أهل نوبة النهار ولاهل النوبة أمراء وكتاب يطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قاضى خان يكره أفعال خسر وخان ويسوء دمايره من ايشاره لكنفار الهنود وميله اليهم وأصله منهم ولا يزال يلقى ذلك الى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه وما يريد لما اراد الله من قتله على يديه فلما كان في بعض الايام قال خسر وخان للسلطان ان جماعة

من الهنود يريدون ان يسلموا ومن عاديهم بتلك البلاد ان الهندي اذا اراد الاسلام ادخله الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وآساور من ذهب على قدره فقال له السلطان ائتني بهم فقال انهم يستحيون ان يدخلوا اليك نهارا لاجل اقر بائهم وأهل ملتهم فقال له ائتني بهم ليلا فجمع خسرو خان جماعة من شجعان الهنود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أو ان الحر والسلطان ينام فوق سطح القصر ولا يكون عنده في ذلك الوقت الا بعض الغتيان فلما دخلوا الابواب الاربعه وهم شاكون في السلاح ووصلوا الى الباب الخامس وعليه قاضي خان أنكر شأنهم وأحس بالشر فمنعهم من الدخول وقال لا بد أن أسمع من خوند عالم بنفسى الاذن في دخولهم وحينئذ يدخلون فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه وعلت الضيحة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسرو خان هم الهنود الذين أتوا ليسلموا فمنعهم قاضي خان من الدخول وزاد الضجيج فخاف السلطان وقام يريد الدخول الى القصر وكان به مسدودا والغتيان عنده فقرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصرعه ودخل الهنود فقال لهم خسرو خان هوذا فوقى فاقتلوه بقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر الى صحنه وبعث خسرو خان من حينه عن الامراء والملوك وهم لا يعلمون بما اتفق فكاد دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بامرهم وكتب المراسم وهى الاوامر الى جميع البلاد وبعث لكل أمير خلاة فطاعوا له جميعا وادعوا الى ان تغلق شاه ولد السلطان محمد شاه وكان اذ ذاك أميراً بدبال بور من بلاد السند فلما وصلت خلة خسرو خان طرحها بالارض وجلس فوقها وبعث اليه اخاه خان خانان فمزهمهم ثم آل أمره الى ان قتله كما سنشرح في اخبار تغلق ولما ملك خسرو خان أثر الهنود وأظهر امورا منكرا منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود فانهم لا يحجزون ذبحها وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط في جلدها ويحرق وهم يعظمون البقر ويشرّبون ابوالهالبركة وللأسف اذا مرضوا ويلطخون بيوتهم وحيطاطهم باروائهم وكان ذلك مما بغض خسرو خان الى المسلمين وأمالهم عنه الى تغلق فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت ايام ملكه كما سنذكره

— ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه —

(وضبط اسمه بضم التاء المعلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين بن الشيخ الصالح شمس الدين أبى عبدالله ابنه الولي الامام العالم العابد بهاء الدين زكريا القرشي الملقب في بزائه بيه منها ان السلطان تغلق كان

من الا تراك المعروفين بالقرونة (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون
بالجبال التي بين بلاد السند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد السند في خدمة بعض
التجار وكان كلوا نباله والكلواني (بضم الكاف المعقودة) هوراعى الخيل (جلوبان) وذلك
على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند اذ ذاك أخوه أولوخان (بضم الهمزة واللام)
نقدمه تغلق وتغلق بجانبيه فرتبه في البياة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف)
وهم الرجالة ثم ظهرت نجا بته فأنبت في الفرسان ثم كان من الامراء الصغار وجعله أولوخان
أمير خيله ثم كان بعد من الامراء الكبار وسمى بالملك الغازي ورأيت مكتوبا على مقصورة
الجامع بملتان وهو الذي أمر بعملها اني قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتمهم فحينئذ سميت
بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولاء مدينة دبال بور وعما لها (وهي بكسر الدال المهملة
وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى جونة
(بفتح الجيم والنون) ولما ملك تسمى بمحمد شاه ثم لما قتل قطب الدين وولى خسرو خان
أبقاه على امارة الخيل فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم
في القتال وكتب الى كشلو خان وهو يومئذ بملتان وبينهما دبال بور ثلاثة أيام يطلب
منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره وكان ولد كشلو خان
دهلي فكتب الى تغلق انه لو كان ولدي عندى لا اعتك على ما تريد فكتب تغلق الى ولده
محمد شاه يعلمه بما عزم عليه ويأمره أن يفر اليه ويستصحب معه ولد كشلو خان دار
ولده الحيلة على خسرو خان وتمت له كما أراد فقال له ان الخيل قد سمنت وتمتنت وهي
تحتاج البراق وهو التضمير فاذن له في تضميرها فكان يركب كل يوم في أصحابه فيسير بها
الساعة والساعتين والثلاث واستمر الى اربع ساعات الى أن غاب يوما الى وقت الزوال
وذلك وقت طعامهم فامر السلطان بالركوب في طلبه فلم يوجد له خبر ولحق بابيه واستصحب
معه ولد كشلو خان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف وجمع العساكر وخرج معه كشلو خان في
أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزماده شرهزيمة وفر عسكره اليهما ورجع
خان خانان الى أخيه وقتل أصحابه وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهلي
وخرج اليه خسرو خان في عساكره ونزل بخارج دهلي بموضع يعرف بأصميا اباد (آسيا باد)
ومعنى ذلك رحي الربح وأمر بالخزائن ففتحت وأعطى الاموال بالبدل لا بوزن ولا عدد
ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهندود أشد قتال وانهمزمت عساكر تغلق ونهبت
محلته وانفرد في أصحابه الاقدمين الثلاثمائة فقال لهم الى أين الفرار حيثما أدركنا قتلناه

واشتغلت عساكر خسر وخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل فقصد تغلق وأصحابه
 موقفه والسلطان هناك يعرف بالشرط (جتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار
 مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا
 حضر فلما قصده تغلق وأصحابه حذى القتال بينهم وبين الهنود وانهمز أصحاب السلطان ولم
 يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورمى بثيابه وسلاحه وبقي في قميص واحد وارسل
 شهره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند ودخل بستانا هناك واجتمع الناس على تغلق وقصد
 المدينة فأنه الكتوال بالمقاتلة ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلوخان أنت
 تكون السلطان فقال لكشلوخان بل أنت تكون السلطان وتنازعا فقال له كشلوخان فان
 أبيت أن تكون سلطانا فيتولى ولدك فكره هذا وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وبابه
 الخاص والعام ولما كان بعد ثلاث اشتد الجوع بخسر وخان وهو محتف بالستان فخرج
 وطاف به فوجد القيم فسأله طعاما فلم يكن عنده فاعطاه خاتمه وقال اذهب فارهنه في طعام
 فلما ذهب بالختام الى السوق أنكر الناس أمره ورفعوه الى الشحنة وهو الحاكم فادخله
 على السلطان تغلق فأعلمه بمن دفع اليه الخاتم فبعث ولده مجدا لياقي به فقبض عليه
 وأناه بمراكبها على تتو (بتائين مشتاين أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة) وهو
 البرزون فلما مثل بين يديه قال له اني جائع فاتنى بالطعام فامر له بالشرية ثم بالطعام
 ثم بالقفاح ثم بالتنبول فلما أكل قام قائما وقال يا تغلق افعلى معى فعل الملوكة ولا تقضحنى
 فقال له لك ذلك وأمر به فضربت رقبته وذلك فى الموضع الذى قتل هو به قطب الدين
 ورمى برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله
 وتكفينه ودفن فى مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عادلا فاضلا

— ذكر مرامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك —

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده ليفتح بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلو
 واللام وسكون النون وكاف معقودة) وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلى
 وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الامراء مثل الملك تمور (بفتح التاء المعلو وضم الميم وآخره
 راء) ومثل الملك تكين (بكسر التاء المعلو والكاف وآخره نون) ومثل ملك كافور المهر دار
 (بضم الميم) ومثل ملك بيرم (بالباء الموحدة مفتوحة والياء آخر الحروف والراء مفتوحة)
 وسواهم فلما بلغ الى أرض التلنك اراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف
 يعيد فامر به أن يلقى الى الناس ان السلطان تغلق توفي وظنه أن الناس يبايعونه مسرعين

إذا سمعوا ذلك فلما إلى ذلك إلى الناس أنكره الامراء وضرب كل واحد منهم طبله وخالف فلم يبق معه من أحد وأرادوا قتله فمنعهم منه ملك تمورو قام دونه فقرا إلى أبيه في عشرة من الفرسان سهام ياران موافق معناه الاصحاب الموافقون فاعطاه أبوه الاموال والعساكر وأمره بالعود إلى تلك فعاد اليها وعلم أبوه بما كان أراد فقتل الفقيه عبيدا وأمر بملك كافور المهر دار فضربه عمه وود في الارض محدود الطرف وركب في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه إلى أسفل وترك على تلك الحال وفر من بقي من الامراء إلى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن واستقر واعنده

— ذكر مسير تغلق إلى بلاد اللكنوتى وما اتصل بذلك إلى وفاته —

وأقام الامراء الهاربون عند السلطان شمس الدين ثم ان شمس الدين توفى وعمه دولود شهاب الدين فجلس مجلس أبيه ثم غلب عليه أخوه الاصغر غياث الدين بهادور بوره ومعناه بالهندية الاسود واستولى على الملك وقتل أخاه قطلو خان وسائر إخوته وفر شهاب الدين وناصر الدين منهم إلى تغلق فتجهز معهما بنفسه لقتال أخيهما وخلف ولده محمد نائبا عنه في ملكه وجد السير إلى بلاد اللكنوتى فتغلب عليها واسر سلطانها عيات الدين بهادور ووقدم به أسيرا إلى حضرته وكان بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردد إليه ويعظم خدامه ويسأله الدعاء وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه فقال ابن السلطان لخدمه اذا كان الشيخ في حاله التي تغلب عليه فاعلموني بذلك فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهينالك الملك ثم توفى الشيخ في أيام غيبة السلطان فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فانكره وتوعدوه وكان قد راى به منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء الممالك واجزاله العطايا واستجلا به قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فيتوعدهم ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصرا وهم يسمونه الكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على واد هنالك يسمى أفغان بورقناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعا على الارض قائما على سواري خشب وأحكمه بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بنواجة جهان واسمه أحمد بن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان اذ ذاك شدة العمارة وكانت الحكمة التي اخترعها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ونزل السلطان بالقصر وأطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فاذنه وحدثني الشيخ ركن الدين

انه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد ابن السلطان فقال للشيخ ياخوند هذا وقت العصر انزل فصل قال لى الشيخ فنزلت وأتى بالافيال من جهة واحدة حسب ادبروه فلما وطئتها سقط الكشك على السلطان وو لده محمود قال الشيخ فسمعت الضجة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فامر ابنته أن يؤتي بالقوس والمساحي للحفر عنه وأشار بالابطاء فلم يؤت بهما الا وقد غربت الشمس فحفروا ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقية الموت فزعم بعضهم انه أخرج ميتا وزعم بعضهم أنه أخرج حيا فاجهز عليه وحمل ليلا الى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق آباد دفن بها وقد ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره وبها القصر الاعظم الذي جعل قراميده مذهبة فاذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من ادامة النظر اليها واخترن بها الاموال الكثيرة ويذكر انه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب افرغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولى وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان في بناء الكشك الذى سقط على تغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه وإبنه لدية فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم

— ذكر السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه

ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه —

ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا تخالف عليه وقد قدمنا انه كان اسمه جونة فلما ملك تسمى بمحمد واكتني بابى المجاهد وكل ما ذكرنا من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوى قاضى القضاة وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوفى ببلاده — ذكر وصفه — وهذا الملك أحب الناس فى إساءة العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو بابه عن فقير يغني أوحى يقتل وقد شهرت فى الناس حكاياته فى الكرم والشجاعة وحكاياته فى الفتك والبطش بذوى الجنائيات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهارا للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد فى أمر الصلاة والعقوبة على تركها وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتادين نقيبتهم ولكن الاغلب عليه الكرم وسند كرم من أخباره فى عجائب لم يسمع بمثله عمن تقدموه وأنا اشهد بالله وملائكته ورسله ان جميع ما نقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا واعلم ان بعض ما نثره من ذلك لا يسمع فى عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولكنته شئ عاينته وعرفت

صحنته واخذت بحظو افر منه لا يسعني الا قول الحق فيه واكثر ذلك ثابت بالتواتر في بلاد

المشرق — ذكر ابوابه ومشوره وترتيب ذلك —

ودار السلطان بدلهى تسمى دار سرى (بفتح السين المهمل والراء) ولها ابواب كثيرة فاما الباب الاول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الانفار والابواق والصرنايات فاذا جاء أمير او كبير ضربوا ويقولون فى ضربهم جاء فلان جاء فلان وكذلك ايضا فى البابين الثانى والثالث وبخارج الباب الاول دكا كين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون الناس فان العادة عندهم انه متى أمر السلطان يقتل أحد قتل على باب المشور ويقتل هنالك ثلاثا وبين البابين الاول والثاني دهليز كبير فيه دكا كين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الابواب واما الباب الثانى فيقعد عليه البوابون الموكلون به وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب بمسكة بيده وعلى رأسه كلاة من الذهب بجوهره فى أعلاه ريش الطواويس والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفى وسطه منطقة ويده سوط نصابه من ذهب او فضة ويقضى هذا الباب الثانى الى مشور كبير متمسح يقعد به الناس واما الباب الثالث فعليه دكا كين يقعد فيها كتاب الباب ومن عوائدهم ان لا يدخل على هذا الباب أحد الا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل انسان عددا من أصحابه وناسه يدخلون معه وكل من يأتى الى هذا الباب يكتب الكتاب ان فلا نجاح فى الساعة الاولى والثانية او ما بعدها من الساعات الى آخر النهار ويطالع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون أيضا بكل ما يحدث بالباب من الامور وقدين من أبناء الملوك من يوصل كل ما يكتبونه الى السلطان ومن عوائدهم ايضا انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة ايام فصاعدا العذر او لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها الا باذن من السلطان فان كان له عذر من مرض او غيره قدم بين يديه هدية مما يناسب اهداءها الى السلطان وكذلك أيضا القادمون من الاسفار فاللقية يهدي المصحف والكتاب وشبه الفقير يهدي المصلي والسبعة والمسواك ونحوها والامراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح وهذا الباب الثالث يفضى الى المشور الهائل الفسيح الساحة المسمى هزار اسطون (بفتح الهاء والزاي وألف وراء) ومعنى ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبداع نقش يجلس الناس تحتها وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام — ذكر ترتيب جلوسه للناس —

واكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس اول النهار وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض

فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك وقعوده كجلوس الانسان للتشديد في الصلاة وهو جلوس أهل الهند كلهم فاذا جلس وقف أمامه الوزير وقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان وثانيه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يتلوه خاص حاجب ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الادار وثانيه وشرف الحجاب وسيد الحجاب وجماعة تحت ايديهم ثم يتلوا الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم بسم الله ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قبوله ويديه المذبة يشردها بالذباب ويقف مائة من السحدا رية عن يمين السلطان ومثلهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسي ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة ويليهِ خطيب الخطباء ثم سائر القضاة ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء المشايخ ثم اخوة السلطان واصهاره ثم الامراء الكبار ثم كبار الاعزة وهم الغرباء ثم القواد ثم يؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية فمنها ما هو بشعار الخلافة وهي التي لجمها ودراثرها من الحرير الاسود المذهب ومنها ما يكون ذلك من الحرير الابيض المذهب ولا يركب بذلك غير السلطان فيوقف البصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال بحيث يراها السلطان ثم يؤتى بخمسين فيلًا مزينة بذياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد اعداد القتل أهل الجرائم وعلى عنق كل فيل فياله ويده شبه الطبرزين من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة واكثر من ذلك ودونه على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه ويكون في أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام مركززة وتلك الفيلة معلمة أن تخدم السلطان وتحيط رؤسها فاذا خدمت قال الحجاب بسم الله بأصوات عالية ويوقف ايضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الميمنة أو الميسرة يخدم عند موقف الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدرة ارتفاع صوت الذي يخدم فاذا خدم انصرف الى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه ابدا ومن كان من كفار الهنود يخدم ويقول له الحجاب والنقباء هداك الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترس والسيوف فلا يمكن احدا الدخول بينهم الا بين يدي الحجاب القائم بين يدي السلطان

— ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا اليه —

وان كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب الى السلطان على ترتيبهم

يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه ثم خاص حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه خلفه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون في ثلاثة مواضع ويعلمون السلطان بمن في الباب فإذا أمرهم أن يأتوا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إلى السلطان ثلاث مرات ثم يخدم عند موقف الحجاب فان كان رجلاً كبيراً وقف في صف أمير حاجب والواقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه أطف خطاب ويرحب به وان كان ممن يستحق التعظيم فإنه يصاحفه أو يعانقه ويطلب بعض هديته فتحضر بين يديه فان كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها جبر الخاطر مهدياً أو يناسله ورفقابه وخلع عليه وأمر له بال لغسل رأسه على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي

— ذكر دخول هدايا عمله اليه —

وإذا أتى العمال بالهدايا والاموال المجتمعة من مجاني البلاد صنعوا الاواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والابريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعاً شبه الآجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المعجمة وسكون الشين المعجم وتاء معلولة) ويقف العراشوان وهم عميد السلطان صفوا الهدية بأيديهم كل واحد منهم ممسك قطعة ثم يقدم القبيلة ان كان في الهدية شيء منها ثم الخليل الممرجة الملقبة ثم البغال ثم الجمال عليها الاموال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها في ظاهر مدينة بيانة فادخلت الهدية اليه على هذا الترتيب ورأيت في جملتها صينية مملوءة باحجار الياقوت وصينية مملوءة باحجار الزمرد وصينية مملوءة بالؤلؤ الفاخر وكان حاجي كاوان ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضراً عنده حين ذلك فاعطاه حظاً منها وسند ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى

— ذكر خروجه للعديد وما يتصل بذلك —

وإذا كانت ليلة العيد بعث السلطان إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة والاعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعديد وأهل الاخبار الخلع التي تعمم جميعاً فإذا كانت صبيحة العيد زينت القبيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيل لا يركبها احد انما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شرطاً (جتراً) من الحرير مرصعة بالجواهر قائمة كل شطر منها ذهب خالص وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ويركب السلطان فيل منها وترفع امامه العاشية وهي ستارة سرجه وتكون مرصعة بانفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومما يليه وكل واحد منهم يكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه

منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر ويمشي بين يديه أيضا النقباء وهم نحو ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم أقر وذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصا بها ذهب ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة كل واحد منهم على فيل وجميع القرباء عندهم بسمون الخراسانيين ويركب المؤذنون ايضا على الفيلة وهم بكبرون ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعساكر تنتظره كل أمير بفوجه على حدة معه طبوله واعلامه فيقدم السلطان وامامه من ذكرناه من المشاة وامامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان مراتبه وهي الاعلام والطبول والابواق والانفار والصرايات وخلفهم جميع أهل دخلته ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره ثم يليه الوزير مراتبه وعساكره ثم يليه الملك مجير ابن ذي الرجا بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره وهذا الملك كبير القدر عنده عظيم الجاه كثير المال اخبرني صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين على المصري المعروف بابن الشرايشي ان نفقته ونفقة عبيده ومراتبهم ستة وثلاثون لكافي السنة ثم يليه الملك نكبة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره وهؤلاء هم الامراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب ويركب غيرهم من الامراء دون مراتب وجميع من يركب في ذلك اليوم يكون مدرعا هو وفروسه وأكثرهم مماليك السلطان فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزة ثم نزل السلطان ويصلي الامام ويخطب فان كان عيد الاضحى أتى السلطان بحمل فنحره برح يسمونه النيرة (بكسر النون وفتح الزاي) بعد أن يجعل على ثيابه فوطه حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود الى قصره

— ذكر جلوس يوم العيد وذكر السرير الاعظم والمبخرة العظمى —

يفرش القصر يوم العيد ويزين بأبداع الزينة وتضرب الباركة على المشوركله وهي شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الازهار ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الاعظم في صدر المشور وهو

من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شبراً و عرضه نحو النصف من ذلك وهو منفصل وتجمع قطعه فتتصل وكل قطعة منها يحملها جملة رجال لتقل الذهب وتجعل فوق الكرسي ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعند ما يصعد على السرير ينادى الحجاب والنقباء بصوات عالية بسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فالهزم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ وإخوة السلطان وأقاربه وأصحابه ثم الاعزة ثم الوزير ثم أمراء العساكر ثم شيوخ المالكة ثم كبار الأجناد يسلم واحد إثر واحد من غير ترأحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيد أن كل من بيده قرية منعم بها عليه ياتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقه مكتوب عليها اسمه فيلقبها في طست ذهب هنالك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمية وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة فإذا أرادوا اتصالها وصلوها وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون بوقدون العود القماري والفاقل والعنبر الأشهب والجواوي حتى يعم داخلها المشور كله ويكون بأيدي الفتيان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الأول منها عماد الملك سرتيز وعلى الباب الثاني الملك نكيمة وعلى الباب الثالث يوسف بغرة ويقف على اليمين أمراء المالكة السليمانية وعن اليسار كذلك ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طغجي بيده عصا ذهب ويبدئ بتهنئة عصافضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء ثم ياتي أهل الطرب فالهزم بنات الملوك الكفار من أهل السودان المسييات في تلك السنة فيغتنين ويرقصن ويهمن السلطان للأمراء والاعزة ثم ياتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغتنين ويرقصن ويهمن لآخوانه وأقاربه وأصحابه وبنات الملوك ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر أيضاً على ذلك الترتيب ويؤتي بالمغنيات فيغتنين ويرقصن ويهمن لأمراء المالكة وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم وفي اليوم الرابع يعتق العيد وفي اليوم الخامس يعتق الجواوي وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجواوي وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها

— ذكر ترتيبه إذا قدم من سفره —

وإذا قدم السلطان من أسفاره زينت القيلة ورفعت على ستة عشر فيلًا منها ستة عشر شطرا منها مزرکش ومنها مرصع وحملت امامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجواهر النفيس وتصنع قباب الخشب مقسومة على طبقات وتنكس بثياب الحرير ويكون في كل طبقة الجوارى المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حليه ومنهن رواقص ويحصل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلولاً بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدى أو غريب وكل من يشرب منه يعطى التنبول والفوفل ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطا عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذى يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشى امامه المشاة من عبيده وهم آلاف وتكون الافواج والعساكر خلفه ورأيته في بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على القيلة ترمى بالدنانير والدرهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله الى المدينة حتى وصل الى قصره

— ذكر ترتيب الطعام الخاص —

والطعام بدار السلطان على صنفين طعام الخاص وطعام العام فاما الخاص فهو طعام السلطان الذى يأكل منه وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الامراء الخواص وأمير حاحب ابن عم السلطان وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الاعزة أو كبار الامراء دعاه فاكل معهم وربما أراد أيضا تشريف أحدهم الحاضرين فاخذ أحدهم الصحف بيده وجعل عليها خبزة ويعطيه اياها فياخذها المعطى ويجعلها على كفه اليسرى ويخدم بيده اليمنى الى الأرض ورءاه بعث من ذلك الطعام الى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضرون وياكله مع من حضره وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلا

— ذكر ترتيب الطعام العام —

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ وامامه النقباء يصيحون بسم الله ونقيب النقباء امامهم بيده عمود ذهب ونائبه معه بيده عمود فضة فاذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من المشور أصواتهم قاموا قیاما أجمعين ولا يبقى أحد قاعدا الا السلطان وحده فاذا وضع الطعام بالأرض اصطفت النقباء صفوا ووقف أميرهم امامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثنى عليه ثم يخدم النقباء لخدمته ويخدم جميع من المشور من كبير وصغير وعادتهم انه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف ان كان ماشيا ولزم موقفه ان كان واقفا ولا

يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام ثم يتكلم أيضا نائبه كلاما نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معرفين بحضور الطعام وان كان السلطان قد علم بحضوره ويعطى المكتوب أصبى من أبناء الملوك موكل بذلك فيأتي به الى السلطان فاذا قرأه عين من شاء من كبار الامراء لترتيب الناس واطعامهم وطعامهم الرقاق والشواء والاقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والارز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبهم وعادتهم ان يكون في صدر سباط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الامراء الكبار ثم سائر الناس ولا يقعد أحد الا في موضع معين له فلا يكون بينهم نزاحم البتة فاذا جلسوا ألقى الشريف اريكة وهم السقااة بأيديهم اواني الذهب والفضة والنيحاس والزجاج مملوءة بالنسبات الحلو بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام فاذا شربوا قال الحجاب بسم الله ثم يشرعون في الاكل ويجعل امام كل انسان من جميع ما يحتوى عليه السباط ياكل منه وحده ولا ياكل أحد مع أحد في صحفة واحدة فاذا فرغوا من الاكل أتوا باللقاق في اكواز القصدير فاذا أخذوه قال الحجاب بسم الله ثم يؤتى باطباق التنبول والفوفل فيعطى كل انسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر فاذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب بسم الله فيقومون جميعاً ويخدم الامير المعين للطعام ويخدمون لخدمته ثم ينصرفون وطعامهم مرتان في اليوم احداها قبل الظهر والاخرى بعد العصر — ذكر بعض اخباره في الجود والكرم —

وانما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعاينته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيدا مع ان الذي احكيه مستفيض متواتر والبلاد التي تقرب من أرض الهند كاليمين وخراسان وفارس مملوءة باخباره يعلمونها حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فانه يفضلهم على اهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الاحسان ويسبغ عليهم الانعام ويوليهم الخطط الرفيعة ويوليهم المواهب العظيمة ومن إحسانه اليهم أن سماهم الاعزة ومنع من ان يدعوا الغرباء وقال ان الانسان اذا دعى غريبا انكسر خاطره وتغير حاله وساذكر بعضا مما لا يحصى من عطاياه الجزيلة ومواهبه ان شاء الله تعالى

— ذكر عطاءه لشهاب الدين الكازروني التاجر وحكايته —

كان شهاب الدين هذا صديقا لملك التجار الكازروني الملقب ببروز وكان السلطان قد أقطع ملك التجار مدينة كنباية ووعد ان يوليه الوزارة فبعث الى صديقه شهاب الدين ليقدم

عليه فاتاه وأعد هدية للسلطان وهي سراجة من الملف المقطوع المزين بورقة الذهب وصيوان
 حمايتاسمها وخباء وتابع وخباء راحة كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة فلما قدم
 شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجده أخذاً في القدوم على الحضرة بما
 اجتمع عنده من مجابي بلاده وهدية للسلطان وعلم الوزير خواجه جهان بما وعده به السلطان
 من ولاية الوزارة فغار من ذلك وقلق بسببه وكانت بلاده كنباية والجزرات قبل تلك المدة
 في ولاية الوزير ولاهلها تعلق بجانبيه وانقطاع اليه وتخدم له واكثرهم كفار وبعضهم عصاة
 يمتنعون بالجبال فدى الوزير اليهم ان يضربوا على ملك التجار اذا خرج الى الحضرة
 فلما خرج بالخزائن والاموال ومعه شهاب الدين بهديته نزولوا بماعند الضحى على عادتهم
 وتفرقت العساكر ونام اكثرهم فضر بهم الكفار في جمع عظيم فقتلوا ملك التجار
 وسلبوا الاموال والخزائن وهدية شهاب الدين ونجا هو بنفسه وكتب المخبرون
 الى السلطان بذلك فامر ان يعطي شهاب الدين من مجبي بلاد نهر والة ثلاثين ألف دينار
 و يعود الى بلاده فعرض عليه ذلك فابي من قبوله وقال ما قصدى الارؤية السلطان وتقييل
 الارض بين يديه فكتبوا الى السلطان بذلك فاعجبه قوله وامر بوصوله الى الحضرة مكرما
 وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه فخلع علينا جميعا وأمر بانزالنا
 وأعطى شهاب الدين عطاء جزلا فلما كان بعد ذلك أمر الى السلطان بستة آلاف تنكه كما
 سئذ كره وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين اين هو فقال له بهاء الدين ابن الفلكي ياخوند
 عالم نريد انهم معنا ما نري ثم قال له شنيدم زحمت دارد (دار) معناه سمعت ان به مرضا
 فقال له السلطان بروهمين زمان در خزانه يك لك تنكه زربكرى أوبيشن أوبيرى تادل
 أوخش (خوش) شود معناه امش الساعة الى الخزانه وخذ منها مائة ألف تنكه من
 الذهب واحملها اليه حتى يبقى خاطره طيبا ففعل ذلك فاعطاه اياها وامر السلطان ان يشتري
 بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشتري أحدا من الناس شيئا حتى يتجهز هو وأمر له بثلاثة
 مراكب مجهزة من آلاتها ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها فسافر ونزل بمجزرة
 هر مزوني بهادارا عظيمة رأيتها بعد ذلك ورأيت أيضا شهاب الدين وقد فني جميع
 ما كان عنده وهو بشير از يستجدى سلطانها أباسحق وهكذا مال هذه البلاد الهندية فلما
 يخرج أحد به منها الا التادروا اذا خرج به ووصل الى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة
 تقنى ما بيده كثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فانه أخذله في الفتنة التي كانت بين ملك
 هر مزو ابني أخيه جميع ما عنده وخرج سليمان ماله

— ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين —

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبي العباس وطلب منه أن يبعث له أمر التقديم على بلاد الهند والسند اعتقاداً منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ماطلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين فلمّا قدم عليه بالغ في اكرامه وأعطاه عطاء جزلاً وكان يقوم له متى دخل عليه وبعضه ثم صرفه وأعطاه أموالاً طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له اذا نزلت من البحر فانهل افراسك بهافتوجه الى كنيابة ليركب البحر منها الى بلاد اليمن فوقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذته مال ابن الكولي فأخذ أيضاً ما كان لشيخ الشيوخ وفر بنفسه مع ابن الكولي الى السلطان فلمّا رآه السلطان قال له ما زحامدى كزر (كذر) برى بادكري (دلرباي) صنم خرى زر نيري وسرنهي معناه جئت لتحمل الذهب تا كاه مع الصور الحسان فلا تحمل ذهباً ورأسك تخليه هاهنا قال له ذلك على معني الانبساط ثم قال له اجمع خاطرك فها أنا سائر الى الخلقين وأعطيك اضعاف ما اخذوه لك وبلغني بعد الانفصال عن بلاد الهند انه وفي له بما وعده وأخلف له جميع ماضع منه وانه وصل بذلك الى ديار مصر

— ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين —

وكان هذا الفقيه الواعظ قدّم على السلطان وأقام تحت احسانه مدة عام ثم أحب الرجوع الى وطنه فاذن له في ذلك ولم يكن سمع كلامه ووعظه فلمّا خرج السلطان يقصد بلاد المعبر أحب سماعه قبل انصرافه فامر أن يهبأ له منبر من الصندل الابيض المقاصري وجعلت مساميره وصفة تحميه من الذهب وألصق باعلاه حجر ياقوت عظيم وخلع على ناصر الدين خلعة عباسية سوداء مذهبة مرصعة بالجواهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة وهي افراج وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والعقهاء والامراء مجالسهم فخطب خطبة بليغة ووعظ وذكروا لم يكن فيما فعله طائل لكن سعادته ساعدته فلمّا نزل عن المنبر قام السلطان اليه وعانقه واركبه علي فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكانت في جملتهم الى سراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير وخبأوها أيضاً كذلك فجلس وجلسنا معه وكان بجانب من السراجة أو انى الذهب التي أعطاه السلطان إياها وذلك تتور كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد وقد ران اثنان وصحاف لا أذكر عددها وجملة كواز وركوة وتميسندة ومائدة لها أربعة أرجل ومحل للكتب كل ذلك من ذهب خالص ورفع

عماد الدين السمنائي وتدين من أوتاد السراجة أحدها نحاس والآخره مقصدر يوم بذلك
انهما من ذهب وفضة ولم يكونا الا كما ذكرنا وقد كان اعطاه حين قدومه مائة ألف دينار
دراهم ومئين من العبيد سرح بعضهم وحمل بعضهم

— ذكر عطائه لعبد العزيز الاردوبلي —

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثا قرأ بدمشق على تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن
البركج وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهم ثم قدم على السلطان فاحسن اليه
واكرمه واتفق بومانه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضى الله عنهما وشيئا من
مآثر الخلفاء أولادها فاعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن
يؤتي بصينية ذهب فيها الفاتكة فضبها عليه بيده وقال هي لك مع الصينية وقد ذكرنا هذه
الحكاية فيما تقدم

— ذكر عطائه لشمس الدين الاندكافي —

وكان الفقيه شمس الدين الاندكافي حكيما شاعرا مطبوعا فمدح السلطان بقصيدة باللسان
الفارسي وكان عدداً بآياتها سبعة وعشرين بيتاً فاعطاه لكل بيت منها الف دينار دراهم وهذا
عظم مما يحكي عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر الف درهم وهو عشر عطاء السلطان
— ذكر عطائه لعضد الدين الشونكارى —

وكان عضد الدين فقيها اماما فاضلا كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده فبلغت
السلطان أخباره وسمع بما آثره فبعث اليه الى بلده شونكارى عشرة آلاف دينار دراهم ولم يرد
قط ولا وفد عليه

— ذكر عطائه للقاضي مجد الدين —

ولما بلغه أيضا خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة مجد الدين قاضي شيراز الذي
سطرنا أخباره في السفر الاول وسيمر بعض خبره بعد هذا أيضا بعث اليه الى مدينة شيراز
صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

— ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغرجي —

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الائمة كثير الايتار باذلال ما يملكه حتى أنه كثيرا ما يأخذ
الديون ويؤثر على الناس فبلغ خيره الى السلطان فبعث اليه أربعين ألف دينار وطلب منه أن
يصل الى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه منها وتوجه الى بلاد الخطا وأني أن يصل اليه
وقال لا أمضي الى سلطان يقف العلماء بين يديه

— ذكر عطائه لحاجي كاوان وحكايته —

وكان حاجي كاوان ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا ببعض

بلاد العراق فوجد حاجي كاون على السلطان فأكرمه منواه وأعطاه العطاء الخزل ورأيت يوم ما وقد أتى الوزير خواجه جهان بهديته وكان منها ثلاث صينيات احداها مملوءة يواقيت والاخرى مملوءة زمردا والاخرى مملوءة جواهر وكان حاجي كاون حاضرا فأعطاه من ذلك حظا جزيل لأنهم انه أعطاه أيضا مالا عريضا ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي وولى مكانه سليمان خان فطلب ارث أخيه وادعى الملك وبايعه العساكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شونكارة التي بها الامام عضد الدين الذي تقدم ذكره آنفا فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج اليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج الى مبايعتنا فاعتذروا له فلم يقبل منهم وقال لاهل سلاحه قايح تخرار (جفار) معنا جردوا السيوف فخردوها وضرر بوا أعناقهم وكانوا جماعة كبيرة فسمع من مجاور هذه المدينة من الامراء بما فعله فغضبوا لذلك وكتبوا الى شمس الدين السمناني وهو من الامراء الفقهاء الكبار فاعلموه بما يجري على أهمل شونكارة وطلبوا منه الاعانة على قتاله فتجرد في عساكره واجتمع أهمل البلاد طائفتان من قتله حاجي كاون من المشايخ وضرر بوا على عسكره لئلا يفرزموه وكان هو بقصر المدينة فأحاطوا به فاختموا في بيت الطهارة فغثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به الى سليمان خان وفرقوا اعضاءه على البلاد تشفيما منه

— ذكر قدوم ابن الخليفة عليه واخباره —

وكان الامام برغيات الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي قد وفد على السلطان علاء الدين طرهمشير بن ملك ماوراء النهر فأكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضى الله عنهما واستوطن بها أعواما ثم لما سمع بحجة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه وبعث له برسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرقى الحرابوى والثاني محمد الهمداني الصوفي فقدموا على السلطان وكان ناصر الدين الترمذى الذي تقدم ذكره قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسوله الى السلطان أعطاه خمسة آلاف دينار وبعث معهم ثلاثين ألف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل اليه فلما وصل الى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله على العادة ثم لما وصل الى سرسق بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوى وجماعة من الفقهاء ثم بعث الامراء لاستقباله فلما نزل

بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم فخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب فأخذ السلطان أحدا لا ثواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فاخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسائره والشطر يظلمهما معا وأخذ التنول بيده وأعطاه إياه وهذا أعظم ما أكرمه به فإنه لا يفعله مع أحد وقال له لولا أني بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا علي تلك البيعة وقال له غياث الدين قل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من أحياء أرضا موافقي له وأنت احببتنا فجو به السلطان بأ لطفه جواب وابره ولما وصلا الى السراجة المعدة لنزول السلطان انزله فيها وضرب للسلطان غير هاو باتا تلك الليلة بخارج الحضرة فلما كان باعد دخلا الى دار الملك وانزله بالمدينة المعروفة بسيرى ودار الخلافة أيضا في القصر الذي بناه علاء الدين الخلجي وابنه قطب الدين وأمر السلطان جميع الامراء أن يمضوا معه اليه وأعد له فيه جميع ما يحتاج اليه من أواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب وبعث له أر بعائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجواري وعين له عن نفقته في كل يوم ثلاثمائة دينار وبعث له زيادة اليها عدداً من الموائد بالطعام الخاص وأعطاه جميع مدبنة سيرى اقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه واعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلي واعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن وأمره ان لا ينزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا في موضع خاص لا يدخله احد راكب اسوي السلطان وأمر الناس جميعا من كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون للسلطان واذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره وان كان على الكرسي قام قائما وخدم كل واحد منهما صاحبه ويجلس مع السلطان علي بساط واحد واذا قام قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهما صاحبه واداء انصرف الى خارج المجلس جعل له بساط بقعد عليه ماشاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم

— حكاية من تعظيمه إياه —

وفي اثناء مقامه بدهلي قدم الوزير من بلاد بنجاله فأمر السلطان كبار الامراء ان يخرجوا الى استقباله ثم خرج بنفسه الى استقباله وعظمه تعظما كثيرا وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان اذ قدم وخرج ابن الخليفة للقائه ايضا والفقهاء والقضاة والاعيان فلما

عاد السلطان لقصره قال للوزير امض الى دار الخدم زاده وبذلك يدعوه ومعنى ذلك ان الخدم فسار الوزير اليه واهدى له التي تنكة من الذهب وأتوا بكثيرة وحضر الامر قبولته وغيره من كبار الامراء وحضرت انا كذلك — حكاية نحوها —

وفد على السلطان ملك غزنة المسمى بهرام وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة قديمة فامر السلطان بانزاله ببعض دور مدينة سيري التي لابن الخليفة وأمر ان يبني له بهادر فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى الى دار السلطان فجلس على البساط الذي عاداته الجلوس عليه وبعث الى الوزير فقال له سلم على خوند عالم وقل له ان جميع ما أعطانيه هو بمنزلي لم أنصرف في شيء منه بل زاد عندى ونماؤا لا أقيم معكم وقام وانصرف فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فاعلم ان سببه أمر السلطان ببناء الدار الملك غزنة في مدينة سيري فدخل الوزير على السلطان فاعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستأذن له ونزل عن فرسه خارج القصر حيث ينزل الناس فتلقياه واعتذر له فقبل عذره وقال له السلطان والله ما أعلم انك راض عني حتي تضع قدمك على عتقي فقال له هذا ما لا أفعله ولو قتلت فقال له السلطان وحق رأسى لا بد لك من ذلك ثم وضع رأسه في الارض وأخذ الملك الكبير قبولته رجل ابن الخليفة بيده فوضعهما على عنق السلطان ثم قام وقال الآن علمت انك راض على وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم يسمع بمنلها عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرجة قد جعل مكان عقد الحرير التي تعلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وقام الملك الكبير بيا به حتي نزل من قصره فكساه اياها والذي أعطاه هو ما لا يحصره العدو ولا يحيط به الحد وابن الخليفة مع ذلك كله أبخل خلق الله تعالى وله في البخل أخبار عجيبيه يعجب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولتذكر بعض أخباره في ذلك

— حكاية من بخل ابن الخليفة —

وكانت بيني وبينه مودة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده تركت ولدا الى سميت به أحمد لما سافرت ولا أدري ما فعل الله بهما فقلت له يوما لم تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لي لا أستطيع أن أنظر اليهم على كثرتهم وهم ياكلون طعامى فكان ياكل وحده وبعطي صاحبه محمد بن أبي الشرفى من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه وكنت أتردد اليه فاريدها ز قصره الذى يسكن به مظلم لا سراج به ورأيت مرارا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه وقد ملأ منها مخازن فكلمته في ذلك فقال

في يحتاج اليها وكان يخدم أصحابه ومما ليكده وفتيانه في خدمة البستان وبنائه ويقول لا أَرْضِي
 أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامِي وَهُمْ لَا يَخْدُمُونَ وَكَانَ عَلَى مَرَّةٍ دِينَ فَطْلَبَتْ بِهِ فَقَالَ لِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
 وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوْدِيَ عَنْكَ دِينَكَ فَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسِي بِذَلِكَ وَلَا سَاعَدْتَنِي عَلَيْهِ - حِكَايَةٌ -
 حَدَّثَنِي مَرَّةً قَالَ خَرَجْتُ عَنْ بَغْدَادَ وَأَنَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ أَحَدُهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الشَّرَفِ فِي صَاحِبِهِ
 وَنَحْنُ عَلَى أَقْدَامِنَا وَلَا زَادَ عِنْدَنَا فَزَلْنَا عَلَى عَيْنِ مَاءٍ بِبَعْضِ الْقُرَى فَوَجَدْنَا فِي الْعَيْنِ
 دُرَّهَا فَقَلْنَا وَمَا نَصْنَعُ بِدُرِّهِمْ فَانْفَقْنَا عَلَى أَنْ نَشْتَرِيَ بِهِ خُبْزًا فَبَعَثْنَا أَحَدَنَا لِيُشْرَا ثَمَّ فَبِئْسَ الْخُبْزُ بِتِلْكَ
 الْقَرْيَةِ أَنْ يَبِيعَ الْخُبْزُ وَحْدَهُ وَأَنَا بَيْعُ خُبْزٍ بِقِيرَاطٍ وَتَبْنَا بِقِيرَاطٍ فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ الْخُبْزَ وَالتَّبْنَ فَطَرَحْنَا
 التَّبْنَ أَذْلًا دَابَّةً لَنَا نَأْكُلُهُ وَقَسَمْنَا الْخُبْزَ لِقَمَةٍ لِقَمَةٍ وَقَدْ انْتَهَى حَالِي الْيَوْمَ إِلَى مَا تَرَاهُ فَقُلْتُ
 ثُمَّ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَوْلَانَا وَتُوَثِّرَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ بِالتَّصَدُقِ فَقَالَ لَا
 أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَلَمْ أَرَهُ قَطٍ يَجُودُ بِشَيْءٍ وَلَا يَفْعَلُ مَعْرُوفًا وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّحِّ - حِكَايَةٌ -
 كُنْتُ يَوْمًا بِبَغْدَادَ بَعْدَ عَوْدَتِي مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَأَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْمَدْرَسَةِ الْمُسْتَصْرِيَةِ الَّتِي بَنَاهَا
 جَدُّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَأَيْتُ شَابًا ضَعِيفَ الْحَالِ يَشْتَدُّ خَلْفَ رَجُلٍ خَارِجٍ
 عَنِ الْمَدْرَسَةِ فَقَالَ لِي بَعْضُ الطُّلَبَةِ هَذَا الشَّابُّ الَّذِي تَرَاهُ هُوَ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ حَفِيدِ الْخَلِيفَةِ
 الْمُسْتَنْصِرِ الَّذِي بِيَلَادِ الْهِنْدِ فَدَعَوْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي قَدِمْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَإِنِّي أَعْرِفُكَ بِخُبْرٍ
 أُسَيِّدُ فَقَالَ قَدْ جَاءَنِي خُبْرُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَمَضَى يَشْتَدُّ خَلْفَ الرَّجُلِ فَسَأَلْتُ عَنْ الرَّجُلِ
 فَقِيلَ لِي هُوَ النَّاطِرُ فِي الْخُبْسِ وَهَذَا الشَّابُّ هُوَ أَمَامُ بَعْضِ الْمَسَاجِدِ وَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَجْرَةٌ دَرَاهِمُ
 وَاحِدَةٍ فِي الْيَوْمِ وَهُوَ يَطْلُبُ أَجْرَتَهُ مِنَ الرَّجُلِ فَطَالَ عِجْبِي مِنْهُ وَاللَّهُ لَوْ بَعِثَ إِلَيْهِ جَوْهَرَةً مِنْ
 الْجَوَاهِرِ الَّتِي فِي الْخَلْعِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ لَأَغْنَاهُ بِهَا وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ
 - ذِكْرُ مَا عَظَاهُ السُّلْطَانُ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ غَدَا بْنِ هُبَيْرَةَ اللَّهِ بْنِ مَهْنَى أَمِيرِ عَرَبِ الشَّامِ -
 وَلَمَّا قَدِمَ هَذَا الْأَمِيرُ عَلَى السُّلْطَانِ أَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَانْزَلَهُ بِقَصْرِ السُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ دَاخِلِ
 مَدِينَةِ دَهْلِي وَيَعْرِفُ بِكَشْكٍ لَعَلَّ مَعْنَاهُ الْقَصْرُ الْأَحْمَرُ وَهُوَ قَصْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ مَشُورٌ كَبِيرٌ جَسَدًا
 وَدَهْلِيٌّ هَائِلٌ عَلَى بَابِهِ قُبَّةٌ تَشْرَفُ عَلَى هَذَا الْمَشُورِ وَعَلَى الْمَشُورِ الثَّانِي الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى
 الْقَصْرِ وَكَانَ السُّلْطَانُ جَلَالُ الدِّينِ يَقْعُدُهَا وَتَلْعَبُ الْكُرَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي هَذَا الْمَشُورِ وَقَدْ
 دَخَلَتْ هَذَا الْقَصْرَ عِنْدَ نَزْوِلِهِ فَرَأَيْتُهُ مَمْلُوءًا أَنَا وَفَرَشًا وَسِطًا وَغَيْرَ هَذَا ذَلِكَ كُلُّهُ مَتَمَزَقٌ
 لَا مُنْتَفِعَ فِيهِ فَإِنْ عَادَتْهُمْ بِالْهِنْدِ أَنْ يَتَرَكُوا قَصْرَ السُّلْطَانِ إِذَا مَا تَبْجَمِيعَ مَائِهِ لَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ
 وَيُنِيتُ التَّوَلَّى بَعْدَهُ قَصْرًا لِنَفْسِهِ وَلَمَّا دَخَلْتُهُ طَفَقَتْ بِهِ وَصَعِدَتْ إِلَى أَعْلَاهُ فَكَانَتْ لِي فِيهِ عِبْرَةٌ
 نَشَاتُ عَنْهَا عِبْرَةٌ وَكَانَ مَعِيَ الْفَقِيهَ الطَّيِّبَ الْأَدِيبَ جِهَالَ الدِّينِ الْمَغْرِبِي الْفَرْنَاطِي الْأَصْلَ الْبُجَائِي

المولد مستوطن بلاد الهند قد مهاب مع أبيه وله بها أولاد فانشدني عندما عايناه (خفيف)

وسلاطينهم سل الطين عنهم * فالرؤوس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره وكان السلطان شديدا لحماية في العرب مؤثر لهم معتزفا بقضاثلهم فلمواصله هذا الأمير أجزله العطاء واحسن اليه احسانا عظيما واعطاه مرة وقد قدمت عليه هدية أعظم ملك البايدي من بلاد منكبورأ أحد عشر فرسان عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك باخته فيروز خونده

— ذكر تزوج الامير سيف الدين باخت السلطان —

ولما أمر السلطان بتزويج اخته للامير غدا عين للقيام بشان الولاية ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونوبس (بشين معجم مفتوح وواوين أولها مسكن والآخر مكسور بينهما نون آخره سين مهمل) وعينني للامير غدا والكون معه في تلك الايام فأتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها المشورين بالقصر الاحمر المذكور وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مما يليك السلطان واحضر الطباخين والغيازين والشوائين والحلوانيين والشربدارية والتنبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما يحضر الامراء الكبار والاعزة ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينته وفرشته باحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين وكان عربيا غربيا لا قرابة له خفقن به واجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر ان تكون ربيته أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غدا وان تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام اخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كانه بين أهله ولما أجلسنه على المرتبة جعلن له الخناء في يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه بغنين وبرقصن وانصرفن الى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابها بعين السلطان جماعة من الامراء بكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوتها على زوجها وباني الزوج بجماعته فلا يدخلون إلا ان غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها ما عليها من الجواهر وبشاشية مثل

ذلك ولم أر قط خلعة اجمل من هذه الخلعة وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر اصهاره مثل ابن ملك الملوك عماد الدين السماني وابن ملك العلماء وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه ثم ركب الامير سيف الدين في اصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصي قد اعد لها وصنعوا شبه اكليل من الياسمين والنسرين وريبول وله رفرف يغطي وجه المتكلم به وصدره واتوا به الامير ليجعله على رأسه فاني من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بامور الملك والخضر فخا ولته وحلفت عليه حتي جعله على رأسه واتي باب الصرف ويسمونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم باصحابه حملة عربية وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فاعجبه فعله ودخل الى المشوروق وجعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجواهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات قدأ حضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم إجلالا له وتعظيما فدخل بفرسه حتي قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتي صعد فاعطته التنبول بيدها فاخذها وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من اصحابه ولقطتها النساء والمغنيات يغنين حينئذ والاطبال والابواق والالاف تضرع خارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلي اصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العميد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها ركبات وغيرهن من النساء ماشيات واذامروا بدار أمير أو كبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدرهم على قدر همتهم حتي أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع اصحاب زوجها الثياب والدنانير والدرهم واعطى السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدره داهم من الف دينار الى مائتي دينار واعطى انلك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المتنوعة والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطى أحد شيئا لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس واطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضي العرس وأمر السلطان أن يعطى للامير غدا بلادا مالوالة والجزات وكنباية ونهر والة وجعل فتح الله المذكور نائبا عنه عليها وعظمه تعظيما شديدا وكان عرييا جافيا فلم يقدر قدر ذلك وغلب عليه جنفاه البادية فاده ذلك الى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه

— ذكر سجن الامير غدا —

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق انه وصل الى دار السلطان فاراد الدخول فتمعا

أمير البرد (البردة) دارية وهم الخواص من البوابين فلم يسمع منه وأراد الترحم فامسك
البواب بدبوقة وهي الضفيرة ورده فضر به الأمير بعضى كانت هنالك حتى أدماه وكان هذا
المضروب من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضي غزنة وهو من ذرية السلطان محمود بن
سبكتكين والسلطان مخاطبه بالادب وبخطاب ابنه هذا بالاخ قد دخل على السلطان والدم على
ثيابه فاخبره بما صنع الامير غدا ففكر السلطان هنيئة ثم قال له القاضي يفصل بينكما وتلك
جرمة لا يغفرها السلطان لاحد من ناسه ولا بدم من الموت عليها وانما احتمله لغريمته وكان
القاضي كالدين بالمشور فامر السلطان الملك تتر أن يقف معهما عند القاضي وكان تتر
حاجا مجاورا يحسن العربية فحضر معهما وقال للامير انت ضريته او قل لا تقصد أن يعلمه
الحجة وكان سيف الدين جاهلا مغترا فقال نعم انا ضريته واتى والد المضروب فرام
الاصلاح بينهما فلم يقبل سيف الدين فامر القاضي بسجنه تلك الليلة فوالله ما بعث له
زوجته فراشا ينام عليه ولا سات عنه خوفا من السلطان وخاف اصحابه فودعوا أموالهم
واردت زيارته بالسجن فليقني بعض الامراء وفهم عني اني أريد زيارته فقال لي اونسب
وذكري بقضية اتفقت لي في زيارة الشيخ شهاب الدين بن شيخ الحمام وكيف أراد
السلطان قتلي على ذلك حسبا يقع ذكره فرجعت ولم ازره وتحلص الامير غدا عند الظهر
من سجنه فظهر السلطان اعماله وأضرب عما كان أمره بولايته وأراد نفيه وكان للسلطان
صهر يسمى بمغيث بن ملك الملوك وكانت اخت السلطان تشكوه لاخبها الى ان ماتت
فذكر جواربها انها ماتت بسبب قهره لها وكان في نسبه مغمز فكتب السلطان بخطه يحلى
اللقيط بعنيه ثم كتب ويحلى موش خوار معناه آكل الفيران يعني بذلك الامير غدا لان
عرب البادية يا كلون البر بوع وهو شبه العار وأمر باخراجهم فجاهه النقباء ليخرجوه
فاراد دخول داره ووداع اهله فترادف النقباء في طلبه فخرج باكياء وتوجهت حين ذلك
الى دار السلطان فبت بها فسا ابنى عن مبيتى بعض الامراء فقلت له جئت لانتكلم فى الامير
سيف الدين حتى يرد ولا ينفي فقال لا يكون ذلك فقلت له والله لا بيتن بدار السلطان ولو
بلغ مبيتى مائة ليلة حتى يرد فبلغ ذلك السلطان فامر برده وامره ان يكون فى خدمة الامير ملك
قبيلة اللاهورى فاقام أربعة اعوام فى خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفره حتى تادب
وتهذب ثم أعاده السلطان الى ما كان عليه اولا واقطعه البلاد وقدمه على العساكر ورفع قدره
(ذكر تزويج السلطان بنى وزيره لا بنى خداوندزاده قوام الدين الذى قدم معنا عليه)
ولما قدم خداوندزاده أعطاه السلطان عطاء جزلا واحسن اليه احسانا عظيما وبالغ فى

اكرامه ثم زوج ولد به في بنتي الوزير خواجه جهان وكان الوزير اذذاك غائبا فاتي السلطان الي داره ليلا وحضر عقد الكاح كانه نائب عن الوزير ووقف حتى قرأ قاضي القضاة الصداق والقضاة والامراء والمشايخ قعودا واخذ السلطان بيده الاثواب والبدر فجعلها بين يدي القاضي وولدي خداوند زاده وقام الامراء وابوان يجعل السلطان ذاك بين ايديهم بنفسه فامرهم بالجلوس وامر بعض كبار الامراء ان يقوم مقامه وانصرف

— حكاية في تواضع السلطان وانصافه —

ادعى عليه رجل من كبار الهنود انه قتل اخاه من غير موجب ودعاه الى القاضي فحضر على قدميه ولا سلاح معه الى مجلس القاضي فسلم وخدم وكان قد امر القاضي قبل ذلك انه اذا جاءه الى مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك فصعد الى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه ان يرخصي خصمه من دم أخيه فارضاه

— حكاية مثلها —

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين انه قله حقا ما ليا فتخاصما في ذلك عند القاضي فتوجه الحكم على السلطان باعطاء المال فاعطاه

— حكاية مثلها —

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك انه ضربه من غير موجب ورفع له القاضي فتوجه الحكم عليه أن يرضيه بالمال ان قبل ذلك والا امكنه من القصاص فشاهدته يومئذ وقد عاد للمجلس واستحضر الصبي وأعطاه عصا وقال له وحق رأسي لنضربني كما ضربتك فاخذ الصبي العصا وضربه بها احدي وعشرين ضربة حتى رأيت الكلا (الكلاه) قد طارت عن رأسه

— ذكر اشتداده في اقامة الصلاة —

وكان السلطان شديدا في اقامة الصلاة آمرا بملازمتها في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم مغنيا وكان يبيع الثرجال الموكلين بذلك الى الاسواق فن وجد بها عند اقامة الصلاة عوقب حتى انتهى الى عقاب السناثر بين الذين يسكون دواب الخدام علي باب المشور اذا ضيعوا الصلاة وأمر ان يطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الاسلام فكانوا يسألون عن ذلك فمن لم يحسنه عوقب وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والاسواق ويكتبونه

— ذكر اشتداده في اقامة أحكام الشرع —

وكان شديدا في اقامة الشرع ومما فعل في ذلك ان أمر اخاه مبارك خان أن يكون قعوده بالمشور مع قاضي القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة هنالك مفروشة بالبسط واللقاضى بها مرتبة تحف بها المخاد كرتبة السلطان ويقعد اخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من

كبار الامراء وامتنع من ادائه لصاحبه يحضره رجال أخي السلطان عند القاضى لينصف منه
— ذكر رفعه للمغارم والمظالم وعوده لانصاف المظلومين —

ولما كان في سنة احدى وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأزلا يؤخذ من
الناس الا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس
برحبة امام المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم الا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد
الحجاب وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه
وعين أربعة من كبار الامراء يجلسون في الابواب الاربعة من المشور لا خذل القمص من
المشتكين والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز فان أخذ صاحب الباب الاول الرفع من
الشاكى فحسن والا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع وان لم يأخذه منه مضى به الى صدر
الجهان قاضى المما ليك فان أخذه منه والاشكى الى السلطان فان صبح عنده أنه مضى به الى أحد
منهم فلم يأخذه منه اذ به وكل ما يجتمع من القصص في سائر الايام يطالع به السلطان بعد العشاء
الآخرة — ذكر اطعامه في الغلاء —

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند واشتد الغلاء حتي بلغ من القمح الي ستة دنانير
أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر من الخزن بحساب رطل ونصف
من ارطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حر أو عبد وخرج الفقهاء والقضاة
يكتبون الازمة باهل الحارات ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد عولة ستة أشهر
يقتات بها — ذكر فتكات هذا السلطان وما نفع من افعاله —

وكان على ما قدمنا من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه للخارق للعادة كثير التجاسر
على اراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول الا في البادر وكنت كثيرا ما أرى الناس يقتلون على
بابه ويطرحون هنالك ولقد جئت يوما فنفر في الفرس ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض
فقلت ما هذه فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة
والكبيرة ولا يحترم أحد من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من
المسلسلين والمغلولين والمقيدين مؤون فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب
وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ماعدا يوم الجمعة فانهم
لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم ينتظفون فيه ويستريحون أعادنا الله من البلاء

— ذكر قتله لآخيه —

وكان له أخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجل صورة رأيتها

في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه وساله عن ذلك فاق رخوا من العذاب فانه من أنكر ما يبدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس ان القتل أهون عليهم من العذاب فامر به فضر بت عنقه في وسط السوق وبقي مطروحا هناك ثلاثة أيام علي عاداتهم وكانت أم هذا المقتول قد رجعت في ذلك الموضع قل ذلك بسنتين لا عترافها بالزنا فرجها القاضي كمال الدين — ذكر قتله لثلاثة من وخمسين رجلا في ساعة واحدة —

وكان مرة عين حصية من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بغرة الى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم فكتب يوسف الى السلطان يعلمه بذلك فامر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد من أولئك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثة وخمسين منهم فامر بقتلهم أجمعين فقتلوا

— ذكر تعذيب للشيخ شهاب الدين وقتله —

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذي تنسب مدينة الجام بخراسان الى جده حسبا قصصنا ذلك من كبار المشايخ الصالحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوما وكان السلطانان قطب الدين وتعلق يعظمانه ويزوران ويتبركان بدفلا ولي السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ في بعض خدمته فان عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصالحاء محتجان الصدر الاول رضى الله عنهم لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافه السلطان بذلك في مجلسه العام فظهر الالابية والامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتفح لحيته فابى ضياء الدين من ذلك وقال لا يفعل هذا فامر السلطان بئنتفح لحيته كل واحد منهما فئنتفت ونفى ضياء الدين الى بلاد التلنك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورنكل فمات بها ونفى شهاب الدين الى دولة آباد فاقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظمه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان بقايا العمال يستخرجها منهم بالضرب والتنكيل ثم زاد في تعظيمه وأمر الامراء أن يأتوا للسلام عليه ويمثلوا أقواله ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه ولما انتقل السلطان الى السكني على نهر الكنك وبني هنالك القصر المعروف بسرك دوار معناه شبه الجنة وأمر الناس بالبناء هنالك طلب منه الشيخ شهاب الدين أن ياذن له في الاقامة بالحضرة فاذن له الى أرض موات على مسافة ستة أميال من دهلي فخفر بها كهفا كبيرا صنع في جوف البيوت والمخزن والقرن والهام وجلب الماء من نهر جون وعمر تلك الارض وجمع مالا كثيرا من مستغملاتها كانت السنون قاحطة وأقام هنالك عامين ونصف عام مدة غيب السلطان وكان عبيده يخدمون تلك

الأرض نهارا ويدخلون الغار ليلا ويستدونه على أنفسهم وانعامهم خوف سراق الكفرة لانهم في جيل منيع هنالك ولما عاد السلطان الى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال منها فعضمه السلطان وعانة عند لقاءه وعاد الى غاره ثم بعث عنه بعد ايام فامتنع من اتيانه فبعث اليه مخلص الملك النذر بارى وكان من كبراء الملوك فتلطف له في القول وحذره بطش السلطان فقال له لا أخدم ظالما بدا فعاد مخلص الملك الى السلطان فاخبره بذلك فامر ان ياتي به فاتي به فقال له انت القائل اني ظالم فقال نعم انت ظالم ومن ظلمك كذا وكذا وعدد أمورا منها تخريبه لمدينة دهلي واخراج اهله فاختذ السلطان سيفه ودفعه لصدر الجهان وقال يثبت هذا اني ظالم واقطع عنق بهذا السيف فقال له شهاب الدين ومن يريد ان يشهد بذلك فيقتل ولكن انت تعرف ظلم نفسك وامر بتسليمه للملك نكبة رأس الدويدار بة فقيده باربعة قيود وغل يديه وأقام كذلك اربعة عشر يوما واصلالا ياكل ولا يشرب وفي كل يوم منها يؤتى به الى المشور ويجمع الفقهاء والمشايخ ويقولون له ارجع عن قولك فيقول لا أرجع عنه واريده ان يكون في زمرة الشهداء فلما كان اليوم الرابع عشر بعث اليه السلطان بطعام مع مخلص الملك فاتي ان ياكل وقال قدر فزع رزقي من الارض ارجع بطعامك اليه فلما اخبر بذلك السلطان امر عند ذلك ان يطعم الشيخ خمسة استار (اساتير) من العذرة وهي رطلان ونصف من ارطال المغرب فاخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الامور وهم طائفة من كفار الهنود قد دونه على ظهره وفتحوا فيه بالكيتين وحلوا العذرة بالماء وسقوه ذلك وفي اليوم بعده اتى به الى دار القاضي صدر الجهان وجمع الفقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة فوعظوه وطلبوا منه ان يرجع عن قوله فاتي ذلك فضربت عنقه رحمه الله تعالى

— ذكر قتله للفقهاء المدرسي غفيف الدين الكاساني وفقهين معه —

وكان السلطان في سنى القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وان يزرع هنالك زرع واعطي الناس البذور ما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للبحزن فبلغ ذلك الفقهاء غفيف الدين فقال هذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشي به الى السلطان فسجنه وقال له لاى شيء تدخل نفسك في أمور الملك ثم انه سرحه بعد مدة فذهب الى داره ولقيه في طريقه اليها صاحبان له من الفقهاء فقالا له الحمد لله على خلاصك فقال الفقهاء الحمد لله الذي نجاك من القوم الظالمين وتفرقوا فلم يصلوا الى دورهم حتى بلغ ذلك السلطان فامر بهم فاحضر ثلاثتهم بين يديه فقال اذهبوا بهذا يعني غفيف الدين فاضربوا عنقه حمائل وهو

ان يقطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر واضربوا أعناق الآخرين فقال له أما هو فيستحق العقاب بقوله وأما نحن فباي جريمة تقتلنا فقال لها انكما سمعتهما كلامه فلم تنكراه فكانكما وافقما عليه فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى

— ذكر قتله أيضا للفقهاء من أهل السند كان في خدمته —

وأمر السلطان هذين الفقهاء السنديين ان يمضيا مع أمير عينه الى بعض البلاد وقال لهما انما سلمت أحوال البلاد والرعية لكمما ويكون هذا الأمير معكما يتصرف بما تاملانه به فقالا له انما نكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحق ليتبعه فقال لهما انما قصدكما أن تالأموا الى وتضيعاها وتنسبا ذلك الى هذا التركي الذي لا معرفة له فقالا له حاشا لله ياخوند عالم ما قصدنا هذا فقال لهما لم تقصدا غير هذا اذ هو ابهما الى الشيخ زاده النهاوندي وهو الموكل بالعذاب فذهب بهما اليه فقال لهما السلطان يريد قتلكما فاقرا بما قولكما اياه ولا تعذبا أنفسكما فقالا والله ما قصدنا الا ما ذكرنا فقال لهما نيته ذوقهما بعض شيء يعني من العذاب فبطحا على أفقائهما وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محجمة ثم قلعت بعد هنيهة فذهب بلحم صدورهما ثم اخذا البول والرماد فجعل على تلك الجراحات قاقرا على أنفسهما انهما لم يقصدا الا ما قاله السلطان وانهما مجرمان مستحقان للقتل فلا حق لهما ولا دعوى في دمائهما دنيا ولا آخرة وكتبا خطهما بذلك واعترفا به عند القاضي فسجل على العقود وكتب فيه ان اعترافهما كان عن غير اكراه ولا اجبار ولوقال اكرهنا لعذابا اشد العذاب ورأيا ان تعجيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الا لم يقتلارحمهما الله تعالى

— ذكر قتله للشيخ هود —

وكان الشيخ زاده المسمي بهود حفيد الشيخ الصالح الولي ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكرياء الملقب بوجه الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين الذي كان شبيها بالسلطان وقتل قوم وبيعة كشلوخان وسند كره ولما قتل عماد الدين اعطى السلطان لآخره ركن الدين مائة قرية لياكل منها ويطعم الصادروالوارد بزوايته فتوفي الشيخ ركن الدين واوصى بمكانه من الزواية لحفيد الشيخ هود ونازعه في ذلك ابن اخي الشيخ ركن الدين وقال أنا أحق بميراث عمي فقدما على السلطان وهو بدولة آباد وبينها وبين ملتان ثمانون يوما فاعطى السلطان المشيخة لهود وحسبما اوصى له الشيخ وكان كهلا وكان ابن اخي الشيخ فتيواكرامه السلطان وامر بتضييقه في كل منزل يحله وان يخرج الى لقائه اهل كل بلد يمر به الى ملتان وتصنع له فيه دعوة فلما وصل الامر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشايخ

والاعيان للقاءه وكنت فيمن خرج اليه فتلقيناه وهو راكب في دولة يحملها الرجال وخيله
مجنوبة فسلمنا عليه وانكرت اننا ما كان من فعله في ركوبه الدولة وقلت انما كان ينبغي له
ان يركب الفرس ويساير من خرج للقاءه من القضاة والمشايع فبلغه كلامي فركب الفرس
واعتر بان فعله اولا كان بسبب الممنعه من ركوب الفرس ودخل الحضرة وصنعت له
بهادعوة اتفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشايع والفقهاء والاعزة
ومد السباط وأتوا بإطعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه
فاعطى قاضي القضاة خمسمائة دينار وأعطيت انا مائتين وخمسين ديناراً وهذه عادة لهم
في الدعوة السلطانية ثم انصرف الشيخ هود الى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي
بعثه السلطان ليجلسه على سجادة جده بزاويته ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك
واستقر بزاويته وأقام بها أعواماً ثم ان عماد الملك أمير بلاد السند كتب الى السلطان يذكر
ان الشيخ وقرابته يشتغلون بجمع الاموال وانفاقها في الشهوات ولا يطعمون أحداً بالزاوية
ففند الامر بمطالبتهم بالاموال فطلبهم عماد الملك بها وسجن بعضهم وضرب بعضها وصار
ياخذ منهم كل يوم عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم
كثير من الاموال والذخائر من جملة ما نعلن مرصعاً بالجواهر والياقوت يباع بسبعة آلاف
دينار قيل انهما كانا لبنت الشيخ هود وقيل لسرية له فلما اشتد الحال على الشيخ هرب
يريد بلاد الانراك فقبض عليه وكتب عماد الملك بذلك الى السلطان فامر أن يعثمه ويبعث
الذي قبض عليه كلاهما في حكم الثفاف فلما وصل اليه سرح الذي قبض عليه وقال للشيخ
هود أين أردت ان تفر فاعتذر بعذر فقال له السلطان انما أردت ان تذهب الى الانراك
فتقول انا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء وقد فعل السلطان معي كذا وتاتي بهم لقتالنا اضربوا
عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى — ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لولاده —

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكناً بمدينة كول منقطعاً للعبادة كبير
القدر ودخل السلطان الى مدينة كول فبعث عنه فلم ياتيه فذهب السلطان اليه ثم لما قرب
منزله انصرف ولم يره واتفق بعد ذلك أن أميراً من الامراء خالف علي السلطان ببعض
الجهات وبإيعاه الاس فنقل للسلطان انه وقع ذكر هذا الامر بمجلس الشيخ شمس الدين
فأثني عليه وقال انه يصلح للملك فبعث السلطان بعض الامراء الى الشيخ فقيده وقيد
أولاده وقيد قاضي كول ومحتسبها لانه ذكر انهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء
الشيخ على الامير الخائف وأمر بهم فسجنوا جميعاً بعد ان سمل عيني القاضي وعينى

المحتسب ومات الشيخ بالسجن وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجاني
فيسلان الناس ثم يردان الى السجن وكان قد بلغ السلطان ان اولاد الشيخ كانوا يخاطبون كفار
الهند وعصاتهم ويصحبونهم فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن وقال لهم لا تعودوا
إلى ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاعتاظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ثم استحضر
القاضي المذكور فقال أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا وبفعل مثل أفعالهم فاملى
أسماء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان قال هذا يجب أن يخرب
البلد اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

— ذكر قتله للشيخ الحيدري —

وكان الشيخ على الحيدري سائداً بمدينة كنيابة من ساحل الهند وهو عظيم القدر شهير
الذكر بعيد الصيت يندر له التجار بالبحر النذور الكثيرة وإذا قدموا بدواً بالسلام عليه
وكان يكشف باحوالهم وربما نذر أحدهم النذور ندماً عليه فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه
بما نذره وأمر بالوفاء به واتفق لذلك مرات واشتهر به فلما خالف القاضي جلال الافغاني
وقيبلته بتلك الجهات بلغ السلطان ان الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال الدين واعطاه شاشيته
من رأسه وذكر أيضاً انه باعه فلما خرج السلطان اليهم بنفسه وانهم جلال خلف
السلطان شرف الملك أمير بخت احد الوافدين معنا عليه بكنيابة وامره بالبحث عن أهل
الخلاف وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم فاحضر الشيخ على الحيدري بين يديه وثبت انه اعطى
للقائم شاشيته ودعاه فحكموا بقتله فلما ضرب به السيف لم يفعل شيئاً وعجب الناس لذلك وظنوا
انه يعنى عنه بسبب ذلك فامر سيقا آخر بضرب عنقه فضربها رحمه الله تعالى

— ذكر قتله لطوغان وأخيه —

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة فوفدا على السلطان فاحسن اليهما
واعطاهما عطاء جزيلاً وأقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أراد الرجوع الى بلادهما وحاولا
الفرار فوشى بهما احداهما الى السلطان فامر بتوسيطهما فوسطا واعطى للذي وشى بهما
جميع ما لهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد اذا وشى احداً بحد وثبت ما وشى به فقتل اعطى ماله

— ذكر قتله لابن ملك التجار —

وكان ابن ملك التجار شاب صغير الانبات بعارضيه فلما وقع خلاف عين الملك وقيامه وقتاله
للسلطان كما سنده غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جلسته مقهوراً فلما هزم عين
الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصره ابن قطب الملك فامر

بهما فعلقا من أيديهما في خشب وأمر أبناء الملوك فرموها بالثياب حتى ماتا ولمسا ماتا قال الحاجب خواجه أمير على التبريزي لقاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل فبلغ ذلك السلطان فقال هلا قلت هذا قبل موته وأمر به فضرب مائتي مفرقة أو نحوها وسجن وأعطى جميع ماله لأمير السيفين فرأيت في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابا به وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت أنه هو وأقام بالسجن شهرا ثم سرحه ورده إلى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة وكتب إليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابها كبرار مدى باز (أى) معناه ان كنت تبت فارجع فرجع إليه

— ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات —

وكان فدولى خطيب الخطباء بدهلى النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق ان جاء سراق الكفار ليلا فضربوا على تلك الخزانة وذهبوا بشيء منها فامر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى — ذكر تخريبه لدهلى ونفى أهلها وقتل الاعمي والنفق —

ومن أعظم ما كان ينقم على السلطان اجلاؤه لاهل دهلى عنها وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويختمون عليها ويكتبون عليها وحق رأس خوند عالم ما يقرؤها غيره ويرمونها بالمشور ليلا فاذا فضها وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دهلى واشترى من أهلها جميعا دورهم ومنازلهم ودفع لهم مئنتها وأمرهم بالانتقال عنها إلى دولة آباد فابوا ذلك فنادى مناديه ان لا يبق بها أحد بعد ثلاث فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور فامر بالبحث عن من بقي بها فوجد عبيده بازقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر اعمي فاتوا بهما فامر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجر الاعمي من دهلى إلى دولة آباد مسيرة أربعين يوما فتمزق في الطريق ووصل منه رجله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أنفاسهم وامتعهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها فحدثني من اثنى به قال صعد السلطان ليله إلى سطح قصره فنظر إلى دهلى وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآرطاب هلمى وتهدن خاطرى ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دهلى ليعمروها فخربت بلادهم ولم تعمر دهلى لا لتساعها وضخامتها وهى من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا إليها خالية ليس بها الا قليل عمارة وقد ذكرنا كثير من مآثر هذا السلطان وما نقم عليه أيضا فلندكر جملا من الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه

— ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من منه علي بهادور بوره —

ولما ولي السلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادور بوره

الذي كان أسره السلطان تغلق فن عليه وفك قيوده وأجزله العطاء من الاموال والخيول والقيلة وصرفه الى مملكته وبعث معه ابن أخيه ابراهيم خان وعاهده على ان تكون تلك المملكة مشاطرة بينهما وتكتب أسماؤهما معافى السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمد المعروف ببرباط يكون رهينة عند السلطان فانصرف غياث الدين الى مملكته والتزم ما شرط عليه الا انه لم يبعث ابنه وادعى انه امتنع وأساء الادب في كلامه فبعث السلطان العساكر الى ابن أخيه ابراهيم خان وأميرهم دلجلى التترى فقتلوا غياث الدين فقتلوه وسلبوا جلده وحشوا بالطين وطيف به على البلاد

— ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك —

وكان للسلطان تغلق ابن أخت يسمى بهاء الدين كشتاسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلولة) واسب (بالسين المهمل والباء الموحدة مسكنين) فجعله أميراً ببعض النواحي فلما مات خاله امتنع من بيعه ابنه وكان شجاعاً بطلاً فبعث السلطان اليه العساكر فيهم الامراء الكبار مثل انلك مجير والوزير خواجه جهان أمير علي الجمع فالتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت الكرة لعسكر السلطان ففر بهاء الدين الى ملك من ملوك الكفار يعرف بالراي كنبيلة والراي عندهم كمثل ماهو بلسان الروم عبارة عن السلطان وكنبيلة اسم الاقليم الذي هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء ولا م مفتوح) وهذا الراي له بلاد في جبال منيعة وهو من اكابر سلاطين الكفار فلما هرب اليه بهاء الدين اتبعته عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد واشتد الامر على الكافر ونقد ما عنده من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين ان الحال قد بلغت لما تراه وأنا عازم علي هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني فاذهب أنت الى السلطان فلان سلطان من الكفار سماه له فاقم عنده فانه سيمنعك وبعث معه من أوصاله اليه وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة فاحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته اني أريد قتل نفسي فن أرادت موافقتي فلتفعل فكانت المرأة منهنت تغتسل وتدهن بالصندل والمقاصري وتقبل الارض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتى هلكن جميعا وفعل مثل ذلك نساء امرأته ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء ثم اغتسل الراي وادهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه وخرجوا الى عسكر السلطان فقاتلوا حتى قتلوا جميعا ودخلت المدينة فاسر أهلها وأسروا أولادي راى كنبيلة أحد عشر ولداً فاقى بهم السلطان فاسموا جميعا وجعلهم السلطان امراء وعظمهم لاصا لتهم ولفعل أبيهم

فأرأيت عنده منهم نصرا وبختيار والمهر دار وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشرب السلطان منه وكنيته أبو مسلم وكانت بيني وبينه صحبة ومودة ولما قتل رأى كنبيلة توجهت عساكر السلطان إلى بلد الكفار الذي لجأ إليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك السلطان أنا لا أقدر على أن أفعل ما فعله رأي كنبيلة فتقبض على بهاء الدين وأسلمه إلى عسكر السلطان فقيده وغلوه وأتوا به فلما أتني به إليه أمر بإدخاله إلى قرابته من النساء فشتمنه وبصقن في وجهه وأمر بسلخه وهو ب قيد الحياة فسلخ وطبخ لحسه مع الارز وبعث لاولاده وأهله وجعل باقيه على صحيفة وطرح للقبيلة لتأكله فابتأكله وأمر بجلده فحشى بالتبين وقرن بجلد بهادور بوره وطيف بهما على البلاد فلما وصل إلى بلاد السند وأمير أمرائها يومئذ كشلوخان صاحب السلطان تغلق ومعينه على أخذنا ملك وكان السلطان يعظمه ويخطبه بالعم ويخرج لاستقباله إذا وفد من بلاده أمر كشلوخان بدفن الجلد بين فبلغ ذلك السلطان فشق عليه فعله وأراد الفتك به

— ذكر ثورة كشلوخان وقتله —

ولما اتصل بالسلطان ما كان من فعله في دفن الجلد بن بعث عنه وعلم كشلوخان أنه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الأموال وجمع العساكر وبعث إلى الترك والافغان وأهل خراسان فأتاه منهم العدد الجم حتى كافأ عسكره عسكر السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهز وأخذ السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضا منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين الملتان وهو حدثي هذا وكان شبيها به فلما حوى القتال انفرد السلطان في أربعة آلاف من عسكره وقصد عسكر كشلوخان قصد الشطر معتقدين أن السلطان تحتهم فقتلوا عماد الدين وشاع في العسكر أن السلطان قتل فاشتعلت عساكر كشلوخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه إلا القليل فقصد السلطان بمن معه فقتله وجز رأسه وعلم بذلك جيشه ففروا ودخل السلطان مدينة ملتان وقبض على قاضها كريم الدين وأمر بسلخه فسلخ وأمر برأس كشلوخان فعلق على بابيه وقد رأته معلقا ما وصلت إلى ملتان وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخى عماد الدين ولا بنه صدر الدين مائة قرية أنعاما عليهم لياكلوا منها ويطعموا بزاويتهم المنسوبة لجدهم بهاء الدين زكريا وأمر السلطان وزيره خواجه جهان أن يذهب إلى مدينة كمال بور وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد دخلوا فاخبرني بعض الفقهاء أنه حضر دخول الوزير أياها قال واحضر بين

يديده القاضي بها والخطيب فامر بتساخ جلودها فقال له أقتلها بغير ذلك فقال لهما بما استوجبتما
القتل فقال بمخافتنا أمر السلطان فقال لهما فيكيف أخاف أنا أمره وقد أمرني أن أقتلكما
بهذه القتلة وقال للمتولين لسلخهما احفروا لهما حفرا تحت وجوههما يتففسان فيها فانهم
إذا سلخوا والعياذ بالله يطرحون على وجوههم ولما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد
السلطان الى حضرته — ذكر الواقعة بحبل قراجيل على جيش السلطان —

(وأول اسمه قاف وجم معقودة) وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة
أشهر وبينه وبين دهلي مسيرة عشر وساطا نه من أكبر سلاطين الكفار وكان السلطان بعث
ملك نكبية رأس الدوبدارية الى حرب هذا الجبل ومعه مائة الف فارس ورجالة سواهم
كثير فملك مدينة جديدة (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر
الحروف) وهي أسفل الجبل وملك ما يليها وسي وخرب وأحرق وفر الكفار الى أعلى
الجبل وتركوا بلادهم وأموالهم وخزائن ملكهم وللجبل طريق واحد وعن أسفل منه
واد وفوقه الجبل فلا يجوز فيه الا فارس منفرد خلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين على
ذلك الطريق وتملكوا مدينة ورنكل التي باعلى الجبل (وضبطها) بفتح الواو والراء
(وسكون النون وفتح الكاف) واحتووا على ما فيها وكتبوا الى السلطان بالفتح فبعث اليهم
قاضيا وخطيبا وامرهم بالاقامة فلما كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا
ومات الخيل وانحلت القسي فكتب الامراء الى السلطان واستأذنه في الخروج عن الجبل
والنزول الى اسفله بخلال ما ينصرف فصل نزول المطر فيعودون فاذن لهم في ذلك فاخذ
الامير نكبية الاموال التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرقها على الناس ليرفعوها
ويوصلوها الى أسفل الجبل فعند ما علم الكفار بخروجهم قعدوا لهم بلك المهاوى وأخذوا
عليهم المضيق وصاروا يقطعون الاشجار العادية قطعوا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمر
باحدا الا اهل بيته فملك الكثير من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ الكفار الاموال والامتنعة
والخيل والسلاح ولم يفلت من العسكر الا ثلاثة من الامراء كبيرهم نكبية ويدر الدين الملك
دولة شاة وثالث لهما لا اذكره وهذه الواقعة اثرت في جيش الهند اثرا كبيرا وأضعفته ضعفا
بيننا وصالح السلطان بعدها اهل الجبل على ما يؤديونه اليه لان لهم البلاد أسفل الجبل ولا
قدرة لهم على عمارتها الا باذنه

— ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير —
وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر الشريف جلال

الدين أحسن شاه فخاف وادعى الملك لنفسه وقتل نواب السلطان وعماله وضرب الدنيا نير
والدراهم باسمه وكان يكتب في إحدى صفحتي الدينار رسالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين
جلال الدنيا والدين وفي الصفحة الأخرى الوائق بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان
وخرج السلطان لمسمع بثورته يريد قتاله فنزل بموضع يقال له كشك زر معناه قصر الذهب
وأقام به ثمانية أيام لقضاء حوائج الناس وفي تلك الأيام بقي أخت الوزير خواجه جهان
وأربعة من الأمراء أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور
في مقدمته فوصل إلى مدينة ظهار وهي على مسيرة أربع وعشرين من دهلي وأقام بها
أياماً وكان ابن اخته شجاعاً بطلاقاً تفق مع الأمراء الذين أتوا بهم على قتل خاله والهروب
بما عنده من الخزائن والأموال إلى الشريف القائم ببلاد المعبر وعزموا على الفتك بالوزير
عند خروجه إلى صلاة الجمعة فوشى بهم أحد من أدخلوه في أمرهم إلى الوزير وكان يسمى
الملك نصرة الحاجب وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه لبسهم الدروع تحت ثيابهم فبعث الوزير
عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم إلى السلطان وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم فرأيت
أحدهم وكان طوال اللحي وهو يرعد ويتلو سورة يس فامر بهم فطرحوا للفقيلة المعلمة لقتل
الناس وأمر ابن أخت الوزير فرد إلى خاله ليقته فقتله وسنذكر ذلك وتلك القيلة التي تقتل الناس
تسمى أيتها حداً مسنونة شبه سكك الحرت لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيل على
الفيل فإذا رمى بالرجل بين يديه لف عليه خرطومه ورمى به إلى الهواء ثم يتلقفه بنا بيه ويطرحه
بعد ذلك بين يديه ويجعل يده على صدره ويقبل به ما يمره الفيل على حسب ما أمره السلطان فإن
أمره بتقطيعه قطعه الفيل قطعاً بتمام تلك الحداًئد وإن أمر بتركه تركه مطروحاً فسلخ وكذلك فعل
بهؤلاء وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت
جلودهم بالثين والعياذ بالله ولم تجهز السلطان لهذه الحركة أمرني بالاقامه بالحضرة كما سنده كره
ومضي في سفره إلى أن بلغ دولة آباد فثار الأمير هلاجون ببلاده وخرج ذلك وكان الوزير
خواجه جهان قد بقي أيضاً بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر

— ذكر ثورة هلاجون —

ولم يبلغ السلطان إلى دولة آباد وبعد عن بلاده ثار الأمير هلاجون بمدينة الاوار وادعى
الملك وساعده الأمير قلجند على ذلك وصيره وزيراً له وانصل ذلك بالوزير خواجه جهان
وهو بدلهي فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيماً بالحداد
بدلهي، أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي لأنني كنت بهام مقيماً وأعانه السلطان بأميرين كبيرين

أحد هاتين إمرأتين ملك صفدار ومعناه مرتب العساكر والثاني الملك تمور الشر بدار وهو الساق
 وخرج هلاجون بعساكره فكان اللقاء على ضفة أحد الأودية الكبار فانهزم هلاجون
 وهرب وغرق كثير من عساكره في النهر ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل
 آخرين بغير ذلك من أنواع القتل وكان الذي تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير
 وهو المعروف بجدر ملك ويسمى أيضا صك (سك) السلطان والصك عندهم الكلب
 وكان ظالمًا قاسي القلب ويسميه السلطان أسد الأسواق وكان ربما عاض أرباب الجناسيات
 بأسنانه شرها وعدوا وناو بعث الوزير من نساء الخاقين نحو ثمانمائة إلى حصن كاليور فسجن به
 ورايت بعضهن هنالك وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل إليها حتى ولدت منه في
 السجن — ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان —

ولما وصل السلطان إلى بلاد التلنك وهو قاصد إلى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة
 بدر كوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف
 وواو وتاء معلوة) وهي قاعدة بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون
 النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر ووقع الوباء إذ ذاك في
 عسكره فهلك معظمهم ومات العميد والمعاليك وكبار الأمراء مثل ملك دولة شاه الذي
 كان السلطان يخاطبه بالعموم ومثل أمير عبد الله الهوري وقد تقدمت حكايته في السفر الأول
 وهو الذي أمره السلطان أن يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة
 خربة بأعضاده ورفعها ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد إلى دولة آباد وخالفت البلاد
 وانتقضت الأطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته
 — ذكر الأرجاف بموته وفرار الملك هوشنج —

ولما عاد السلطان إلى دولة آباد مرض في طريقته فارجف الناس بموته وشاع ذلك فذهبات
 عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين
 السلطان عهدان لا يبايع غيره أبدًا في حياته ولا بعد موته فلما ارجف بموت السلطان
 هرب إلى سلطان كافر يسمى ببريرة يسكن بجبال مانعة بين دولة آباد وكوكن تانه فعلم
 السلطان بفراجه وخاف وقوع الفتنة فجند السير إلى دولة آباد واقتفى أثر هوشنج وحصره بالخیل
 وأرسل الكافران يسلمه إليه فابى وقال لا أسلم دخيلي ولو آل بي الأمر آل برای كنيته
 وخاف هوشنج على نفسه فرأس السلطان وعاهد على أن يرحل السلطان إلى دولة آباد ويبقى
 هنالك قتلوخان معلم السلطان ليستوثق منه هوشنج وينزل إليه على الأمان فرحل السلطان

عزل، هو شنج الى قتلوخان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منزله وخرج بماله وعياله واصحابه ووقدم على السلطان فسر بقدمه وارضاه وخلع عليه وكان قتلوخان صاحب عهد يستنم الناس اليه ويقولون في الوفاء عليه ومنزله عند السلطان عليه وتعظيمه له شديد ومتي دخل عليه قام له اجلا لا فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذي يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو محب في الصدقات كثير الا يثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين — ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من الثورة وما ك حاله —

وكان الشريف ابراهيم المعروف بالخريطة دار وهو صاحب الكاغذ والاقلام بدار السلطان واليا على بلاد حانسي وسرستي لما تحرك السلطان الى بلاد المعبر وأبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم في السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكنت منزله باخته حور نسب وكانت صالحة تهجد بالليل ولها أوراد من ذكر الله عز وجل وولدت منى بنتا ولا أدري ما فعل الله فيهما وكانت تقرأ لكنها لا تكتب فلما سمى ابراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الاموال يحملها الى دهلي فقال له ابراهيم ان الطريق مخوف وفيه القطع فاقم عندى حتى يصلح الطريق وأوصلك الى المامن وكان قصده ان يتحقق موت السلطان فيستولى على تلك الاموال فلما تحقق حياته سرح ذلك الامير وكان يسمى ضياء الملك بن شمس الملك ولما وصل السلطان الى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصف وصل الشريف ابراهيم اليه فوشي به بعض غلماناه واعلم السلطان بما كان هم به فاراد السلطان أن يعجل بقتله ثم نأى لحيته فيه فانفق ان أنى يوما الى السلطان بغزال مذبح ينظر الى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة اطرحوه فراه ابراهيم فقال ان زكاته جيدة وأنا آكله فاخير السلطان بقوله فانكر ذلك وجعله ذريعة الى أخذه فامر به فقيد وغال ثم قرره على ماري به من انه أراد أخذ الاموال التي مر بها ضياء الملك وعلم ابراهيم انه انما يريد قتله بسبب أبيه وانه لا تنفعه معذرة وخاف ان يعذب فرأى الموت خيرا له فاقر بذلك فامر به فوسط وترك هنالك وعادتهم انهم قتل السلطان أحدا أقام مطروحا بوضع قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه الى خندق خارج المدينة يطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق لئلا ياتي أهل المقتول فيعرفونه وربما أعطي بعضهم لهؤلاء الكفار مالا فتجافوا له عن قتله حتى بدفنه وكذلك فعل بالشريف ابراهيم رحمه الله تعالى

— ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك —

ولما عاد السلطان من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصره خان نائباً عنه ببلاد التلنك وهو من قداما خواصه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعا لنفسه وبايعه الناس بحضرة بدر كوت فبلغ خبره الى السلطان فبعث معلمه قطلو خان في عساكر عظيمة فحصره بعد قتال شديد هلك فيه أهم من الناس واشتد الحصار على أهل بدر كوت وهي منبوعة وأخذ قطلو خان في نقبها فخرج اليه نصره خان على الأمان في نفسه فأمته وبعث به الى السلطان وأمن أهل المدينة والعسكر

— ذكر انتقال السلطان لنهر الكنك وقيام عين الملك —

ولما استولى القحط على البلاد انتقل السلطان بعساكره الى نهر الكنك الذي تخرج اليه الهنود على مسيرة عشر من دهلي وأمر الناس بالبناء وكانوا قبل ذلك صنعوا خياماً من حشيش الأرض فكانت النار كثيراً ما تقع فيها وتؤذي الناس حتى كانوا يصنعون كهواً تحت الأرض فاذا وقعت النار رموا أمتعتهم بها وسدوا عليها بالتراب ووصلت أنا في تلك الأيام لمحلة السلطان وكانت البلاد التي بغربي النهر حيث السلطان شديدة القحط والبلاد التي بشرقيه خصبة وأميرها عين الملك بن ماهر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة الساكنو وغيرها وكان الأمير عين الملك كل يوم يحضر خمسين ألف من منها قحج وأرز وحصص لعلف الدواب فأمر السلطان أن تحمل القبيلة ومعظم الخيل والبغال الى الجهة الشرقية المخصبة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة أخوة وهم شهر الله ونصر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر فاتفقوا مع أخيه عين الملك على أن يأخذوا قبيلة السلطان ودوابه ويباعوا عين الملك ويقوموا على السلطان وهرب اليهم عين الملك بالليل وكاد الأمر يتم لهم ومن عادة ملك الهند أنه يجعل مع كل أمير كبير أو صغير مملوكاً له يكون عيناً عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أيضاً جواري في الدور يكن عيوناً له على أمرائه ونسوة يسميهن الكناسات يدخلن الدور بلا استئذان ويخبرهن الجواري بما عندهن فيخبر الكناسات بذلك المخبرين فيخبر بذلك السلطان ويذكرون أن بعض الأمراء كان في فراشه مع زوجته فارادماستها فحلفت به رأس السلطان أن لا يفعل فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صباحاً وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاه هو عين على عين الملك المذكور فأخبر السلطان بفراره وجوازه النهر فسقط في يده وظن أنها الغاضمية عليه لأن الخيل والقبيلة والزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة فارادماست قصد حضرته ويجمع العساكر وحينئذ يأتي لقتاله وشاور

أرباب الدولة في ذلك وكان امراء خراسان والغرباء اشد اللباس خوفا من هذا القائم لانه
هندي وأهل الهند مبغضون في الغرباء لا ظم ار السلطان لهم فيكرهوا وما ظهر له وقالوا يا خوند عالم
ان فعلت ذاك بلغه الخبر فاشتد امره ورتب العساكر واثال عليه طلاب الشر ودعاة الفتن
والاولى معاجلته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا ناصر الدين مطهر الاوهرى
ووافقه جميعهم فعمل السلطان باشارتهم وكتب تلك الليلة الى من قرب منه من الامراء
والعساكر فأتوا من حينهم وأدرك في ذلك حيلة حسنة فكان اذا قدم على محلته مثلامائة فارس
بعث الآلاف من عنده للقائهم ليلا ودخلوا معهم الى المحلة كان جميعهم مددله وتحرك
السلطان في مع ساحل النهر ليجمع مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها لمنعتهما وحصاتها
ويمنها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيام فرحل اول مرحلة وقد عبا جيشه للحرب
وجعلهم صفوا واحدا عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفروسه الى جانبه
ومعه خباء صغير يأكل به ويتوضأ ويعود الى مجلسه والمحلة الكبرى على بعد منهم ولم
يدخل السلطان في تلك الايام الثلاثة خيابه ولا استمطل بظل وكنت في يوم منها نجباي
فصاح بي نتي من فتياي اسمه سنبل واستعجلني وكان معي الجوارى فخرجت اليه فقال ان
السلطان أمر الساعة أن يقتل كل من معه امرأته أو جاريته فشفع عنده الامراء فامران
لا تبق الساعة بالحلة امرأة وان يعمل الى حصن هنالك على ثلاثة اميال يقال له كنديل فلم
تبق امرأة بالحلة ولا مع السلطان وبنا تلك الليلة على تعبئة فلما كان في اليوم الثاني رتب
السلطان عسكره افواجا وجعل مع كل فوج القبيلة المدرعة عليه الابراج فوقها المقاتلة
وتدرع العسكر وتجهز للحرب وياتوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر بان
عين الملك الناصر اجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقع انه لم يفعله الا بعد مراسلة الامراء
الباقين مع السلطان فامر في الحين بقسم الخيل العتاق على خواصه وبعث الى حظامها وكان
لى صاحب يسمى أمير اميران الكرمانى من الشجعان فاعطيته فرسانها اشهب اللون فلمسا
حركه جميع به فلم يستطع امسا كدورما عن ظهره فمات رحمه الله تعالى ووجد السلطان ذلك
اليوم في مسيرة فوصل بعد العصر الى مدينة قنوج وكان يخاف ان يسبقه القائم اليها وبات
ليلته تلك برتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعنا
الامير غدا ابن مهني والسيد ناصر الدين مطهر وامراء خراسان فاضا فتنا الى خواصه وقال
انتم اعزة على ما ينبغي ان تقارقوني وكان في عاقبة ذلك الخير فان القائم ضرب في آخر
الليل على المقدمة وفيها الوزير خواجه جهان فتامت ضجة في الناس كبيرة فعينئذ أمر

السلطان ان لا يبرح احد من مكانه ولا يقاتل الناس الا بالسيوف فاستل العسكر سيوفهم ونهضوا الى اصحابهم وحمى القتال وأمر السلطان ان يكون شعار جيشه دهلي وغزنة فاذا لقي احدهم فارسا قال له دهلي فان اجابه بغزنة علم انه من اصحابه والا قتاله وكان القاسم انما قصد ان يضرب على موضع السلطان فاخطابه الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والخراسانيون وهم اعداء الهنود فصدقوا القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين ألفا فانهمزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم المعروف بالبنجي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجم) التترى قد أقطعه السلطان بلاد سندبلة وهي قرية من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار علي فيله السلطان وخيله فوافقاه أيضا وجعل داود حاجيه وكان دواود هذا لما ضربوا على محلة الوزير يجهر بسب السلطان وبشتمه أقبح شتم والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التتري ماذا ترى يا ملك ابراهيم قد فراق كثير العسكر وذو النجدة منهم فهل لك ان نجوا بانفسنا فقال ابراهيم لاصحابه بلسا انهم اذا أراد عين الملك ان يفرقاني ساقبض على دبوقة فاذا فعلت ذلك فاضربوا أنتم فرسه ليسقط الى الارض فتقبض عليه وناق به السلطان ليكون ذلك كفارة لذنب في الخلاف معه وسببا لخلاصى فلما أراد عين الملك العرا قال له ابراهيم الى اين يا سلطان علاء الدين وكان يسمى بذلك وأمسك بدبوقة وضرب اصحابه فرسه فسقط الى الارض ورمى ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء اصحاب الوزير لياخذوه فنعهم وقال لا تركه حتي اوصله للوزير أو أموت دون ذلك فتركوه فأوصله الى الوزير وكنت أنظر عند الصبح الى القيلة والاعلام يؤتى بها الى السلطان ثم جاءني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك واتى به الوزير فلم أصدق فلم يمر الا يسير وجاءني الملك تمور الشرदार فاخذ بيدي وقال ابشر فقد قبض علي عين الملك وهو عند الوزير فتهجرك السلطان عند ذلك ونحن معه الى محلة عين الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر ما فيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم ونهبت الاموال والخيل والامتعة ونزل السلطان على الحجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد أركب على ثور وهو عريان مستور العورة بخرقة مربوطة بحبل وباقيه في عنقه فوقف على باب السراجة ودخل الوزير الى السلطان فاعطاه الشربة عناية به وجاء ابناء الملوك الى عين الملك فجلوا يسبونهم ويبصقون في وجهه ويصفعون

اصحابه اليه وبعث السلطان الملك الكبير فقال له ما هذا الذي فعلت فلم يجد جوابا فامر به السلطان ان يكسى ثوبا من ثياب الزمالة وقيد باربعة كبول وغلت يداه الى عنقه وسلم للوزير ليحفظه وجازاخوته النهر هارين ووصلوا مدينة عوض فاخذوا اهلهم وأولادهم وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجة اخيهم عين الملك اخصى بنفسك وبنيك معنا فقاتل افلا أكون كنساء الكفار اللاتي يحرقن انفسهن مع ازواجهن فاما ايضا أموت لموت زوجي واعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيره وادركته لها رقة وادركه الفتى سهيل نصر الله من أولائك الاخوة فقتله واتى السلطان برأسه وأتى بام عين الملك وأخته وامر أنه فسلمن الى الوزير وجعلان في خباء بقرب خباء عين الملك فكان يدخل اليهن ويجلس معهن ويعود الى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لقيف الناس الذين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعيا به وأتى بملك ابراهيم البنجي الذي ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نواياخوند عالم اقتل هذا فانه من الخالفين فقال الوزير انه قد فدي نفسه باقامه فعفا عنه السلطان وسرحه الى بلاده ولما كان بعد المغرب جلس السلطان بيرج الخشب وأتى باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب القائم وأتى بالقليلة فطرحوا بين أيديها فيجملت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على انيابها وترمي بعضهم الى الهواء وتلقفه والابواق والانفار والطبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف يعاين مقتلهم وي طرح منهم عليهم ثم أعيد الى محبسه وأقام السلطان على جواز النهر أياما لكثرة الناس وقلة القوارب وأجازا متعته وخزائنه على القليلة ووفر القليلة على خواصه ليجزوا امتعتهم وبعث الى بقيل منها أجزت عليه رجلى وقصد السلطان ونحن معه الى مدينة بهرايج (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكن وراء وألف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم) وهى مدينة حسنة فى عدوة نهر السرو وهو واد كبير شديد الانحدار واجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطال سالار عودا الذى نتج أكثر تلك البلاد وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتزاحموا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثمانمائة نفس لم ينج منهم الا عربي من أصحاب الامير غندا وكنار كينانحن فى مركب صغير فسلمنا الله تعالى وكان العربي الذى سلم من الغرق يسمى بسالم وذلك اتفاق عجيب وكان أراد ان يصعد معنا فى مركبنا فوجدنا قدر كيننا النهر فركب فى المركب الذى غرق فلما خرج غن الناس انه كان معنا فقامت ضيعة فى أصحابنا وفى سائر الناس وتوهموا اننا غرقنا ثم لما رأوا بعد استبشروا وسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو فى قبة لم نجد سبيلا الى

دخولها الكثيرة الزحام وفي تلك الوجوه دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكركدن فقتل
وأبى الناس برأسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وقد ذكرناه

— ذكر عودة السلطان لحضرته ونحو لقعة علي شاه كر —

ولما نظر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد إلى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفا عن
عين الملك وعفا أيضا عن نصره خان الفائم ببلاد التلنك وجعلهما معا على عمل واحد وهو
النظر على بسايتين السلطان وكساهما واركبهما وعين لهما نفقة من الدقيق واللحم في كل يوم
وبلغ الخبر بعد ذلك أن أحد أصحاب قتلوخان وهو على شاه كر ومعنى كرا لا طرش خائف
على السلطان وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدر كوت وجعلها مدينة ملكه
وخرجت العساكر إليه وأمر السلطان معلمه أن يخرج إلى قتاله فخرج في عساكر عظيمة
وحصره بدر كوت ونقبت أبرجها واشتدت به الحال فطلب الأمان فامنه قتلوخان وبعث به
إلى السلطان مقيدا فعفا عنه ونفاه إلى مدينة غزنة من طرف خراسان فأقام بها مدة ثم اشتاق إلى
وطنه فأراد العودة إليه لما قضاه الله من حينه فقبض عليه ببلاد السند وأتى به السلطان فقال له
إنما جئت لتثير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه

— ذكر فرار أمير بخت وأخذه —

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت الملقب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان
فحط مرتبه من أربعين ألفا إلى ألف واحد وبعثه في خدمة الوزير إلى دهلي واتفق أن مات
أمير عبد الله الهروي في الوباء في التلنك وكان ماله عند أصحابه به دهلي فاتفقوا مع أمير بخت على
الهروب فلما خرج الوزير من دهلي إلى لقاء السلطان هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا
إلى أرض السند في سبعة أيام وهو مسيرة أربعين يوما وكان معهم الخيل بخنوبة وعزموا
على أن يقطعوا نهر السند عوما ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم
في معديّة قصب يصنعونها وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير برسم ذلك فلما وصلوا إلى النهر
خافوا من عبوره بالعوم فبعثوا رجلين منهم إلى جلال الدين صاحب مدينة أوجة فقالا له
إن هاهنا تجار أرادوا أن يعبروا النهر وقد بعثوا إليك بهذا السراج لتبيح لهم الجواز فانكر
الأمير أن يعطي التجار مثل ذلك السراج وأمر بالقبض على الرجلين ففرا أحدهما ولحق بشرف
الملك وأصحابه وهم نيام لما لحقهم من الأعياء ومواصلة السهر فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين
وفروا وأمر جلال الدين بضرب الرجل الذي قبض عليه فاعترف بقضية شرف الملك فأمر
جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فاقترفوا أثرهم

قادر كرم فرموا العسكر بالنشاب ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الامير جلال الدين بسهم فاقبته في ذراعه وغلب عليهم فاتي بهم الى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب الى الوزير في شأنهم فامر الوزير ان يعيهم الى الحضرة فبعيهم اليها وسجنوا بها فمات طاهر في السجن فامر السلطان ان يضرب شرف الملك مائة مقرعة في كل يوم فبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وبعث مع الامير نظام الدين أمير نجله الى بلاد جند يرى فانتت حاله الى ان كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وفد ذلك الامير على السلطان وهو معه ففعله السلطان شاشنكير (جاشنكير) وهو الذي يقطع اللحم بين يدي السلطان ويمشي مع الطعام ثم انه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره وانتهت حاله الى ان مرض فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الاول وبعد ذلك زوجه باخته وأعطاه بلاد جند يرى التي كان بها البقر في خدمة الامير نظام الدين فسبحان مقلب القلوب ومحول الاحوال — ذكر خلاف شاه أفغان بارض السند —

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بارض ملتان من بلاد السند وقتل الامير بها وكان يسمى بهزاد وادعى السلطنة لنفسه وتجهز السلطان لقتاله فعلم انه لا يقاومه فهرب ولحق لقمومه الافغان وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها فاغتاز السلطان مما فعله وكتب الى عماله ان يقبضوا على من وجدوه من الافغان ببلاده فكان ذلك سببا لخلاف القاضي جلال

— ذكر خلاف القاضي جلال —

وكان القاضي جلال وجماعة من الافغانيين قاطنين بمقرعة من مدينة كنباية ومدينة بلوذة فلما كتب السلطان الى عماله بالقبض على الافغانيين كتب الى ملك مقبل نائب الوزير ببلاد الجزرات ونهر والة أن يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه وكانت بلاد بلوذة اقطاعا لملك الحكماء وكان ملك الحكماء متزوجا بربيبة السلطان زوجة أبيه تعلق ولها بنت من تعلق هي التي تزوجها الامير غدا وملك الحكماء اذذاك في صحبة مقبل لان بلاده تحت نظره فلما وصلوا الى بلاد الجزرات أمر مقبل ملك الحكماء ان ياتي بالقاضي جلال وأصحابه فلما وصل ملك الحكماء الى بلاده حذرهم في خفية لانهم كانوا من أهل بلاده وقال ان مقبلا طلبكم ليقبض عليكم فلا تدخلوا عليه الا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثمائة مدرع وأتوه وقالوا لا تدخل الا جملة فظفر له انه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف منهم فامرهم بالرجوع وظهرت ايامهم خلفوا عليه ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا خزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن السكولي التاجرو هو

الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية وسند كره ان هذا وجاء ملك مقبل لقاتلهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك عز بن الخمار والملك جهان بنبل لقاتلهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم ايضا وتسامع بهم أهل الفساد والجرائم فاثا لوالع عليهم وادعى القاضي جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الافغان فدخلوا أيضا — ذكر خلاف ابن الملك مل —

وكان ابن الملك مل ساكنا بدولة آباد في جماعة من الافغان فكتب السلطان الى نائبه بها وهو نظام الدين أخو معلمه قتلوا خانان يقبض عليهم وبعث اليه باجمال كثيرة من القيود والسلاسل وبعث بنخل الشتاء وعادة ملك الهند أن يبعث لكل أمير على مدينة ولوجوه عسكره خلعتين في السنة خلعة الشتاء وخلعة الصيف واذا جاءت الخلع يخرج الأمير والعسكر للقاءها فاذا وصلوا الى الآتي بها انزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعته وحملها على كتفه وخدم لجهة السلطان وكتب السلطان لنظام الدين اذا خرج الافغان ونزلوا عن دوابهم لاخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك وأتي أحد الفرسان الذين أوصلوا الخلع الى الافغان فاخبرهم بما يراد بهم فكان نظام الدين ممن احتال فانعكست عليه فركب وركب الافغان معه حتى اذا لقوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيرا من أصحابه ودخلوا المدينة فاخذوا الخزانين وقدموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل راثال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

— ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنباية —

ولما بلغ السلطان مافعله الافغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه وعزم على ان يبدأ بكنباية ثم يعود الى دولة آباد وبعث أعظم ملك الباي يدي صهره في أربعة آلاف مقدمة فاستقبلته عساكر القاضي جلال فهزموه وحصلوه وقاتلوه بها وكان في عسكر القاضي جلال شيخ يسمى جلول وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته وانفق يوما انه دفع فرسه فكبأ به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه الى السلطان وصلبوا جسده بسور بلويزة وبعثوا يديه ورجليه الى البلاد ثم وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضي جلال من ثبات ففر في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فتهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بنخت الذي قدمنا ذكره وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه وما جري عليه من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عن مكان في طاعة

جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم باقوالهم فآدى ذلك الى قتل الشيخ على الحيدرى
حسباً قدمناه ولما هرب القاضي جلال لحق بناصر الدين بن ملك مل بدولة آباد ودخل
في جماعته فأتى السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا في نحو أربعين العامن الافغان والترك والهنود
والعبيد وتحالفوا على ان لا يفروا وان يقاتلوا السلطان وأتى السلطان لقتالهم ولم يرفع
السطر الذى هو علامة عليه فلما استبحر القتال رفع السطر فلما عاينوه دهشوا وانهمزوا
اقبح هزيمة ولما ابن ملك مل والقاضي جلال في نحو أربعمائة من خواصهما الى قلعة
الدريقر وسند كرها وهي من امنع قلعة في الدنيا واستقر السلطان بمدينة دولة آباد الدويقر
وهي قلعتها وبعث لهم ان ينزلوا على حكمه فابوا ان ينزلوا الا على الامان فابى السلطان ان يؤمنهم
وبعث لهم الاطعمة تناولها بهم وأقام هناك وعلى ذلك آخر عهدى بهم

— ذكر قتال مقبل وابن الكولى —

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه وكان تاج الدين بن الكولى من كبار التجار
فوفد على السلطان من أرض الترك بهدايا جليلة منها الممالك والجمال والمتاع والأسلح
والثياب فاعجب السلطان فعله واعطاه اثني عشر لكاريند كراته لم تكن قيمة هديته الا لثكا
واحد او لاه مدينة كنباية وكانت اعطاه الملك المقبل نائب الوزير فوصل اليها وبعث المراكب
الى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها وجاءته التحف والهدايا فى المراكب وضخمت
حاله ولما لم يبعث أموال تلك الجهات الى الحضرة بعث الملك مقبل الى ابن الكولى ان
يبعث ما عنده من الهدايا والاموال مع هدايا تلك الجهات على العادة فامتنع ابن الكولى
من ذلك وقال أنا أحملها بنفسى أو أبعثها مع خدامى ولا حكم لنا بوزير على ولا للوزير
وأغتر بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية فكاتب مقبل الى الوزير بذلك فوقع له الوزير
على ظهر كتابه ان كنت عاجزا عن بلادنا فاتركها وارجع اليها فلما بلغه الجواب تجهز عسكره
ومع اليكه والتقيا بظاهر كنباية فانهمز ابن الكولى وقتل جماعة من الفريقين واستخفى ابن
الكولى في دار الناخودة (الناخذنا) الياس أحد كبراء التجار ودخل مقبل المدينة فضرب
رقاب أمراء عسكر ابن الكولى وبعث له الامان على ان ياخذ ماله المختص به ويترك مال
السلطان وهديته ومجى البلد وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه الى السلطان وكتب شاكيان
ابن الكولى وكتب ابن الكولى شاكيان منه فبعث السلطان ملك الحكماء ليتصرف بينهما
وبان ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فذهب مال ابن الكولى وفر ابن الكولى فى بعض
مما ليكه ولحق بالسلطان

— ذكر الغلاء الواقع بارض الهند —

حرفي مدة مغيب السلطان عن حضرته اذ خرج يقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الامر وانتهى المن الى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضائق الاحوال وعظم الخطب ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطن قطعاً من جلد فرس مات منذ أشهر ويا كانه وكانت الجلود تطبخ وتباع في الاسواق وكان الناس اذا ذبحت البقر أخذوا دماها فاكلوها وحدثني بعض طلبة خراسان انهم دخلوا بلدة تسمى اكروهة بين سحاسي وسرستي فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوته رجلاً قد أضرم ناراً ويده رجن آدمي وهو يشويها في النار وياكل منها والعياذ بالله ولما اشتد الحال أمر السلطان ان يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب في اليوم لكل واحد وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين حسبا يذكرون فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه وما قد ذكرنا من أخبار السلطان وما ثاب في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد الى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا أولاً الى حضرته وتنقل الحال الى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة الى الصين وعودنا منها الى بلادنا ان شاء الله تعالى

— ذكر وصولنا الى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب —

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الاول ثم الثاني ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا اليهم تقدم بنا تقيهم الى مشور عظيم متسع فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا فقدم ضياء الدين خداوندزاده ثم تلاه أخوه قوام الدين ثم اخوه عماد الدين ثم تلوتهم ثم تلا في أخوهم برهان الدين ثم الامير مبارك السمرقندي ثم ابن بقال التركي ثم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ثم بدر الدين الفصالح ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزاسطون (استون) ومعنى ذلك ألف سارية وبه يجلس السلطان الجلوس العام يخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الارض وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا الى الارض وخدمتنا لنا حية سرير السلطان وخدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء بأصوات عالية بسم الله وخرجنا

— ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضائلها —

هو أم السلطان تدعي الخدمة جهان وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك أنه لما ملك أنبها جاء إليها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء في أحسن زى وهي على سرير الذهب المرصع بالجواهر تخدم من بين يديها جميعاً فذهب بصرها للحين وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برابها ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في الخفة برأى من الناس أجمعين ولعده لما قصده أنه فتنقول ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه إلى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهناك سكني الخدمة جهان فلما وصلنا بابها أنزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة الممالك كالدين بن البرهان تخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم إلى الوزير فكلّموه سرّاً ثم عادوا إلى القصر ثم رجعوا إلى الوزير ثم عادوا إلى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السين (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين وبضم الباء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كل ما ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سباط صفاً ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا كخدمتهم ثم أتوا بالشربة فشرّبنا وقال الحجاب بسم الله ثم أكلنا وأتوا بالقدح ثم بالتنبول ثم قال الحجاب بسم الله فخدمنا جميعاً ثم دعينا إلى موضع هنالك فخلع علينا خلع الحرير المذهب ثم أتوا بنا إلى باب القصر فخدمنا عنده وقال الحجاب بسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرج من داخل القصر تحت ثياب غير خيطة من حرير وكتان وقطن فأعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة ويطيفور ثلث فيه الجلاب ويطيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم أن الذي يخرج له ذلك يأخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الأخرى إلى الأرض فآخذ الوزير الطيفور بيده قصد أن يعلمني كيف أفعل أيناساً منه وتواضعاً ومبرة جزاء الله خير أفعلت كفعله ثم انصرفنا إلى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلي وبمقربة من دروازة بالم منها وبعثت لنا الضيافة

ولما وصلت الى الدار التي أعددت انزولى وجدت فيها ما يحتاج اليه من فرش وبسط وحصر واوان وسرير الرقاد وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل المير من الرجل الواحد ولا بد لكل أحد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن فإذا نام الانسان عليه لم يحتاج الى ما يربطه به لانه يعطى الرطوبة من ذاته وجاء مع السرير بمضربتين ومخدتين وحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم أن يجعلوا للمضربات والاحواف (واللحف) وجوها تغشيها من كتان أو قطن بيضا فتي توستخت غسلوا الوجوه المسذ كورة وبقي ما في داخلها مصونا وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني ويسلمونه الخراس والآخر الجزاري ويسمونه القصاب فذا لوالنا أخذوا من هذا كذا وكذا من الدقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان وسند كرها ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان وسلمنا على الوزير فاعطاني بدرتين كل بدرة من ألف دينار درهم وقال لي هذه سر ششتي (ششتي) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعز وكتب جميع أصحابي وخدامي وغلامي فيجعلوا أربعة أصناف فالصنف الاول منها أعطى كل واحد منهم مائتي دينار والصنف الثاني أعطى كل واحد منهم مائة وخمسين ديناراً والصنف الثالث أعطى كل واحد مائة دينار والصنف الرابع أعطى كل واحد خمسة وسبعين ديناراً وكانوا نحو أربعين وكان جملة ما أعطوه أربعة آلاف دينار ونيقا وبعد ذلك عينت ضيافة السلطان وهي ألف رطل هندية من الدقيق ثلثها من المسيرا وهو الدرمل وثلاثها من الخشكار وهو المدهون وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والفوفل ابطال كثيرة لا اذكر عددها والالف من ورق التنبول والرطل الهندي عشرون رطلا من ابطال المغرب وخمسة وعشرون من ابطال مصر وكانت ضيافة خداوند زاده أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه

— ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك —

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا توفيت بنت لي سنهادون السنة فأنصل خـبر وفاتها بالوزير فامر ان تدفن في زاوية بناها خارج دروازة بالمقرب مقبرة هناك لشيخنا ابراهيم القانوني فدفناها بها وكتب بخبرها الى السلطان فاتاه الجواب في عشى اليوم الثاني وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة ايام وعادتهم ان يخرجوا الى قبر الميت

صبيحة الثالث من دفته ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويحعلون على القبر
الازاهير وهي لا تنقطع هنالك في فصل من الفصول كالياسمين وقل شبه (كل شبو) وهي
زهر أصفر وريبول وهو أبيض والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويحعلون
اغصان النارنج والليمون بشمارها وان لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيط ويصبون
على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل ويجمع الناس ويؤتي بالمصاحف فيقرؤون
القرآن فاذا ختموا دعاء الماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبا ويعطون
التنبول وينصرفون ولما كان صبيحة الثالث من دفن هذه البنت خرجت عند الصبح على
العادة واعدت ماتيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وامر بسراجة
فضربت على القبر وجاء الحاجب شمس الدين الفوشنجي الذي تلقاها بالسند والقاضي نظام
الدين الكرواني وجملة من كبار أهل المدينة ولم آت الا والقوم المذكورون وقد أخذوا
مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤون القرآن فقعدت مع أصحابي بمقربة من القبر فلما
فرغوا من القراءة قرأ القراء بأصوات حسان ثم قام القاضي فقرأ رثاء في البنت المتوفاة
وثناء على السلطان وعند ذكر اسمه قام الناس جميعا قداما فخذوا ثم جلسوا ودعا القاضي
دعاء حسنا ثم أخذ الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد فصبوا على الناس ثم داروا عليهم
باقداح شربة النيات ثم فرقوا عليهم التنبول ثم أتى بأحدى عشرة خلعة لى ولاصحابي ثم
ركب الحاجب وركبنا معه الى دار السلطان فخدمنا للسريز على العادة وانصرفت الى منزلي
فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار الخدومة جهان ماملال الدارودور أصحابي واكلوا
جميعا وأكل المساكين وفضلت الاقراص والحلواء والنيات فاقامت بقاياها أيا ما وكان فعل
ذلك كله بامر السلطان وبعد أيام جاء الفتيان من دار الخدومة جهان بالدولة وهي الحفنة
التي يحمل فيها النساء ويركها الرجال أيضا وهي شبه السريز سطحها من ضفائر الحرير او
القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عند نامعوج من القصب الهندي المغلوق ويحملها
ثمانية رجال في فوتين يستريح أربعة ويحمل أربعة وهذه الدول بالهند كالخمر بديار مصر عليها
يتصرف اكثر الناس فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن له عبيدا كثرى رجالا يحملونه وبالبلد
منهم جماعة يسيرة يقفون في الاسواق وعند باب السلطان وعند ابواب الناس للمكرى
وتكون دول النساء مغطاة بغشاة حرير وكذا كانت هذه الدولة التي أتى الفتيان بها من
دارام السلطان فحملوا فيها جاريتي التي هي أم البنت المتوفاة وبعثت انا معها عن هدية
جارية تركية فاقامت الجارية أم البنت عندهم ليلة وجاءت في اليوم الثاني وقد أعطوها الف

دينار دراهم وأساور ذهب مرصعة وتهلللا من الذهب مرصعا ايضا وقيص كستان
مزر كشا بالذهب وخلعة حرير مذهبة ونختا باثواب ولما جاءت بذلك كله اعطيته
لاصحابي وللتجار الذين لهم على الدين محاذفة على نفسى وصونا لعرضى لان المخبرين يكتبون
الى السلطان بجميع احوالى

— ذكر احسان السلطان والوزير الى فى أيام غيبة السلطان عن الحضرة —

وفى أثناء مقابى أمر السلطان ان يعين لى من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار فى
السنة فعينها الى الوزير وأهل الديوان وخرحت اليها قريه تسمى بدلى (بفتح الباء الواحدة
وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقريه تسمى سهي (بفتح الباء الواحدة والسين المهمل
وكسر الهاء) ونصف قريه تسمى بالرة (بفتح الباء الموسدة واللام والراء) وهذه القرى
على مسافه ستة عشر كروها وهو الميل بصدى يعرف بصدى هنديت والصدى عندهم
مجموع مائه قريه واحوازل المدينة مقسومه اصداء كل صدى له جو طرى وهو شيخ من
كفار تلك البلاد ومتصرف وهو الذى يضم مجا بها وكان قد وصل فى ذلك الوقت سبي
من الكفار فبعث الوزير الى عشر جوار منه فاعطيت للذى جاء بهن واحده منهن فـ
رضى بذلك وأخذ اصحابى ثلاثه صغار امنهن وابقين لا أعرف ما اتفق لهن والسبي هناك
رخيص الثمن لانهن قدرات لا يعرفن مصالح الحضر والمعاملات رخيصات الاثمان فلا يفتقر
أحد الى شراء السبي والكفار ببلاد الهند فى برمتصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون
غالبون عليهم وانما يمتنع الكفار بالجبال والاعوار ولهم غيصات من القصب وقصبهم غير
بحوف ويعظم ويلتف بعضهم على بعض ولا تؤثر فيه النار وله قوة عظيمه فيسكنون تلك
الغياض وهى لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشيههم وزروعهم ولهم فيها المياه مما
يجمع من ماء المطر فلا يقدر عليهم الا بالعا كرا القوية من الرجال الذين يدخلون
تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بالآت معدة لذلك

— ذكر العيد الذى شهدته أيام غيبة السلطان —

وأظل عيد النطر والسلطان لم يعد بعد الى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على
الفيل وقدمه له على ظهره شبه السربور ركزت أربعة أعلام فى أركانه الاربعه ولبس
الخطيب ثياب السواد وركب انؤذون على القيلة يكبرون امامه وركب فقهاء المدينة وقضاها
وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج الى المصلى ونصب على
المصلى صيوان قطن وفرش ببسط واجتمع الناس ذا كرىن لله تعالى ثم صلى بهم الخطيب

وخطب واصرف الناس الى منازلهم وانصرفوا الى دار السلطان وجعل الطعام فحضره الملوك
والامراء والاعزة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا

— ذكر قدوم السلطان ولقائه —

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان بقصر يسمى تلبت (بكسر التاء المنعولة الاولى وسكون
اللام وفتح الباء الموحدة ثم ناء كالأولى) وهي على مسافة سبعة اميال من الحضرة فامرنا
الوزير بالخروج اليه فخرجنا ومع كل انسان هديته من الخيل والجمال والفواكه الخراسانية
والسيوف المصرية والمماليك والغنم المجلوبة من بلاد الأتراك فوصلنا الى باب القصر وقد
اجتمع جميع القادمين فكانوا يدخلون الى السلطان على قدر مراتبهم ويخضع عليهم ثياب
الكتمان المزركشة بالذهب ولما وصلت النوبة الى دخلت فوجدت السلطان قاعدا على كرسي
فطنته أحد الحجاب حتي رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي وكنت
عرفته أيام غيبة السلطان فخدم الحاجب فخدمت واستقبلني أمير حاجب وهو ابن عم السلطان
المسمى بغيروز وخدمت ثانية لخدمته ثم قال لي ملك الندماء بسم الله مولانا بدر الدين
وكانوا يدعونني بارض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب انما يقال له مولانا
فقربت من السلطان حتى أخذ بيدي وصافحني وأمسك يدي وجعل يخاطبني باحسن
خطاب ويقول لي باللسان الفارسي حلت البركة قدومك مبارك اجمع خاطرك اععمل معك
من المراحم وأعطيك من الانعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون اليك ثم سألني عن بلاد
فقلت له بلاد المغرب فقال لي بلاد عبد المؤمن فقلت له نعم وكان كلامه قال لي كلاما جيدا
قبلت يده حتي قبلتها سبع مرات وخلع علي وانصرفت واجتمع الواردون فدلهم سماء
ووقف على رؤوسهم قاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وكان من كبار
الفقهاء وقاضي قضاة المماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وعماد الملك عرض المماليك
وانلك جلال الدين الكيحي وجماعة من الحجاب والامراء وحضر لذلك خدا وندزاده
غياث الدين بن عم خدا وندزاده قوام الدين قاضي الترمذ الذي قدم معنا وكان السلطان
يعظمه ويخاطبه بالاخ وتردد اليه مرارا من بلاده والواردون الدين خلع عليهم في ذلك
هم خدا وندزاده قوام الدين واخوته ضياء الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخيه
أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وحيه الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين
أمير هند ووزيرا أيضا والامير هبة الله بن الفلكي التبريزي وكان أبوه نائب الوزير بالعراق
وهو الذي بني المدرسة الفلكية بتبريز وملك كراي من أولاد بهرام جور (جوبين)

صاحب كسرى وهو من أهل جبل بدخشان الذى منه يجلب الياقوت البلخشي واللازورد والامير مبارك شاه السمرقندى وأرون بغا البخاري وملك زاده الترمذى وشهاب الدين الكازرونى التاجر الذى قدم من تبريز بالهدية الى السلطان فسلب فى طريقه

— ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر لنا به من المراكب —

وفى الغد من يوم خروجنا الى السلطان أعطي كل واحد منا فرسا من مراكب السلطان عليه سرج ولجام محليان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا فى مقدمته مع صدر الجيانشى وزينت القيلة امام السلطان وجعلت عليها الاعلام ورفعت عليها ستة عشر اشطرا منها مزركشة ومنها مرصعة ورفع فوق رأس السلطان شطرا منها وحملت امامه الفاشية وهي ستارة مرصعة وجعل على بعض القيلة رعايات صغار فلما وصل السلطان الى قرب المدينة رمى فى تلك الرعايات بالذنانير والدراهيم مختلطة والمشاة بين يدى السلطان وسواهم ممن حضر ملتقطون ذلك ولم يزالوا ينثرونها الى أن وصلوا الى القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الأقدام وصنعت قباب الخشب المكسوة بذياب الحرير وفيها المغنيات حسبما ذكرنا ذلك

— ذكر دخولنا اليه وما أنعم به من الاحسان والولاية —

ولما كان يوم الجمعة ثانى يوم دخول السلطان أتينا باب المشور فجلسنا فى سقائف الباب الثالث ولم يكن الاذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجى فامر الكتاب أن يكتبوا أسماءنا وأذن لهم في دخولنا ودخل بعض أصحابنا وعين للدخول معي ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاءوا بالبدر والقيان وهو الميزان وقعد قاضى القضاة والكتاب ودعوا عن الباب من الاعزة وهم الغرباء فعيّنوا لكل انسان نصيبه من تلك البدر فحصل لى منها خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال مائة الف دينار تصدقت به ام السلطان لما قدم ابنها وانصرفنا ذلك اليوم وكان السلطان بعد ذلك يستدعينا للطعام بين يديه ويسال عن أحوالنا ويخاطبنا باجل كلام ولقد قال لنا فى بعض الايام أتم شرفتمونا بقدمكم ثم نقدر على مكافأتكم فالكبير منكم مقام والدي والكهل مقام أخى والصغير مقام ولدى وما فى ملكى أعظم من مدينتى هذه أعطيكم اياها فشكرناه ودعونا له ثم بعد ذلك امر لنا بالمراتب فعين لى اثني عشر ألف دينار فى السنة وزادني قريتين على الثلاث التى أمر لى بها قبل احداها قرية جوزة والثانية قرية ملك بوروفى بعض الايام بعث لنا خادوا نذاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا ان خوند عالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك فسكت الجميع لانهم كانوا يريدون

تجميع الاموال والانصراف الى بلادهم وتكلم امير بخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره فقال أما الوزارة فميراثي وأما الكتابة فشغلي وغير ذلك لا اعرفه وتكلم هبة الله بن الفلكي فقال مثل ذلك وقال لي خدوا وندزاده بالعربي ما تقول انت ياسيدي وأهل تلك البلاد ما يدعون العربي الا بالتسويد وبذلك يخاطبه السلطان تعظما للعرب فقلت له أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي وأما الامارة فتعلمون ان الاعاجم ما سلمت الا باسياف العرب فلما بلغ ذلك الى السلطان أعجبه كلامي وكان بهزار اسطون يأكل الطعام فبعث عنافا كلنا بين يديه وهو يأكل ثم انصرفنا الى خارج هزار اسطون ففقد أصحابي وانصرفت بسبب دمل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا له عني وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمسور المغرب والعشاء الآخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خدوا وندزاده ضياء الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعله السلطان أميرداد وهو من الامراء الكبار فجلس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير او كبير احضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين ألف دينار في السنة عين له مجاشرفائدها ذلك المقدار فامر له بمخمسين ألفا عن يد وخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمى صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار مازركش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول والخيول عندهم أربعة اجناس وسروجهم كسروج أهل مصر ويكسون أعظمها بالفضة المذهبة ثم دخل أمير بخت فامرته أن يجلس مع الوزير في مشدده ويقف على محاسبات الدواوين وعين له مرتبا اربعين ألف دينار في السنة أعطى مجاشرفائدها بمقدار ذلك واعطى اربعين ألفا عن يد وأعطي فرسا مجهزا وخلع عليه كخلعة الذي قبله ولقب شرف الملك ثم دخل هبة الله بن الفلكي فجعله رسول دار ومعناه حاجب الارسال وعين له مرتبا اربعين ألف دينار في السنة أعطى مجاشريكون فائدها بمقدار ذلك وأعطي أربعة وعشرين ألفا عن يد وأعطي فرسا مجهزا وخلعة وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت فوجدت السلطان على سطح القصر مستندا الى السرير والوزير خواجه جهان بين يديه والملك الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سلمت عليه قال لي الملك الكبير اخدم فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك دهلي وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار في السنة وعين لك مجاشرف بمقدارها وأمر لك باثني عشر ألفا نقدا تاخذها من الخزانة غدا ان شاء الله واعطاك فرسا بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة محار بين وهي التي يكون في صدرها وظهرها شكل محراب نخدمت

﴿ ٦ - رحله - في ﴾

وأخذ بيدي فتقدم بي الى السلطان فقال لي السلطان لا تحسب قضاء دهلي من اصغر الاشغال هو اكبر الاشغال عندنا وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان السلطان يفهم العربي ولا يحسن الجواب عنه فقلت له يا مولانا أنا على مذهب مالك وهؤلاء حنفية وأنا لا أعرف اللسان فقال لي قد عينت بهاء الدين الملقاني وكال الدين البجنوري ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على العقود وأنت عندنا بمقام الولد فقلت له بل عبدكم وخدمكم فقال لي بالسان العربي بل أنت سيدنا ومخدومنا تواضعنا منه وفضلا وإبننا سائم قال لشرف الملك أمير نجت ان كان الذي ترتب له لا يكفيه لانه كثير الاتفاق فانا أعطيه زاوية ان قدر على اقامة حال الفقراء وقال قل له هذا بالعربي وكان يظن انه يحسن العربي ولم يكن كذلك وفهم السلطان ذلك فقال له بروو يكجنا بخصي (بخشي) وان حكاية براو بكوي وتفهيم كني (بكني) تا فردا ان شاء الله ييش من بياني (و) جواب او بكري (بكوي) معناه امشوا الليلة فارقدوا في موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فاذا كان بالغان شاء الله نجى الى وتعلمنى بكلامه فانصرفنا وذلك في ثلث الليل وقد ضربت النوبة والعادة عندهم اذا ضربت لا يخرج أحد فانظرنا الوزير حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلي مسدودة فبتنا عند السيد أبي الحسن العبادي العراقي بزقاق يعرف بسرا بورخان وكان هذا الشيخ يتجرب بالسلطان ويشترى له الاسلحة والامتعة بالعراق وخراسان ولما كان بالغد بعث عنا فقبعضنا الاموال والخليل والخلع وأخذ كل واحد منا البدره بالمال فجعلها على كاهله ودخلنا كذلك على السلطان فخدمنا وأتينا بالا فراس فقبلنا حوافرها بعد ان جعلت عليها الخرق وقد دناها بانفسنا الى باب دار السلطان فركبناها وذلك كله عادة عندهم ثم انصرفنا وامر السلطان لاصحابي بالفى دينار وعشر خلع ولم يعط لاصحابي أحد سوى شيئا وكان أصحابي لهم رءاء ومنظر فاعجبوا السلطان وخدموا بين يديه وشكروهم — ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة —

وكنت يوما بالمشور بعد أيام من توليت القضاء والاحسان الى وانا قاعد تحت شجرة هنالك الى جاني مولانا ناصر الدين الترمذى العالم الواعظ فاتى بعض الحجاب فدعي مولانا ناصر الدين فدخل الى السلطان فخلع عليه واعطاه مصحفامكلا بالجواهر ثم اتاني بعض الحجاب فقال اعطني شيئا وأخذ ذلك خط خرد باثني عشر ألفا امرلك بها خوند عالم نلم اصدقه وظننته يريد الحيلة على وهو مجد في كلامه فقال بعض الاصحاب انا اعطيه قاعه دينارين او ثلاثة وجاء بخط خرد ومعناه الخط الا صغر مكتوبا بتعريف الحاجب ومعناه امر خوند عالم ان

صاحب السند فدفعه للسلطان فقال له امض الى خواجه جهان فقل له يعطني دينه فضي اليه وأعلمه فقال نعم وباطاك اياما وأمره السلطان في خلاها بالسفر الى دولة آباد وفي اثناء ذلك خرج السلطان الى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيئا منها الا بعد مدة والسبب الذي توقف به عطاؤها اذ كره مستوفي وهو انه لما عزم الذين كان لهم على الدين الى السفر قلت لهم اذا أنا آتيت دار السلطان فندرهوني على العادة في تلك البلاد لعلمي ان السلطان مستي يعلم بذلك خلاصهم وعادتهم انه متى كان لاحد دين على رجل من ذري العنابة وأعوزه خلاصه وقف له بباب دار السلطان فاذا أراد الدخول قال له دروهي السلطان وحق رأس السلطان ما تدخل حتى تخلصني فلا يمكنه ان يبرح من مكانه حتي يخلصه أو يرغب اليه في تأخير فاتفق يوما ان خرج السلطان الى زيارة قبر أبيه ونزل بقصر هنالك فقلت لهم هذا وقتكم فلما أردت الدخول وقفوا الى بباب القصر فقالوا لي دروهي السلطان ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الباب بذلك الى السلطان فخرج حاجب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسالهم لاي شيء درهتموه فقالوا له يا عليه الدين فرجع الى السلطان فاعلمه بذلك فقال له اسالهم كم بلغ الدين فسالهم فقالوا له خمسة وخمسون الف دينار فعاد اليه فاعلمه قاهره ان يعود اليهم ويقول لهم ان خوند عالم يقول لكم لسال عندي وأنا أنصفكم منه فلا تطلبوه به وامر عماد الدين السمناني وخدامه زاده غياث الدين ان يقعدوا بهزارة سطون ويأتي اهل الدين بعقودهم وينظروا اليها ويتحققوها ففعلا ذلك وأتى الغرماء بعقودهم فدخلا الى السلطان واعلماه بثبوت العقود فضحك وقال ممازحاً أنا أعلم انه قاض جهنم شغله فيها ثم أمر خداه وندزاده ان يعطيني ذلك من الخزانة فطمع في الرشوة على ذلك وامتنع أن يكتب خط خرد فبعث اليه مائتي تنكة فردها ولم يأخذها وقال لي عنه بعض خدامه انه طلب خمسمائة تنكة فامتنعت من ذلك واعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك فاعلم به أباه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين خداه وندزاده عداوة فاعلم السلطان بذلك وذكر له كثير من أفعال خداه وندزاده فغير خاطر السلطان عليه فامر بحبسه في المدينة وقال لاي شيء أعطاه فلان ما أعطاه ووقفوا ذلك حتي يعلم هل يعطى خداه وندزاده شيئا اذا منعتهم أو يمنعه اذا أعطيتهم فهذا السبب توقف عطاء ديني

— ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجه معه وما صنعت في ذلك —

ولما خرج السلطان الى الصيد خرجت معه من غير تربص وكنت قد أعددت ما يحتاج اليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وهي أفراج وضربها هنا لك مباح ولا بد منها للكبار

الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها احمرًا وسواها بيضاء منقوشة بالازرق واشترت الصيوان وهو الذى يظل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويجعل ذلك الرجال على أعناقهم ويقال لهم اليكوانية والعادة هنالك ان يكثرى المسافر اليكوانية وقد ذكرناهم ويكثرى من يسوق له العشب لعلف الدواب لانهم لا يطعمونها اللبن ويكثرى الكهارين وهم الذين يحملون أواني المطبخ ويكثرى من يحمله فى الدولة وقد ذكرناها ويحملها فارغة ويكثرى القراشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجمال ويكثرى الدراوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكترىب انا جميع من احتجبت له منهم واظهرت القوة والهمة وخرجت يوم خروج السلطان وغيرى اقام بعده اليومين والثلاثة فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل وقصده أن يتطلع على أحوال الناس ويعرف من تسارع الى الخروج ومن أبطأ وجلس خارج السراجة على كرسى فخيت وسلمت ووقفت فى موقفى بالميمنة فبعث الى الملك الكبير قبولة سرجا مدار وهو الذى يشرذ الذباب عنه فامرنى بالجلوس عاية بى ولم يجلس فى ذلك اليوم سواي ثم أتى بالفيل والصق به سلم فركب عليه ورفع الشطر فوق رأسه وركب معه الخواص وجال ساعة ثم عاد الى السراجة وعادته اذا ركب أن يركب الامراء أفواجا كل أمير بوجه وعلاماته وطبوله وانفاره وصرناياته ويسمون ذلك المراتب ولا يركب امام السلطان الا الحجاب وأهل الطرق والطبالة الذين يتقلدون الاطبال الصغار والذين يضربون الصرنايات ويكون عن يمين السلطان نحو خمسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الامراء الكبار وبعض الاعزة وكنت أنا من أهل ميمنته ويكون بين يديه المشائون والادلاء ويكون حلقه علاماته وهي من الحرير المذهب والاطبال على الجمال وخلف ذلك مما ليك وأهل دخلته وخلفهم الامراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول فاذا أمر السلطان بمكان يعجبه النزول به أمر بانزول ولا تضرب سراجة أحد حتى تضرب سراجته ثم يأتى الموكلون بالنزول فينزلون كل أحد فى منزله وفى خلال ذلك ينزل السلطان على نهر او بين أشجار وتقدم بين يديه لحوم الاغنام والدجاج السمنة والكراكي وغسيراها من أنواع الصيد ويحضر ابناء الملوك وفى بكل واحد منهم سفود ووقدون النار ويشترتون ذلك ويؤتى بسراجة صغيرة فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجها ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء فياكل معه وكان فى بعض تلك الايام وهو بداخل السراجة يسأل عن بخارجها فقال له السيد ناصر الدين مطهر الاوهرى أحد ندمائه ثم فلان المغربى وهو متغير فقال لماذا فقال

بسبب الدين الذي عليه وغرماء يلحون في الطلب وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسا فر قبل ذلك فان أمر مولانا ان يصبر أهل الدين حتي يقدم الوزير أو أمر بانصافهم وحضر لهذا انلك دولة شاه وكان السلطان يخاطبه بالعلم فقال ياخوند عالم كل يوم هو يكلمني بالعربية ولا أدري مايقول باسیدی ناصر الدين ماذا فرصدان يكرر ذلك الكلام فقال يتكلم لاجل الدين الذي عليه فقال السلطان اذا دخلنا دار الملك فامض أنت يا أومار ومعناه يا عم الى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان خندا وندزاده حاضرا فقال ياخوند عالم انه كثير الانفاق وقد رأيت به ببلا دنا عند السلطان طر مشيرين وبعده هذا الكلام استجضر في السلطان للطعام ولا علم عندي بما يجري فلما خرجت قال لي السيد ناصر الدين اشكر للملك دولة شاه وقال لي الملك دولة شاه اشكر لخد وندزاده وفي بعض تلك الايام ونحن مع السلطان في الصيد ركب في الحلة وكان طريقه على منزلي وأمامه في الميمنة وأصحابي في الساقية وكان لي خباء عند السراجة فوقف أصحابي عندها وسلموا على السلطان فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسا الا لمن لك الاخوية والسراجة فتميل لهما لعلان فاخبراه بذلك فتبسما فلما كان بالغد نفذ الامران اعود انا وناصر الدين مطهر الاوهرى وابن قاضي مصر وملك صبيح الى البلد فخلع علينا وعدنا الى الحضرة

— ذكر الجبل الذي أهديته للسلطان —

وكان السلطان في تلك الايام سالى عن الملك الناصر هل يركب الجبل فقلت له نعم يركب الممازي في أيام الحج فيسير الى مكة مر مصر في عشرة أيام ولكن تلك الجمال ليست كجمال هذه البلاد وأخبرته أن عندي جملا منها فلما عدت الى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر فصور لي صورة الكور الذي تركب الممازي به من الفير وارأيتها بعض التجارين فعمل الكور وتفقنه وكسوته بالملف وصنعت لها كبار وجعلت على الجبل عبادة حسنة وجعلت له خطام حريروكان عندي رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها ما يشبه التمر وغيره وبعثت الجبل والحلواء الى السلطان وأمرت الذي حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه وبعثت له بفرس وجمالين فلما وصله ذلك دخل على السلطان وقال ياخوند عالم رأيت العجب قال وما ذلك قال فلان بعث جملا عليه سرج فقال اتتوا به فادخل الجبل داخل السراجة وأعجب به السلطان وقال لراجل اركبه فركبه ومشاه بين يديه وأمر له بما تاتي دينار دراهم وخلعة وعاد الرجل الى قاعلني فسرني ذلك واهديت له جملين بعد عودته الى الحضرة — ذكر الجبلين اللذين اهديتهما اليه والحلواء وأمره بخلاص ديني وماتعلق بذلك —

ونساعاد الى راجلي الذي بعثته بالجل فخيرني بما كان من شأنه صنعت كوربن اثنين وجعلت
مقدم كل واحد ومؤخره مكسوا بصفائح الفضة المذهبة وكسوتهما بالملف وصنعت رسنا
مصفحا بصفائح الفضة وجعلت لهما جلين من زردخانة مبطين بالكخا وجعلت للجملين
الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت احد عشر اطينورا وملأتهما بالحلواء وغطيت كل طيفور
بمنديل حرير فلما قدم السلطان من الصيد وقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العام غدوت
عليه بالجمال فامر بها فحركت بين يديه وهرولت فطار خلخال أحدها فقال ليهاء الدين بن
الفلكي بايل ورداري معني ذلك ارفع الخلخال فرفعه ثم نظر الى الطيافير فقال جداري
(جه داري) درآن طبقها حلوا است معني ذلك ما معك في تلك الاطباق حلواء هي فقلت له
نعم فقال للفقهاء ناصر الدين الترمذي الواعظ ما أكلت قط ولا رأيت مثل الحلواء التي بعثها اليها
ونحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الطيافير ان ترفع لموضع جلوسه الخاص فرفعت وقام الى مجلسه
واستدعاني وأمر بالطعام فاكلت ثم سألني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له قبل فقلت له
ياخو ند عالم تلك الحلواء أنواعها كثيرة ولا أدري عن أي نوع تسألون منها فقال إيتوا بتلك
الاطباق وهم يسمون الطيفور طبقا فتوا بها وقدموها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا
سالتك وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له هذه يقال لها المقرصة ثم أخذ نوعا آخر فقال
وما اسم هذه فقلت له هي لقيمات القاضي وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف
بالسامري وينتسب الى آل العباس رضى الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له السلطان
والدي فحسدني واراد ان ينجلي فقال ليست هذه لقيمات القاضي بل هي هذه وأخذ
قطعة من التي تسمى جلد الفرس وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي وكان
كثيرا ما يمازح هذا الشيخ بين يدي السلطان فقال له ياخواجه انت تكذب والقاضي
يقول الحق فقال له السلطان وكيف ذلك فقال ياخو ند عالم هو القاضي وهي لقيماته فانه
أتى بها فضحك السلطان وقال صدقت فلما فرغنا من الطعام أكل الحلواء ثم شرب الفقاع
بعد ذلك وأخذنا التنبول وانصرفنا فلم يكن غير هنية واتاني الخازن فقال ابعت أصحابك
يقبضون المال فبعثتهم وعدت الى داري بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها
ستمائة آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون تنكة وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفا التي هي
دين على وصرف الاثني عشر ألفا التي أمر لي بها فإني أقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف التنكة
ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب

— ذكر خروج السلطان وامره لي بالاقامة بالحضرة —

وفي تاسع جمادى الاولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المعبر وقتال القائم بها وكنت قد خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر وأعطيت مرتب تسعة أشهر للكهنة والفراسين والكيوانية والدوادية وقد تقدم ذكرهم فخرج الامر باقامتي في جملة ناس وأخذنا لحاجب خطوطنا بذلك لتكون حجة له وتلك عادتهم خوفاً من أن ينكر المبلغ وأمر لي بستة آلاف دينار دراهم وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف وكذلك كل من أقام من الاعزة وأما البلديون فلم يعطوا شيئاً وأمر لي السلطان أن أتولي النظر في مقبرة السلطان قطب الدين الذي تقدم ذكره وكان السلطان يعظم تربته تعظيماً شديداً لأنه كان خديماً له ولقد رأيته إذا أتى قبره يأخذ نعله فيقبله ويجعله فوق رأسه وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متكأة وكان اذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم زوجته ويدعوها بالاخت وجعلها مع حرمه وزوجها بعد ذلك لابن قاضي مصر واعتني به من اجلها وكان يمضي لزيارتها في كل جمعة ولما اخرج السلطان بعث عنا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق خوند عالم فكان له في ذلك الخير فقال له السلطان امض فجهز للسفر وقد مت بعده للوداع وكنت أحب الاقامة ولم تكن عاقبتهم المحودة فقال مالك من حاجة فاخرجت بطاقة فيها ست مسائل فقال لي تكلم بلسانك فقلت له إن خوند عالم أمر لي بالقضاء وما قعدت لذلك بعد وليس مرادي من القضاء الاحرمته فامرني بالعود للقضاء وعود النائبين معي ثم قال لي إيه فقلت وروضة السلطان قطب الدين ماذا أفعل بها فيها فاني ربيت فيها اربعمائة وستين شخصاً ومحصول أوقافها لا يفي بمرتباتهم وطعام منامهم فقال للوزير ينجاه هزار ومعناه خمسون ألفاً ثم قال لا بد لك من غلة بديعية أعطيه مائة ألف من المغلة وهي القمح والارز ينفقها في هذه السنة حتي تأتي غلة الروضة والمان عشرون رطلاً مغريسة ثم قال لي وماذا أيضاً فقلت ان أصحابي سجنوا بسبب القرى التي أعطيتهموني فاني عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ما وصلني منها أو الاستظهار بامر خوند عالم ان يرفع عني ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هي انعام عليك فقلت له وداري التي أمرتني بها مفتقرة الي البناء فقال للوزير عمارة كنيذ أي معناه عمسروها ثم قال لي ديكر نما ند فقلت له معناه هل بقي لك كلام فقال لي وصية ديكر هست معناه أوصيك أن لا تأخذ الدين لثلاً تطلب فلا تجد من يبلغ خبرك الي انتق على قدر ما أعطيتك قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً

قاردت ان أقبل قدمه فمضى وأمسك رأسى بيده فقبلتها وانصرفت وعدت الى الحضرة فاشتغلت بعمارة دارى وأنفقت فيها أربعة آلاف دينار أعطيت منها من الديوان ستمائة دينار وزدت عليها الباقي وبنيت بازائها مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الدين وكان السلطان قد أمر ان تبنى عليه قبة يكون ارتفاعها فى الهواء مائة ذراع بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبة المبنية على قازان ملك العراق وأمر أن تشتري ثلاثون قرية تكون وقفا عليها وجعلها بيدي على ان يكون لى العشر من فائدها على العادة

— ذكر ما فعلته فى ترتيب المقبرة —

وعادة أهل الهند أن يرتبوا لاموانهم ترتيبا أكثر تيسرهم بقيد الحياة ويؤنى بالقليلة والخيلى فتربط عند باب التربة وهي مزينة فترتب انا فى هذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قراء القرآن مائة وخمسين وهم يسمونهم الختميين ورتبت من الطلبة ثمانين ومن المعبدن ويسمونهم المكررين ثمانية ورتبت لها مدرسا ورتبت من الصوفية ثمانين ورتبت الامام والمؤذنين والقراء بالاصوات الحسان والمداحين وكتاب الغيبة والمعرفين وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالارباب ورتبت صنفا آخر يعرفون بالحاشية وهم الفراشون والطباخون والدواوية والا بدارية وهم السقائون والشربدارية الذين يسقون الشربة والتنبول دارية الذين يعطون التنبول والسلحدارية والنز دارية والشرط دارية والطشت دارية والحجاب والنقباء فكان جميعهم أربع مائة وستين وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها كل يوم اثني عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم فرأيت ان ذلك قليل والزراع الذى أمر به كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين منا من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر والنبات والسمن والتنبول وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد وكان الغلاء شديدا فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خبره وسافر الملك صبيح الى السلطان بدولة آباد فساله عن حال الناس فقال له لو كان بدله اثنان مثل فلان لما شكا الجهد فاعجب ذلك السلطان وبعث الى بخاعة من ثيابه وكنت أصنع فى المواسم وهى العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من من الدقيق ومثلها لهما فيما كل منها الفقراء والمساكين وأما أهل الوظيفة فيجعل امام كل انسان منهم ما يخصه ولند كر عادتهم فى ذلك

— ذكر عادتهم فى اطعام الناس فى الولا ثم —

وعادتهم ببيلاد الهند وبيلاد السرا انه اذ فرغ من أكل الطعام فى الوليمة جعل امام كل انسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهدله أربع قوائم منسوج سطحه

من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوى وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة
بالحلواء الصابونية مغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر وطبقا صغيرا مصنوعا من الجلد
فيه الحلواء والسمن وسك و يغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد ومن كان دون من
ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ويسموونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه ومن
كان دون هؤلاء أيضا جعل أمامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه
وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حاضرة السلطان أوزبك قامتعت أن يرفع
رجال ذلك أذ لم يكن لي به عهد وكذلك يبعثون أيضا الدار كبراء الناس من طعام الولائم
— ذكر خروجي الى هزارأ مروها —

كان الوزير قد أعطاني من الغلة للمأمو ر بها للزاوية عشرة آلاف من وفدلى الباقي في هزار
أ مروها وكان الى الخراج بها عزيز الخمار وأميرها شمس الدين البذخشانى فبعثت رجالى
فاخذوا بعض الاحالة وتشكوا من تعسف عزيز الخمار فخرجت بنفسى لاستخلاص ذلك
وبين دهلى وهذه العمالة ثلاثة أيام وكان ذلك اوان نزول المطر فخرجت فى نحو ثلاثين
من اصحابى واستصحبت معى اخوين من المغنيين الحسينيين يغنيان لى فى الطريق فوصلنا
الى بلدة بخجور وضبط اسمها (بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء)
فوجدت بها ايضا ثلاثة إخوة من المغنيين فاستصحبتهم فكانوا يغنون لى نوبة والآخران
نوبة ثم وصلنا الى امروها وهى بلدة صغيرة حسنة فخرج عمالها للقاءى وجاء قاضىها الشريف
أمير على وشيخ زاويتها وأصافانى معا ضيفا حسنة وكان عزيز الخمار بموضع يقال افغان بور
على نهر السرو وبيننا وبينه النهر ولا معدية فيه فاخذنا الانتقال فى معدية صنعناها من
الخشب والنبات وجزنا فى اليوم الثانى وجاء نجيب أخو عزيز فى جماعة من اصحابه وضرب
لنا سراجة ثم جاء اخوه الى الوالى وكان معروفا بالظلم وكانت القرى التى فى عمالته الفا
وخمسائة قرية وجباها ستون لكافى السنة له فيها نصف العشر ومن عجائب النهر الذى
نزلنا عليه انه لا يشرب منه احد فى ايام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولقد اقمنا عليه
ثلاثا فما غرف منه احد غرفة ولا كدنا نقرب منه لانه ينزل من جبل قراجيل التى بها
معادن الذهب ويمر على الخشاش المسمومة فنشرب منه مات وهذا الجبل متصل مسيرة
ثلاثة اشهر وينزل منه الى بلاد تبت حيث غزلان المسك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش
المسلمين بهذا الجبل وبهذا الموضع جاء الى جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع
بأوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم وقد ذكرنا ذلك وكانت قد نشأت بين امير هذه

البلاد شمس الدين البذخشاني وبين واليه اعز يز الخمار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله فامتنع منه بداره وبلغت شكابة أحدها الوزير بدلهى فبعث الى الوزير والى الملك شاه أميرالممالك بامروها وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان والى شهاب الدين الرومي أن ننظر في قضيتها فمن كان على الباطل بعثناه مثقفا الى الحضرة فاجتمعوا جميعا بمنزلى وادعى عز يز على شمس الدين دعاوى منها أن خدع بماله يعرف بالرضي الملتاني نزل بدار خازن عزيز المذكور فشرب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذى عند الخازن فاستفهمت الرضى عن ذلك فقال لي ما شربت الخمر منذ خروجي من ملتان وذلك ثمانية أعوام فقلت له أو شربتها بملتان قال نعم فامرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى للوث ظهر عليه وانصرفت عن أمروها فكانت غيبتي نحو شهرين وكنت في كل يوم أذبح لأصحابي بقرة وتركت أصحابي لياتوا بالزرع المنفذ على عز يز وحمله عليه فوزع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف بقرة وأهل الهند لا يحملون الا على البقر وعليه يرفعون انقالهم في الاسفار وركوب الخمر عندهم عيب كبير وحيرهم صغار الاجرام يسمونها اللاشة واذا أرادوا إشهار أحد بعد ضربه اركبوه الخمار

— ذكر مكرمة لبعض الاصحاب —

وكان السيد ناصر الدين الاوهرى قد ترك عندي لمسا فراقنا وستين تنكة فتصرف فيها فلما عدت الى دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال خداوند زاده قوام الدين وكان قدم نائبا عن الوزير فاستعجبت ان أقول له تصرف في المال فاعطيته نحو ثلثه واقتم بداري أياها وشاع أني مرضت فاتى ناصر الدين الخوارزمي صدر الجهان لزيارتي فلما رآنى قال ما أرى بك مرضا فقلت له انى مريض القلب فقال لي عرفنى بذلك فقلت له ابعت الى نائبك شبيب الاسلام أعرفه به فبعثه الى قاعلمته فعاد اليه فاعلمه فبعث الى بالف دينار دراهم وكان له عندي قبل ذلك ألفا ثانيا ثم طلب منى بقية المال فقلت في نفسي ما يخلصني منه الا صدر الجهان المذكور لانه كثير المال فبعثت اليه بفرس مسرج قيمته وقيمة سرجه ألف وستمائة دينار وبفرس ثان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما ألف ومائتا دينار وبتركش فضة وبسيفين عمداهما مغشيان بالفضة وقلت له انظر قيمة الجميع وابعت الى ذلك فاخذ ذلك وعمل لجميعة قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث الى ألفا واقتطع الاثنين فتغير خاطري ومرضت بالحمى وقلت في نفسي ان شكوت به الى الوزير افتضحت فاخذت خمسة افراس ورجل يتين ومملوكين وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك الملوك عماد الدين السمناني

وهو في مسن فرد على ذلك وبعث الى مائتي تنكة واغزر وخلصت من ذلك المال فشتان بين فعله
 مجد ومجد — ذكر خروجه الى محلة السلطان —

وكان السلطان لما توجه الى بلاد المعبر وصل الى التلنك ووقع الوباء بعسكره فعاد الى دولة
 آبادهم وصل الى نهر الكنك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وخرجت في تلك الايام الى محله وانفق
 ما سددناه من مخالفة عين الملك ولازمت السلطان في تلك الايام واعطاني من عتاق الخيل لما
 قسمها على خواصه وجعلني فيهم وحضرت معه الوقعة على عين الملك والقبض عليه وجرت
 معه نهر الكنك ونهر السرو وزيارة قبر الصالح البطل سالار عود (مسعود) وقد استوفيت ذلك
 كله وعددت معه الى حضرة دهلي لما عاد اليها

— ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى —

وكان سبب ذلك اني ذهبت يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ الجام بالغار الذي
 احتفراه خارج دهلي وكان قصدي رؤية ذلك الغار فلما أخذه السلطان سال اولاده عن
 كان يزوره فذكروا اناسا انا من جملتهم فامر السلطان اربعة من عبيده بملازمة بالمشور
 وعادته انه متى فعل ذلك مع أحد قلما يتخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة
 فالحمني الله تعالى الى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأت ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين
 الف مرة وبث بالمشور وواصلت الى خمسة ايام في كل يوم منها اختم القرآن وافطر عليه
 الماء خاصة ثم افطرت بعد خمس وواصلت اربعا وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

— ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجه عن الدنيا —

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع
 الورع فريد الدهر ووحيد العصر كالدين عبد الله الفاري وكان من الاولياء وله كرامات
 كثيرة قد ذكرت منها ما شاهدته عند كرامته وانقطعت الى خدمة هذا الشيخ ووهبت
 ما عندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة ايام وربما واصل عشرين فكنت
 أحب أن أواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي ان المذنب لا أرضا
 قطع ولا ظهرا أبقى وظهر لي من نفسي تكامل بسبب شيء بقي معي فخرجت عن جميع ما عندي
 من قليل وكثير واعطيت ثياب ظهري فقير ولبست ثيابا به ولازمت هذا الشيخ خمسة أشهر
 والسلطان اذ ذاك غائب ببلاد السند

— ذكر بعث السلطان عني وابايتي عن الرجوع الى الخدمة واجتهادي في العبادة —

ولما بلغ السلطان خبر خروجه عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان فدخلت عليه في

رأى الفقراء فكلمني أحسن كلام وألطفه واراد مني الرجوع الى الخدمة فايت وطلبت منه الاذن في السفر الى الحجاز فاذن لي فيه وانصرفت عنه ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة الى الملك بشير وذلك في او اخر جمادى الثانية سنة ثنتين واربعين فاعتكفت بها شهر رجب وعشرة من شعبان وانتهيت الى مواصلة خمسة ايام وافطرت بعدها على قليل أرز دون إدام وكنت أقرأ القرآن كل يوم واتعبد بما شاء الله وكنت اذا أكلت الطعام أذاني فاذا طرحته وجدت الراحة وأقمت كذلك اربعين يوما ثم بعث عي ثانية

— ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين في الرسالة —

ولما كملت لي اربعون يوما بعث الى السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلما ناو ثيابا ونفقة فلبست ثيابا به وقصدته وكانت لي جبة قطن زرقاء مبطنة لبستها ايام اعتكافي فلما جردتها ولبست ثياب السلطان انكرت نفسي وكنت متي نظرت الى تلك الجبة اجد نوراني باطني ولم تزل عندي الى ان سلطني الكهفاري البحر ولما وصلت الى السلطان زادني اكرامي على ما كنت أعده وقال لي انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولا الى ملك الصين فاني أعلم حبك في الاسفار والجولان فجهزني بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد

— ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية —

وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسة ائوب من الكخا منهم مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا وخمسة ائوب من المسك وخمسة ائوب مرصعة بالجوهر وخمسة من الترا كش مزر كشة وخمسة سيوف وطلب من السلطان أن ياذن له في بناء بيت الاصنام الذي بناه جيل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذي هو به بسمل (بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء) واليه يحج أهل الصين وتغلب عليه جيش الاسلام بالهند فخر بوه وسلبوه فلما وصلت هذه الهدية الى السلطان كتب اليه بان هذا المطلب لا يجوز في ملة الاسلام اسعافه ولا يباح بناء كنيسة بارض المسلمين الا لمن يعطى الجزية فان رضيت باعطائها أبحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدى وكافاه عن هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند مغنيات ورواقص ومائة ائوب بيرمية وهي من القطن ولا نظير لها في الحسن قيمة الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجز (بضم الجيم وزاي) وهي التي يكون حرير احداها مصبوغا بخمسة الوان واربعة ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصلاحيه ومائة ثوب من الشيرين باف ومائة ثوب من الشان باف وخمسة ائوب من

المرعز مائة منها سود ومائة بيض ومائة حمراء ومائة خضراء ومائة زرق ومائة شقة من الكتان الرومي ومائة فضلة من الملف وسراجة وست من القباب واربعة حلك من ذهب وست حلك من فضة متيلة واربعة طسوت من الذهب ذات اباريق كشلمها وستة طسوت من الفضة وعشر خلخ من ثياب السلطان مزر كشة وعشر شواش من لباسه إحداها مرصعة بالجوهر وعشرة ترا كش مزر كشة وأحداها مرصع بالجوهر وعشرة من السيوف أحداها مرصع الغمد بالجوهر ودشت بان (دستبان) وهو قفاز مرصع بالجوهر وخمسة عشر من الفتيان وعين السلطان للسفر معي بهذه الهدية الامير ظهير الدين النجاشي وهو من فضلاء أهل العلم والفقه كافر الشربدار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الامير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلنا الى الموضع الذي نركب منه البحر وتوجه صحبتنا ارسال ملك الصين وهم خمسة عشر رجلا يسمي كبيرهم ترسي وخدامهم نحو مائة رجل وانفصلنا في جمع كبير وعجلة عظيمة وامر لنا السلطان بالضيافة مدة سفرنا ببلاده وكان سفرنا في السابح عشر اشهر صفر سنة ثلاث واربعين وهو اليوم الذي اختاروه للسفر لانهم يختارون للسفر من ايام الشهر ثمانية اوسابعه او الثاني عشر او السابع عشر او الثاني والعشرين أو السابح والعشرين فكان نزولنا في اول مرحلة بمنزل تلبت على مسافة فرسخين وثلاث من حضرة دهلي ورحلنا منها الى منزل أو ورحلنا منه الى منزل هيلو ورحلنا منه الى مدينة بيانة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون) مدينة كبيرة حسنة البناء مليحة الاسواق ومسجدها الجامع من ابدع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة والامير بها مظفر بن الداية وأمه هي داية للسلطان وكان بها قبله الملك مجير بن أبي الرجاء احد كبار الملوك وقد تقدم ذكره وهو يتسبب في قریش وفيه تجویر وله ظلم كثير قتل من اهل هذه المدينة جملة ومثل بكثير منهم ولقد رأيت من أهلها رجلا حسن الهيئة قاعدا في اسطوان منزله وهو مقطوع اليدين والرجلين وقدم السلطان مرة على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجير المذكور فامر السلطان بالقبض عليه وجعلت في عنقه الجماعة وكان يقعد بالديوان بين يدي الوزير وأهل البلد يكتبون عليه المظالم فامره السلطان بارضاها فارضاها بالاموال ثم قتله بعد ذلك ومن كبار اهل هذه المدينة الامام العالم عز الدين الزبيرى من ذرية الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد كبار الفقهاء الصالحاء لقيته بكا لپور عند الملك عز الدين البتاني المعروف باعظم ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا الى مدينة كول (وضبط اسمها بضم الكاف) مدينة حسنة ذات بساتين واكثر أشجارها العنبا ونزلنا بخارجها في بسيط

أفيح ولقينا بها الشيخ الصالح العابد شمس الدين المعروف بابن تاج العارفين وهو مكفوفه
البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه

— ذكر غزوة شهدناها بكون —

ولما بلغنا الى مدينة كول بلغنا ان بعض كفار الهند حاصروا بلدة الجلالى واحاطوا بها وهي
على مسافة سبعة من كول فقصدناها والكفار يقاتلون أهلها وقد أشرفوا على التلف ولم
يعلم الكفار بنا حتى صدقنا الحملة عليهم وهم في نحو ألف فارس وثلاثة آلاف راجل
فقتلناهم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم واسلحتهم واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون
فارسا وخمسة وخمسون راجلا واستشهد الفتى كافور الساقى الذى كانت الهدية مسجلة
بيده فكتبنا الى السلطان بخبره وأقناني انتظار الجواب وكان الكفار في أثناء ذلك يتزلون
من جبل هنالك منيع فيغيرون على نواحي البلدة الجلالى وكان أصحابنا يركبون كل يوم
مع أمير تلك الناحية ليعينوه على مدافعهم

— ذكر محنتي بالأسرو خلاصى منه وخلاصى من شدة بعده علي بدولى من أولياء الله تعالى —
وفي بعض تلك الايام ركبت في جماعة من أصحابي ودخلنا بستانا ثقيل فيه وذلك فصل القيظ
فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كفارا أغاروا على قرية من قرى الجلالى فابعناهم ففرقوا
وتفرق أصحابنا في طلبهم وانفردت في خمسة من أصحابنا فخرج علينا جملة من الفرسان
والرجال من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعني نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني الثلاثة
منهم ولا طريق بين يدي وتلك الارض كثيرة الحجارة فنشبت يدافرسى بين الحجارة فنزلت
عنه واقتلت يده وعدت الى ركوبه والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان أحدهما معلق
بالسرج ويسمى الركابى والآخري التركش فسقط سيفى الركابى من عنقه وكانت حليته
ذهبا فنزلت فاخذته وتقلدته وركبت وهم في أنرى ثم وصلت الى خندق عظيم فنزلت
ودخلت في جوفه فكان آخر عهدى بهم ثم خرجت الى وادى وسط شعراء ملتفة في وسطها
طريق فمشيت عليه ولا اعراف منها فبينما أنا في ذلك خرج على نحو أربعين رجلا من الكفار
بايديهم القسي فاحدقوا بي وخفت أن يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم وكنت
غير متدرع فالقيت بنفسى الى الارض واستاسرت وهم لا يقتلون من فعل ذلك فاخذوني
وسلبوني جميع ما على غير جبة وقميص وسروال ودخلوا الى تلك الغابة فاقتموا بي الى موضع
جلوسهم منها على حوض ماء بين تلك الاشجار وأتوني بنخبز ماش وهو الجلبان فاكلت منه
وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسية وسالاني عن شأني فاخبرتهما ببعضه

وكنتمهما اني من جهة السلطان فقالا لي لا بد ان يقتلك هؤلاء او غيرهم ولكن هذا مقدمهم
واشاروا الى رجل منهم فكلمته بترجمة المسلمين وتلطفت له فوكلني ثلاثة منهم احدهم
شيخ ومعه ابنه والآخر أسود خبيث وكلمني اولئك الثلاثة ففهمت منهم أنهم أمروا بقتلي
واحتملوني عشي النهار الى كهف وسلط الله على الاسود منهم حى مرعدة فوضع رجله
على ونام الشيخ وابنه فلما أصبح تكلموا فيما بينهم واشارا الى بالنزول معهم الى الحوض
وفهمت انهم يريدون قتلي فكلمت الشيخ وتلطفت اليه فرق لي وقطعت كمي قميصي واعطيته
اياها لكي لا يأخذه اصحابه في ان فررت ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الحوض فظنوا
انهم اصحابهم فاشاروا الى بالنزول معهم فنزلنا ووجدنا قوما آخرين فاشاروا عليهم ان يذهبوا
في صحبتهم فابوا وجلس ثلاثتهم امامي وانا مواجه لهم ووضعوا حبل قنب كان معهم بالارض
وانا انظر اليهم وأقول في نفسي بهذا الحبل يربطوني عند القتل وأقت كذلك ساعة ثم جاء
ثلاثة من اصحابهم الذين أخذوني فتكلموا معهم وفهمت انهم قالوا لهم لاى شيء ما قتلتموه
فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه وكان أحدهم هؤلاء الثلاثة شا باحسن الوجه فقال لي
أريد ان اسرحك فقلت نعم فقال اذهب فاخذت الجبة التي كانت على فاعطيته اياها واعطاني
منيرة بالية عنده وارا في الطريق فذهبت وخفت ان يبدو لهم فيدركوني فدخلت غيضة
عصب واختفيت فيها الى ان غابت الشمس ثم خرجت وسلكت الطريق التي أرنى فيها الشاب
فانضت بي الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فنمت تحته فلما
أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحى الى جبل من الصخر عال فيه شجر أرم غيلان
والسدر فكانت أجنى النبق فأكلته حتى أثار الشوك في ذراعي آثارا هي باقية به حتى الآن
ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض زدرعة قطنا وبها أشجار الخروع وهناك باين والباين
عندهم بترمسعة جدا مطوبة بالحجارة لها درج ينزل عليها الى ورد الماء وبعضها يكون في
وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والجالس ويتفاخر ملوك البلاد واماؤها
بعمارته في الطرقات التي لا ماء بها وسد كبر بعد ما رأينا منها فيما بعد ولما وصلت الى البان
شربت منه ووجدت عليه شيئا من عساليح الخردل قد سقطت لمن غسلها فاكلت منها
وادخرت باقية او نمت تحت شجرة خروع فيها انا كذلك اذ ورد البان نحو أربعين فارسا
مدرعين فدخل بعضهم الى المزرعة ثم ذهبوا وطمس الله ابصارهم دوني ثم جاء بعدهم
نحو خمسين في السلاح ونزلوا الى البان واتي أحدهم الى شجرة ازاء الشجرة التي كنت
تحتها فلم يشعري ودخلت اذذاك في مزرعة القطن وأقت بها بقية نهارى وأقاموا على البان

يغسلون ثيابهم و يلبعون فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعلمت انهم قد مروا أو ناموا
فخرجت حينئذ واتبعته أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت الى بابن آخر عليه قبة
فنزلت اليه وشربت من مائه وأكلت من عساليح الخردل التي كانت عندي ودخلت القبة
فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجتمع الطير فنمت بها وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب
أظنه حية فلا أبالي به المأبى من الجهد فلما أصبحت سلكت طريقا واسعة تنضي الى قرية
خرية وسلكت سواها فكانت كمثلمها وأقمت كذلك أياما وفي بعضها وصلت الى أشجار ملتفة
بينها حوض ماء وداخلها شبه بيت وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل وغيره
فاردت ان أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة ثم اني وجدت يسير قوة فنهضت
على طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت نورا عليه بردعة ومنجل فاذنالك الطريق
تنضي الى قرية الكفار فاتبعته طريقا أخرى فانضت بي الى قرية خربة ورأيت بها أسودين
عريانيين خفتهما وأقمت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا في
بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها الا خزان الزرع وفي أسفلها نقب يسع منه الرجل
فدخلتها ووجدت داخلها مفروشا بالتبين وفيه حجير جعلت رأسى عليه ونمت وكان فوقها
طائر يرفرف بجناحيه أكثر الليل وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين وأقمت على تلك الحال
سبعة أيام من يوم اسرت وهو يوم السبت وفي السابع منها وصلت الى قرية للكفار عامرة
وفيها حوض ماء ومنابت خضر فسألتهم الطعام فأبوا أن يعطوني فوجدت حول بر بها
أوراق خيل فاكلته وجمعت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة فدعاني طليعتهم فلم أجبه
وقعدت الى الارض فاتى أحدهم بسيف مسلول ورفع ليضربني به فلم ألتفت اليه لعظيم مأبى
من الجهد ففتشني فلم يجد عندي شيئا فأخذ القميص الذي كنت أعطيت كيه للشيخ الموكل
بي ولما كان في اليوم الثامن اشتد بي العطش وعدمت الماء ووصلت الى قرية خراب فلم
أجد بها حوضا وعادتهم بتلك القرى ان يصنعوا أحواضا يجتمع به ماء المطر فيشربون منه
جميع السنة فاتبعته طريقا فأنضت بي الى بر غير مطووبة عليها حبل مصنوع من نبات
الارض وليس فيه آنية يستقي بها فر بطت خرقه كانت على رأسى في الحبل وامتصت
ما تعلق بها من الماء فلم يروني فر بطت خفي واستقيت به فلم يروني فاستقيت به ثانيا فاقطع
الحبل ووقع الخف في البر فر بطت الخف الآخر وشربت حتى رويت ثم قطعته فر بطت
أعلاه على رجلي بحبل البر وخرق ووجدتها هنالك فبينما أنا أربطها وأفكر في حالي اذ لاح لي
شخص فنظرت اليه فاذا رجل أسود اللون بيده إبريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لي سلام

عليكم فقلت له عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال لي بالفارسية جيكس (جه كسي) معناه من أنت فقلت له أنا تائه فقال لي وأنا كذلك ثم ربط إبريقه بجبل كان معه واستقى ماء فأرذت أن أشرب فقال لي اصبر ثم ففتح جرابه فاخرج منه غرفة حصص أسود مقلومع قليل أرزفا كلت منه وشربت وتوضأ وصلي ركعتين وتوضأت أنا واصلت وسألني عن اسمي فقلت حمد وسأله عن اسمه فقال لي القلب الفارح فتفاء لت بذلك وسررت به ثم قال لي بسم الله ترافقني فقلت نعم فمشيت معه قليلاً ثم وجدت فتورافي أعضائي ولم استطع النهوض فقعدت فقال ماشاً نك فقلت له كنت قادراً على المشي قبل أن ألقاك فلما لقيتك عجزت فقال سبحان الله اركب فوق عنقي فقلت له انك ضعيف ولا تستطيع ذلك فقال يقو بني الله لا بد لك من ذلك فركبت على عنقه وقال لي أكثر من قراءة حسبنا الله ونعم الوكيل فاكثرت من ذلك وغلبتني عيني فلم ألق الا اسقوطي على الارض فاستيقظت ولم أزل للرجل أثر اذاً انا في قربة عامرة فدخلتها فوجدتها الرعية الهنود وحاكمها من المسلمين فاعلموه بي فجاء الى فقلت له ما اسم هذه القرية فقال لي تاج بوره وبينها وبين مدينة كول حيث أصحابنا فرسخان وحملني ذلك الحاكم الى بيته فاطمعتني طعاماً مسبخاً واغتسلت وقال لي عندى ثوب وعمامة أودعهما عندي رجل عربي مصري من أهل الحلة التي بكول فقلت له اتهمها ألبسهما الى ان أصل الى الحلة فأتيت بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول فطال تهيجي من ذلك وافكرت في الرجل الذي حملني على عنقه فتذكرت ما اخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشدي حسباً ذكرناه في السفر الاول اذ قال لي ستدخل ارض الهند وتلقي بها أخى ويخلصك من شدة تقع فيها وتذكرت قوله لما سأله عن اسمه فقال القلب الفارح وتفسيره بالفارسية دلشاد فعملت انه هو الذي اخبرني بلقائه وانه من الاولياء ولم يحصل لي من صحبته الا المقدار الذي ذكر واتيت تلك الليلة الى أصحابي بكول معلماً لهم بسلامتي فجاؤا الى بفرس وثياب واستبشروا بي ووجدت جواب السلطان قد وصلهم وبعث بفتي يسمى بسنبل الجا مدار عوضاً من كافور المستشهد وأمرنا ان تهادي على سفرنا ووجدتهم أيضاً قد كتبوا للسلطان بما كان من أمرى وتشاءموا بهذه السفرة لما يجري فيها على وعلى كافورهم يريدون ان يرجعوا فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوى عزمي فقالوا ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفرة والسلطان يعذرك فانرجع اليه أو تقيم حتى يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيث ما كننا دركنا الجواب فرحلنا من كول ونزلنا برج بوره وبزاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان

لأنه لا يلبس عليه الا ثوبان من سرته الى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي
محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به — حكاية هذا الشيخ —

وكان من أولياء الله تعالى قائما على قدم التجرد يلبس تنورة وهو ثوب يستر من سرته الى
اسفل ويذكر أنه كان اذا صلى العشاء الآخرة أخرج كل ما بقي بالزاوية من طعام وادام وماء
وفرق ذلك على المساكين ورعى بفتيلة السراج واصبح على غير معلوم وكانت عاداته ان يطعم
اصحابه عند الصباح خبزا و فولا فكان الخبازون والفوالون يستبقون الى زاويته فيما خذ منهم
مقدار ما يكفى الفقراء ويقول لمن أخذ منه ذلك اقعد حتى ياخذ أول ما يفتح به عليه في
ذلك اليوم قليلا أو كثيرا ومن حكاياته انه لما وصل قازان ملك التتر الى الشام بعساكره وملك
دمشق ما عدا فاعلمها وخرج الملك الناصر الى مدافعته ووقع اللقاء على مسيرة يومين من
دمشق بموضع يقال له قشعجب والملك الناصر اذ ذلك حديث السن لم بعد الوقائع وكان
الشيخ العريان في صحبته فنزل وأخذ قيدا فقيده به فرس الملك الناصر اثنا عشر حرسا عند اللقاء
لحداثة سنه فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم البتر هزيمة شنعاء
قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليه من المياه ولم بعد التتر الى قصد بلاد الاسلام
بعدها وأخبرني الشيخ محمد العريان المذكور تلميذ هذا الشيخ انه حضر هذه الواقعة وهو
حديث السن ورحلنا من برج بوره ونزلنا على اناء المعروف باب سياده ثم رحلنا الى مدينة قنوع
(وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة العمارة
حصينة رخيصة الاسعار كثيرة السكر ومنها يحمل الى دهلي وعليها سور عظيم وقد تقدم
ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين البخارزي أيضا فتابها وأميرها فيروز البدخشاني من ذرية
بهرام جور (جوين) صاحب كسري ويسكنها جماعة من الصالحاء الفضلاء المعروفين بمكارم
الاخلاق يعرفون باولاد شرف جهان وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد وهو من الحسين
المتصدين وانتهت الرئاسة ببلاد الهند اليه — حكاية له —

يذكر انه عزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعى أحدهم عند القاضي الذي ولى بعده
ان له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بيعة وكان قصده ان يملكه فبعث القاضي له فقال
لرسوله ادعى على فقال بعشرة آلاف دينار فبعث الى مجلس القاضي عشرة آلاف وسلمت
للمدعى وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى فاعاده الى القضاء
وأعطاه عشرة آلاف وأقنأه هذه المدينة ثلاثا ووصلنا فيها اجواب السلطان في شأني بأنه ان
لم يظهر لفلان أثر فتوجد وجهه الملك قاضي دولة آباد عوضا منه ثم رحلنا من هذه المدينة

فقلنا بمنزل هنول ثم بمنزل وزير بور ثم بمنزل البجا لصبة ثم وصلنا الى مدينة موري (وضبط اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهي صغيرة ولها أسواق حسنة واقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمى بحيدر القرغاني وكان بحال مرض فدعاه الى وزودني رغيف شعير واخبرني ان عمره ينيف على مائة وخمسين وذكري أصحابه انه يصوم الدهر ويواصل كثير ويكثر الاعتكاف وربما أقام في خلوته أربعين يوما بقتات فيها باربعين ثمرة في كل يوم واحدة وقد رأيت بدلهي الشيخ المسمى برجب البرقي دخل الخلوة باربعين ثمرة فأقام بها أربعين يوما ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة ثمرة ثم رحلنا ووصلنا الى مدينة مرة وضبط اسمها (بفتح الميم وسكون الراء وهاء) وهي مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهي حصينة وبها القمع الطيب الذي ليس مثله بسواها ومنها يحمل الى دهلي وحبوه طوال شديدة الصخرة ضخمة ولم أر قمحا مثله الا بارض الصين وتنسب هذه المدينة الى المألوة (بفتح اللام) وهي قبيلة من قبائل الهنود ضخام الاجسام عظام الخلفي حسان الصبور لانسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة وكذلك نساء المهرته ونساء جزيرة ذبية المهمل ثم سافرنالى مدينة علا بور (وضبط اسمها بفتح العين ولا م والفاء وباء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قتم (بفتح القاف والتاء المألوة) وهو سلطان جنديل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وباء مد ولا م) الذي حاصر مدينة كيا لير وقتل بعد ذلك

— حكايته —

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة را بري وهي على نهر اللجون كثيرة القرى والمزارع وكان أميرها خطاب الافغان وهو أحد الشجعان واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمى رجو (بفتح الراء وضم الجيم) وبلده يسمى سلطان بور وحاصر مدينة را بري فبعث خطا بالى السلطان يطلب منه الاغاثة فابطا عليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة فخاف ان يتغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الافغان نحو ثلاثمائة من ملهم من المماليك ونحو أربعين من سائر الناس وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم وهي عادة أهل الهند اذا أرادوا الموت وباعوا نفوسهم من الله تعالى وتقدم خطاب وقبيلته وتبعهم سائر الناس وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفا فزهمهم باذن الله وقتلوا سلطانهم قتم ورجو وبعثوا برأسيهما الى السلطان ولم ينبج من الكفار الا الشريد

— ذكر أمير علا بور واستشهاده —

وكان أمير علا بور بدر الحبشي من عبيد السلطان وهو من الأبطال الذين تضرب بهم
الأمثال وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خبره واشتهر
أمره وها به الكفار وكان طويلا ضخما ياكل الشاة عن آخرها في أكلة وأخبرت انه كان
يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غدائه على عادة الحبشة ببلادهم وكان له ابن
يدانيه في الشجاعة فاتفق انه أغار مرة في جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس في
مطمورة واجتمع عليه أهل القرية فضر به أحدهم بقتارة و القتارة (بقاء معقود و ناء
مساوة) حديدة شبه سكة الحرب يدخل الرجل يده فيها فتكسوا ذراعه ويفضل منها
مقدار ذراعين وضربتها لا تبقي فقتله بتلك الضربة ومات فيها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها
وقاتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية وأخرجوا الفرس من المطمورة سالما قاتوا به ولده
فكان من الاتفاق الغريب انه ركب الفرس وتوجه الى دهلي فخرج عليه الكفار فقاتلهم
حتى قتل وعاد الفرس الى أصحابه فدفعوه الى أهلهم فركبه صهره فقتله الكفار عليه أيضا
ثم سافرنا الى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر
الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضا كيايروهي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في
رأس شاق على بابها صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان
قطب الدين وأمير هذه المدينة احمد بن سيرخان فاضل كان يكرمني أيام اقامتي عنده قبل
هذه السفرة ودخلت عليه يوما وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل
ذلك فاني ما رأيت أحدا قط يقتل بمحضرى فامر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه ثم
رحلنا من مدينة كاليور الى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء
وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار أميرها محمد بن بريم
التركي الاصل والسباع بها كثيرة وذكري بعض أهلها ان السبع كان يدخل اليها ليلا
وأبوابها مغلقة فيفتس الناس حتى قتل من أهلها كثيرا وكانوا يعجبون في شان دخوله
وأخبرني محمد التوفيزي من أهلها وكان جاريا اليها انه دخل داره ليلا وافتس صبيانا من
فوق السريبر وأخبرني غيره انه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم حاجة فافترسه
اسد فخرج اصحابه في طلبه فوجدوه مطرحا بالسوق وقد شرب دمه ولم ياكل لحمه
وذكروا انه كذلك فعله بالناس ومن العجب ان بعض الناس أخبرني ان الذي يفعل ذلك
ليس بسبع وانما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع ولما
أخبرت بذلك أنكرته وأخبرني به جماعة ولندكر بعضا من أخبار هؤلاء السحرة

— ذكر السحرة الجوكية —

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها ان احدهم يقيم الاشهر لا ياكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الارض وتدني عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة منجور رجال من المسلمين ممن يتعلم منهم قدر فعت له طيلة وأقام باعلاها لا ياكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا ادري كم أقام بعدي والناس يذكرون انهم يركبون حبوبا ياكلون الحبة منها لا أيام معلومة او أشهر فلا يحتاج في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامور مغيبية والسلطان يعظمهم ويحاسبهم ومنهم من يقتصر في اكله على البقل ومنهم من لا ياكل الا لحم وهم الاكثر والظاهر من حالهم انهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظره ويقول العامة انه اذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون كل قلبه واكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

— حكاية —

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك نفذ امره ان يعطى لاهل دهل ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الامراء والقضاة ليتولوا اطعامهم فكان عندى منهم خمسة نفوس فعمرت لهم سقائى في داري واسكنتهم بها وكنت اعطيهم نفقة خمسة ايام في خمسة ايام فلما كان في بعض الايام اتوني امرأة منهم وقالوا انها كفتارة وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها واتوا بالصبي ميتا فامرتهم ان يذهبوا بها الى نائب السلطان فامر باختبارها وذلك بان ملوا اربع جرات بالماء وربطوها بيديها ورجليها واطرحوها في نهر الجون فلم تغرق فعلم انها كفتار ولولم تطف على الماء لم تكن بكفتار فامر باحراقها بالنار واتوا باهل البلد رجالا ونساء فاخذوا رماها ووزعوا منها من تنجز به امن في تلك السنة من سحر كفتار — حكاية —

بعث الى السلطان يوما وانا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤسهم لانهم ينتفونها بالرماح كما ينتف الناس اباطهم فامرني بالجلوس فجاست فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فارياه ما لم يره فقال نعم فترجع احداهما ارتفع عن الارض حتى صار في الهواء فوقنا متر بها فعجبت منه وادركني الوهم فسقطت الى الارض فامر السلطان ان اسقي دواء عنده فافقت وقعدت وهو على حاله مترجعا فاخذ صاحبه نعلاله من شكارة كانت معه فضرب بها الارض

كالغناظ فصعدت الى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جلس معنا فقال الى السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل ثم قال لولا اني أخاف على عقلك لا امرتهم ان ياتوا باعظم ممارأت فانصرفت عنه واصابني الخفقان ومرضت حتى امر لي بشربة أذهبت ذلك عني ولنعلم اننا بسبيله فنقول سافرنا من مدينة برون الى منزل أمواري ثم الى منزل كجراوبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الاصنام قدمنا بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحجر على ثلاث طباق وعلى أركانها الارباع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الالوان من الرياضة وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم ويذكرون ان من كانت به عاهة من برص أو جذام ياولي اليهم مدة طويلة فيبرأ باذن الله تعالى وأول مارأيت هذه الطائفة بحلة السلطان طر مشيرين ملك تركستان وكانوا نحو الخمسين فحفر لهم غارا تحت الارض وكانوا مقيمين به لا يخرجون الا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتبة وشأنهم كله عجب ومنهم الرجل الذي صنع للسلطان غياث الدين الدمغاني سلطان بلاد المغرب حبوبا ياكلها تقويه على الجماع وكان من اخلاطها برادة الحديد فاعجبه فعلها فاكل منها از يد من مقدار الحاجة فمات وولي ابن أخيه ناصر الدين فآكرم هذا الجوكي ورفع قدره ثم سافرنا الى مدينة جنديري (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مد وراء) مدينة عظيمة لها اسواق حافلة يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين البنتاني (بالباء الموحدة ثم النون ثم التاء المثناة مفتوحات ثم ألف ونون) وهو المدعو باعظم ملك وكان خيرا فاضلا يحاكي أهل العلم ويمن كان يحاكيه الفقيه عز الدين الزيري والفقيه العالم وجيه الدين البيهقي نسبة الى مدينة بيانه التي تقدم ذكرها والفقيه القاضي المعروف بقاضي خاصة وامامهم شمس الدين وكان النائب عنه على أمور المخزن يسمى قمر الدين ونائبه على أمور العسكر سعادة التلنكي من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لا يظهر الا في يوم الجمعة أو في غيرها نادرا ثم سرنا من جنديري الى مدينة ظهار (وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم) وهي مدينة المالوة أكبر عمالة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصا القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التببول الى دهلي وبينهما أربعة وعشرون يوما وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الاميال فيما بين كل عمودين فاذا أراد المسافر أن يعلم عدد ماسار في يومه وما بقي له الى المنزل

والى المدينة التى يقصدها قرأ النقش الذى فى الاعمدة فعرفه ومدينة ظهار إقطاع للشيخ
ابراهيم الذى من أهل ذيبة الملل — حكاية —

كان هذا الشيخ ابراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فاحيا أرضا مواتا هنالك وصار
يزدريها بطيخا فتأتى فى الغاية من الحلاوة ليس بتلك الارض مثلها ويزرع الناس بطيخا
فيما بجاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان الى بلاد المعبر
أهدي اليه هذا الشيخ بطيخا فقبله واستطاب به واقطعه مدينة ظهار وأمره أن يعمد زاوية
بربوة تشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك
أعوام ثم قدم على السلطان وحمل اليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا افضل مما كنت اطعمه الناس
وبيت المسال أحق به فقبضه منه ولم يعجب السلطان فعله لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه
فى اطعام الطعام وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجه جهان أن يفتك بخاله ويستولى
على أمواله ويسير الى القائم ببلاد المعبر فذمى خبره الى خاله فقيض عليه وعلى جماعة من الامراء
وبعنهم الى السلطان فقتل الامراء ورد ابن أخته اليه فقتله الوزير — حكاية —

ولما رد ابن أخت الوزير اليه أمر به أن يقتل كما قتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها
واطعمها التنبول واطعمته وعانقها مودعا ثم طرح للقبيلة وسالط جلدته وولىء تبنا فلما كان من
الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها فى بئر هنالك تقرب من الموضع الذى قتل فيه
فوجدت ميتة من الغد فاخرجت ودفن لحمه معها فى قبر واحد وسمى ذلك قبور (كور)
عاشقا وتفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين ثم سافروا من مدينة ظهار الى مدينة أجين (وضبط
اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك
ناصر الدين بن عين الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بجزيرة سندابور حين افتتاحها
وقد زرت قبره هنالك وسند كره وبهذه المدينة كان سكى الفقيه الطيب جمال الدين المغربي
القرناطى الاصل ثم سافروا من مدينة أجين الى مدينة دولة آباد وهى المدينة الضخمة العظيمة
الشان الموازية لحضرة دهلى فى رفعة قدرها واتساع خطتها وهى منقسمة ثلاثة أقسام أحدها
دولة آباد وهى مختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثانى يسمى الكتكة (بفتح
الكافين والناء المعلوة التى بينهما) والقسم الثالث قلعتها التى لا مثل لها ولا نظير فى الحصانة
وتسمى الدويكير (بضم الدال المهملة وفتح الواو وسكون الياء وقاف معقود مكسور وياء
مد وراء) وبهذه المدينة سكى الخان الاعظم قطلو خان معلم السلطان بها وببلاد صاغر
وببلاد التلنك وما أضيف الى ذلك وعمالتها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها حكمه ونوابه فيها

وقلعة الدويقر التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الارض قد نحتت وبني باعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليللا ويسكن بها المفردون وهم الزماميون باولادهم وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جيبوب بها وبها فيران ضخام اعظم من القطوط والقطوط تهرب منها ولا تطيق مدافعتها لانها تغلبها ولا تصاد الا بجبل تدار عليها وقد رأيتها هنالك فعجبت منها

— حكاية —

أخبرني الملك خطاب الافغانى انه سجن مرة في جب هذه القلعة يسمى جب الفيران قال فكانت تجتمع على ليللا كلنى قاقا لها واتى من ذلك جهد انى رأيت في النوم قائلا يقول لي اقرأ سورة الاخلاص مائة ألف مرة وبفرج الله عنك قال فقرأتها فلما أتممتها أخرجت وكان سبب خروجي ان ملك مل كان مسجوناً في جب يجاورنى فمرض وأكلت الفيران أصابعه وعينه فمات فبلغ ذلك السلطان فقال اخرجوا خطا بائلا يتنق له مثل ذلك والى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن ملك المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان وأهل بلاد دولة آبادهم قبيل المرهنة الذين خص الله نساءهم بالحسن وخصوصا فى الأنوف والحواجب ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة أصحاب تجارات وأكثر تجارتهم فى الجواهر وأموالهم طائلة وهم يسمون الساهة واحدهم ساه باهمال السين وهم مثل الاكارم بدياره صرو بدولة آباد الغنبل والمان ويشمران مرتين فى السنة وهي من أعظم البلاد مجبى وأكبرها خراجا لكثرة عمارتها واتساع عمارتها وأخبرت ان بعض الهنود التزم مغارمها وعمارها جميعا وهي كاذكرناها مسيرة ثلاثة أشهر بسبعة عشر كرورا والكرور مائة لك واللك مائة ألف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقي عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده

— ذكر سوق المغنيين —

وبمدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من أجل الاسواق وأكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يقضى الى دار صاحبه ولدار باب سوى ذلك والحانوت مزين بالفرش وفى وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية أو ترقد وهي متزينة بانواع الحلى وجواربها يحركن مهدها وفى وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومما يكره وتأتى المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف وفى تلك السوق المساجد للصلاة ويصلى الاثمة فيها التراويح فى شهر رمضان وكان بعض سلاطين الكفار بالهند اذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها ويغنى المغنيات بين يديه وقد فعل

يملك بعض سلاطين المسلمين أيضاً ثم سافروا إلى مدينة نذر بار (وضبط اسمها بنون وبذل
معجم مفتوحين وراء مسكن وباء موحدة مفتوحة وألف وراء) مدينة صغيرة يسكنها
المرهنة وهم أهل الاتقان في الصنائع والأطباء والمتجمون وشراف المرهنة هم البراهمة وهم
الكثيرون أيضاً وكلهم الأرزوا والخضرو دهن السمسم ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه
ويغسلون الأكل كغسل الجنابة ولا يسكرون في أقاليمهم إلا فيمن كان بينهم وبينه سبعة
أجداد لا يشربون الخمر وهي عندهم أعظم المعائب وكذلك هي ببلاد الهند عند المسلمين
ومن شرهم من مسلم حدثائين جلدة وسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين
طعامه ثم سافروا من هذه المدينة إلى مدينة صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهملة وفتح
الغين المعجم وآخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر كبير يسمى أيضاً صاغر كاسمها وعليه
النواعير والبساتين فيها العنب والموز وقصب السكر وأهل هذه المدينة أهل صلاح ودين
وأمانة وأحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا والوارد والصادر وكل من يبني زاوية
يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لا ولادته فإن انقضى وعاد النظر للقضاة والعمارة بها
كثيرة والناس يقصدونها للتبرك بأهلها أو لكونها محررة من المغارم والوظائف ثم سافروا من
صاغر المذكورة إلى مدينة كناية (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون الذون وفتح الباء
الموحدة وألف وباء آخر الحروف مفتوحة) وهي على خور من البحر وهو شبه
الوادي تدخله المراكب وبه المد والجزر وعازت المراكب به مرساة في الوحل حين
الجزر فإذا كان المدامت في الماء وهذه المدينة من أحسن المدن في اتقان البناء وعمارة
المساجد وسبب ذلك أن أكثر سكانها التجار الغرباء فهم أبداً يبنون بها الديار الحسنة
والمساجد العجيبة ويتنافسون في ذلك ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري
الذي انفقت لي معه قضية الخلاء وكذبه ملك الندماء ولم أر قط أضخم من الخشب الذي
رأيت به هذه الدار وبها كأنه باب مدينة وإلى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار
ملك التجار الكازروني وإلى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه دوزومعناه

— حكاية —

خياط الشواشي

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضي جلال الافغانى أراد شمس الدين المذكور والناخودة
الياس وكان من كفار أهل هذه المدينة وملك الحكماء الذي تقدم ذكره على أن يمتنعوا
منه بهذه المدينة وشرعوا في حفر خندق عليها إذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واخفى
الثلاثة المذكورين في دار واحدة وخافوا أن يتطلع عليهم فانفقوا على أن يقتلوا أنفسهم

مضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة وقد ذكرنا صفتها فئات اثنتان منهم ولم يمت ملك
الحكام وكان من كبار التجار أيضا بها نجم الدين الجبلافي وكان حسن الصورة كثير المال
وبنى بهادار عظيمة ومسجدا ثم بعث السلطان عنه وأمره عليها وأعطاه المراتب فكان
ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كنباية حين وصلنا اليها مقبل التلنكي وهو كبير المنزلة
عند السلطان وكان في صحبته الشيخ زاده الاصبهاني نائباً عنه في جميع اموره وهذا الشيخ
له أموال عظيمة وعنده معرفة بامور السلطنة ولا يزال يبعث الاموال الى بلاده ويتجمل
في الفرارو بلغ خبره الى السلطان وذكر عنه انه يروم الهروب فكتب الى مقبل ان يبعثه
فيبعثه على البريد واحضر بين يدي السلطان ووكل به والعادة عنده انه متى وكل بأحد
مغفلما ينجو فاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه اياه وهو باجمعا وذكري
أحد الثقات انه رآه في ركن مسجد بمدينة قلهاث وانه وصل بعد ذلك الى بلادهم فحصل
على أمواله وآمن مما كان يخافه — حكاية —

واضافنا انك مقبل يوم ابدا ره فكان من النادر ان جلس قاضي المدينة وهو اعور العين النبي
وفي مقابلة شريف بغدادى شديد الشبه به في صورته وعوره الا انه اعور اليسرى فجعل
الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فزجره القاضي فقال له لا تزجرني فاني أحسن منك
قال كيف ذلك قال لانك أعور النبي وأنا أعور اليسرى فضحك الامير والحاضرون وخجل
القاضي ولم يستطع ان يرد عليه لان الشرفاء ببلاد الهند معظموهم أشد التعظيم وكان بهذه
المدينة من الصالحين الحاج ناصر من أهل ديار بكر وسكنه بقبة من قباب الجامع دخلنا اليه
وأكلنا من طعامه واتفق له لما دخل القاضي جلال مدينة كنباية حين خلا به انه اتاه وذكر
للسلطان انه دعا له فمرب اثلا بقتل كما قتل الحيدري وكان بها أيضا من الصالحين التاجر خواجه
اسحاق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء والمساكين وماله على هذا
ينمي ويزيد كثرة وسافرنا من هذه المدينة الى بلدة كاوي وهي على خور في الهند والجزر
من بلاد الري جا لنسي الكافرو سئذ كره وسافرنا منها الى مدينة قندهار (وضبط اسمها بفتح
الالف وسكون النون وفتح الدال المهمل وهاء وألف وراء) وهي مدينة كبيرة للكفار على
خور من البحر — ذكر سلطانها —

وسلطان قندهار كافر اسمه جال نسي (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهمل)
وهو تحت حكم الاسلام ويعطى الملك الهندية كل عام ولما وصلنا الى قندهار خرج الى
استقبالنا وعظمتنا أشد التعظيم وخرج عن قصره فانزلنا به وجاء الينا من عنده من كبار

المسلمين كالوادخواجه بهرهم والناخودم ابراهيم له ستة من المراكب مختصة له ومن هذه المدينة ركبنا البحر — ذكر ركبنا البحر —

وركبنا في مركب لابراهيم المذكور تسمى الجاكر (بفتح الجيم والكاف المعقودة) وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرسا وجعلنا باقيها مع خيل أصحابنا في مركب لاختي ابراهيم المذكور يسمى منورت (بفتح الهمزة ونون واو ومدوراء مسكن وناء معلوة) واعطانا ناجا النسي مركبا جعلنا فيه خيل ظهير الدين وسنبيل وأصحابهم ما وجهه لنا بالماء والزاد والعلف وبعث معنا ولده في مركب يسمى العكبرى (بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبه الغراب الا انه أوسع منه وفيه ستون مجذاقا ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة وكان ركبنا في الجاكر وكان فيه خمسون راميا وخمسون من المقاتلة الحبشة وهمز عماء هذا البحر واذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصصوص الهنود وكفارهم ووصلنا بعد يومين الى جزيرة يرم (بضم الهمزة بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهي خالية وبينها وبين البر أربعة أميال فنزلنا بها واستقمنا الماء من حوض بها وسبب خرابها ان المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمر بعد وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبني سورها وجعل بها الخانيق واسكن بها بعض المسلمين ثم سافروا منها ووصلنا في اليوم الثاني الى مدينة قوقوه (بضم القاف الاولى وفتح الثانية) وهي مدينة كبيرة عظيمة الاسواق ارسينا على أربعة أميال منها بسبب الجزر ونزلت في عشاري مع بعض أصحابي حين الجزر لا دخل اليها فو حل العشاري في الطين وتقي بيننا وبين البلد نحو ميل فكنت لما نزلنا في الوحل اتوكأ على رجلين من أصحابي وخوفي الناس من وصول المد قبل وصولي اليها وانالنا أحسن السباحة ثم وصلت اليها وطفقت بأسواقها ورأيت بها مسجدا ينسب للخضر والياس عليهم السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت الى المركب — ذكر سلطانها —

وسلطانها كافر يسمى دنكول (بضم الدال المهملة وسكون النون وضم الكاف وواو ولام) وكان يظهر الطاعة للملك الهندو وهو في الحقيقة حاص ولما اقلعنا عن هذه المدينة ووصلنا بعد ثلاثة أيام الى جزيرة سندابور (بضم السين المهملة وسكون النون وفتح الدال المهملة والفاء وواو واحدة وواو ومدوراء) وهي جزيرة في وسطها ست وثلاثون قرية ويدور بها خور واذا كان الجزر فإزاءها عذب طيب واذا كان المد فهو مالح اجاج وفي وسطها مدينتان احدهما قديمة من بناء الكفار والثانية بناها المسلمون عند استفتاحهم لهذه الجزيرة الفتح

الأول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناحضة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الهنوري وسياق ذكروه ذكر حضورى معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثاني ان شاء الله وتجاوزنا هذه الجزيرة لأممرنا بها ورسينا على جزيرة صغيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجدنا بها أحدا الجوكية — حكاية هذا الجوكى —

ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهي بيت الاصنام وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر الجاهدة فكلمناه فلم يتكلم ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما وفي حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النار جيل بين يديه ودفعها لنا فمجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها واتينا به زاد فرده وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدي فدفعها الى وكانت يمدى سبحة زيلع فقلبتها في يدي فاعطيتها اياها ففركتها بيده وشمها وقبلها وأشار الى السماء ثم الى سمت القبلة فلم يفهم أصحابي اشارته فهمت أنا عنه انه اشار انه مسلم يخفى اسلامه من أهل تلك الجزيرة ويتعيش من تلك الجوز ولما اذعناه قبلت يده فأنكر أصحابي ذلك ففهم أنكرهم فآخذ بيدي وقبلها وتبسم وأشار لنا بالانصراف فأنصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجا ف جذب ثوبي فرددت رأسى اليه فاعطاني عشرة دنانير فلما خرجنا عنه قال الى أصحابي لم جذبك فقلت لهم أعطاني هذه الدنانير واعطيت لظهر الدين ثلاثة منها ولسنبل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف أشار الى السماء يشير الى انه يعرف الله تعالى وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام وأخذ السبحة يصدق ذلك فرجعنا لما قلت لهما ذلك اليه فلم يجداه وسافرنا تلك الساعة وبالغد وصلنا الى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على خور كبير تدخله الأنهار والكبار والمدينة على نصف ميل من البحر وفي أيام البشكال وهو المطر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة أربعة أشهر لا يستطيع أحد ركوبه الا للصيد فيه وفي يوم ووصلنا اليها جاءني أحد الجوكية من الهنود في خلوة وأعطاني ستة دنانير وقال لي البرهمين بعثها اليك يعنى الجوكى الذي أعطيته السبحة وأعطاني الدنانير فآخذتها منه وأعطيته ديناراً منها فلم يقبله وانصرف واخبرت أصحابي بالقضية وقلت لهما ان شئنا أخذنا نصيبكم منها فايها وجعلنا يعجبنا من شأنه وقال لي ان الدنانير الستة التي أعطيتها اياها جعلناها مثلها وتركتنا بين الصنمين حيث وجدناها فطال عجبى من أمره واحتفظت بتلك الدنانير التي أعطاها لي أهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد في الحروقة وبذلك عرفوا حتى أذهب الزمان بعد فتحهم لسنندابور

وسند كز ذلك ولقيت من المتعبدين بهذه المدينة الشيخ محمد الناقوري اضافني بزوايته وكان يطبخ الطعام بيده استقدارا لاجارية والغلام واقيت بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بها نور الدين عليا والخطيب لان كز اسمه ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبس الخيط انما يلبس ثيابا غير مخيطة تحترق لاحداهن باحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها ولهن جمال وعفاف وتجعل احداهن خرص ذهب في انفها ومن خصا نصهن انهن جميعا يحفظن القرآن العظيم ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الاولاد ولم أر ذلك في سواها ومعاش أهلها من التجار في البحر ولا زرع لهم وأهل بلاد المليار يعطون للسلطان جمال الدين في كل عام شيئا معلوما خوفا منه لقوته في البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجال.

— ذكر سلطان هنور —

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم وهو تحت حكم سلطان كافر يسمى هرب سند كره والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في الجماعة وعادة ان ياتي الى المسجد قبل الصبح فيتلقى المصحف حتى يطلع الفجر فيصلي أول الوقت ثم ركب الى خارج المدينة وياقي عند الضحى فيبدأ المسجد فيركع فيه ثم يدخل الى قصره وهو يصوم الايام البيض وكان أيام اقامتي عنده يدعوني للافطار معه فاحضر لذلك ويحضر الفقيه على والفقيه اسماعيل فتوضع أربع كراسي صغار على الارض فيقع على احداها ويقعد كل واحد منا على كرسى

— ذكر ترتيب طعامه —

وترتيبه أن يؤتي بما ئدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم (بفتح الطاء المهملة وفتح اللام) وتأتي جارية حسنة ملتحفة بثوب حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الارز مغرفة واحدة وتجهلها في الطالم وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عناقيد الفلفل المملوح والزنجبيل الاخضر والليمون المملوح والعنبا في كل الانسان لقمة ويتبعها بشيء من تلك الموالح فاذا تمت العرفة التي جعلتها في الطالم غرفت غرفة أخرى من الارز وافرغت دجاجة مطبوخة في سكرجة فيؤكل بها الارز أيضا فاذا تمت المغرفة الثانية غرفت وأفرغت لونا آخر من الدجاج تؤكل به فاذا تمت ألوان الدجاج اتوا بالوان من السمك فياكلون بها الارز أيضا فاذا فرغت ألوان السمك اتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالباب فياكلون بها الارز فاذا فرغ ذلك كله اتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يخمون طعامهم فاذا وضع علم انه لم يبق شيء

يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء الساخن لان الماء البارد يضر بهم في فصل نزول المطر
ولقد أقيمت عند هذا السلطان في كرة أخرى أحد عشر شهرا لم آكل خبزا انما طعامهم
الارز وبقيت أيضا بجزائر الممل وسيلان وبلاد المعبر والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها
الا الارز حتى كنت لا استسيغ الا بالماء ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والكتان
الرقاق يشد في وسطه فوطه وبلتخف ملحفتين احدها فوق الاخرى وبعص شعرة
ويلف عليه عمامة صغيرة واذار كلبس قباء والتخف بملحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبوله
وابواق يحملها الرجال وكانت اقامتنا عنده في هذه المرة ثلاثة ايام وزودنا وسافرا عنه وبعد
ثلاثة ايام وصلنا الى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح
الباء الموحدة والفاء وراء) وهي بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من
سندابور الى كوكم بالطريق في جميعها بين ظلال الاشجار وفي كل نصف ميل بيت من
الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وار دو صا در من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بر يشرب
منها ورجل كافر موكل بها فمن كان كافرا سقاها في الاواني ومن كان مسلما سقاها في يديه ولا
يزال يصب له حتى يشير له أو يكف وعادة الكفار ببلاد المليبار ان لا يدخل المسلم دورهم
ولا يطعم في أوانهم فان طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين واذ دخل المسلم موضعها
لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبو عليه الادام
وما فضل عنها كلونه الكلاب والطيور وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل
عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون اليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لم
سافر فيه مسلم وهذا الطريق الذي ذكرنا انه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شرب فافوقه
دون عمارة وكل انسان بستانه على حدة وداره في وسطه وعلى الجميع حائط خشب
والطريق يمر في البساتين فاذا انتهى الى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها
ودرج آخر ينزل عليها الى البستان الآخر هكذا مسيرة الشهرين ولا يسافر أحد في تلك البلاد
بدابة ولا تكون الخيل الا عند السلطان وأكثر كوابلها في دولة على رقاب العبيد
أو المستاجرين ومن لم يركب في دولة مشى على قدميه كائنا من كان ومن كان له رطل
أو متاع من تجارة وسواها أكثرى رجلا يحملونه على ظهورهم فتري هنالك التاجر ومعه
المائة فادونها اوفوقها يحملون أمتعته ويبدكل واحد منهم عود غايظ له زج حديد وفي اعلاها
مخطاف حديد فاذا اعياء لم يجدد كانه يستريح عليها ركز عوده بالارض وعلق حمله منه فاذا
استراح اخذ حمله من غير معين ومضى به ولم أر طريقا آمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق

على الجوزة الواحد فاذا سقط شيء من التمار لم يلقطه أحد حتى يأخذه صاحبه وأخبرت أن بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة وبلغ خبره إلى الحاكم فامر بعوده فركب في الأرض وبرى طرفه الأعلى وأدخل في لوح خشب حتى يبرز منه ومد الرجل على اللوح وركب في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للماظرين ومن هذه العيdan على هذه الصورة بتلك الطرق كثير إليها الناس فيتعظوا ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق فاذا رأونا تنحوا عن الطريق حتى نجوزو المسلمون أعز الناس بها غير أنهم كما ذكرنا لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطانا من الكفار منهم القوى الذي يبلغ عسكره خمسين الفا ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف ولا فتنة بينهم البتة ولا يطمع القوى منهم في انتزاع ما بيد الضعيف وبين بلاد أحدهم صاحب باب خشب منقوش عليه اسم الذي هو مبدأ أعماله ويسمونه باب امان فلان وإذا فرم مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد أحدهم ووصل باب امان الآخر أمن على نفسه ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه وان كان القوى صاحب العدد والجوش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم ولم أر من يفعل ذلك إلا مسوفة أهل التلم (اللاثام) وسند كرمهم فيما بعد فاذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء امر بعض غلمانه فعلق على الخوانيت بعض اغصان الاشجار بأوراقها فلا يبيع أحد ولا يشتري مادامت عليها تلك الاغصان

— ذكر الفلفل —

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب وهم يفرسونها ازاء النار جيل فتصعد فيها كصعود الدوالي ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالي واوراق شجره تشبه آذان الخيل وبعضها يشبه اوراق العليق ويثمر عناقيد صغار احبها كحب أبي قنينة اذا كانت خضراء وإذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب عند تزيينه ولا يزالون يقلبونه حتى يستحجم يسه ثم يبيعونه من التجار والعامة ببلادنا يزعمون أنهم يقلبونه بالنار وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش وليس كذلك وإنما يحدث ذلك فيه بالشمس ولقد رأيته بمدينة القنوط يصبب للسكيل كالذرة ببلادنا وأول مدبنة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبي سرور (بفتح السين) وهي صغيرة على خور كبير كثيرة أشجار النار جيل وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بابي ستة أحد الكرماء انفق أمواله على الفقراء والمساكين حتى نفدت وبعد يومين منها وصلنا إلى مدينة فاكور (وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والتون وآخره راء) مدينة كبيرة على خورها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثل له بتلك

البلاد وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط وبها قاض وخطيب وعمر بها حسين
المدكور مسجد الاقامة الجمعة — ذكر سلطانها —

وسلطان فاكثور كافراسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسين المهملة والذال المهملة
وسكون الواو وله نحو ثلاثين مركبا حربية قائدها مسلم يسمى لولا وكان من المفسدين
يقطع بالبحر ويسلب التجار ولما أرسينا على فاكثور بعث سلطانها اليانولده فاقام بالمركب
كالهينة ونزلنا اليه فاضافنا ثلاثا باحسن ضيافة تعظما لسلطان الهند وقياما بحقه ورغبة
فيما يستفيد في التجارة مع أهل مراكبنا ومن عادتهم هنالك ان كل مركب يمر ببلد فلا بد
من ارسائه بها وأعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر ومن لم يفعل ذلك خرجوا
في اتباعه بمراكبهم وأدخلوه المرسى قهرا وضاغفوا عليه المغرم ومنعوه عن السفر ماشاؤا
وسافروا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مدينة منجور (وضبط اسمها بفتح الميم وسكون
النون وفتح الجيم وضم الراء وواو وراء ثانية) مدينة كبيرة على خور يسمى خور الدنب
(ضم الذال المهملة وسكون النون وباء موحدة) وهو أكبر خور ببلاد الملبار وهذه المدينة
ينزل معظم تجار فارس واليمن والغافل والزنجييل بها كثير جدا — ذكر سلطانها —

وهو أكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رامدو (بفتح الراء والميم والذال المهملة وسكون الواو)
وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة وربما وقعت الحرب بينهم
وبين أهل المدينة فيصالح السلطان بينهم لحاجته الى التجار وبها قاض من الفضلاء الكرماء
شافعي المذهب يسمى بدر الدين المعبري وهو يقرى العلم صعد اليه الى المركب ورغب منافي
الزول الى بلده فقلنا حتى يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب فقال انما فعل ذلك سلطان
فاكتور لانه لا قوة للمسلمين في بلده وأمانحن فالسلطان يخافنا فاي بنا عليه الا ان بعث
السلطان ولده فبعث ولده كإفعل الآخرونزلنا اليهم وأكرمونا كراما عظيما وأقمنا عندهم
ثلاثة أيام ثم سافروا الى مدينة هيلي فوصلناها بعد يومين (وضبط اسمها بهاء مكسور وباء مد
ولام مكسور) وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب الكبار والى هذه
المدينة تنتهى مراكب الصين ولا تدخل الا مرساها ومرسى كولموقاقوط ومدينة هيلي
معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجد الجامع فانه عظيم البركة مشرق النور وركاب
البحر يندرون له الذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن
الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد
وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولا طعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا

المسجد فقيمها صاحبها من أهل مقدشو يسمى سعيد احسن اللقاء والخلق يسرد الصوم وذكري
انه جاور بمكة اربع عشرة سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الامير بمكة ابائي والامير بالمدينة منصور
ابن تجاز وسافر في بلاد الهند والصين ثم سافرنا من هيلي الى مدينة جرفتن (وضبط اسمها بضم
الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح التاء المعلوة وتشديد هاو آخره نون) وبينها وبين هيلي
ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصر صري نسبة الى بلدة على
مسافة عشرة أميال من بغداد في طريق الكوفة واسمها كاسم صر صر التي عندنا بالمغرب وكان له
أخ بهذه المدينة كثير المال له اولاد صغار اوصي اليه بهم وتركته آخذاً في حملهم الى بغداد وعادة
أهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولوترك الآلاف انما بقي ماله بيد كبير
المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا — ذكر سلطانها —

وهو يسمى بكويل (بضم الكاف على لفظ التصغير وهو من اكبر سلاطين المليار وله
مراكب كثيرة تسافر الى عمان وفارس واليمن ومن بلاده ده فتن وبد فتن وسند كرها وسرنا
من جرفتن الى مدينة ده فتن (بفتح الدال المهمل وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط فتن وهي
مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول وبها
القلقاص الكثير ويطبخون به اللحم وأما الموز فلم ارفى البلاد أكثر منه بها ولا ارض
ثمنا وفيها البان الاعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة
الحمر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الحجر في كل قبة أربع مجالس من
الحجر وكل قبة يصعد اليها على درج حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في
كل طبقة أربع مجالس وذكري ان والده هذا السلطان كويل هو الذي عمر هذا البان
وبازائه مسجد جامع المسلمين وله أدراج ينزل منها اليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون
وحدثني الفقيه حسين ان الذي عمر المسجد والبان أيضا هو أحد أجداد كويل وانه كان
مسلماً ولا سلامه خير عجيب نذكره

— ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بازاء الجامع —

ورأيت انابازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة تشبه اوراقها أوراق التين الا انها لينة وعليها
حائط يطيف بها وعندا محراب صليت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت
الشهادة ودرخت (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء المعلوة) وأخبرت
هنالك انه اذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد ان
يستحيل لونها الى الصفرة ثم الى الحمرة ويكون فيها مكتوب بقلم القدرة لا اله الا الله محمد

رسول الله وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرأوا المكتوب الذي فيها وأخبرني انه اذا كانت أيام سقوطها فقد تحتمل الثقات من المسلمين والكفار فاذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعل نصفها في خزانة السلطان الكافر وهم يستشفون بها المرضى وهذه الشجرة كانت سبب اسلام جدكوكيل الذي عمر المسجد والباين فانه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها وفهم ما فيها أسلم وحسن اسلامه وحكايته عندهم متواترة وحديثي الفقيه حسين ان أحد أولاده كفر بعد أبيه وطفى وأمر باقتلاع الشجرة من أصلها فاقتلعت ولم يترك لها أثر ثم انها نبئت بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سر يعا ثم سافروا الى مدينة بدفتن وهى مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقر به من البحر يأتى اليه غرباء المسلمين لانه لا مسلم به هذه المدينة ومرساها من أحسن المراسي وماؤها عذبة والقوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظمون عند الكفار مبعوضون فى المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم — حكاية — أخبرت ان سبب تركهم هذا المسجد غير مهذوم ان أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفاً لبيتة فاشتعلت الدار فى بيته فاحترق هو وأولاده ومناعه فاحترقوا وهذا المسجد ولم يتعرضوا له بسوء بعدهوا وخدعوه وجعلوا بخارجها الماء يشرب منه المصادر والوارد وجعلوا على بابها شبكة لئلا يدخله الطير ثم سافروا من مدينة بدفتن الى مدينة قدرينا (وضبط اسمها بقاء مفتوح ونون ساكن ودال مهملة وراء مفتوحين ويا آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق وبها للمسلمين ثلاث محلات فى كل عملة مسجد والجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر وقاضيهما وخطيبها رجل من أهل عمان وله أخ فاضل وهذه البلدة تشتهر براكب الصين ثم سافروا منها الى مدينة قلفوط (وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم الغاف الثانى وآخره طاء مهملة) وهى احدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا

— ذكر سلطانها —

وسلطانها كافر يعرف بالسامرى شيخ السن يخلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم رأيت به وسند كره ان شاء الله وأمير التجار بها ابراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع اليه التجار وياً كلون فى سماطه وقاضيهما آخر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازرونى وله تعطى الذور التى ينذر بها أهل الهند والصين

للشيخ أبي اسحاق الكازروني تقع الله به وبهذه المدينة الناخودة مثقال الشهير الاسم صاحب الاموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا الى هذه المدينة خرج الينا ابراهيم شاه بندر والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمي بقلاج (بضم القاف وآخره جيم) ومعهم الاطبال والانفار والابواق والاعلام في مراكبهم ودخلنا المرسى في بروز عظيم مارأيت مثله بتلك البلاد فكانت فرحة تتبعها اراحة وأقمنا بمرساها وبه يومئذ ثلاثة عشر من مراكب الصين ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار وأقمنا ننتظر زمان السفر الى الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة الكافرو بمر الصين لا يسافر فيه الا بمر اكب الصين ولندكر ترتيبها — ذكر مراكب الصين —

ومراكب الصين ثلاثة أصناف الكبار منها تسمى الجنولك واحداها جنك (بحجم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو (بفتح الزاى وواو) والصغار يسمى أحداها الككم (بكافين مفتوحين) ويكون في المراكب الكبير منها اثنا عشر قلعا فادونها الى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالخصر لا تحط أبدا ويديرونها بحسب دوران الريح واذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح وتخدم في المراكب منها ألف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم أربع مائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة واصحاب الدرق والجرخية وهم الذين يرمون باللفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفى والثاني والرابع ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حاثطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسماة منها ثلاثة اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب صنعوا على اعلاها فرش المركب الاسفل ودفعوها في البحر واتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون وقوا فاعلى اقدامهم ويجعلون المركب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت وانصاري والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء وربما كان الرجل في مصر يته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصل الى بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها أولادهم ويزدرون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب ووكيل المركب كانه أمير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحرا ب

والسيوف والاطبال والابواق والانتفاخ امامه واذا وصل الى المنزل الذى يقم به ركزوا
رمحهم عن جانبي باه ولا يزالون كذلك مدة اقامته ومن أهل الصين من تكون له المراكب
الكثيرة يبعث بها وكلاءه الى البلاد وليس فى الدنيا أكثر أموالاً من أهل الصين

— ذكر أخذنا فى السفر الى الصين ومنتهى ذلك —

ولما حان وقت السفر الى الصين جهزنا السلطان السامرى جنكاً من الجنوك الثلاث
عشر التى برسى قالقوت وكان وكيل الجنك يسمى بسليمان الصفدى الشامى ويبنى وينتبه
معرفة فقلت له أريد مصريه لا يشاركنى فيها أحد لاجل الجوارى ومن عادى ان لا أسافر
الابن فقال لى ان تجار الصين قد أكثروا المصارى ذاهبين وراجعين ولصهرى مصرية
أعطيتها لكننا لا سنداس فيها وعسى ان تمكن معاوضتها فامرت أصحابى فأسقوا ما عندى
من المتاع وصعد العبيد والجوارى الى الجنك وذلك فى يوم الخميس وأقمت لاصلي الجمعة
والحق بهم وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية ثم ان فتى لى يسمى بهلال أتانى غدوة
الجمعة فقال ان المصرية التى أخذناها بالجنك ضيقة لا تصاح فذكرت ذلك للناخودة فقال
ليست فى ذاك حيلة فان أحببت ان تكون فى الككم فقيه المصارى على اختيارك فقلت
نعم وأمرت أصحابى فنقلوا الجوارى والمتاع الى الككم واستقروا به قبل صلاة الجمعة وعادة
هذا البحر ان يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع احد ركوبه وكانت الجنوك
قد سافرت ولم يبق منها الا الذى فيه الهدية وجنك عزم أصحابه على ان يشتوا فنذرنا
والككم المذكور فبنتنا ليلة السبت على الساحل لاستطيع الصعود الى الككم ولا يستطيع
من فيه النزول البنا ولم يكن بقى معى الا بساط افترشه وأصبح الجنك والككم يوم السبت
على بعد من المرسى ورمى البحر بالجنك الذى كان اهله يريدون فنذرنا فتكسر ومات
بعض اهله وسلم بعضهم وكانت فيه جارية لبعض التجار عزيزة عليه فرغب فى إعطاء عشرة
دنانير ذهب لمن يخرجها وأبى ان يأخذ الدنانير وقال انما فعلت ذلك لله تعالى ولما كان
الليل رمى البحر بالجنك الذى كانت فيه الهدية فمات جميع من فيه ونظرنا عند الصباح
الى مصارعهم ورايت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سنبل قد ضرب
مسارفى أحد صدغيه ونفذ من الآخروصلينا عليهما ودفناهما ورأيت الكافر سلطان
قالقوت وفى وسطه شقة بيضاء كبيرة قد لفها من سترته الى ركبته وفى رأسه عمامة صغيرة
وهو حافى القدمين والشطر بيد غلام فوق رأسه والنار توقد بين يديه فى الساحل وزبائنته

يضرّبون الناس لئلا ينتهبوا ما يرمي البحر وعادة بلاد المليبار ان كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للمخزن الا في هذا البلد خاصة فان ذلك ياخذهُ اربابه ولذلك عمرت وكثرت ترد الناس اليها ولما رأي اهل الككم ما حدث على الجلك رفعوا قلعهم وذهبوا معهم جميع متاعى وغلمانى وجوارى وبقيت منفردا على الساحل ليس معى الا فى كنت اعتقته فلما رأى ما حلّ بي ذهب عني ولم يبق عندى الا العشرة الدنانير التي اعطانيها الجوكى والبساط التي كنت افترشه واخبرني الناس ان ذلك الككم لا بدله ان يدخل مرسى كوكم فعزمت على السفر اليها وبينهما مسيرة عشرة في البر وفي النهر ايضا لمن أراد ذلك فسافرت في النهر واكثرت رجلا من المسلمين يحمل لي البساط وعادتهم اذا سافروا في ذلك النهر ان يتزولوا بالعشى فيبيتوا بالقرى التي على حافتيه ثم يعودوا الى المركب بالغدو فكنتا نفعل ذلك ولم يكن بالمركب مسلم الا الذي اكثرته وكان يشرب الخمر عند الكفار اذا نزلنا وبعر بدعى فيز بدتغيب يرخا طرى ووصلنا في اليوم الخامس من سفرنا الى كنجى كرى (وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن وجيم ويا ومد وكاف مفتوح وراء مكسور ويا) وهي باعلى جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كوكم — ذكر القرقة والبقم —

وجميع الاشجار التي على هذا النهر اشجار القرقة والبقم وهي حطبهم هنالك ومنها كنا نقد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق وفي اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كوكم (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو) وهي من احسن بلاد المليبار واسواقها احسان وتجارها يعرفون بالصوابين (بضم الصاد) لهم اموال عريضة يشتري احدثهم لمركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع وبها من التجار المسلمين جماعة كبيرهم علاء الدين الاوجى من اهل آوة من بلاد العراق وهو رافضى ومعه اصحابه له على مذهبه وهم بظهورن ذلك وقاضيها فاضل من اهل قزوین وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر وله اخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهذب وهذه المدينة اول ما يوالى الصين من بلاد المليبار والىها يسافر اكثرهم والمسلمون بها اعزة محترمون — ذكر سلطانها —

وهو كافر يعرف بالثيروري (بكسر التاء المملوءة ويا مدورا وواو مفتوحين وراء مكسور ويا) وهو معظم للمسلمين وله احكام شديدة على السراق والدعار — حكاية — ومما شاهدت بكوكم ان بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم وفرا الى دار الاوجى وكان له مال كثير واراد المسلمون دفن المقتول فنعهم نواب السلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى تدفعوا

لنا قاتله فيقتل به وتركوه في تابوته على باب الأوجى حتى أتت وتغير فيكنهم الأوجى من القاتل
ورغب منهم ان يعطيهم امواله ويركوه حيا فابوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول ﴿حكاية﴾
اخبرت ان سلطان كوكلمركب يوما الى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين ومعه صهره زوج
بنته وهو من ابناء الملوك فاخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض البساتين وكان السلطان
ينظر اليه فامر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر
عن يساره وقسمت حبة العنبة نصفين فوضع على كل نصف منه نصف منها وترك هنالك
عبرة للناظرين — حكاية —

ومما اتفق نحو ذلك بقا لقوطان ابن أخى النائب عن سلطانها غصب سيفا لبعض تجار المسلمين
فشكا بذلك الى عمه فوعده بالنظر في امره وقعد على باب داره فاذا بابن أخيه متهمة لذلك
السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشتريته منه قال لا فقال لا عوانه امسكوه ثم
امره فضربت عنقه بذلك السيف وأتمت بكولم مدة بزواية الشيخ نخر الدين ابن الشيخ
شهاب الدين الكازروني شيخ زاوية قالقوط فلم أعرف للككم خبرا وفي أثناء مقامى بها دخل
اليها ارسال ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا مع أحد تلك الجنوك فانكسرا بضفا فكساهم
تجار الصين وعادوا الى بلادهم ولقيتهم بها بعد وارتد أن أعود من كوكلم الى السلطان لا علمه
بما اتفق على الهدية ثم خفت ان يتعقب فعلى ويقول لم فارقت الهدية فعزمت على العودة الى
السلطان جمال الدين الهنورى وأقيم عنده حتى أعرف خبر الككم فعدت الى قالقوط
ووجدت بها بعض مراكب السلطان فبعث فيها أميرا من العرب يعرف بالسيد أبى الحسن
وهو من البرددارية وهم خواص البوا بين بعثه السلطان باهوال يستجلب بها من قدر عليه
من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبة في العرب فتوجهت الى هذا الامير ورأيت عازما
على ان يشتوبقا لقوط وحينئذ يسافر الى بلاد العرب فشاورته في العودة الى السلطان فلم يوافق
على ذلك فسافرت بالبحر من قالقوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكنا تسير نصف النهار
الاول ثم نرسو الى الغدو لقينا في طريقنا أربعة أجفان غزوية فحفظنا منها ثم لم يتعرضوا لنا
بشر ووصلنا الى مدينة هنور فزلت الى السلطان وسلمت عليه فانزلني بدار ولم يكن لي
خديم وطلب مني ان أصلي معه الصلوات فكان أكثر جلوسي في مسجده وكنت أختم القرآن
كل يوم ثم كنت أختم مرتين في اليوم أبتدىء القراءة بعد صلاة الصبح فاختم عند الزوال
وأجدد الوضوء وأبتدىء القراءة فاختم الختمة الثانية عند الغروب ولم أزل كذلك مدة
ثلاثة اشهر واعتكفت فيها أربعين يوما

— ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور —

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنتين وخمسين مركبا وسفرته برسم غزو سندابور وكان وقع بين سلطانهما ولده خلاف فكتب ولده الى السلطان جمال الدين ان يتوجه لفتح سندابور وبسلم الولد المذكور وبزوجه السلطان اخته فلما تجهزت المراكب ظهر لي ان اتوجه فيها الى الجهاد ففتحت المصحف انظر فيه فكان في أول الصفح بذكر فيها اسم الله كثير او لينصرن الله من ينصره فاستبشرت بذلك وأبى السلطان الى صلاة العصر فقلت له إني أريد السفر فقال فانت اذا تكون أميرهم فاخبرته بما خرج لي في أول الصفح فاعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل فركب مركبا منها وانامعه وذلك في يوم السبت فوصلنا عشي الاثنين الى سندابور ودخلنا خورها فوجدنا أهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا الجانيق فبتنا عليها تلك الليلة فلما أصبح ضربت الطبول والانفارا والابواق وزحفت المراكب ورميت عليها بالجانيق فلقد رأيت حجرا أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء وبايديهم الترس والسيوف ونزل السلطان الى العكري وهو شبه الشلير ورميت بنفسي في الماء في جملة الناس وكان عندنا طريدان مفتوحان المواخير فيها الخيل وهي بحيث يركب الفارس فرسه في جوفها ويتدحرج ويخرج ففعلوا ذلك واذن الله في فتحها وانزل النصر على المسلمين فدخلنا بالسيوف ودخل معظم الكفار في قصر سلطانهما فربما النار فيه فخرجوا وقبضنا عليهم ثم ان السلطان أمنهم ورد لهم نساءهم وأولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف وأسكنهم برض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطى الديار بمقربة منه لاهل دولته وأعطاني جارية منهم تسمى لمكي فسميتها مباركة وأراد زوجه افا فاداءها فايت وكساني فرجية مصرية وجدت في خزان الكافر وأتمت عنده بسندابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادى الاولى الى منتصف شعبان وطلبت منه الاذن في السفر فاخذ على العهد في العودة اليه وسافرت في البحر الى هنور ثم الى فاكثور ثم الى منجور ثم الى هيلي ثم الى جرفتن وده فتن وبدفت وفندربنا وقالقوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الشاليات (وهي بالشين المعجم وألف ولا مويه آخر الحروف وألف وتاء معلولة) مدينة من حسان المدين تصنع بها الثياب المنسوبة لها وأتمت بها فطال مقامى فعدت الى قالقوط ووصل اليها غلامان كانا لي بالكم فاخبراني ان الجارية التي كانت حاملا وبسببها كان تغير خاطري توفيت وأخذ صاحب الجلاوة سائر الجوارى واستولت الايدي على المتاع وتفرق أصحابي الى الصين والجلاوة بنجالة فعدت لما تعرفت هذا الى هنور ثم الى سندابور فوصلتها في آخر المحرم وأتمت بها

الى الثاني من شهر ربيع الآخر وقدم سلطانهم الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها وهرب
اليه الكفار كلهم وكانت عساكر السلطان متفرقة في القرى فانقطعوا عنا وحصرنا الكفار
وضيقوا علينا ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركها محصورة وعدت الي قاقوط وعزمت
على السفر الى ذيبة المهمل وكانت أسمع بأخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقا لقوط
وصلنا جزائر ذيبة المهمل وذيبة على لفظ مؤنث الذيب والمهل (بفتح الميم والهاء) وهذه
الجزائر إحدى عجائب الدنيا وهي نحو ألفي جزيرة ويكون منها مائة فادونها مجتمعات
مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه واذا وصل المراكب الى
احداها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر وهي من التقارب بحيث تظهر
رؤس النخل التي باحداها عند الخروج من الاخرى فان أخطأ المراكب سمتها لم يكتنه دخولها
وحلته الرجح الى المعبر وسيلان وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح وهي
منقسمة الى أقاليم على كل إقليم وال يسمى سمونه الكردي ومن أقاليمها إقليم بالبور (وهو
ببائين معقودتين وكسر اللام وآخره راء) ومنها كموس (بفتح الكاف والتون مع تشديدها
وضم اللام وواو وسين مهمل) ومنها إقليم المهمل وبه تعرف الجزائر كلها وبها يسكن
سلاطينها ومنها إقليم تلاديب (بفتح التاء المعلوة واللام وألف ودال مهمل وباء مد وباء
موحدة) ومنها إقليم كرايدو (بفتح الكاف والراء وسكون الياء المسفولة وضم الدال المهمل
وواو) ومنها إقليم التيم (بفتح التاء المعلوة وسكون الياء المسفولة) ومنها إقليم تلدمتي (بفتح
التاء المعلوة الاولى واللام وضم الدال المهمل وفتح الميم وتشديدها وكسر التاء الاخرى وباء
ومنها إقليم تلدمتي وهو مثل لفظ الذي قبله الا أن الهاء أوله ومنها إقليم بريدو (بفتح الباء
الموحدة والراء وسكون الياء وضم الدال المهمل وواو) ومنها إقليم كندكل (بفتح الكافين
والدال المهمل وواو) ومنها إقليم ملوك (بضم الميم) ومنها إقليم السويد (بالسين المهمل) وهو
أقصاها وهذه الجزائر كلها الأزرع بها الا أن في إقليم السويد منها زراعا يشبه انلي وبجانب منه الى
المهل وانما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمى نه قلب الماس (بضم القاف) ولحمه أحمر ولا زفر
له انما ريمه كريح لحم الانعام واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه يسير انهم
جعلوه في مكانيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فاذا استحكيم يسه أكلوه ويحمل منها الى
الهند والصين واليمن ويسمونه نه قلب الماس (بضم القاف)

— ذكر أشجارها —

ومعظم أشجار هذه الجزائر النارجيل وهو من أقواتهم مع السمك وقد تقدم ذكره

وأشجار النار جبل شأنها عجيب وتثمر النخل منها اثني عشر عذقا في السنة يخرج في كل شهر عذق فيكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابس وبعضها أخضر هكذا أبدا ويصنعون منها الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا لك في السفر الاول ويصنعون من عسله الخلاء فيأكلونها مع الجوز اليابس منه ولذلك كله وللسمك الذي يفتنون به قوة عجيبة في البقاء ولا نظير لها ولا هل هذه الجزائر عجب في ذلك ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن فكنت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عندهن تكون ليلتها وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك ومن أشجارها الجموح والارج والليمون والقلاقص وهم يصنعون من أصوله دقيقا يعملون منه شبه الاطرية ويطبخونها بحليب النار جبل وهي من أطيب طعام كنت استحسنها كثيرا وأكلها

— ذكر أهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكروا كرمسا كنهم —

وأهل هذه الجزائر أهل ملاح وديانة وإيمان صحيح ونية صادقة أكلهم حلال ودعائهم محاب وإذارأى الانسان أحدهم قال له الله ربى ومجد نبى وأنا مسمى مسكين وأبدانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والحاربة وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع بدسارق بها فغشى على جماعة منهم كانوا بالجلس ولا نظرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لانهم جريوان من أخذهم شيئا أصابته مصيبة عاجلة وإذا أنت أجفان العدو الى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يتعرضوا لاحد منهم بسوء وان أخذ أحد الكفار ولوليمونة عاقبه أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وأكثر عمارتهم بالخشب وهم أهل نظافة وتنزه عن الاقدار وأكثرهم يغسلون مرتين في اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق ويكثر من الادهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشو ومن عادتهم انهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنتها بالمسحلة وبماء الورد ودهن الغالية فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه ولباسهم فوط يشدون القوطة منها على أوساطهم عوض السر ويل ويجمعون على ظهروهم ثياب النوليان (يكسر الواو وسكون اللام وياء آخر الحروف) وهي شبه الاحاريم وبعضهم يحمل عمامة وبعضهم مندبلا صغيرا عوضا منها وإذا لقي أحدكم القاضي أو الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب

اللعن من باب دارها الى باب البيت وجعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فاذا وصل اليها رمت على رجله ثوبا ياخذها خدامه وان كانت المرأة هي التي تأتي الى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجله وكذلك عادت في السلام على السلطان عندهم لا بد من ثوب يرمى عند ذلك وسند كره وبنوا نهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الارض توقيا من الرطوبات لان أرضهم ندية وكيفية ذلك ان ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين او ثلاثة ويجعلونها صفا فلو بعرضون عليها خشب النار جيل ثم يصنعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجيبة في ذلك وبدنون في اسطوان الداريتا يسمونه المسالم (بفتح اللام) يجلس الرجل به مع أصحابه ويكون له بابان أحدهما الى جهة الاسطوان يدخل منه الناس والآخر الى جهة الدار يدخل منه صاحبها ويكون عندها البيت خابية مملوءة ماء ولها مستقي يسمونه الوايح (بفتح الواو واللام وسكون النون وجيم) هو من قشر جوز النار جيل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء من الآبار قربها وجميعهم حفاة الاقدام من رفيع ووضع وازقتهم مكنوسة نقية تظللها الاشجار فالماشى بها كأنه في بستان ومع ذلك لا بد لكل داخل الى الدار ان يغسل رجله بالماء الذي في الخابية بالماء ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هنالك ثم يدخل بيته وكذلك يفعل كل داخل الى المسجد ومن عوائدهم اذا قدم عليهم مركب أن يخرج اليه الكنادر وهي القوارب الصغار واحدا كندرة (بضم الكاف والdal) وفيها أهل الجزيرة معهم التنبول والكنزبه وهي جوز النار جيل الاخضر فيعطى الانسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزله ويحمل أمتعته الى داره كأنه بعض أقربائه ومن اراد التزوج من القادمين عليهم تزوج فاذا حان سفره طلق المرأة لانهن لا يخرجن عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر وترضى منه في مقابلة ذلك بايسر شيء من الاحسان وفائدة المخزن ويسمونه البندر أن يشتري من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوي ذلك أو أكثر منه ويسمونه شرع البندر ويكون للبندر بيت في كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصاد المهمل وآخره راء) يجمع به الوالى وهو الكر دورى جميع سلعه ويبيع بها ويشترى وهم يشترون الفخار اذا جلب اليهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه وجوز النار جيل والقوط والوايان والعمائم وهي

من القطن ويحملون منها أو أني الجاس قاتها عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القنب
(بفتح القاف وسكون التون وفتح الباء الواحدة والراء) وهو ليف جوز النارجيل وهم
يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضر بونه بالمرابز ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة
المرابز وتحمل الى الصين والهند واليمن وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب
الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة فان كان المركب مسمرًا بمسامير الحديد صدم
الحجارة فانكسر وإذا كان مخيطًا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر وصرف أهل هذه الجزائر
الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه في حفر هناك فيذهب لحمه ويبقى عظمه
أبيض ويسمون المائة منه سياه (يسين مهمل وياه آخر الحروف) ويسمون السبعائة منه الفال
(بالفاء) ويسمون الاثني عشر ألفا منه الكتي (بضم الكاف وتشديد التاء الملعولة) ويسمون
المائة ألف منه بستو (بضم الباء الواحدة والتاء الملعولة وبينهما سين مهمل) ويبيع بها بقيمة أربعة
بساتي بدينار من الذهب وربما رخص حتى يباع عشر بساتي منه بدينار ويبيعونه من أهل
بنجاله بالارز وهو أيضا صرف أهل بلاد بنجاله ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض
الرمال في مراكبهم وهذا الودع ايضا هو صرف السودان في بلادهم أبتة يباع بمال وجوجو
بحسب ألف ومائة وخمسين للدینار الذهبي

— ذكر نسائها —

ونسائها لا يغطين رؤسهن ولا سلاطينتهن تغطي رأسها ويحسطن شعورهن ويجمعهن الى جهة
واحدة ولا يلبس أكثرهن الا فوطة واحدة تستردا من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن
مكشوفة وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها ولقد جهدت لما ولبت القضاء بها ان أقطع تلك
العادة وأمرهن باللباس فلم أستطع ذلك فكنت لا تدخل الى منهن امرأة في خصوصية الا
مستترة بالجسد وماعدا ذلك لم تكن لي عليه قدرة ولباس بعضهن قص زائدة على القوطة
وقصصن قصار الا كما عراضها وكان لي جواركسوتهن لباس أهل دهلي يغطين رؤسهن فعاين
ذلك أكثر مما زانهن اذ لم يتعودنه وحلبين الاساور تجعل المرأة منها جملة في ذراعيها بحيث تملأ
ما بين الكوع والمرفق وهي من الفضة ولا يجعل أساور الذهب الانساء السلطان وأقاربه
ولهن الخلاخيل ويسمونها البابل (بباء واحدة وألف وياه آخر الحروف مكسورة) وقلائد
ذهب يجعلها على صدورهن ويسمونها البسدر (بالباء الواحدة وسكون السين المهمل وفتح
الداال المهمل والراء) ومن عجيب أفعالهن انهن يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عدد
معلوم من خمسة دنانير فادونها على مستاجرهن نفقتهن ولا يربن ذلك عيبا ويفعله أكثر

بينما أنهم فتيحة في دار الانسان الغني منهن العشرة والعشرين وكل ما تكسره من الأواني يحسب عليها قيمته وإذا أرادت الخروج من دار إلى دار أعطاه أهل الدار التي تخرج اليها العدد الذي هي مرتبة فيه فتدفعه لأهل الدار التي خرجت منها ويبقى عليها للآخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر والتزويج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معايشرة النساء وأكثر الناس لا يسمى صداقا إنما تقع الشهادة ويعطى صداق مثما وإذا قدمت المرأة تزوج أهلها النساء فإذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أر في الدنيا أحسن معايشرة منهن ولا تسكل المرأة عندهم خدمة زوجها إلى سواها بل هي تأتية بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتية بالماء للوضوء وتغمر رجله عند النوم ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ولقد تزوجت بها نسوة فاكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل معي ولا استطعت أن أراها تأكل كل ولا تفعتني حيلة في ذلك

— ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر —

— وذكر العقارب من الجن التي تضر بها في كل شهر —

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى الحميني والفقيه المعلم علي والقاضي عبدالله وجماعة سواهم أن هذه الجزائر كانوا كفارا وكان يظهر لهم في كل شهر عفرية من الجنيات في ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالفتناديل وكانت عاداتهم إذا رأوه أخذوا جارية بكرا يؤزيونها وأدخلوها إلى بدخانة وهي بيت الاصنام وكان مبنيا على ضفة البحر وله طاق ينظر إليه منه ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة ميتة ولا يزالون في كل شهر يقترون بينهم فمن أصابته القرعة أعطي بذته ثم أقدم عليهم مغربي يسمى بابي البركات البري وكان حافظا للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجريدة الممل فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه فأتى ترجمان فاخبره أن العجوز كانت القرعة عابها وليس لها ابنة واحدة يقتلها العفرية يقال لها أبو البركات أنا أتوجه عوضا من بنتك بالليل وكان سنا طالبا لحيلة فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بدخانة وهو متوضئ وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفرية من الطاق فدأوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله خائف العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عاداتهم فيحرقوها فيوجدوا المغربي يتلو ففضوا به إلى ملكهم وكان يسمى شنورازة (بفتح الشين المعجم

وضم النون وواو وراء والف وزاى وهاء) واعلموه بخبره فعجب منه وعرض المغربي عليه الاسلام ورغبه فيه فقال له اقم عندنا الى الشهر الآخر فان فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته ثم حمل المغربي لما دخل الشهر الى بدخانة ولم يأت العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على خاله من التلاوة فكسروا الاصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها وأقام المغربي عندهم معظما مذهبوا بمذهبه مذهب الامام مالك رضي الله عنه وهم الى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبني مسجدا هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب أسلم السلطان أحمد شنور رازة على بدائي البركات البري المغربي وجعل ذلك السلطان ثلث مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذ كان إسلامه بسببهم فسمى على ذلك حتى الآن وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الاسلام ولما دخلناها لم يكن لي علم بشأنه فبينما أنا ليلة في بعض شأني اذ سمعت الناس يحجرون بالتهليل والتكبير ورأيت الاولاد وعلى رؤسهم المصاحف والنساء يضررن بوضيعة في الطسوت واواي النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ماشاءكم فقالوا لا تنتظر الى البحر فنظرت فاذا مثل المركب الكبير وكأني مملوس رجا ومشاعل فقالوا ذلك العفريت وعادته أن يظهر مرة في الشهر فاذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا

— ذكر سلطنة هذه الجزائر —

ومن عجائبها ان سلطانتها امرأة وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي وكان الملك لجدها ثم لا يها فلما مات أبوها ولّى أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فنزح الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه السلطنة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سئذ كره فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه الى جزائر السويدي واستقل بالملك واستوزر أحدهم واليه ويسمى على كلكى ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويدي وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور أنه يحتلف الى حرم أهل دولته وخداصه بالليل فخلعه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتي وبعثوا من قتله بهاء لم يكن بقي من بيت الملك الا اخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة سلطنة وكانت مزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيراً وغالبا على الامر وقدم ولده محمد للخطابة عوضا منه ولكن الامور

أما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الاوامر في سعة النخل بحديدة معوجة شبه السمكين ولا يكتبون في الكاغد الا المصاحف وكتب العلم ويذكروا الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر امناك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين ألا وهي السلطنة خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضي الى المشور وهم يسمونه الدار فلا بد له ان يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطنة ويرمي باحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمي بالثاني وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم ليدون ويأتون كل يوم الى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الارز يعطاهم من البندري كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة واعلم بانا أتينا نطلب مرتبنا فيؤمر لهم بها عند ذلك وياتي أيضا الى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون

— ذكر أرباب الخطط وسيرهم —

وهم يسمون الوزير الأكبر النائب عن السلطنة كل كي (بفتح الكاف الاولى واللام) و يسمون القاضي قنديلار قالوا (وضبط ذلك بقاء مفتوح ونون مسكن ودال مهملة مفتوح وياء آخر الحروف والف وراءه وقف واللام مضموم) واحكامهم كل ايام الجمعة الى القاضي وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين وأمره ممتثل كما امر السلطان وأشد ويجلس على بساط في الدار وله ثلاثة جزائر يأخذ بجباها لنفسه عادة قديمة أجراها السلطان أحمد شنورازة و يسمون الخطيب هندیجرى (وضبط ذلك بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مدو جيم مفتوح وراءه وياء) و يسمون صاحب الديوان القاملداري (بفتح القاء والميم والدال المهملة) و يسمون صاحب الاشغال ما قالوا (بفتح الميم والكاف وضم اللام) و يسمون الحاكم قنطايك (بكسر القاء وسكون التاء المعلو وفتح النون والف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف) و يسمون قائد البحر ما ناك (بفتح الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمى وزيراً ولا سجن عندهم تلك الجزائر انما يحبس ارباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عند نابا سارى الروم

— ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالها —

ولما وصلت اليها نزلت منها بجزيرة كنلوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة ونزلت بدار رجل من صلحاءها وأضافني بها الفقيه على وكان فاضلاً له أولاد من طلبة العلم ولقيت بها

رجلا اسمه محمد من أهل ظفار المحوض فاضا في وقال لي إن دخلت جزيرة المهل أمسك
الوزير بها فانهم لا قاضي عندهم وكان غرضي أن أسافر منها الى المعبر وسر نديب وبنجال ثم الى
الصين وكان قدومي عليها في مركب الناخودة عمر الهنوري وهو من الحجاج الفضلاء ولما
وصلنا كنولس أقام بها عشر ايام اكثرى كندرة يسافر فيها الى المهل بهدية للسلطانة وزوجها
فأردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك فان شئت السفر منفردا عنهم
فدونك فابيت ذلك وسافر فلعبت به الريح وعاد الينا بعد أربعة أيام وقد اتى شدا ئد فاعتذرت لي
وعزم على في السفر معه بأصحابي فكننا نرحل غدوة فنزل في وسط النهار لبعض الجزائر ونرحل
فنبئت بأخرى ووصلنا بعد أربعة أيام الى إقليم التيم وكان الكر دوى يسمى بها هلالا فسلم على
وأضافني وجاء الى ومعه أربعة رجال وقد جعل اثنان عليهم عودا على أكتافهما وعلقا منه
أربع دجاجات وجعل الآخران عودا مثله وعلقا منه نحو عشر من جوز النار جيل فميجبت
من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير فاخبرت انهم صنعوه على جهة الكرامة والاحسان ورحلنا
عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزة عثمان وهو رجل فاضل من خيار الناس فآكرمنا وأضافنا
وفي اليوم الثامن نزلنا بالجزيرة لوزير يقال له التلمذي وفي اليوم العاشر وصلنا الى جزيرة المهل
حيث السلطانة وزوجها وارسينا بمرساها وعادتهم أن لا ينزل أحد عن المرسى الا بأذنهم
فاذنوا لنا بالنزول وأردت التوجه الى بعض المساجد ففتحنى الخدام الذين بالساحل وقالوا
لا بد من الدخول الى الوزير وكنت أوصيت الناخودة ان يقول اذا سئل عني لا اعرفه
خوفا من امساكهم إياي ولم أعلم ان بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا بخبري واني كنت
قاصيا بدھلي فلما وصلنا الى الدار وهو المشور نزلنا في سقفائف على الباب الثالث منه وجاء
القاضي عيسى اليماني فسلم على وسلمت على الوزير وجاء الناخودة ابراهيم بعشرة أبواب فخدم
الجهة السلطانة ورمي بثوب منها ثم خدم للوزير ورمي بثوب آخر كذلك ورمي بجميعهم واسئل
عني فقال لا اعرفه ثم اخرجوا التنبول وماء الورد وذلك هو الكرامة عندهم وأنزلنا
بدار وبعث الينا الطعام وهو وقصعة كبيرة فيها الارز وتودر بها اصحاف فيها اللحم الخليع
والدجاج والسمن والسماك ولما كان بالغد مضيت مع الناخودة والقاضي عيسى اليماني لزيارة
زاوية في طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب رعد اليلاب وبعث الوزير الى صبيحة تلك
الليلة كسوة وضيافة فيها الارز والسمن والخليع وجوز النار جيل والعسل المصنوع منها وهم
يسمونه القرباني (بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والف ونون وياه) ومعني ذلك
ماء السكر واتوا بمائة الف ودعة للنفقة وبعد عشرة أيام قدم مركب من سيلان فيه فقراء

من العرب والعجم يعرفون فقر فواخذام الوزير بامري فرادا غتباطاني وبعث عني عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء واحضر الطعام في موائد يجتمع على المائدة طائفة فاجلسني الوزير الى جانبه ومعه القاضي عيسى والوزير الفاملد اري والوزير عمر دهرى ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز والدجاج والسمن والسمنك والخليع والموز المطبوخ ويشربون بعده عسل النارجيل مخلوطا بالافاية وهو يهضم الطعام وفي التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير زوج بنته وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهم لما لصغرها فردها أبوها لداره واعطاني دارها وهي من أجمل الدور واستاذنته في ضيافة الفقراء الفاديين من زيارة القدم فاذن لي في ذلك وبعث الى خمسنا من الغنم وهي عريضة عندهم لانها محبوبة من المعبر والمليار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والابازر فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان ما نايك فطبخ لي بها فاحسن في طبخه وزاد فيه وبعث الفرش وأواني النحاس وأفطرا على العادة بدار السلطنة مع الوزير واستاذنته في حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة فقال لي وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى داري فاذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة فجلس قبة في خشب مرتفعة وكان كل من يأتي من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمي ثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب أو نحوها فاخذها الفقراء وقدم الطعام فاكلوا ثم قرأ الفقراء بالا صوات الحسان ثم أخذوا في السماع والرقص وأعددت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطؤونها بالاقدام ومنهم من يأكلها كما تؤكل الحلواء الى ان سمحت

— ذكر بعض احسان الوزير الى —

ولما تمت الليلة انصرف الوزير ومضيت معه فمررنا ببستان للمخزن فقال لي الوزير هذا البستان لك وساعمر لك فيه دارا لسكنائك فشكرت فعله ودعوت له ثم بعث لي من الغد بجارية وقال لي خديمه يقول لك الوزير ان اعجبتيك هذه هي لك والابعثت لك جارية مرهتية وكانت الجوارى المرهتيات تعجبنني فقلت له انما أريد المرهتية فبعثني الى وكان اسمها قلستان ومعناه زهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسي فاعجبني وأهل تلك الجزائر لهم لسان لم أكن اعرفه ثم بعث الى في غد ذلك بجارية معبرية تسمى عنبري ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخيرة في نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليهما وسالني عن حالى فدعوت له وشكرته فأتني أحد الغلامين بين يديه لقشة (بقشة) وهي شبه السبئية وأخرج منها ثياب حرير وحفا فيه جوهر

فاعطاني ذلك وقال لي لو بعثته لك مع الجارية لقات هو مالي جئت به من دار مولاي والان هو مالك فاعطه اياه فدعوت له وشكرته وكان أهلا للشكر رحمه الله

— ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك —

وكان الوزير سليمان ما نيك قد بعث الى ان أزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين مستأذنا في ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يعجبه ذلك وهو يحب أن يزوجك بنته اذا انقضت عدتها فابيت أنا ذلك وخفت من شؤمها لانه مات تحتها زوجان قبل الدخول وأصابني أثناء ذلك حمى مرضت بها ولا بد لكل من يدخل تلك الجزيرة ان يحجم فقوي عزمي على الرحلة عنها فبعث بعض الحلى بالودع واكثرته مركبا أسافر فيه لبيجالة فلما ذهبت لوداع الوزير خرج الى القاضي فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعطنا ما أعطيناك وسافر فقلت له ان بعض الحلى اشتريت به الودع فشانكم وياه فعاد الى فقال يقول انما أعطيناك الذهب ولم نعطك الودع فقلت له أنا أبيعهم وآتيكم بالذهب فبعثت الى التجار ليشتروه مني فامرهم الوزير ان يفعلوا وقصده بذلك كله ان لا أسافر عنه ثم بعث الى أحد خواصه وقال الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت في نفسي أنا نحت حكمهم وان لم أقم مختارا أقت مضطرا فالقائمة باختيارى اولى وقلت لرسولهم انا اقيم معه فعاد اليه ففرح بذلك واستدعاني فلما دخلت اليه قام الى وعانقني وقال نحن نريد قربك وأنت تريد البعد عنا فاعذرت له فقبل عذري وقلت له ان اردتم مقامى فانا اشتراط عليكم شروطا فقال نقبلها فاشتراط فقلت له انا لا أستطيع المشى على قدمي ومن عادتهم أن لا يركب أحدهم الا الوزير واند كنت لما أعطوني الفرس فركبته يتبعني الناس رجالا وصبيانا يعجبون منى حتى شكوت له فضربت الدنقرة وبرز في الناس ان لا يتبعني أحد والدنقرة (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبه الطست من البحاس تضرب بجديدة فيسمع لها صوت على البعد فاذا ضربوها حينئذ يبرح في الناس بما يراى فقال لي الوزير ان أردت ان تركب الدولة والافندنا حصان ورمكة فاختر أيهما شئت فاخترت الرمكة فانوفى بها في تلك الساعة وأتوفى بكسوة فقلت له وكيف أصنع بالودع الذى اشتريته فقال ابعت أحداً أحببك ليبيعه لك ببجالة فقلت له على ان تبعث أنت من يعينه على ذلك فقال نعم فبعثت حينئذ رفيقي أبامحمد بن فرحان وبعثوا معه رجلا يسمى الحاج عليا فاتفق ان هال البحر فرموا بكل ما عندهم حتى الزاد والماء والصارى والقرية وأقاموا ست عشرة ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا الى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد

وقدم على صاحبي ابو محمد بعد سنة وقد زار القدم وزارها مرة ثانية معي

— ذكر العيد الذي شاهدته معهم —

ولما تم شهر رمضان بعث الوز ير الى بكسوة وخرجنا الى المصلى وقد زينت الطريق التي يمر
الوز ير عليها من داره الى المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت ككتاف الودع به وبسرة وكل من
له على طريقه دار من الامراء والكبار قد غرس عندها النخل الصغار من النارجيل
واشجار الفوفل والموز ومد من شجر الى آخرى شرائط وعلق منها الجوز الاخضر وبقيت
صاحب الدار عند بابها فاذا مر الوز ير رمي على رجليه ثوبان الحرير والقطر فيأخذها
عبيده مع الودع الذي يحمل على طريقه أيضاً والوز ير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية
من المرعز وعمامة كبيرة وهو متلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شطور وفي رجليه
النعل وجميع الناس سواء حفاة والابواق والانفار والاطبال بين يديه والعساكر امامه
وخلفه وجميعهم يكبرون حتى أتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى بحففة فركب فيها
الوز ير بخدمة له الامراء والوزراء ورموا بالثياب على العادة ولم يكن ركب في الحففة قبل
ذلك لان ذلك لا يفعل الا الملوك ثم رعبه الرجال وركبت فرسى ودخلنا القصر فيجاس
بموضع مرتفع وعنده الوزراء والامراء ووقف العبيد بالترسة والسيوف والعصى ثم أتى
بالطعام ثم الفوفل والتنبول ثم أتى بصحفة صغيرة فيها الصندل المقاصري فاذا كانت جماعة
من الناس تلطخوا بالصندل ورأيت علي بن رض طعاهم بومئذ حوتام السردين مملوحا
غير مطبوخ أهدي لهم من كوله ومن بلاد المليبار كثير فاخذ الوز ير سردينه وجعل
ياكلها وقال لي كل منه فانه ليس ببلادنا فقلت كيف اكله وهو غير مطبوخ فقال انه
مطبوخ فقلت انا اعرف به فانه ببلادى كثير

— ذكر تزوجى وولايته القضاء —

وفي الثاني من شوال انفقت مع الوز ير سليمان مانايك على تزوج بنته فبعثت الى الوز ير
جمال الدين أن يكون عقد النكاح بين يديه بالقرعة فاجاب الى ذلك واحضر التنبول على
العادة والصندل وحضر الناس وأبطأ الوز ير سائما فاستدعي فلم يأت ثم استدعى ثانية
فاعتذر بمرض البنت فقال لي الوز ير سرا أن بنته امتنعت وهى ما تكتأمر نفسها والناس
قد اجتمعوا فهل لك ان تزوج برتبة السلطان زوجة أبيها وهى التي ولده متزوج بنتها
فقلت له نعم فاستدعى القاضي والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوز ير الصداق ورفعت الى
بعد ايام فكانت من خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها انها كانت اذا تزوجت عليها تطايفى

وتبخر اثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير ولما تزوجتها اكرهني الوزير على القضاء وسبب ذلك اعتراضى على القاضي لكونه كان يأخذ العشر من التراك اذا قسمها على اربابها فقلت له انمالك اجرة تنفق بهامع الورثة ولم يكن يحسن شيئاً فلما وليت اجتهدت جهدى فى اقامة رسوم الشرع وليست هنالك خصوصيات كماهى ببلادنا فاول ما غيرت من عوائد السوء مكث المطلقات فى ديار المطلقين وكانت احداهن لا تزال فى دار المطلق حتى تزوج غيره فحسنت علة ذلك واتى الى بنحو خمسة وعشرين رجلاً ممن فعل ذلك فضر بهم وشهرتهم بالاسواق واخرجت النساء عنهم ثم اشتددت فى اقامة الصلوات وامرت الرجال بالمبادرة الى الازقة والاسواق انصرامة الجمعة فن وجدوه لم يصل ضر به وشهرته والزمت الامة والمؤذنين اصحاب المراتب المواظبة على ما هم بسبيله وكتبت الى جميع الجزائر بنحو ذلك وجهدت أن اكسو النساء فلم أقدر على ذلك

— ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرمى الذي تفاه السلطان شهاب الدين

الى السو يد وما وقع بيني وبينه —

وكننت قد تزوجت ربيته بنت زوجته واحببتها حباً شديداً ولما بعث الوزير عنه ورده الى جزيرة المهل بعث له التحف وتلقيته ومضيت معه الى القصر فسلم على الوزير وأنزله فى دار جيدة فكنت أزوره بها واتفق ان اعتكفت فى رمضان فزارنى جميع الداس الاهو وزارنى الوزير بجمال الدين فدخل هو معه بحكم الموافقة فوقعت بيننا الوحشة فلما خرجت من الاعتكاف شكا الى اخوال زوجتى ربيته اولاد الوزير بجمال الدين السنجرى فان أباهم أوصى عليهم الوزير عبد الله وأن مالهـم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع وطلبوا احضاره بمجلس الحكم وكانت عادتي اذا بعثت عن خصم من الخصوم ابعت له قطعة كاغدا مكتوبة فعند ما يقف عليها يبادر الى مجلس الحكم الشرعى والاعاقبة فبعثت اليه على العادة فاغضبه ذلك وحقد هالى واضمر عداوتى ووكلى من يتكلم عنه وبلغنى عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير ان يخدموا له كما يخدمون للوزير بجمال الدين وخدمتهم أن يوصلوا السبابة الى الارض ثم يقبلونها ويضعونها على رؤسهم فامرت المنادى فنادى بدار السلطان على رؤس الاشهاد أنه من خدم للوزير عبد الله كما يخدم للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد وأخذت عليه أن لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته وتزوجت أيضاً زوجة اخرى بنت وزير معظم عندهم كان جده السلطان داود حفيد السلطان أحمد شنوراة ثم تزوجت زوجة كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرته

ثلاث ديار بالستان الذي أعطاه الوزير وكانت الرابعة وهي ربيعة الوزير عبد الله تسكن في دارها وهي احبهن الى فلما صاهرت من ذكرته هابى الوزير واهل الجزيرة وتخوفوا مني لاجل ضعفهم وسعوا بيني وبين الوزير بالنعماء وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة — ذكر انقصا الى عنهم وسبب ذلك —

واتفق في بعض الايام ان عبد من عبيد السلطان جلال الدين شكتته زوجته الى الوزير واعلمته انه عند سرية من سرارى السلطان يزني بها فبعث الوزير الشهود ودخلوا دار السرية فوجدوا الغلام نائما معها في فراش واحد وحبسوها فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت الى المشور وجلست في موضع جلوسى ولم اكلم في شىء من امرها فخرج الى بعض الخواص فقال يقول لك الوزير أنك حاجة فقلت لا وكان قصده ان اكلم في شأن السرية والغلام اذا كانت عادية ان لا تقطع قضية الاحكامت فيها فلما وقع التغير والوحشة قصرت في ذلك فانصرفت الى دارى بعد ذلك وجلست بموضع الاحكام فاذا بيهض الوزراء فقال لى الوزير يقول لك انه وقع البارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فاحكم فيهما بالشرع فقلت له هذه قضية لا ينبغي ان يكون الحكم فيها الا بدار السلطان فعدت اليها واجتمع الناس واحضرت السرية والغلام فامرت بضربهما للخلوة واطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وانصرفت الى دارى فبعث الوزير الى جماعة من كبراء ناسه في شأن تسريح الغلام فقلت لهم اتشفعون في غلام زنجى يهتك حرمة مولاه وانتم بالامس خلعتم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له وامرت بالغلام عند ذلك فضرب بقضبان الخيزران وهى أشد وقعا من السياط وشهرته بالجزيرة وفي عنقه حبل فذهبوا الى الوزير فاعلموه فقام وقعد واستشاط غضبا وجمع الوزراء ووجوه العسكري وبعث عني فجئته وكانت عادى ان اخدم له فلم اخدم وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين اشهدوا على انى قد عزلت نفسى عن القضاء له جزى عنه فكلمني الوزير فصعدت وجلست بموضع اقباله فيه وجاوبته أغلظ جوابا واذن المغرب فدخل الى داره وهو يقول ويقولون انى سلطان وها انا ذا طلبته لا غضب عليه فغضب على وانما كان اعتزازي عليهم بسبب سلطان الهند لانهم تحفة واما كى عنده وان كانوا على بعد منه فخوفه في قلوبهم متمكن فلما دخل الى داره بعث الى القاضى المعزول وكان جرى اللسان فقال لى ان مولانا يقول لك كيف هتكت حرمة على رؤس الاشهاد ولم تخدم له فقلت له انما كنت اخدم له حين كان قلبي طيبا عليه فلما وقع التغير تركت ذلك وتحية المسلمين انما هي السلام وقد سلمت فبعثه الى ثانية فقال انما غرضك السفر عنا فاعط صدقات النساء وديون الناس وانصرف اذا

شدت فخدمت له على هذا القول وذهبت الى واري فخلصت مما على من الدين وكان قد اعطاني في تلك الايام فرش دار وجهزها من أواني نحاس وسراها وكان يعطيني كل ما أطلبه ويحبيني ويكرمني ولكنه غير خاطره وخوف مني فلما عرف اني قدخلصت الدين وعزمت على السفر ندم على ما قاله وتلكا في الاذن لي في السفر فخلعت بالايان المغلظة ان لا بد من سفرى ونقلت ما عندي الى مسجد على البحر وطلعت احدي الزوجات وكانت احداهن حاملا فجعلت لها اجلا تسعة اشهر ان عدت فيها والاقامها بيدها وحملت معني زوجتي التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لاسلمها لابيها بجزيرة ملوك وزوجتي الاولى التي بنتها أخت السلطانة وتواقفت مع الوزيرة عمر دهرد والوزير حسن قائد البحر على ان أمضى الى بلاد المغرب وكان ملكها سلقى فاني منها بالعساكر لترجع الجزائر الى حكمه وانوب امانته فيها وجعلت بيدي وبينهم علامة رفع أعلام بيض في المراكب فاذا رأوها ناروا في البر ولم اكن حدثت نفسي بهذا قط حتى وقع ما وقع من التغير وكان الوزير خائفا مني يقول للناس لا بد لهذا ان ياخذ الوزارة اما في حياتي او بعد موتي ويكسر السؤال عن حالي ويقول سمعت ان ملك الهند بعث اليه الاموال لثيورها على وكان يخاف من سفرى لثلاث آتى بالجيش من بلاد المغرب فبعثت الي ان اقيم حتى يحجز لي مركبا فبيت وشكت اخت السلطانة اليها بسفرها معي فارادت منعها فلم تقدر على ذلك فلما رأت عزمها على السفراقات لها ان جميع ما عندك من الحلوى هو من مال البندرقان كان لك شهود بان جلال الدين وهبه لك والافرده وكان حلليا له خطر فردته اليهم واتاني الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا مني الرجوع فقلت لهم لولا أي حلفت لعدت فمما لوانتذهب الى بعض الجزائر ليبر قسمك وتعود فقلت لهم نعم أرضاه لهم فلما كانت الليلة التي سافرت فيها اتيت لوداع الوزير فعاثقني وبكى حتى قطرت دموعه على قدمي وبات تلك الليلة بحتس الجزيرة بنفسه خوفا ان يثور عليه اصهارى وأصحابي ثم سافرت ووصلت الى جزيرة الوزير على فاصابت زوجتي اوجاع عظيمة واحبت الرجوع فطلقتها وتركتها هناك وكتبت للوزير بذلك لانها أم زوجة ولده وطلقت التي كنت ضربت لها الاجل وبعثت عن جارية كنت احبها وسرنا في تلك الجزائر من ان اقليم الى اقليم

— ذكر النساء ذوات الثدي الواحد —

وفي بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدي واحد في صدرها ولها ابنتان احدهما كمثلها ذات ثدي واحد والاخرى ذات ثدين الا ان احدهما كبير فيه اللبن والاخر صغير لا ابن فيه هجبت من شأنهن ووصلنا الى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها الادار واحدة فيها

رجل حائك له زوجة واولاد ونخيلات نارجيل وقارب صغير يصطاد فيه السمك ويسير به الى حيث اراد من الجزائر وفي جزيرته ايضا شجيرات موزولم نرفيها من طيور البر غير غرابين خرجا اليئنا لاصولنا الجزيرة وطافا بركبنا فغبط والله ذلك الرجل وودت ان لو كانت تلك الجزيرة لي فانقطعت فيها الى ان ياتيني اليقين ثم وصلت الى جزيرة ملوك حيث المركب الذي لنا خوذة ابراهيم وهو الذي عزمت على السفر فيه الى المعبر فجا الى ومعه أصحابه و أيضا فوني ضيافة حسنة وكان الوزير قد كتب لي أن أعطي بهذه الجزيرة مائة وعشرين بستوا من الكودة وهي الودع وعشرين قدحاً من الاطوان وهو عسل النارجيل وعدد ما معلوم من التنبول والفوفل والسمك في كل يوم وأقت بهذه الجزيرة سبعين يوماً وتزوجت بها امرأتين وهي من أحسن الجزائر خضرة نضرة رأيت من عجائبها ان الغصن يقطع من شجرها ويركز في الارض أو الحائط فيورق وبصير شجرة ورأيت الرمان بها لا ينقطع لثمر بطول السنة وخاف أهل هذه الجزيرة من الناخوذة ابراهيم ان ينهبهم عند سفره فارادوا امساك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره فوقت المشاجرة بسبب ذلك وعدنا الى المهمل ولم ندخلها وكتبت الى الوزير معلما بذلك فككتب ان لا سبيل لاختذ السلاح وعدنا الى ملوك وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة وأربعين وفي شعبان من هذه السنة توفي الوزير جمال الدين رحمه الله وكانت السلطنة حاملا منه فولدت اثر وقاته وتزوجها الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة أيام فسرنا نحو تسعة أيام وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهبا في السماء كأنه عمود دخان ولما وصلناها قال البحرية ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار الى بلاده آمنين انما هذا مرسى في بلاد السلطان ايرى شكر وفي وهو اعتاة المفسدين وله مركب تقطع في البحر فخفنا ان نزل بمرساه ثم اشتدت الريح فخفنا الفرق فقلنا لنا خوذة انزاني الى الساحل وأنا آخذ ذلك الامان من هذا السلطان ففعل ذلك وانزلني بالساحل فاننا بالكفار فقالوا ما أتم فاخبرتهم اني سلف ساطان المعبر وصاحبه جئت لزيارته وان الذي في المركب هدية له فذهبوا الى سلطانهم فاعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له الى مدينة بطالة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والطاء المهمل وتشديدها) وهي حضرته مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وابرار خشب وجميع سواحلها مملوءة باعواد القرفة تأتي بها السيول فتجتمع بالساحل كأنها الروابي ويحملها أهل المعبر والمليبار دون ثمن الا انهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيرة يوم وليلة وبها أيضا من

خشب البقم كثير ومن العود الهندي المعروف بالكخي الا انه ليس كالقمارى والقالقى وسنذكره — ذكر سلطان سيلان —

واسمه ايرى شكروقى (بفتح الهمزة وسكون الباء وكسر الراء ثم باء وشين معجم مفتوح وكاف مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء معلوة مكسورة وياو) وهو سلطان قوى فى البحر رأيت مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مرا كبة بين صغار وكبار وصلت الى هنالك وكانت بالمرسى ثمانية مرا كب للسلطان يرسم السفرا الى اليمن فامر السلطان بالاستعداد وحشد الناس للحماية اجفانه فلما يئسوا من انتهاز الفرصة فيها قالوا انما جئنا فى حماية مرا كب لنا تسير أيضا الى اليمن ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام الى وأجلسني الى جانبه وكلمني باحسن كلام وقال ينزل أصحابك على الامان ويكونون فى ضيافتي الى أن يسافروا فان سلطان المعبر يني وبينه الصيحة ثم امر بانزالى فاقمت عنده ثلاثة أيام فى إكرام عظيم متزايد فى كل يوم وكان يفهم اللسان الفارسي ويعجبه ما أحدثه به عن الملوك والبلاد ودخلت عليه يوما وعنده جواهر كثيرة أتى بها من مغاص الجوهر الذي ببلادها وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره فقال لى هل رأيت مغاص الجوهر فى البلاد التي جئت منها فقلت له نعم رأيت بجزيرة قيس وجزيرة كش التي لابن السواملى فقال سمعت بها ثم أخذ حبات منه فقال أياكون فى تلك الجزيرة مثل هذه فقلت له رأيت ما هو دونها فاعجبه ذلك وقال هلى لك وقال لى لا تستجى واطلب منى ماشئت فقلت له ليس مرادى منذ وصلت هذه الجزيرة الا زيارة القدم الكريمة قدم آدم عليه السلام وهم يسمونه (بابا) ويسمون حواء (ماما) فقال هذا هين نبعت معك من يوصلك فقلت ذلك أريد ثم قلت له وهذا المركب الذى جئت فيه يسافر آمنا الى المعبر واذا عدت انا بعثتنى فى مرا كبك فقال نعم فلما ذكرت ذلك لصاحب المركب قال لى لا اسافر حتى تعود ولو اقمت سنة بسببك فاخيرت السلطان بذلك فقال يقيم فى ضيافتي حتى تعود فاعطانى دولة يحملها عبيده على اعناقهم وبعث معى اربعة من الجوكية الذين عادتهم السفر كل عام الى زيارة القدم وثلاثة من البراهمة وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلا يحملون الزاد وأما الماء فهو بثلث الطريق كثير ونزلنا ذلك اليوم على واد جزناه فى معدية مصنوعة من قصب الخيزران ثم رحلنا من هنالك الى منار مندلى (وضبط ذلك بفتح الميم والنون والفاء وراء مسكنة وميم مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح ولام مكسور وياء) مدينة حسنة هي آخر عمالة السلطان أضافنا اهلها ضيافة حسنة وضيافتهم عجول الجواميس يصطادونها بغابة هنالك ويأتون بها احياء ويأتون بالارز والسمن والحوت والدجاج والابن ولم

المدينة مسلما غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه فسافر معنا ورحلنا الى بندر سلواته (وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل واللام والواو والف وتاء معلوة) بلدة صغيرة وسافرنا منها في أعمار كثيرة المياه وبها القبيلة الكثيرة الا انها لا تؤذي الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ أبي عبدالله بن خفيف رحمه الله وهو أول من فتح هذا الطريق الى زيارة القدم وكان هؤلاء الكفار يمنعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم فلما اتفق للشيخ أبي عبدالله ما ذكرناه في السفر الاول من قتل القبيلة لاصحابه وسلامته من بينهم وحمل الفيل له على ظهره صار الكفار من ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم دورهم ويطعمون معهم ويطمننون لهم باهلهم وأولادهم وهم الى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم وسموه الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد ذلك الى مدينة كنعار (وضبط اسمها بضم الكاف الاولى وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء) وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد وبنائها في خندق بين جبلين على خور كبير يسمى خور الياقوت لان الياقوت يوجد به وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش (بشينين معجمين بينهما واو مضموم) وسلطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل الى القدم فلما قطعت يده ورجله صار الادلأ أولاده وغلاما نه وسبب قطعه أنه ذبح بقرة وحكم كفار الهنود انه من ذبح بقرة ذبح كثلها أو جعل في جلدها وحرق وكان الشيخ عثمان معظما فقطعوا يده ورجله واعطوه محبي بعض الاسواق — ذكر سلطانها —

وهو يعرف بالكنعار (بضم الكاف وفتح النون وألف وراء) وعنده الفيل الابيض لم أر في الدنيا فيلأبيض سواه يركبه في الاعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة واتفق له ان قام عليه أهل دولته وسموا عينيه وولوا والدوه هو هنالك أعظمي

— ذكر الياقوت —

والياقوت العجيب البهرمان إنما يكون هذه البلدة فمنه ما يخرج من الخور وهو عزيز عنده ومنه ما يحفر عنه وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها وهي متملكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد احجارا بيضاء مشعبة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها فيعطى الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت فمنه الاحمر ومنه الاصفر ومنه الازرق وسموه النيلم (بفتح النون واللام وسكون اليا آخر الحروف وعادتهم ان ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت الى مائة فتم (بفتح الفاء والنون)

خمس للسلطان يعطى ثمنه ويأخذه وما تنقص عن تلك القيمة فهو لاصحابه وصرف مائة فتم ستة
 دنانير من الذهب وجميع النساء بجزيرة سيلان هن الفلانن من الياقوت الملون ويجعلنه في
 أيديهن وأرجلهن عوضاً من الاسورة والخلاخيل وجوارى السلطان يصنعن منه شبكة
 يجعلنها على رؤسهن ولقد رأيت على جبهة الفيل الأبيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من
 بيضة الدجاج ورأيت عند السلطان ابرى شكروقي سكرجة على مقدار الكف من الياقوت
 فيها دهن العود فجعلت أعجب منها فقال ان عندنا ماهو أضيخ من ذلك ثم سافرنا من كنفار
 غزير لنا بمغارة تعرف باسم اسطامجود اللورى (بضم اللام) وكان من الصالحين واحترق تلك
 المغارة في سفح جبل عند خور صغير هنالك ثم رحلنا عنها وازلنا بالخور المعروف بخور بوزنه
 (بالباء الموحدة وواو زاي ونون وهاء) وبوزنه هي القروود

— ذكر القروود —

والقروود بتلك الجبال كثيرة جدا وهي سودا لوان لها أذنان طوال ولذ كورها لحى كما هي
 للآدميين وأخبرني الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القروود لها مقدم تتبعه كأنه سلطان
 يشد على رأسه عصا من اوراق الاشجار ويتوكأ على عصى ويكون عن يمينه ويساره
 أربعة من القروود لها عصى بأيديها وانه اذا جلس القرد المقدم تقف القروود الاربعة على
 رأسه وتأتى أثناء واولاده فتقع بين يديه كل يوم وتأتى القروود فتقع علي بعد منه ثم
 يكلمها أحد القروود الاربعة فتتصرف القروود كلها ثم يأتي كل قرد منها بموزة أوليمونه أو
 شبيه ذلك فياكل القرد المقدم واولاده والقروود الاربعة وأخبرني بعض الجوكية انه رأى
 القروود الاربعة بين يدي مقدمها وهي تضرب بعض القروود بالعصى ثم تنفت وبره بعد
 خضبه وذكر لي الثقات انه اذا غفر قرد من هذه القروود بصبيبة لا تستطيع الدفاع عن نفسها
 جاعها وأخبرني بعض اهل هذه الجزيرة انه كان بداره قرد منها قد خلت بنت له بعض البيوت
 فدخل عليها فصاحت به فغلبها قال ودخلنا عليها وهو بين رجليناها فقتلناها ثم كان رحيلنا الى خور
 الخيزران ومن هذا الخور اخرج أبو عبد الله بن خفيف الياقوتين اللتين اعطاها لسلطان هذه
 الجزيرة حسبما ذكرناه في السفر الاول ثم رحلنا الى موضع يعرف ببنت العجوز وهو آخر
 العمارة ثم رحلنا الى مغارة باطاهر وكان من الصالحين ثم رحلنا الى مغارة السبيك (بفتح السين
 للمحمل وكسر الباء الموحدة وياء مدوكاف) وكان السبيك من سلاطين الكفار وانقطع
 لعبادة هنالك

— ذكر العلق الطيار —

وهذا الموضع رأينا العلق الطيار وبسمونه الزلو (بضم الزاى واللام) ويكون بالأشجار والحشائش التى تقرب من الماء فإذا قرب الانسان منه وثب عليه فخيما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير والناس يستعدون له الليمون بعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجردون الموضع الذى يقع عليه بسكين خشب معد لذلك ويذكرون بعض الزوار مر بذلك الموضع فتعلقت به العلق فأظهر الجلد ولم يعصر عليها الليمون فنزف دمه ومات وكان اسمه باباخوزى (بالخاء المعجم المضموم والزاى) وهناك مغارة تنسب اليه ثم رحلنا الى السبع مغارات ثم الى عقبة اسكندر ثم مغارة الاصفهاني وعين ماء وقلعة غير عامرة تحتها خور يعرف بغوطة كاه عارقان وهناك مغارة النارنج ومغارة السلطان وعندها درواسة الجبل أي باباه

— ذكر جبل سرنديب —

وهو من اعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع ولسا صدناه كما نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية أسفله وفيه كثير من الاشجار التى لا يسقط لها ورق ولا زاهر النورة والورد الاحمر على قدر الكف وزعمون ان في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي الجبل طر يقار الى القدم أحدها يعرف بطريق (بابا) والاخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذ ارجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعمر المرتقى وفي أسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب أيضا لاسكندر وعين ماء ونحت الاولون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسك بها من يصعد وهي عشرين سلاسل ثتان في أسفل الجبل حيث الدر واسة وسبع متواليه بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى أسفل الجبل ادركه الوهم فيتشده خوف السقوط ثم اذا تجاوزت هذه السلسلة وبعدت طر يقامها ملا ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر سبعة أميال وهي في موضع فسيح عندها عين ماء تنسب اليه أيضا ملاكى بالحوت ولا يصطاده ما جد والقرب منها حوضان متحوتان في الحجارة عن جنوبي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين الى أعلى الجبل حيث القدم

— ذكر القدم —

وانظر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا وطولها احد عشر

شبرا وأتى إليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من أقصى البلاد في الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزاور من الكفار فيها الذهب والياقوت والجواهر فترى الفقراء إذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لاختدما بالخفر ولم نجد نحن بها إلا سير حجيرات وذهب أعطيناها الدليل والعادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها إلى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ولما تمت الأيام الثلاثة عدنا على طريق ما فإتزلنا بمغارة شيم وهوشيت ابن آدم عليهما السلام ثم إلى خور السمك ثم إلى قرية كرملة (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم إلى قرية جبركاران (بفتح الجيم والباء الواحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم إلى قرية دلدينوة (بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياه مدونون مفتوح وواو مفتوح وتاء نيت) ثم إلى قرية آت فلتجة (بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولا م مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح وهنالك (كان) يشقي الشيخ أبو عبد الله بن خفيف وكل هذه القرى والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل في هذا الطريق درخت روان ودرخت هي (بفتح الدال المهملة والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلولة) وروان (بفتح الراء والواو والف ونون) وهي شجرة عادية لا يسقط لها ورق ولم أر من رأي ورقها ويعرفونها أيضا بالماشية لأن الناظر إليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قرية من أسفل الجبل والناظر إليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكرين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل إليها البتة ولهم كاذيب في شأنهم من جعلتها من أكل من أوراقها عادله الشباب إن كان شيخا وذلك باطل ونحت هذا الجبل الحور العظيم الذي يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأي العين شديد الزرقة ورحلنا من هنالك يومين إلى مدينة دينور (وضبط اسمها بدال مهملة مكسور وياه مدونون وواو مفتوحين وراء) مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور في كنيسة عظيمة فيها نحو ألف من البراهمة والجوكرية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود وبغنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة ومجايبها وقف على الصنم وكل من بالكنيسة ومن يرد عليها ياكلون من ذلك والصنم من ذهب على قدر الآدمي وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرتا أنهما تضيئان بالليل كالقنديلين ثم رحلنا إلى مدينة قالى (بالقاف وكسر اللام) وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينور وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة إبراهيم أضافا بموضعه

ورحلنا الى مدينة كلنبو (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وسكون النون وضم الباء
 الموحدة وواو) وهي من أحسن بلاد سرنديب واكبرها وبها يسكن الوزير حاكم البحر
 جالستي ومعه نحو خمسمائة من الحبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى بطالة وقد تقدم
 ذكرها ودخلنا الى سلطانها الذي تقدم ذكره ووجدت الناختودة ابراهيم في انتظاري
 فسافرنا بقصد بلاد المعبر وقويت الريح وكاد الماء يدخل في المركب ولم يكن لنا رئيس عارف
 ثم وصلنا الى حجارة كاد المركب يتكسر فيها ثم دخلنا بحرا قصيرا فتجلس المركب ورأينا
 الموت عيانا ورمي الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صاري المركب فرمينا به وصنع البحرية
 معدية من الخشب وكان بيننا وبين البر فرسخان فاردت أن انزل في المعدية وكان لي
 جاريتان وصاحبان من أصحابي فقال أنزل وتركتنا فآثرتهما على نفسي وقلت أنزلانا
 والجارية التي أحبها فقاتل الجارية اني أحسن السباحة فانهلقت بحبل من حبال المعدية
 وأعوام معهم فنزل رفيقاي واحدهما محمد بن فرحان التوزري والآخر رجل مصري
 والجارية معهم والاخرى تسبح وربط البحرية في المعدية حبالا وسبحوا بها وجعلت
 معهم ما عز على من انتاع والجواهر والعنبر فوصلوا الى البر سالمين لان الريح كانت
 تساعدهم وأقمت بالمركب ونزل صاحبه الى البر على الدقة وشرع البحرية في عمل اربع
 من المعادي فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت الى انؤخر وأقمت به حتى
 الصباح وحينئذ جاء الينا نفر من الكفار في قارب لهم ونزلنا معهم الى الساحل ببلاد المعبر
 فاعلمناهم اننا من اصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته فكاتبوا اليه بذلك وهو على مسيرة يومين في
 الغزو وكتبت أنا اليه أعلمه بما اتفق على وادخلنا اولئك الكفار الى غيضة عظيمة فاتونا
 بقاكهة تشبه البطيخ يشمرها شجرة المنقل وفي داخلها شبه قطن فيه عسلية يستخرجونها
 ويصنعون منها حلواء يسمونه التل وهي تشبه السكر واتوا باسمك طيب واقطنا ثلاثة أيام ثم
 وصل من جهة السلطان امير يعرف بقمر الدين معه جماعة فرسان ورجال وجاؤا بالدولة
 وب عشرة أفراس فركبت وركب أصحابي وصاحب المركب واحدى الجاريتين وحملت
 الاخرى في الدولة ووصلنا الى حصن هركاتو (وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح
 الكاف وألف وتاء معلوة مضمومة وواو) وبقنا به وتركت فيه الجوارى وبعض الغلمان
 والاصحاب ووصلنا في اليوم الثاني الى محلة السلطان — ذكر سلطان بلاد المعبر —

هو غياث الدين الدامغانى وكان في أول أمره فارسا من فرسان الملك مجير بن أبي الرجا
 فأخذ خدام السلطان محمد ثم خدم الامير حاجي بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولي

الملك وكان يدعي سراج الدين قبله فلما رآى تسمي غياث الدين وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلي ثم نزل بها صهرى الشريف جلال الدين احسن شاه وملك بها خمسة أعوام ثم قتل وولى أحد أمرائه وهو علاء الدين أدبجي (بضم الهمزة وفتح الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فلما سنة ثم خرج الى غزو الكفار فآخذ لهم أموالا كثيرة وغنائم واسعة وعاد الى بلاده وغزاهم في السنة الثانية فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتله لهم ان رفع البغفر عن رأسه ليشرب فاصابهم غروب فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين ثم لم يحمدا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوما وولى بعده السلطان غياث الدين ونزوح بذت السلطان اشرف جلال الدين التي كانت متزوجا اختها مدلى — ذكر وصولي الى السلطان غياث الدين —

ولما وصلنا الى قرب من منزله بعث بعض الحجاب لتلقينا وكان قاعدا في برج خشب وعادتهم بالهند كلما أرادوا يدخل أحد على السلطان دون خف ولم يكن عندي خف فاعطاني بعض الكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فميجبت من كون الكفار كان أنهم روعة منهم ودخلت على السلطان فأمرني بالجلوس ودعا القاضي الحاج صدر الزمان بهاء الدين وأنزلني في جواره في ثلاثة من أخبية وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش وبطعامهم وهو الارز والاعجم وعادتهم هنالك أن يسقوا اللبن الرائب على الطعام كما يفعل ببلادنا ثم اجتمعت به بعد ذلك والقيمت له أمر جزائر ذبية لمهل وان يبعث الجيش اليها فآخذ في ذلك بالفرم وعين المراكب لذلك وعين الهدية لسلطانها والخلم للوزراء والامراء والعطايا لهم وفوض الى في عقد نكاحه مع أخت السلطان وأمر بوسى ثلاثة مراكب بالصدقة لفقراء الجزائر وقال لي يكون رجوعك بعد خمسة أيام فقال له قائد البحر خواجه سرك لا يمكن السفر الى الجزائر الا بعد ثلاثة أشهر من الآن فعمالى السلطان امانادا كان الامر به كذا فامض الى فتي حتى تقضي هذه الحركة وتعود الى حضر تامترة ومنها تكون الحركة فمقت معه بخلال ما بعثت عن الجوارى والاصحاب — ذكر ترتيب رحيله وشذيع فعله في قتل النساء والولدان —

وكانت الارض التي نسلكم اغيضة واحدة من الاشجار والقصب بحيث لا يسلككم أحد فامر السلطان أن يكون مع كل واحد من في الجيش من كبير وصغير قاذوم لقطع ذلك قاذورات الحلة رك الى الغاية والناس معه فقطعوا تلك الاشجار من غدوة النهار الى الزوال ثم وثى بالطعام فيا كل جميع الناس طئمة بعد أخرى ثم يعودون الى قطع الاشجار الى العشى وكل من وجدوه من الكفار في الغيضة أسروه وصنعوا خشبة محسدة الطرفين فجملوها على كتفيه

يحملها ومعه امرأته وأولاده ويؤتى بهم الى الحلة وعادتهم ان يصنعوا على الحلة سوراً من خشب يكون له أربعة أبواب ويسمونه الكتكر (بفتح الكافين وسكون التاء المعلوثة وآخره راء) يصنعون على دار السلطان كتكراً ثانياً ويصنعون خارج الكتكر الاكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل ويبعث عندها العبيد والمشائون ومع كل واحد منهم حزمة من رقيق القصب فاذا أتى أحد من الكفار ليضر به على الحلة ليلاً أو قد كل واحد منهم الحزمة التي بيده فعاد الليل شبه النهار لكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع الكفار فاذا كان عند الصباح قسم الكفار الماسورون بالامس أربعة أقسام وأتى الى كل باب من أبواب الكتكر بقسم منهم فركزت بالخشب التي كانوا يحملونها بالامس عنده ثم ركزوا فيها حتى تنفذهم ثم تذبح نساءهم ويربطن بشعورهن الى تلك الخشبات ويذبح الاولاد الصغار في حجورهن ويتركهن هنالك وتنزل الحلة ويستغلون بقطع غيضة أخرى ويصنعون بمن أسروه كذلك وذلك أمر شنيع ما علمته لا أحد من الملوك وبسببه عجل الله حبيته ولقد رأيته يوماً والقاضي عن يمينه وأنا عن شماله وهواكل معنا وقد أتى بكافر معه امرأته وولده سنة سبع فاشار الى السيافين بيده ان يقطعوا رأسه ثم قال لهم وزن أو بسر أو معناه وابنه وزوجته فقطعت رقابهم وصرفت بصري عنهم فلما قت وجدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عنده يوماً وقد أتى رجل من الكفار فتكلم بمـالم أفهمه فاذا الجماعة من الزبانية قد استولوا سكاكينهم فبادرت القيام فقال لي الى أين فقلت أصلى العصر ففهم عني وضحك وأمر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدته متشحطاً في دماؤه

— ذكره زيمته للكيفار وهي من اعظم فتوحات الاسلام —

وكان فيما يجاور بلاده سلطان كافر يسمى بالادبو (بفتح الباء الموحدة ولام والف ولام ثانية ودال مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن) وهو من كبار سلاطين الكفار يزيد عسكره على مائة ألف ومعه نحو عشرين الفامن المسلمين اهل الذعارة وذوى الجنايات والعبيد الفارين فظلم في الاستيلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين بها ستة آلاف منهم النصف من الجياد والنصف الثاني لا خير فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كبان فهزمهم ورجعوا الى حضرة مترة ونزل الكافر على كبان وهي من أكبر مدنها وأحصنها وحاصرها عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام الا قوت أربعة عشر يوماً فبعث لهم الكافر ان يخرجوا على الامان ويتركوا له البلد فقالوا له لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك فوعدهم الى تمام أربعة عشر يوماً فكتب الى السلطان غياث الدين بامرهم فقرأ كتابهم

على الناس يوم الجمعة فبكوا واولوا نبيح أنفسنا من الله فان الكافران أخذت تلك المدينة
لا تنقل الى حصارنا فالموت تحت السيوف أولى بنا فتعاهدوا على الموت وخرجوا من القد
ونزعوا العمائم عن رؤسهم وجعلوها في اعناق الخيل وهى علامة من يريد الموت وجعلوا
قوى النجدة والابطال منهم في المقدمة وكانوا ثلاثمائة وجعلوا على الميمنة سيف الدين
يها دور وكان فقيها ورعاشجاعا وعلى الميسرة الملك محمد السلحدار وركب السلطان في القلب
وهو ثلاثة آلاف وجعل الثلاثة الآلاف الباقين ساقية لهم وعليهم أسد الدين كيخسرو
الفارسي وقصدوا محلة الكافر عند القابلة واهلها على غرة وخيلهم في المرمى فاغاروا عليها
وظن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبئة وقاتلهم فوصل السلطان غياث الدين
قانهزم الكفار شهزيمة واراد سلطانها ان يركب وكان ابن ثمانين سنة قادر كره ناصر الدين بن
اخى السلطان الذى ولى الملك بعده فاراد قتله ولم يعرفه فقال له أحد غلامنا هو السلطان
ها سره وحمله الى عمه فأكرمه فى الظاهر حتى جبي منه الاموال والقبيلة والخيل وكان
بعده السراح فلما استصفى ما عنده ذبحه وسلخه وملأ جلده بالثمن فعلق على سور
مطرة ورأبته بها معلقا ولتعد الى كلامنا فنقول ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة
فتن (بفتح الفاء والتاء المثناة المشددة ونون وهى كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيبة
قد صنعت فيه قبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخم يصعد اليها على طريق خشب
مستقف فاذا جاء العدو وضمو اليها الاجفان التي تكون بالمرسى وصعدوا الرجال والراة فلا
يصيب العدو فرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بالحجارة وبها العنب الكثير والرمان
الطيب ولقيت الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء الموهين الذين يسدلون شعورهم
على اكتافهم ومعه سبع رباة يا كل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيرا
لا حدم غزاة تكون مع الاسد فى موضع واحد فلا يعرض لها وأقت بمدينة فتن وكان
السلطان غياث الدين قد صنع له أحد الجوكية حبوبا للقوة على الجماع وذكروا ان من جملة
الاخلاق ابرادة الحديد فاكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل الى فتن فخرجت الى لقائه
وأهديت له هدية فلما استقربها بعث عن قائد البحر خواجة سرور فقال له لا تشتغل بسوى
المرآكب المينة للسفر الى الجزائر وأراد ان يعطينى قيمة الهدية فايئت ثم ندمت لانه مات
فلم أخذ شيئا واقام بفتن نصف شهر ثم رحل الى حضرته واقمت انا بعده نصف شهر ثم
رحلت الى حضرته وهى مدينة مطرة (بضم الميم وسكون التاء المعولة وفتح الراء) مدينة
كبيرة متسمة الشوارع واول من اتخذها حضرة صهرى السلطان الشريف جلال الدين

أحسن شاه وجعلماشبيهة بدهلي وأحسن بناءها ولما قدمتها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتا ذريعا فن مرض مات من ثاني يوم مرضه او ثالثة وارث ابطا موته قالى الرابع فكنت اذا خرجت لا أرى الامريضا او ميتا واشتريت بها جارية على انها صحيحة فانت في يوم آخر ولقد جاءت الى في بعض الايام امراة كان زوجها من وزراء السلطان أحسن شاه ومعها ابن لها سنه ثمانية أعوام نبيل كيس فطن فشكت ضعف حالها فاعطيتهما نفقة وهما صحيحان سويان فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كفنا واذا به قد توفي من حينه وكنت أرى بمشور السلطان حين مات المئين من الخدم اللاني أتى بهن لدق الارز المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن انفسهن في الشمس ولما دخل السلطان مترا وجداً أمه وامرأته وولده مرضي فاقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج الى نهر على فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكفار وخرجت اليه في يوم خمس فامر بانزالي الى جانب القاضي فلما ضربت لي الاخبية رأيت الناس يسرعون ويموج بعضهم في بعض فن قائل ان السلطان مات ومن قائل ان ولده هو الميت ثم تحقق ذلك فكان الولدهو الميت ولم يكن له سواه فكان موته مما زاد في مرضه وفي الخميس بعده توفيت أم السلطان

— ذكر وفاة السلطان وولاية بن اخيه وانصرافي عنه —

وفي الخميس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول الى المدينة خوف الفتنة ولقيت ناصر الدين ابن أخيه الوالى بعده خارجا الى الحلة قد وجه عنه اذليس للسلطان ولد فطلبني في الرجوع معه فاييت وأثر ذلك في قلبه وكان ناصر الدين هذا خديما بدهلي قبل ان يملك عمه فلما ملك عمه هرب في زى الفقراء اليه فكان من القدر ملكه بعده ولما بوع مدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء واول من قام منشدا القاضي صدر الزمان فاعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمي بالقاضي فاعطاه الف دينار دراهم واعطاني انا ثلثمائة دينار وعلامة وبث الصدقات في الفقراء والمساكين ولما خطب الخطيب اول خطبة خطبها باسمه اثرت عليه الدنيا نير والدرهم في أطباق الذهب والفضة وعمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يجتمعون القرآن على قبره كل يوم ثم يقرأ العشرون ثم يؤتى بالطعام فيا كل الناس ثم يعطون الدراهم كل انسان على قدره واقاموا على ذلك اربعين يوما ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة واول ما بدأ به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولى الوزارة الملك بدر الدين الذي بعثه عمه الى وانا بفتن لية لقتاني فتوفي سر يعا فولى الوزارة خواجه سرور قائد البحر و امر ان يخاطب بخواجه

جهان كيا مخاطب الوزير بدلهي ومن خاطبه بغير ذلك غرم دناير معلومة ثم ان السلطان ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده وبلغه ان الملك مسعود ازاره في محبسه قبل موته فقتله أيضا وقتل الملك بهادور وكان من الشجعان الكرماء الفضلاء وامر لي بجميع ما كان عينه معه من المراكب برسم الجزائر ثم أصابني الحمي القاتلة هنالك فظننت انها القاضية والهمني الله الى التمر الهندي وهو هنالك كثير فاخذت نحو رطل منه وجعلته في الماء ثم شربه فاسهلني ثلاثة ايام وعافاني الله من مرضي فسكرت تلك المدينة وطلبت الاذن في السفر فقال لي السلطان كيف تسافر ولم يبق لايام السفر الى الجزائر غير شهر واحد اقم حتي نعطيك جميع ما أمرك به خو ندا لم قايت وكتب لي الى فتن لا سافر في أي مركب أردت وعدت الى فتن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر الى البنين فسافرت في أحدها ولقينا أربعة اجفان فقاتلنا سيرا ثم انصرفنا ووصلنا الى كولم وكان في بقية مرض فاقمت بها ثلاثة اشهر ثم ركب في مركب بقصد السلطان جمال الدين الهنوري فخرج علينا الكفار بين هنور وفا كنور

— ذكر سلب الكفار لنا —

ولما وصلنا الى الجزيرة الصغرى بين هنور وفا كنور خرج علينا الكفار في اثني عشر مركباً حربية وقاتلونا قتالا شديداً وغلبوا علينا فاخذوا جميع ما عندي مما كنت ادخره للشدائد واخذوا الجواهر والياقيات التي أعطانيها ملك سيلان واخذوا ثيابي والزادات التي كانت عندي مما اعطانيها الصالحون والاولياء ولم يتركوا لي ساترا خلا السراويل واخذوا ما كان لجميع الناس وانزلونا باساحل فرجعت الى قلقوط فدخلت بعض المساجد فبعثت الى أحد الفقهاء بثوب وبعث القاضي بعمامة وبعث بعض التجار بثوب آخر وتعرفت هنالك بزوج الوزير عبد الله بالسلطانة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبان زوجتي التي تركتها حاملا ولدت ولداً ذكراف خطرني السفر الى الجزائر وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير عبد الله ففتحت المصحف فخرج لي تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا فاستخرت الله وسافرت فوصلت بعد عشرة ايام الى جزائر ذبية المهمل ونزلت منها بكولوس فاكرمني واليها عبد العزيز المقدشاوي وأضافني وجهز لي كندرة ووصلت بعد ذلك الى هल्ली وهي الجزيرة التي تخرج السلطانة واخوتها اليها برسم النفرج والسياحة وسمون ذلك التجار ولعبون في المراكب ويبعث لها الوزراء والامراء بالهدايا والتحف حتى كانت بها ووجدت بها أخت السلطانة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وامها التي كانت زوجتي فجاء الخطيب

الى واتوا بالطعام ومر بعض أهل الجزيرة الى الوزير عبد الله فاعلموه بقدمي فسأل عن حالى وعن قدم معي وأخبر أنى جئت برسم حمل ولدى وكان سنه نحو عامين واتهامه تشكومن ذلك فقال لها أنا لا أمتعه من حمل ولده وصادرتنى في دخول الجزيرة وأنزلى بدارتقا بل برج قصره ليتطلع على حالى وبعث الى بكسوة كاملة وبالتنبيق ول وماء الورد على عادتهم وجئت بشوبى حرير للرمى عند السلام فاخذوها ولم يخرج الوزير الى ذلك اليوم وأنى الى بولدى فظهر لى أن أقامته معهم خير له فرددته اليهم وأقت خمسة أيام وظهر لى أن تعجل السفر أولى فطلبت الاذن في ذلك فاستدعانى الوزير ودخلت عليه واتونى بالتوبيخ اللذين أخذوها منى فميتهما عند السلام على العادة واجلسنى الى جانبه وسألنى عن حالى وأكلت معه الطعام وغسلت يدي معه فى الطست وذلك شىء لا يفعله مع أحد واتوا بالتنبيق ول وانصرفت وبعث الى بانواب وسانى من الودع وأحسن أفعاله وأجل وسافرت قننا على ظهر البحر ثلاثا واربعين ليلة ثم وصلنا الى بلاد بنجالا (وضبطها بفتح الباء الواحدة وسكون النون وجيم معقود وأف ولا م مفتوح) وهى بلاد متسعة كثيرة الارز ولم أرى فى الدنيا أرخص أسعارا منها لكنهن مظلمة وأهل خراسان يسمونها دوزخست (دوزخ) بور (بر) نعمة معناه جهنم ملائى بالنعم رأيت الارز يباع فى أسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية بدینار فضى والدينار الفضى هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم البقرة سواء والرطل الدهلى عشرون رطلا مغربية وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم وحدثنى محمد المصمودى المغربى وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديما ومات عندى بدهللى انه كانت له زوجة وخادم فكان يشتري قوت ثلاثتهم فى السنة بثمانية دراهم وانه كان يشتري الارز فى قشره بحساب ثمانين رطلا دهلية بثمانية دراهم فاذا قد خرج منه خمسون رطلا لاصافية وهى عشرة قناطير ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضة وبقرهم الجواميس ورأيت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد و فراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورأيت الكباش السمين يباع بدرهمين ورطل السكر باربعة دراهم وهو رطل دهلى ورطل الجلاب بثمانية دراهم ورطل السمك باربعة دراهم ورطل السيرج بدرهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذى ذرعه ثلاثون ذراعا يباع بدینارين ورأيت الجارية الملية للفراس تباع بدینار من الذهب واحد وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربى واشترت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة وكان لها جمال رماع واشترى بعض أصحابى غلاما صغير السن حسنا اسمه أولو بدینارين من الذهب وأول مدينة دخلنا من بلاد بنجالا مدينة سدكاوان

(وضبط اسمها بضم السين وسكون الدال المهملين وفتح الكاف والواو وآخره نون) وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الأعظم وبجتمع بها نهر الكنك الذي يصب إلى الهنود ونهر الجون ويصبان في البحر ولهم في النهر مراكب كثيرة يقاثلون بها أهل بلاد اللكنوتى

— ذكر سلطان بنجالة —

وهو السلطان فخر الدين الملقب بفخره (بالفاء والخاء المعجم والراء) سلطان فاضل محب في الغرباء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن وهو الذى ولى ولده معز الدين الملك بدلى فتوجه لقتاله والتقى بالنهر وسمى لقاءها لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك وأنه ترك الملك لولده وعاد إلى بنجالة فقام بها إلى أن توفي وولى ابنه شمس الدين إلى أن توفي فولى ابنه شهاب الدين إلى أن غلب عليه أخوه غياث الدين بهادور بور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تغلق فنصره وأخذ بهادور بور أسير ثم أطلقه ابنه محمد ملك على أن يقاسمه مملكة فنكت عليه فقاتله حتى قتل وولى على هذه البلاد صهرا له فقتله العسكر واستولى على مملكها على شاه وهو اذذاك بلاد اللكنوتى فلما رأى فخر الدين أن الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو مولى لهم خالف بسدكا وان وبلاد بنجالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه فإذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار فخر الدين على بلاد اللكنوتى في البحر لقوته فيه وإذا عادت الأيام التي لا مطر فيها أغار على شاه على بنجالة في البر لقوته فيه (حكاية) وانتهى حب الفقراء بالسلطان فخر الدين إلى أن جعل أحدهم نائبا عنه في الملك بسدكا وان وكان يسمى شيدا (بفتح السين المعجم والدال المهمل بينهما ياء آخر الحروف) وخرج إلى قتال عدوه فخالف عليه شيدا وأراد الاستبداد بالملك وقتل واد السلطان فخر الدين ولم يكن له ولد غيره فعلم بذلك فكريا عثدا إلى حضرته ففر شيدا ومن اتبعه إلى مدينة ستركا وان وهي متبعة فبعث السلطان بالهسا كرا إلى حصاره فخاف أهلها على أنفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه إلى عسكر السلطان فكتبوا إليه بأمرة فامرهم أن يبعثوا له رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة كبيرة من الفقراء ولما دخلت سدكا وان لم أرسلطانها ولا لقيته لأنه خالف على ملك الهند فخفت عاقبة ذلك وسافرت من سدكا وان بقصد جبال كامرو وهي (بفتح الكاف والميم وضم الراء) وبينها وبين سدكا وان مسيرة شهر وهي جبال تسعة متصلة بالصين وتتصل أيضا ببلاد التبت حيث غزلان المسك وأهل هذا الجبل يشبهون الترك ولهم قوة على الخدمة والغلام منهم يساوى أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاينة السحر

والاشتغال به وكان قصدي بالمسير الى هذه الجبال لقاء ولي من الاولياء بها وهو الشيخ جلال الدين التبريزي — ذكر الشيخ جلال الدين —

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وافراد الرجال له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو من المعمرين أخبرني رحمه الله انه ادرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة انه مات وهو ابن مائة وخمسين وانه كان له نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر الا بعده واصله عشر وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله وكان يخيف الجسم طولا خفيف العارضين وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم كرامة له —

أخبرني بعض أصحابه انه استدعاهم قبل موته بيوم واحد ووصاهم بتقوى الله وقال لهم اني أسافر عنكم غدا ان شاء الله وخليفتي عايكم الله الذي لا اله الا هو فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والخطوط فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به رحمه الله — كرامة له أيضا — ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لفتني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكنه فاخبروني ان الشيخ قال للفقراء الذين معه قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه وانهم أوالذلك بامر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمرى وانما كوشف به وسرت معهم الى الشيخ فوصلت الى زاوية خارج الغار ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يصدقون زيارته ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل كل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه ولما دخلت عليه قام الى وعانقني وسألتني عن بلادي وأسفاري فاخبرته فقال لي أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه والعجم ياسيدنا فقال والهجم فأكروا مودا فاحتملوني الى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام — حكاية عجيبة في ضمنها كرامات له —

ولما كان يوم دخولي الى الشيخ رأيت عليه فرجة مرعز فاعجبني وقلت في نفسي ليت الشيخ اعطانيها فلما دخلت عليه لاوداع قام الى جانب الغار وجرد الفرجية وألبسنيها مع طاقية من رأسه ولبس مرقعة فاخبروني الفقراء ان الشيخ لم تكن عادته ان يلبس تلك الفرجية وانما يلبسها عند قدمي وانه قال لهم هذه الفرجية يطالبها المغربي يأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لاختينا برهان الدين الصاغري وهي له وبرسمه كانت فلما أخبرني الفقراء بذلك قلت لهم قد حصلت لي بركة الشيخ بأن كساني لباسه وانالاً أدخل بهذه

الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لي بعد مدة طويلاً أني دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا فافترق مني أصحابي لكثرة الزحام وكانت الفرجية على فينا أنا في بعض الطرق اذا بالوزير في موكب عظيم فوق بصره على فاستدعاني واخذ بيدي وسألني عن مقدمي ولم يفارقني حتي وصلت الى دار السلطان معه فاردت الانفصال فزعمني وادخلني على السلطان فسألني عن سلاطين الاسلام فاجبته ونظر الى الفرجية فاستحسنهم فآتاه الى الوزير جردها فلم يمكنني خلاف ذلك فآخذها وامر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة وغير خاطري لذلك ثم تذكرت قول الشيخ انه يأخذها سلطان كافر فطال عجبني من ذلك ولما كان في السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين بخان باق فقصدت زواية الشيخ رهان الدين الصاغري فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها فعجبني من ذلك وقلبتها بيدي فقال لي لم تقلها وانت تعرفها فقلت له نعم هي التي آخذها الى سلطان الخنسا فقال لي هذه الفرجية صنعها اخي جلال الدين برسمي وكتب الى أن الفرجية تصلك على يد فلان ثم أخرج لي الكتاب فقرأته وعجبني من صدق يقين الشيخ واعلمته بآول الحكاية فقال لي أخي جلال الدين اكبر من ذلك كله هو يتصرف في الكون وقد انتقل الى رحمة الله ثم قال لي بلغني انه كان يصلي الصبح كل يوم بمكة وانه يبيع كل عام لانه كان يغيب عن الناس يومى عرفه والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما ادعت الشيخ جلال الدين سافرت الى مدينة حنق (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف) وهي من أكبر المدن واحسنها بشقها النهر الذي ينزل من جبال كامرو يسمى النهر الازرق ويسافر فيه الى بنجاله وبلاد الكنو في وعلية الواعير والبساتين والقري يمتد ويسير كاهي على نيل مصر وأهلها كفار تحت الذمة يؤخذ منهم نصف ما يزرعون ووظائف سوي ذلك وسافرنا في هذا النهر خمسة عشر يوماً بين القري والبساتين فكاننا نمشي في سوق من الاسواق وفيه من المراكب ما لا يحصى كثرة وفي كل مركب منها طبل فذا التقي المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على بعض وأمر السلطان نحر الدين المذكور أن لا يؤخذ بذلك النهر من الفقراء نول وان يعطى الزاد لمن لازاد له منهم واذا وصل الفقير الى مدينة أعطى نصف دينار وبعد خمسة عشر يوماً من سفرنا في النهر كما ذكرناه وصلنا الى مدينة سركا وانوسر (بضم السين المهملة والنون وسكون الراء) وهي المدينة التي قبض أهلها على الفقير شيدا عندما لجأ اليها ولما وصلناها وجدنا بها جنسنا يريد السفر الى بلاد الجاوة وبينهما أربعون يوماً فركبنا فيه ووصلنا بعد

خمسة عشريوما الى بلاد البرهنكار الذين أفواههم كافواء الكلاب (وضبطها بفتح الباء
 الموحدة والراء والنون والكاف وسكون الهاء) وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون الى
 دين الهندودولا الى غيره وسكناهم في بيوت قصب مسقفة بمشيش الارض على شاطئ البحر
 وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجاهم على مثل صورتنا الا ان أفواههم
 كافواء الكلاب وأما نسائهم فلسن كذلك ولهن جمال بارع ورجاهم عرايالا يستترون الا ان
 الواحد منهم يجعل ذكره وأنثيه في جعبة من القصب منقوشة معلقة في بطنه ويستتر نسائهم
 بأوراق الشجر ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجاله والجاوة ساكنون في حارة على حدة
 أخبرونا انهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون بذلك ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فنادون
 ذلك اوفوق وانهم لا يزنون واذنا أحد منهم فخذ الرجل ان يصاب حتى يموت او يؤتى صاحبه
 او عبده فيصالب عوضا منه ويسرح هو وحد المرأة ان يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها
 واحد بعد واحد بحضرتة حتى تموت ويرمون بها في البحر ولاجل ذلك لا يتكون أحد من
 أهل المراكب ينزل اليهم الى ان كان من المقيمين عندهم وانما يبايعون الناس ويشاورونهم على
 الساحل ويسوقون اليهم الماء على القيلة لانه بعيد من الساحل ولا يتكونهم لاستقائه خوفا
 على نسائهم لانهم يطمحن الى الرجال الحسان والقيلة كثيرة عندهم ولا يسعها احد غير
 سلطانهم ثم تشتري منهم بالاثواب ولهم كلام غريب لا يفقه الا من ساكنهم واكثر التردد
 اليهم ولما وصلنا الى ساحلهم أتوا الينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة
 وجاءوا بالموز والارز والتنبول والفوفل والسمك

— ذكر سلطانهم —

وأتي الينا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود
 المعز وقد جعل الورا الى خارج وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفي يده
 حربة من القصب ومعها نحو عشرين من أقاربه على القيلة فبعثنا اليه هدية من الفلفل والزنجبيل
 والقرفة والحوث الذي يكون بجزائر ذبية المهل واثوابا بنجالية وهم لا يلبسونها انما يكسونها
 القيلة في أيام عيدهم ولهذا السلطان على كل مركب ينزل بيلاده جارية ومملوك وثياب لكسوة
 الفيل وحلى ذهب تجعله زوجته في محزمها وأصابع رجليها ومن لم يعط هذه الوظيفة صنعوا له
 سحرا يبيع به البحر فيهلك أو يقارب الهلاك — حكاية —

واتفق في ليلة من ليالي إقامتنا برسام ان غلاما لصاحب المركب ممن تردد الى هؤلاء
 الطائفة نزل من المركب ليلا وتواعد مع امرأة أحد كبرائهم الى موضع شبه الفسار على

الساحل وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه إلى الغار فوجدها به فحملها إلى سلطانهم فأمر بالاعلام فقطعت أثيابه وصلب وأمر بالمرأة فجامعها الناس حتى ماتت ثم جاء السلطان إلى الساحل فاعتذر عما جرى وقال أنا لا نجد بدامن أمضاء أحكامنا وذهب لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المطلوب ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين يوما وصلنا إلى جزيرة الجاوة (بالجم) وهي التي ينسب إليها اللبان الجاوي رأيناها على مسيرة نصف يوم وهي خضرة نضرة وأكثر أشجارها النارجيل والفوفل والقرنفل والعود الهندي والشكى والبركي والعنبة والجنون والتارنج الحلو وقصب الكافور وروبيع أهلها وشراؤهم بقطع قصدير وبالذهب الصبني التبر غير المسبوك والكثير من أفاويه الطيب التي ببلاد الكفار إنما هو منها وأما ببلاد المسلمين فهو أقل من ذلك ولما وصلنا المرسى خرج إلينا أهلهم في مركب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسمك وعادتهم أن يهدوا ذلك للتجار فيكافئهم كل إنسان على قدره وصعد إلينا أيضا نائب صاحب البحر وشاهد من معانم التجار وأذن لنا في النزول إلى البر فتنزلنا إلى البندروه وهي قرية كبيرة على ساحل البحر بهادور يسمونها السرحي (بفتح السين المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل) وبينها وبين البلد أربعة أميال ثم كتب بهروز نائب صاحب البحر إلى السلطان فعرقه بقدمي فأمر الأمير دولسة بلقائي والقاضي الشريف أمير سيد الشيرازي وتاج الدين الأصهباني وسواهم من الفقهاء فخرجوا لذلك وجاؤا بفرس من مراكب السلطان وأفراس سواه فركبت وركب أصحابي ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة (بضم السين المهمل والميم وسكون الطاء وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وأبراج خشب

— ذكر سلطان الجاوة —

وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعي المذهب محب في الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح

— ذكر دخولنا إلى داره واحسانه إلينا —

ولما قصدنا إلى دار السلطان وجدنا بالقرب منته رماحاً مكرورة عن جانبي الطريق وهي علامة على نزول الناس فلا يتجاوزها من كان راكباً فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمي عمدة الملك فقام إلينا وسلم علينا وسلامهم بالمصافحة وقعدنا معه وكتب

بطاقة الى السلطان بعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان فانه الجواب على ظهرها ثم جاء أحد ببقشة والبقشة (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم) هي السبئية فاخذها النائب بيده واخذ بيدي وأدخلني الى دويرة يسمونها فردخانه على وزن زردخانه (الا أن أولها فاء) وهي موضع راحته بالنهـار فان العادة ان يات السلطان الى المشور بعد الصبح ولا ينصرف الا بعد العشاء الآخرة وكذلك الوزراء والامراء الكبار وأخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن واخرى حرير وكتان وأخرج ثلاث أثواب يسمونها التحتا نيات من جنس الفوط وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس تسمى الوسطا نيات وأخرج ثلاثة أثواب من الارمك أحدها أبيض وأخرج ثلاث عمامة فلبست فوطة منها عوض السراويل على عاداتهم وثوبان من كل جنس وأخذ أصحابي ما بقي منها ثم جاؤا بالطعام أكثره الارز ثم أنوا بنوع من الفقع ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف فاخذناه وقتنا وقام النائب لقيامنا وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأنونا بنا الى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن يسمونها الخملات (بالميم والخاء المعجم) ومنها مصبوغ وغير مصبوغ وفي البيت أسرة من الخيزران فوقها مضربات من الحرير ولحف خفاف وخناد يسمونها البواشت فجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الامير دوسة بجاريتين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذه على قدرنا لا على قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقى الامير دوسة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لانه كان ورده رسولا على السلطان بدلهي فقلت له متى تكون رؤية السلطان فقال لي ان العادة عندنا ان لا يسلم القادم على السلطان الا بعد ثلاثة ايام ليذهب عنه تعب السفر ويثوب اليه ذهنه فاقتنا ثلاثة ايام ياتي اليها الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا القواكه والطرف مساء وصباحا فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة أتاني الامير دوسة فقال لي يكون سلامك على السلطان بمقصورة الجامع بعد الصلاة فأتيت المسجد ووصلت به الجمعة مع حاجبه قيران (بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء) ثم دخلت الى السلطان فوجدت القاضي أمير سيد والطلبة عن يمينه وشماله فصاحني وسلمت عليه وأجلسني عن يساره وسألني عن السلطان مجدوعن أسفاري فاجبته وعاد الى المذاكرة في الفقه علي مذهب الشافعي ولم يزل كذلك الى صلاة العصر فلما صلاها دخل بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي المسجد يوم الجمعة ماشيا ثم لبس ثياب الملك وهي الاقبية من الحرير والقطن

— ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه —

ولما خرج من المسجد وجد القيلة والخييل على بابه والعادة عندهم انه اذا ركب السلطان الفيل ركب من معه الخييل واذا ركب الفرس ركبوا القيلة ويكون أهل العلم عن يمينه فركب ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخييل وسرنا معه الى المشور فنزلنا حيث العادة ودخل السلطان راكبا وقد اصطف في المشور الوزراء والامراء والكتاب وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوا فاقول الصفوف صف الوزراء والكتاب ووزرائه أربعة فسلموا عليه وانصرفوا الى موضع وقوفهم ثم صف الامراء فسلموا ومضوا الى مواضعهم وكذلك تفعل كل طائفة ثم صف الشرفاء والعقهاء ثم صف الندماء والحكام والشعراء ثم صف وجوه العسكر ثم صف الفتيان والمماليك ووقف السلطان على فيله ازاء قبة الجلوس ورفع فوق رأسه شطر مرصع وجعل عن يمينه خمسون فيلا مزينة وعن شماله مثلهما وعن يمينه أيضا مائة فرس وعن شماله مثلهما وهي خيل النوبة ووقف بين يديه خواص الحجاب ثم أتى أهل الطرب من الرجال فغنوا بين يديه وأتى بخيل مجللة بالحرير لها خلا خييل ذهب وارسان حرير مزر كشة فرقصت الخييل بين يديه فعجبت من شأنها وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند ولما كان عند الغروب دخل السلطان الى داره وانصرف الناس الى منازلهم

— ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك —

وكان له ابن أخ متزوج بنته فولاه بعض البلاد وكان الفتى يتعشق بنتا لبعض الامراء ويريد تزوجها والعادة هنالك أنه اذا كانت لرجل من الناس أميرة أو سوقي أو سواه بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد ان يستامر للسلطان في شأنها ويبعث السلطان من النساء من تنظر اليها فان أعجبه صفتها تزوجها والا تركها تزوجها أولياؤها ممن يشاء والناس هنالك يرغبون في تزوج السلطان بناتهم لما يحوزن به من الجاه والشرف ولما استامروا والبنات التي تعشقها ابن أخى السلطان بعث السلطان من نظر اليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها ولم يجد سبيلا اليها ثم ان السلطان خرج الى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة شهر فخالقه ابن أخيه الى سمطرة ودخلها اذ لم يكن عليها سور حيثئذ وادعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون وعلم عمه بذلك ففعل عائدا اليها فاخذ ابن أخيه ما قدر عليه من الاموال والذخائر وأخذ الجارية التي تعشقها وقصد بلاد الكفار بل جأوة ولهذا بني عمه السور على سمطرة وكانت اقامتي عنده بسمطرة خمسة عشر يوما ثم طلبت منه السفر اذ كان أو انه ولا يتنهما السفر الى الصين في كل وقت فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجمل جزاء الله خير اوبعت

معنا من أصحابه من يأتي لنا بالضيافة الى الجنك وسافرنا بطول بلاده احدى وعشرين ليلة ثم وصلنا الى مل جاوة (بضم الميم) وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الاقويه العطرة والعود الطيب القاقلي والقمارى وقافلة وقارة من بعض بلادها وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة الاللبان والكافور وشىء من القرنفل وشىء من العود الهندى وانما معظم ذلك بل جاوة وانذكر ما شاهدناه منها ووقفنا على اعيانها وحققناه

— ذكر اللبان —

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى مادون ذلك وأغصانها كأغصان الخرشف وأوراقها صغار رقاق وربما سقطت فيقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون فى أغصانها وهي فى بلاد المسلمين أكثر منها فى بلاد الكفار

— ذكر الكافور —

واما شجر الكافور فهي قصب كدقصب بلادنا الان الا نايب منها اطول وأغلظ ويكون الكافور فى داخل الانايب فاذا كسرت القصبة وجد فى داخل الانيوب مثل شكله من الكافور والسر العجيب فيه انه لا يتكون فى تلك القصب حتى يذبح عندأصولها شىء من الحيوان والالم يتكون شىء منه والطيب المتناهى فى البرودة الذى يقتل منه وزن الدرهم تجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحر دالة هو الذى يذبح عندقصبه الآدمى ويقوم مقام الآدمى فى ذلك القيلة الصغار

— ذكر العود الهندى —

واما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط الا ان قشره رقيق وأوراقه كالوراق البلوط سواء ولاثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعرقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما ببلاد المسلمين من شجره فهو متملك واما الذى فى بلاد الكفار فاكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقافلة وهو أطيب العود وكذلك القمارى هو أطيب أنواع العود ويبيعونه لاهل الجاوة بالاثواب ومن القمارى صنف يطبخ عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن فى التراب أشهر اقتبى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه

— ذكر القرنفل —

واما أشجار القرنفل فهي عادة ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بتملكة لكثرتها والجلوب الى بلادنا منها هو العيدان الذى يسميه أهل بلادنا نور القرنفل هو الذى يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارج وثمر القرنفل هو جوزوا المعروفة فى بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البساسة رأيت ذلك كله وشاهدته ووصلنا

الى مرسى قافلة فوجدنا به جملة من الجنوك معدة للسرقة ولما يستعصى عليهم من الجنوك فان لهم على كل جنك وظيفة ثم نزلنا من الجنك الى مدينة قافلة وهي بقافين آخرهما مضموم ولانها مفتوح وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من القيلة وأول ما رأيت بخارجها القيلة عليها الاجال من العود الهندي يوقدوه في بيوتهم وهو بقيمة الخطب عندنا أو أرخص ثمنها اذا ابتاعوا فيما بينهم واما للتجار فيبيعون الحمل منه بثوب من ثياب القطن وهي اغلى عندهم من ثياب الحرير والقيلة بها كثيرة جدا عليها يركبون ويحملون وكل انسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده يركبه الى داره وتحمل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب — ذكر سلطان مل جاوه —

وهو كافر رأيت خارج قصره جالسا على قبة ليس بينه وبين الارض بساط ومعه ارباب دولته والعساكر يعرضون عليه مشاة ولا خيل هنالك الا عند السلطان وانما يركبون القيلة وعليها يقاتلون فعرف شاني فاستدعاني فجيئت وقلت السلام على من اتبع الهدى فلم يفقهوا الا لفظ السلام فرحب بي وأمر أن يفرش لي ثوب أقعد عليه فقلت لائترجمان كيف أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الارض فقال هكذا عادة بقعد على الارض تواضعا وابتضيف وجمعت من سلطان كبير فيجب اكرامك فجلست وسالني عن السلطان فوجز في سؤاله وقال لي تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام وحينئذ يكون انصرافك — ذكر عجيبه رأيتها بمجلسه —

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلا بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه على رقبة نفسه وتكلم بكلام كثير لم أفهمه ثم أمسك السكين بيده معا وقطع عنق نفسه فوق رأسه لحدة السكين وشدة امساكه بالارض فهجيت من شانه وقال لي السلطان أي فعل احد هذا عندكم فقلت له ما رأيت هذا قط فضحك وقال هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبة وامره فرفع واحرق وخرج لاحرقه النواب وارباب الدولة والعساكر والرايا واجرى الرزق الواسع على اولاده واهله واخوانه وعظموا لاجل فعله واخبرني من كان حاضرا في ذلك المجلس ان الكلام الذي تكلم به كان تقرير المحبة في السلطان وانه يقتل نفسه في حبه كما قتل ابوه نفسه في حبه ابيه وجدته نفسه في حبه جده ثم انصرفت عن المجلس وبعث الى بضيافة ثلاثة أيام وسافرنا في البحر فوصلنا بعد أربعة وثلاثين يوما الى البحر الكاهل وهو الرائد وفيه حمة زعموا انها من تربة ارض تجاوره ولا ربح فيه ولا موج

ولا حركة مع اتساعه ولا جبل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه يجذف به فتجرحه ويكون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافا كبارا كالصواري يجتمع على الجذاف منها ثلاثون رجلا ونحوها ويقومون قياما صنفين كل صنف يقابل الآخر وفي الجذاف حبلان عظيمان كالطوايس فتجذف احدى الطائفتين الحبل ثم تتركه وتجذف الطائفة الاخرى وهم يغنون عند ذلك باصواتهم الحسان واكثر ما يقولون لعل لعل وأقمنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وعجبت البحرية من التسهيل فيه فانهم يقيمون فيه خمسين يوما الى اربعين وهي انهي ما يكون من التيسير عليهم ثم وصلنا الى بلاد طواسي وهي (بفتح الطاء المهملة والواو وكسر السين المهملة) وملكها هو المسمى بطواسي وهي بلاد عربية وملكها ايضا هي ملك الصين وله الجنوك الكثيرة بقاتل بها اهل الصين حتى يصالحوه على شيء وأهل هذه البلاد عبدة اوثان حسان الصور أشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على ألوانهم الحمر ولهم شجاعة ونجدة ونساءهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ويقاتلن كالرجال سواء وأرسلنا من مراسيمهم بمدينة كيلوكري (وضبطها بكاف مفتوح ويا، آخر الحروف مسكنة ولا مضموم وكاف مفتوح وراء مكسور) وهي من أحسن مدنها وكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما أرسلنا بالمرسي جاءت عساكرهم ونزل الناحدة اليهم ومعه هدية لابن الملك فسألهم عنه فاخبروه ان أباه ولاه بلدا غيرهم وولي بنته تلك المدينة (واسمها أردجا بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وجيم) — ذكر هذه الملكة —

ولما كان في اليوم الثاني من حلولنا برسى كيلوكري استدعت هذه الملكة الناحدة صاحب المركب والكواني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتسديد وهو مقدم الرجال وسباه سالاروه ومقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عاداتها ورغب الناحدة بني ان احضر معهم فايت لانهم كفار لا يجوز اكل طعامهم فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقي احد منكم لم يحضر فقال لها الناحدة لم يبق الا رجل واحد نجشي وهو القاضي بلسانهم ونجشي (بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء وكسر الشين المعجمين) وهو لا ياكل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جناديتها واصحاب الناحدة فقالوا لأجب الملكة فانيتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة يدين الازمة يعرضن ذلك عايتها وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسن تحت السرير على كراسي الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور حرير وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب وبالجلس مساطب خشب منقوش

عليها وأنى ذهب كثيرة من كباروصغار كالخواري والقلال والبواقي أخبرني النساخودة
 انها عملوة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة
 حلوا المطعم يفرح ويعطيب النكهة وبهضم ويعين على الباءة فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية
 حسن مسن يخمشي مسن (خوشميسن يخشميسن) معناه كيف حالك كيف انت واجلسني
 على قرب منها وكانت تحسن الكتاب العربي فقالت لبعض خدامها دواة وبتك كاتور
 (كتور) معناه الدواة والكاغد فاتي بذلك فكتبت فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ما
 هذا فقلت لها تنضرى (تنكرى) نام وتنضرى (نفتح التاء المعلوة وسكون النون وفتح
 الضاد وراء وياه) ونام (نون والف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت خشن (خوش)
 ومعناه جيد ثم سألني من أي البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد القلقل
 فقلت نعم فسألني عن تلك البلاد واخبارها فاجبتهم فقلت لا بدان أغزوها وأخذها لنفسى
 فاني يعجبني كثرة مالها وعساكرها فقلت لها افعلی وامرت لي باثواب وحل فيلين من
 الارزويجا مومستين وعشر من الضان وأربعة أطال جلاب واربعة مرطبانات وهي ضخمة
 مملوءة بالزنجبيل والقلقل والليمون والعنبا كل ذلك مملوح مما يستعمل لبحر واخبرني النساخودة
 ان هذه الملكة لها في عسكرها نسوة وخدم وجواريقا تلبس كالرجال وانها تخرج في العساكر
 من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال واخبرني انها وقع بينها
 وبين بعض أعيانها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها
 وخرقت الجيوش حتى وصلت الى الملك الذي كانت تقا له فطعنته طعنة كان فيها حنقه
 فمات وانهمزمت عساكره وجاءت برأسه على رمح فافتكه أهله منها بال كثير فلما عادت
 الى أبيها ملكها تلك المدينة التي كانت بيد أخيها واخبرني ان ابناء الملوك يخطبونها فتقول
 لا تزوج الا من يبارزني فيغلبنى فيتجاهون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم ثم سافروا عن
 بلاد طواسى فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والريح مساعدة لنا ونحن نسير بها أشد السير
 واحسنه الى بلاد الصين واقلم الصين متسع كثيرا الخيرات والقواكه والزرع والذهب
 والفضة لايضا هي في ذلك اقلم من اقالم الارض ويحرقه النهر المعروف بأب حيات معنى
 ذلك ماء الحياة ويسمى ايضا نهر السير (المرور) كاسم النهر الذي بالهند ومنبعه من جبال
 بقرب مدينة خان باق تسمى كوه بوز معناه جبل القرد ويمر في وسط الصين مسيرة ستة
 اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق كنيل
 مصر الا ان هذا أكثر عمارة وعليه النواخير الكثيرة وبيلاط الصين السكر الكثير مما

يضاهي المصري بل يفضله والاعناب والاجاص وكنت أظن ان الاجاص العثماني الذي بدمشق لا نظيره حتي رأيت الاجاص الذي بالصين وبها البطيخ العجيب يشبه بطيخ خوارزم واصفهان وكل ما يبلدنا من الفواكه فان بها ما هو مثله واحسن منه والقمح بها كثير جداً ولم أر قمحاً أطيب منه وكذلك العدس والحمص — ذكر الفخار الصيني — وأما الفخار الصيني فلا يصنع منه الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب جبال هنالك تقذف فيه النار كاللحم وسند كرذلك ويضيفون اليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع تراباً ثم يخمرونه فالجيد منه ما خمر شهراً كاملاً ولا يزداد على ذلك والدون ما خمر عشرة أيام وهو هنالك بقيمة الفخار ببلدنا أو أرخص مما يحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتي يصل الى بلادنا بالمغرب وهو أبداع أنواع الفخار — ذكر دجاج الصين —

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جداً أضخم من الاوز عندنا ويبض الدجاج عندهم أضخم من بيض الاوز عندنا وأما الاوز عندهم فلا ضخامة لها واقد اشترينا دجاجة قارئة طبخها فلم يسع لحمها في برمة واحدة فجعلناها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتفريشها فيبقى بضعة حمرأ وأول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كوكلم فظننته نعامة وعجبت منه فقال لي صاحبه ان ببلاد الصين ما هو أعظم منه فلما وصلت الى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

— ذكر بعض من أحوال أهل الصين —

وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود وملك الصين تترى من ذرية تشكينز خان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكنائهم ولهم فيها المساجد لقادة الجمعات وسواها وهم معظومون محترمون وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والبيكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهية وسعة عيش الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة وجميع أهل الصين انما يحتفلون في أواني الذهب والفضة ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ويقولون هو الرجل الثاثة والحرير عندهم كثير جداً لانه الدود تتعلق بالنار وتأكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها ولولا التجار لما كانت له قيمة ويبيع الثوب الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً تكون

القطعة منها من قنطار فما فوقه ومادونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل في أصبعه خاتما ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه السقي (بفتح السين المهملة وكسر التاء المعلولة) وهو بمعنى الكارمى بمصر ويسمون القطعة الواحدة منها بركالة (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

— ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون —

وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه وإنما يبيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت (بياء موحدة والف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلولة) وهى بمعنى الدينار عندنا وإذا تمزقت تلك الكواغد فى يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جديداً ودفع تلك ولا يعطي على ذلك أجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بذلك الدار أمير من كبار الامراء واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يأخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ما أراد

— ذكر التراب الذى يوقدونه مكان الفحم —

وجميع أهل الصين والخطا إنما خفهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا ولونه لون الطفل تأتى القيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعاً على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون الدار فيه فيقد كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم واذا صار ماداً عجزوه بالماء ويسوه وطبخوا به ثانية ولا يزالون يفعلون به كذلك الى ان يتلاشى ومن هذا التراب يصنعون أواني الفخار الصينى ويضيفون اليه حجارة سواه كما ذكرناه

— ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات —

وأهل الصين أعظم الامم احكاماً للصناعات وأشدهم اتقاناً فيها وذلك مشهور من حالهم وقد وصفه الناس فى تصانيفهم فاطنبوا فيه وأما التصوير فلا يجاز بهم أحد فى احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك انى ما دخلت قط مدينة من مدنها لم عدت اليها الا رأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة فى الحيطان والكواغد موضوعة فى الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زى العراقيين فلما عدت من القصر عشيما مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة فى كاغد

قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطى شيئا من شبهه وذكر
لى ان السلطان أمرهم بذلك وانهم أتوا الى قصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون
صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم فى تصوير كل من يربهم وتنتهى حالهم فى
ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد ويبحث عنه
فحينما وجد شبه تلك الصورة أخذ قال ابن جزى هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قضية
سابورذى الا كثاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكرا وحضر وليمة صنعها
ملكهم وكانت صورته على بعض الاواني فنظر اليها بعض خدام قيصر فانطبعت على صورة
سابورفقال للملك ان هذه الصورة تخبرنى ان كسرى معنا فى هذا المجلس وكان الامر
على ما قاله وجري فيه ما هو مسطور فى الكتب

— ذكر عاداتهم فى تقييد ما فى المراكب —

وعادة أهل الصين اذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه
وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فاذا عاد
الجنك الى الصين صعدوا اليه أيضا وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فان فقدوا أحدا ممن
قيده وطلبوا صاحب الجنك به فاما ان يأتى ببرهان على موته او فراره او غير ذلك مما
يحدث عليه والا أخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب ان يملى عليهم تفصلا
بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة
ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن وذلك
نوع من الظلم مارأيت به بلاد الكفار ولا المسلمين الا بالصين اللهم الا انه كان بالهند
ما يقرب منه وهو ان من عثر على سلعة قد غاب على مغرمها أغرم أحد عشر مغرمها
ثم رفع الساطان ذلك لما رفع المغارم

— ذكر عاداتهم فى منع التجار عن الفساد —

واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خيرى فى النزول عند تاجر من المسلمين
المتوطنين معين او فى الفندق فان احب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن
وانفق عليه منه بالمعروف فاذا أراد السفر بحث عن ماله فان وجد شيئا منه قد ضاع أغرمه
التاجر المستوطن الذى ضمنه وان أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه
وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فان أراد التسرى لشترى له جارية واسكنه بدار يكون
بابها فى الفندق وانفق عليهم ما والجواري رخصات الاثمان ان لا أهل الصين أجمعين

يدعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم غير أنهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه ان اختاروه وكذلك ان اراد الزوج تزوج وأما اتفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد ان يسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فإنها أرض فساد وحسن فائت

— ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق —

وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فان الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه وكتب بها تفصيلا وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ويأتيه براءة من حاكمه ان الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طلبه بهم وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والاوز وأما الغنم فهي قليلة عندهم * ولنعُد الى ذكر سفرنا فنقول لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند واكلته اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والاطاس وتعرف بالنسبة اليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبا لقية ومرساها من أعظم مراسي الدنيا وأهو أعظم ما رأيت به نحو ما نثقتك كبار وأما الصغار فلا تخصي كثرة وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الاعظم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض وداره في وسطها كمثل ما هي بلدة سجلماسة ببلادنا وبها أعظم بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة وفي يوم وصولي اليها رأيت بها الامير الذي توجه الى الهند رسولاً بالهدية ومضي في صحبتنا وغرق به الجنك فسلم على وعرف صاحب الديوان في قانزاني في منزل حسن وجاء الى قاضي المسلمين تاج الدين الاردوبيلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاء الى كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استندت منهم حين قدومي على الهند وأحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثر للتلاوة وهؤلاء التجار لسكنائهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح

وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني له زاوية خارج البلد واليه يدفع التجار النذور التي يندرونها للشيخ أبي اسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان اخباري كتب الي القان وهو ملكهم الاعظم يخبره بقدمي من جهة ملك الهند فطلبت منه أن يبعث معي من يوصلني الى بلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونه صين كلان لاشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بخلاف ما يعود جواب القان فاجاب الى ذلك وبعث معي من أصحابه من يوصلني وركبت في النهر في مركب يشبه أجفان بلاد الغزوة الا أن الجذافين يحدفون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدمة والمؤخر ويظلمون على المركب ثياب تصنع من نبات بلادهم يشبه الكتان وليس به وهو أرق من القنب وسافروا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وفي كل يوم نرسو عند الزوال بقرية نشترى بها ما نحتاج اليه ونصلي الظهر ثم نزل بالعشي الى أخرى هكذا الى أن وصلنا الى مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين وبها يصنع الفخار وبالريتون أيضا وهناك يصب نهر آب حياة في البحر ويسمونه مجمع البحرين وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقا ومن أعظم أسواقها سوق الفخار ومنها يحمل الى سائر بلاد الصين والى الهند واليمن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصاطب يقعد عليها الساكنون بها وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الابواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضى والمطبخة لطبخ الاغذية وفيها الاطباء والخدما وذكري أن الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الايتام والارامل ممن لا حال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وماولها من القرى والبساتين وقفا عليها وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعبدونها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضى بينهم وكان نزولي عند أحد الدين السنجاري وهو أحد الفضلاء الا كابر ذوالاموال الطائفة وأقت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضى وسائر المسلمين تتوالى على وكل يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون اليها بالاعشارين الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لاللكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سد ياجوج وماجوج ستون

يوما فيأذ كرلى يسكنها كفار زحالة يا كلون بنى آدم اذا ظفروا بهم ولذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر اليها ولم أر تلك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

— حكاية عجيبة —

ولما كنت بصين كلان سمعت أن بها شيخا كبيرا قد أناف على مائتي سنة وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة وأنه ساكن في غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت الى الغار فرأيت ابنه على بابه وهو نحيف شديد الحمرة عليه أثر العبادة ولا لحية له فسلمت عليه فامسك يدي وشمها وقال للترجمان ههنا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الآخر ثم قال لى لقد رأيت عجيبا أتذكر يوم قدومك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذى كان جالسا بين الاصنام واعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فقبلت يده وفكر ساعة ثم دخل الغار فلم يخرج إلينا وكأنه ظهر منه الندم على ما تكلم به فتهجمنا ودخلنا الغار عليه فلم نجد له ووجدنا بعض أصحابه ومعه جملة بوشيت من الكاغد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلنا له ننتظر الرجل فقال لو أقمتم عشرين لمره فان عادته اذا اطعم أحد على سر من أسرار له لا يراه بعده ولا تحسب أنه غاب عنك بل هو حاضر معك فعجبت من ذلك وانصرفت فاعلمت القاضي وشيخ الاسلام وأحمد الدين السنجاري بقضيته فقالوا كذلك عادته مع من يأتي اليه من الغرباء ولا يعلم أحد ما ينتج له من الأرباح والذى ظننتموه أحدا أصحابه هو هو واخبروني أنه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها مندسنة وكان السلاطين والامراء والكبراء يأتونه زائرين فيعطيهم التحف على اقدارهم ويأنيه الفقراء كل يوم فيعطى اكل احد على قدره وليس في الغار الذى هو به ما يقع عليه البصر وأنه يتحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخليفين عمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب باحسن الذكر ويثني عليهما ويلعن يزيد بن معاوية ويقع في معاوية وحدثوني عنه بامور كثيرة وأخبرني أحمد الدين السنجاري قال دخلت عليه بالغار فاخذ بيدي فخيل لى أنى في قصر عظيم وأنه قاعد فيه على سرير وفوق راسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تتساقط في انهار هنالك وتجملت انى اخذت تفاحة لآكلها فاذا أنا بالغار وبين يديه وهو يضحك منى واصابنى مرض شديد لازمنى شهورا فلم اعد اليه واهل تلك البلاد يعتقدون أنه مسلم لكن لم يره أحد يصلى واما الصيام فهو صائم أبدا وقال لى القاضي ذكرت له الصلاة في بعض الايام فقال لى اتدري أنت ما أصنع ان صلاتى غير صلاتك واخباره كلها غريبة وفي اليوم الثاني من لقائه سافرت

راجعا الى مدينة الزيتون وبعد وصولي اليها بايام جاء أمر القان بوصولي الى حضرته على البر والكرامة ان شئت في النهر والافى البر فاخترت السفر في النهر فجهز والى مركبا حسنا من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الامير معنا أصحابه ووجه لنا الامير والقاضي والتجار المسلمون أزوادا كثيرة وسرنا في الضيافة تغدى بقرية وتغشى باخري فوصلنا بعد سبعة عشر ايام الى مدينة قنجنفو (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الآخر وضم الفاء وواو) مدينة كبيرة حسنة في بسيمط أفيج والبساتين محدقة بها فكانها غوطة دمشق وعند وصولنا خرج اليها القاضي وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق والانفار وأهل الطرب وأتوا بالخليل فركبنا ومشوا بين أيدينا لم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج أمير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسماها ويسمون البصوانان (الباسوانان) (بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهمل وواو وأف ونون وأف ونون) ويسكن ما بين السور الثاني والثالث الجنود المركبون والامير الحاكم على البلد ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهنالك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلاني (بضم القاف وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع الصينيون وهو أعظم المدن الاربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة أميال وأربعة ولكل انسان كما ذكرناه بستانه وداره وأرضه — حكاية —

وبينا أنا يومافى دار ظهير الدين القرلاني اذا بمركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم فاستؤذن له على وقالوا مولانا قوام الدين السبتي فخرجت من اسمه ودخل الى فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سنج لى انى أعرفه فاطلعت النظر اليه فقال اراك تنظر الى نظر من يعرفنى فقلت له من أى البلاد أنت فقال من سبته فقلت له وامن طنجة فيجدد السلام على وبكى حتى بكيت لبكائه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لى نعم دخلت حضرة دهلى فلما قال لى ذلك تذكرت له وقلت أنت البشرى قال نعم وكان وصل الى دهلى مع خاله أنى قاسم المرسى وهو يومئذ شاب لابنات بهارضيه من حذاق الطلبة يحفظ الموطا وكنتم أعلمت سلطان الهند بامر فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب منه الإقامة عنده فابى وكان قصده فى بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الاموال الطائلة أخبرني ان له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجوارى واهدى الى منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ولقيت اخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيما بعد ما بينهما وكانت اقامتى بقنجنفو خمسة عشر يوما وسافرت منها وبلاد

الصين على ما فيها من الحسن لم تكن تعجبني بل كان خاطري شديد التغير بسبب غلبة الكفر عليها فمضى خرجت عن منزلي رأيت المتناكير الكثيرة فآلقني ذلك حتى كنت ألازم المنزل فلا اخرج الاضرورة وكنت اذا رأيت المسلمين بها فكانت لقيت أهلي وأقاربي ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري ان سافر معي لما رحلت عن قنجنفو أربعة أيام حتى وصلت الى مدينة يوم قطلو (وهي بياض موحدة مفتوحة وباء آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولا مضموم وواو) مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من جند وسوقة وليس بها للمسلمين الا أربعة من الدور أهلها من جهة الفقيه المذكور نزلنا بدار احدهم واقمنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر على العادة نتغدى بقرية ونتمشي باخرى الى ان وصلنا بعد سبعة عشر يوما منها الى مدينة الخنساء واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة ولا ادري اعربي هوام وافق العربي وهذه المدينة اكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طوله امسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهي على ما ذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره وهي منقسمة الى ست مدن سندكرها وعند وصولنا اليها خرج الينا قاضيها فخر الدين وشيخ الاسلام بها واولاد عثمان بن عفان المصري وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم ابيض والاطبال والانقار والابواق وخرج اميرها في موكبهم ودخلنا المدينة وهي ست مدن على كل مدينة سور ومحيط بالجميع سور واحد قاول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثني القاضي وسواه انهم اثنا عشر ألفا في زمام العسكرية وبقنا ليلة دخولنا في دار أميرهم وفي اليوم الثاني دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من اهل الصين وبقنا عنده الليلة الثانية وفي اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة واسواقهم مرتبة كترتيبها في بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار اولاد عثمان بن عفان المصري وكان احد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه واورث عقبه به الجاه والحرمة وهم على ما كان عليه ابوهم من الايتار على الفقراء والاعانة للمتحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها اوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبني عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية اوقافا عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكننا كل يوم وليلة في دعوة جديدة ولا يزالون يختلقون في اطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للزفة في اقطار المدينة

وركبوا معي يوما فدخلنا الى المدينة الرابعة وهي دار الامارة وبها سكني الامير الكبير قرطبي ولما دخلنا من بابها ذهب عني اصحابي ولقيني الوزير وذهب بي الى دار الامير الكبير قرطبي فكان من اخذه الفرجية التي اعطاها نبيها ولي الله جلال الدين الشيرازي ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكني عبيد السلطان وخدامه وهي من احسن المدن المت وشققها انهار ثلاثة احدها خليج يخرج من النهر الا عظم وتأتي فيه القوارب الصغار الى هذه المدينة بالمرافق من الطعام واحجار الوقود وفيه السفن للترهة والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة في وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات وفيه سقائف فيها الصناعات يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب اخبرني الامير قرطبي ان عددهم ألف وستائة معلم كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والاربعة من المتعلمين وهم اجمعون عبيد القان وفي ارجلهم القيود ومساكنهم خارج القصر ويباح لهم الخروج الى اسواق المدينة دون الخروج على بابها ويعرضون كل يوم على الامير مائة مائة فان نقص احد منهم طلب به اميره وعادتهم انة اذا خدم احد عشر سنين فك عنه قيده وكان يخير في النظرين اما ان يقيم في الخدمة غير مقيد واما ان يسير حيث شاء من بلاد القان ولا يخرج عنها واذا بلغ سنه خمسين عاما اعتق من الاشغال وانفق عليه وكذلك ينفق على من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم يجز عليه الاحكام والشيخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا ويسمي احداهم آطا ومعناه الولد

— ذكر الامير الكبير قرطبي —

وضبط اسمه (بضم الفاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الياء) وهو أمير أمراء الصين اضافة بنا دارة وصنع الدعوة ويسمونها الطوي (بضم الطاء المهمل وفتح الواو) وحضرها كبار المدينة وأتي بالطباخين المسلمين فذبخوا وطبخوا الطعام وكان هذا الامير على عظمته يناولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده وأقننا في ضيافته ثلاثة أيام وبعث ولده معنا الى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحراقة وركب ابن الامير في أخرى ومعه أهل الطرب واهل الموسيقى وكانوا يغنون بالصيني وبالعربي وبالفارسي وكان ابن الامير معجبا باغناء الفارسي فغنوا شعرا منه وأمرهم بتكريره مرارا حتى حفظته من أفواههم وله تلحين عجيب وهو (رجز)

تأدل بمحسنات داديم * در بحر فکرا فتادیم

جن (جون) در نماز استادیم * قوی بمحراب اندری (اندریم)

واجتمعت بذلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسفهم منقوشة أبدع نقش وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنارنج والليمون وعدنا بالعشى الى دار الامير فبتنا بها وحضر أهل الطرب فنغوا بانواع من الغناء العجيب — حكاية المشعوز — وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوزة وهو من عميد القان فقال له الامير أرنا من عجائبك فاخذ كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمى بها الى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الابصار ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد فلم يبق من السير في يده الا سير أمر متعلما له فتعلق به وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا فدعاه فلم يجبه ثلاثا فاخذ سكيناً بيده كالمتعاطز وتعلق بالسير الى ان غاب أيضاً ثم رمى بيد الصبي الى الارض ثم رمى برجله ثم بيده الاخرى ثم برجله الاخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو ينفخ وثيا به ملطخة بالدم فقبل الارض بين يدي الامير وكله بالصيني وأمر له الامير بشيء ثم انه أخذ أعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض وركضه برجله فقام سوياف عجبت منه وأصابني خفقان القلب كمثل ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك فسقوني دواء أذهب عني ما وجدت وكان القاضي أخيراً الدفن الى جانبي فقال لي والله ما كان من صمود ولا نزول ولا قطع عضو وانما ذلك شعوزة وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي من أكبر المدن يسكنها عامة الناس وأسواقها احسان وبها الحدائق بالصنائع وبها تصنع الثياب الخنساوية ومن عجيب ما يصنعون بها أطباق يسمونها الدست وهي من القصب وقد الصقت قطعا أبدع الصاق ودهنت بصمغ أحمر مشرق وتكون هذه الاطباق عشرة واحدا في جوف آخر لطورقتها تظهر لرأيتها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحفا ومن عجائبها ان تقع من العلو فلا تنكسر ويجعل فيها الطعام السخن فلا يتغير صباغها ولا يحول وتجلب من هنالك الى الهند وخراسان وسواها ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها وبالفرد دخلنا من باب يسمى كشتي وانان الى المدينة السادسة ويسكنها البحرية والصيادون والجلالقة والنجارون ويدعون دودكاران (دروكران) والأصباية وهم الرماة والبيادة وهم الرجالة وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل الهر الاعظم بتنا بها ليلة في ضيافة أميرها وجهز لنا الامير قرطى مركبا بما يحتاج اليه من زاد وسواه وبعث معنا أصحابه برسم التضييف وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر أعمال الصين ودخلنا الى بلاد الخطا (بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل) وهي أحسن بلاد الدنيا عمارة ولا يكون في جميعها موضع غير معمر فانه ان بقى موضع غير معمر طالب

أهله أو من يواليهم بخراجه والبساتين والقرى والمزارع منتظمة بجانبى هذا النهر من مدينة الخنسا الى مدينة خان باق وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين الا من كان حاضرا غير مقيم لانها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجتمعة انما هي قرى وبساتين فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أر في الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة ايام من الانبار الى عانة وكنت كل ليلة أنزل بالقرى لاجل الضيافة حتى وصلنا الى مدينة خان بالق (وضبط اسمها بخاء معجم وألف ونون مسكن وباء معقود وألف ولام مكسور وقاف) وتسمي أيضا خانقو (بخاء معجم ونون مكسور وقاف وواو) وهي حضرة القان والقان هو سلطانهم الاعظم الذى مملكته بلاد الصين والخطا ولما وصلنا اليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب الى أمراء البحر يخبرنا فاذنوا لنا فى دخول مرساها فدخلنا ثم نزلنا الى المدينة وهى من اعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين فى كون البساتين داخلها انما هى كسائر البلاد والبساتين بخارجها ومدينة السلطان فى وسطها كالقصبه حسبا نذكره ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغرى وهو الذى بعث اليه ملك الهند باربعين ألف دينار واستدعاه فاخذ الدنانير وقضى بهادينه وأبى ان يسير اليه و قد علم على بلاد الصين فقد مره القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخطابه بصدر الجهان

— ذ كر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان —

والقان عندهم سمة لكل من بلى الملك ملك الاقطار كمثل ما يسمي كل من ملك بلاد اللورباتا بك واسمه باشاى (يفتح الباء المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الارض مملكة أعظم من مملكته

— ذ كر قصره —

وقصره فى وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب فالباب الاول منها يجلس به الكتوال وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها الممايك البرددارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل وأخبرت انهم كانوا فاجا تقدم ألف رجل والباب الثانى يجلس عليه الاصباية وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه التزارية (بالنون والزاي) وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه التغدارية (بالتاء المثناة والغين المعجم) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة ويسمون ذلك الموضع المسند وبين يدى الوزير دواة عظيمة من الذهب وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السروعن

يُمِينها سقيفة كتاب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الاشغال وتقابل هذه
 للسقائف سقائف أربع احداها تسمى ديوان الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة
 ديوان المستخرج وأميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يتيق قبل العمال وقبل
 الامراء من إقطاعائهم والثالثة ديوان الغوث ويجلس فيها أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء
 والكتاب فمن لحمة مظلمة استغاث بهم والرابعة ديوان البريدي يجلس فيها أمير الاخباريين
 والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجندارية وأميرهم الاعظم والباب السابع
 يجلس عليه الفتيان ولهم ثلاثة سقائف احداها سقيفة الحبشان منهم والثانية سقيفة الهنود
 والثالثة سقيفة الصينيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين

— ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله —

ولما وصلنا حضرة خان باق وجدنا القار غائبا عنها اذذاك وخرج للقاء ابن عمه فيروز القائم
 عليه بناحية قراقور وبش بالغ من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر عامرة
 واخبرني صدر الجهان برهان الدين الصاغر جى ان القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود
 اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج كل فوج منها من عشرة آلاف فارس وأميرهم يسمى
 أمير طومان وكان خواص السلطان واهل دخلته خمسين ألفا زائدا الى ذلك وكانت الرجالة
 خمسة آلاف ولما خرج خالف عليها كثيرا لأمراء واتفقوا على خلعه لانه كان قد غير احكام
 اليساق وهي الاحكام التي وضعها تنكيز خان جدم الذي خرب بلاد الاسلام فمضوا الى ابن
 عمه القائم وكتبوا الى القان ان يخلع نفسه وتكون مدينة الخنساء إقطاعا له فاني ذلك وقال لهم
 فانهزم وقتل وبعد ايام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت
 الطبول والابواق والافانقار واستعمل اللعب والطرب مدة شهر ثم جى بالقان المقتول وبنحو
 مائة من المقتولين بني عمه واقاربهم وخواصه فخر للقان ناووس عظيم وهو بيت تحت الارض
 وفرش باحسن الفرش وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان في داره من اواني
 الذهب والفضة وجعل معه اربع من الجوارى وستة من خواص الممالك معهم اواني الشراب
 وبني باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالتل العظيم ثم جاؤا بربعة افراس فاجروها
 عند قبره حتى وقفت ونصبوا خشبا على القبر وعلقوها عليه بعد ان ادخلوا في دبر كل فرس
 خشبة حتى خرجت من فمه وجعل اقارب القان المذكورون في نواويس ومعهم سلاحهم
 واواني دورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكانوا عشرة ثلاثة من الخيل على كل قبر وعلى قبور
 للباقيين فرسا فرسا وكان هذا اليوم يوما مشهودا لم يتخلف عنه احد من الرجال ولا

النساء المسلمين والكفار وقد لبسوا أجمعون ثياب العزاء وهي الطيالة البيضاء للكفار والثياب البيض للمسلمين وأقام خوانين القان وخواصه في الاخبية على قبره أربعين يوما وبعضهم يزيد على ذلك الى سنة وصنعت هنالك سوق نيباع فيه ما يحتاجون اليه من طعام وسواه وهذه الاعمال لا أذكر ان أمة تفعلها سواهم في هذا القصر فاما الكفار من الهنود وأهل الصين فيحرقون موتاهم وسواهم من الامم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحدا لكن أخبرني الثقات ببلاد السودان ان الكفار منهم اذا مات ملكهم صنعوا له ناووسا وادخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد أن يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب وأخبرني بعض كبار مسوفة عن يسكن بلاد كوبر مع السودان واختصه سلطانهم انه كان له ولد فلما مات سلطانهم أرادوا أن يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم وفديته منهم بمال عريض ولما قتل القان كما ذكرناه واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار ان تكون حضرته مدينة قراقرم (وضبطها بفتح القاف الاولى والراء وضمة الثانية وضمة الراء الثانية) لقربها من بلاد بني عمه ملوك تركستان وما وراء النهر ثم خالفت عليه الامراء ممن لم يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتنة

— ذ كر رجوعي الى الصين ثم الى الهند —

ولما وقع الخلاف وتسعرت الفتنة أشار على الشيخ برهان الدين وسواه ان أعود الى الصين قبل تمكن الفتنة ووقفوا معي الى نائب السلطان فيروز فبعت معي ثلاثة من أصحابه وكتب لي بالضيافة وسرنا من حدرين في النهر الى الخنساء ثم الى قنجنفو ثم الى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر الى الهند وفي جملتها جنك لملك الظاهر صاحب الجاوة أهله مسلمون وعرفني وكيله وسر بقدمي وصادفنا الريح الطيبة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طوالمى تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر وأقننا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم دخلنا بحر الازوف وخاف أهل الجنك فارادوا الرجوع الى الصين فلم يتمكن ذلك وأقننا اثنين وأربعين يوما لا نعرف في أي البحار نحن — ذ كر الرخ —

ولما كان في اليوم الثالث والأربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والريح تحملنا الى صوبه فحجب البحرية وقالوا لسناب قرب من البر ولا يعهد في البحر جبل وان اضطررنا الريح اليه هلكنا فليجأ الناس الى التضرع والاخلاص وجددوا التوبة وابتلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ونذر التجار التصدقات

الكثيرة وكتبتها لهم في زمام مخطى وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عنده طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك ورأيت البحرية سيكون ويودع بعضهم بعضا فقلت ما شأنكم فقالوا ان الذي تخيلناه جبلا هو الريح وان رأنا أهلكنا وبيننا إذ ذاك وبينه اقل من عشرة اميال ثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الى الجاوة ونزلنا الى سمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث لي جاريتين وغلامين وانزلى علي العادة وحضرت اعراس ولده مع بنت اخيه

— ذكر اعراس ولد الملك الظاهر —

وشاهدت يوم الجاوة فرايتهم قد نصبوا في وسط المشور منبرا كبيرا وكسوه بثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفعن اذيالها من نساء السلطان وأمرائه ووزرائه وكلهن باديات الوجوه ينظر اليهن كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة لهن الا في الاعراس خاصة وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم جاء الزوج على فيل مزين على ظهره سريره فوقه قبة شبيهة بالوجة والتاج على رأس العروس المذكور عن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك وامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة وعلى رؤوسهم الشواشي المرسعة وهم أتراب العروس ليس فيهم ذو لحية ونثرت الدنانير والدرهم على الناس عند دخوله وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك ونزل ابنه فقبل رجله وصعد المنبر الى العروس فقامت اليه وقبلت يده وجلس الى جانبها والخواتين يروحن عليها وجاءوا بالقوفل والتنبول فاخذ الزوج بيده وجعل منه في فمها ثم اخذت هي بيديها وجعلت في فمها ثم اخذ الزوج بفمه ورقة تنبول وجعلها في فمها وذلك كله على اعين الناس ثم فعلت هي كفعله ثم وضع عليها الستور ورفع المنبر وما فيه الى داخل القصر وأكل الناس وانصرفوا ثم لما كان من الغد جمع الناس وأجرى له أبوه ولاية العهد وبايعه الناس وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب وأقامت بهذه الجزيرة شهرين ثم ركبت في بعض الجنوك وأعطاها السلطان كثيرا من العود والكافور والقرنفل والصندل وردني وسافرت عنه فوصلت بعد اربعين يوما الى كولم فزلت بها في جوار الفزويني قاضي المسلمين وذلك في رمضان وحضرت بها صلاة العيد في مسجد الجامع وعادتهم أن يأتوا المسجد ليلا فلا يزالون يذكرون الله الى الصبح ثم يذكرون الى حين صلاة العيد ثم يصلون ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافروا من كولم الى

قلاقوط وأقامها أياما وأردت العودة الى دهلي ثم خذت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد
ثمان وعشرين ليلة الى ظفار وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين ونزلت بدار خطيبها عيسى بن
طاطا — ذ كر سلطانها —

ووجدت سلطانها في هذه الكرة الملك الناصر ابن الملك المغيث الذي كان ملكا بها حين وصولي
اليها فيما تقدم ونائبه سيف الدين عمر أمير جندر التركي الاصل وانزلي هذا السلطان واكرمني
ثم ركب البحر فوصلت الى مسقط (بفتح الميم) وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف
بقلب الماس ثم سافرنا الى مرسى القریات (وضبطها بضم القاف وفتح الراء والياء آخر
الحروف والف وتاء ثناة) ثم سافرنا الى مرسى شبة (وضبط اسمها بفتح الشين المعجم وفتح
الياء الموحدة وتشديدها) ثم الى مرسى كلبة ونقظها على لفظ مؤنثة الكلب ثم الى قلهات وقد
تقدم ذكرها وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز وهي محسونة من بلاد عمان ثم سافرنا الى هرمز
واقمنا بها ثلاثا وسافرنا الى البر الى كورستان ثم الى اللار ثم الى خنج بال وقد تقدم ذكر
جميعها ثم سافرنا الى كارزي (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسري الزاي) واقمنا
بها ثلاثا ثم سافرنا الى جمكان (وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وآخره نون) ثم
سافرنا منها الى ميمن (وضبط اسمها بفتح الميمين وبينها ياء آخر الحروف مسكنه واخره
نون) ثم سافرنا الى بسا (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهمل مع تشديدها) ثم
الى مدبنة شيراز فوجدنا سلطانها أبا اسحاق على ملكه الا أنه كان غائبا عنها ولقيت بها شيخنا
الصالح العالم مجد الدين قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به ثم سافرت الى
ماين ثم الى بزد خاص ثم الى كايل ثم الى كشك زر ثم الى اصبهان ثم الى تستر ثم الى الحويزا ثم الى
البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهي قبر الزبير بن العوام
وطليحة بن عبيد الله وحليمة السعدية وابي بكر وأنس بن مالك والحسن البصري وثابت
البناني ومجد بن سيرين ومالك بن دينار ومجد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله
التستري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافرنا من البصرة فوصلنا الى مشهد على بن أبي
طالب رضي الله عنه وزرناه ثم توجهنا الى السكوفة فزرنا مسجدنا المبارك ثم الى الحلة حيث
مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض تلك الايام ان وليها بعض الامراء فتمنع أهلها من التوجه
على عادتهم الى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هنالك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها
كل ليلة من الامير فاصابت ذلك الوالى علة مات منها سربا فزاد ذلك في فتنة الرافضة وقالوا
فانما أصاب به ذلك لاجل منعه الدابة فلم تمنع بعد ثم سافرت الى صرصر ثم الى مدينة بغداد

وصلتها في شوال سنة ثمان واربعين و لقيت بها بعض المغاربة فعرفني بكائنة طريق واسطى
الروم على الحضراء جبر الله صدى الاسلام في ذلك — ذكر سلطانها —

وكان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولى اليها في التاريخ المذكور الشيخ حسن ابن عمه
السلطان أبى سعيد رحمه الله ولما مات أبو سعيد استولى على ملكه بالعراق وتزوج زوجته
دلساد بنت دمشق خواجه ابن الامير الجوبان حسبا كان فعله السلطان أبو سعيد من تزويج
زوجته الشيخ حسن وكان السلطان حسن غائبا عن بغداد في هذه المدة متوجها لقتال
السلطان أتابك افراسياب صاحب بلاد اللور ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار
ثم الى هيت ثم الى الحديثة ثم الى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها
كثير العمارة كان الماشي في سوق من الاسواق وقد ذكرنا اننا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر
الصين الا هذه البلاد ثم وصلت الى مدينة الرحبة وهي التي تنسب الى مالك بن طوق ومدينة
الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا منها الى السخنة وهي بلدة حسنة اكبر
سكانها الكفار من النصارى وانما سميت السخنة لحرارة مائها وفيها بيوت للرجال وبيوت
للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلا ويحعلونه في السطوح ليرد ثم سافرنا الى تدمر مدينة
نبي الله سليمان عليه السلام التي ينته اليها الجن كما قال النابغة (بسيط) « يبنون تدمرا لصفاح والعمد
ثم سافرنا منها الى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبى عنها عشرين سنة كاملة وكنت
تركته بها زوجة لي حاملا وتعرفت وأنا ببلاد الهند انما ولدت ولدا ذكر فبهت حينئذ
الى جده للام وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينارا ذهبيا فحين وصولي الى
دمشق في هذه الكرة لم يكن لي هم الا السؤال عن ولدى فدخلت المسجد فوفى لي
نور الدين السخاوى امام المالكية وكبيرهم فسلمت عليه فلم يعرفني فعرفته بنفسى وسألته عن
الولد فقال مات منذ ثنتي عشرة سنة واخبرني ان فقيها من أهل طنجة يسكن بالمدرسة الظاهرية
فسرت اليه لاساله عن والدى وأهلى فوجدته شيخا كبيرا فسلمت عليه وانسببت لفاخبرني
ان والدى توفي منذ خمس عشرة سنة وان والدة بقيد الحياة وأقامت بدمشق الشام بقية السنة
والغلاء شديد والخبز قد انتهى الى قيمة سبع اواقى بدرهم نقرة وارقيتهم اربع اواقى مغربية
وكان قاضي قضاة المالكية اذ ذاك جمال الدين المسلاقي وكان من اصحاب الشيخ علاء الدين
القونوى وقدم معه دمشق فعرف بهائمولى القضاء وقاضى قضاة الشافعية تقي الدين بن

— حكاية —

السبكي وامير دمشق ملك الامراء ارغون شاه ومات في تلك الايام بعض كبار دمشق وارضى بمال للمساكين فكان المتولى لانهاد الوصية

يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم ومدوا أيديهم الى خبز الجبازين وبلغ ذلك الامير أرغون شاه فاخرج زبائنه فكانوا حيث ما لقوا أحدا من المساكين قالوا له تعال تاخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبستهم تلك الليلة وركب من الغدوا أحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم برآء عن ذلك وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحماه وحلب وذكري أنه لم يعيش بعد ذلك الا قليلا وقتل ثم سافرت من دمشق الى حمص ثم حماة ثم المعرة ثم سرمين ثم الى حلب وكان أمير حلب في هذا العهد الحاج رطلي (بضم الراء وسكون الغين المعجم وفتح الطاء المهمل وياه آخر الحروف مسكنة) حكاية واتفق في تلك الايام ان فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن في جبل خارج مدينة عنتاب والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عزا بالزوجة له قال في بعض كلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضي ورفع امره الى ملك الامراء وأتي به وتلميذه الموافق له على قوله فافتي القضاة الاربعة وهم شهاب الدين المالكى وناصر الدين العديم الحنفى وتقي الدين ابن الصائغ الشافعى وعزالدين الدمشقي الحنبلى بقتلهما معا فقتلا وفي أوائل شهر ربيع الاول عام تسعة وأربعين بلغني الخبر في حلب ان الوباء وقع بغزة وانه انتهى عدد الموتى فيها الى زائد على الالف في يوم واحد فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي اليها نحو ثلثمائة انسان ثم سافرت الى دمشق ووصلتها يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام حسبا ذكرناه في السفر الاول فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم الى ألفين واربعمائة في اليوم ثم سافرت الى عجلون ثم الى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضى القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبته على الخطابة ألف درهم في الشهر

— حكاية —

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعاني فيمن دعاه اليها فسانته عن سببها فاخبرني انه نذر أيام الوباء انه ان ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلى فيه على ميت صنع الدعوة ثم قال لي ولما كان بالا مس لم اصل على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت ووجدت من كنت اعهد من جميع الاشياخ بالقدس قد انتقلوا الى جوار الله تعالى رحمهم الله فلم يبق منهم الا القليل مثل المحدث العالم الامام صلاح الدين خليل بن كيكادى العلائي ومثل الصالح شرف الدين الخششى شيخ

زواوية المسجد الاقصى ولقيت الشيخ سليمان الشيرازى فاضا فى ولم التى بالشام ومصر من
وصل الى قدم آدم عليه السلام سواه ثم سافرت عن القدس ورافقني الواعظ المحدث شرف
الدين سليمان الملياني وشيخ المغاربة بالقدس الصوفى الفاضل طلحة العبد الوادى فوصلنا
الى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام ثم سرنا الى غزة
فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها فى الوباء وأخبرنا قاضيها ان العدول بها كانوا
ثمانين فبقي منهم الربع وان عدد الموتى بها انتهى الى الف ومائة فى اليوم ثم سافرنا فى البر فوصلت
الى دمياط ولقيت بها قطب الدين النفثى ورافقني الدهر ورافقني منها الى فارسكور
وسمنود ثم الى أبي صير (بكسر الصاد المهمل وياه وراء) ونزلنا فى زاوية لبعض المصريين
بها (حكاية) وبينما نحن بتلك الزاوية اذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام
قائى وقال انما قصدت زيارتك ولم يزل ليلته تلك ساجدا ورا كعاهم صلينا الصبح واشتغلنا
بالذكر والفقرير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه فلم يجبه فضى اليه فوجده ميتا فصلينا
عليه ودفناه رحمة الله عليه ثم سافرت الى الحلة الكبيرة ثم الى نحرارية ثم الى ايار ثم الى دمنهور
ثم الى الاسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد ان بلغ عدد الموتى الى الف وثمانين فى اليوم
ثم سافرت الى القاهرة وبلغتني ان عدد الموتى ايام الوباء انتهى فيها الى أحد وعشرين الفا فى اليوم
ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين اعرفهم قد ماتوا ورحمهم الله تعالى

— ذكر سلطانها —

وكان ملك ديار مصر فى هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك
المنصور قلاوون وبعد ذلك خلع عن الملك وولى أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة
وجدت قاضى القضاة عز الدين ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة قد توجه الى مكة فى ركب
عظيم يسمونه الرجبي لسفرهم فى شهر رجب واخبرت ان الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عتبة
أيلة فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة الى بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها الى عيذاب
وركبت منها البحر فوصلت الى جدة ثم سافرت منها الى مكة شرفها الله تعالى وكرمها
فوصلتها فى الثانى والعشرين لشعبان سنة تسع واربعين ونزلت فى جوار امام المالكية الصالح
الولى الفاضل أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل فصمت شهر رمضان بمكة وكنت
أعتمر كل يوم على مذهب الشافعي ولقيت ممن اعهد من اشياخها شهاب الدين الحنفى
وشهاب الدين الطبرى وابا محمد الياقنى ونجم الدين الاصفهونى والحرازى وحججيت فى تلك
السنة ثم سافرت مع الركب الشامى الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت

قبره المكرم المطيب زاده الله طيبا وتشرىفا وصليت في المسجد الكرم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالبقيع من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولقيت من الاشياخ ابا محمد بن فرحون ثم سافرا من المدينة الشريفة الى العللا وتوبك ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم الى غزة ثم الى منازل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم الى القاهرة وهناك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أبده الله تعالى قد ضم الله به نشر الدولة المربنية وشفى ببركته بعد اشفاؤها البلاد المغربية وأفاض الاحسان على الخاص والعام وغمر جميع الناس بسايع الانعام فتشوقت النفوس الى المثل بيا به وأملت أن نمركا به فعند ذلك قصدت القدوم على حضرته العلية مع ماشقنى من تذاكار الاوطان والحنين الى الال والخلان والمحبة الى بلادى التى لها الفضل عندى على البلدان بلادها نيطت على تمانى * وأول أرض مس جلدي تراها

فركبت البحر فى قرورة لبعض التونسيين صغيرة وذلك فى صفر سنة خمس مائة وسرت حتى نزلت بحيرة وسافر المركب المذكور الى تونس فاستولى العدو عليه ثم سافرت فى مركب صغير الى قابس فنزلت فى ضيافة الاخوين الفاضلين أبي مروان وأبي العباس ابني مكى أميرى جربة وقابس وحضرت عندهما مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركبت فى مركب الى سفاقس ثم توجهت فى البحر الى بليلانة ومنها سرت فى البر مع العرب فوصلت بعد مشقات الى مدينة تونس والعرب محاصرون لها

— ذكر سلطانها —

وكانت تونس فى ايلة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين الجاهد فى سبيل رب العالمين علم الاعلام وأوحد الملوك الكرام أسد الآساد وجواد الاجواد القانت الاواب الخاشع العادل أنى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين الجاهد فى سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذى سارت الامثال بحوده وشاع فى الاقطار أثر كرمه وفضله ذى المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبو سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين الجاهد فى سبيل رب العالمين قاهر الكفار ومبيداه ومبدى آثار الجهاد ومعيدها ناصر الايمان الشديد السطوة فى ذات الرحمان . العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع الصالح أبو يوسف ابن عبد الحق رضى الله عنهم أجمعين وأبقى الملك فى عقبهم الى يوم الدين ولما وصلت تونس قصدت الحاج أبا الحسن الناميسى لما بيني وبينه من مودات القرابة والبلدية فانزلني بداره وتوجه معى الى المشور فدخلت المشور الكرم وقبلت يد مولانا أبي الحسن رضى الله عنه

وأمرني بالعودة فعدت رسالتي عن الحجاز الشريف وسلطان مصر فاجبته وصالني عن ابن تيفراجين فاجبرته بما فعلت المغاربة معه وإرادتهم قتله بالاسكندرية ومالني من اذائهم انتصارا منهم لمولانا أبي الحسن رضى الله عنه وكان في مجلسه من الفقهاء الامام أبو عبد الله السطبي والامام أبو عبد الله محمد بن الصباح ومن اهل تونس قاضيا أبو علي عمر بن عبد الرفيق وأبو عبد الله بن هارون وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر استدعاني مولانا أبو الحسن وهو يرج يشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ الجللة أبو عمر وعثمان بن عبد الواحد التنالقي وأبو جسون زيان بن أمريون العلوي وأبو زكرياء يحيى بن سليمان العسكري والحاج أبو الحسن الناهسي فسالني عن ملك الهند فاجبته عما سال ولم أزل اتردد الى مجلسه الكريم ايام اقامتي بتونس وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس اذذاك الشيخ الامام خاتمة العلماء وكبيرهم ابا عبد الله الابلي وكان في فراش المرض وباحثني عن كثير من امور رحلتي ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سرديانية من جزر الروم ولها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة به وله مدخل كانه باب لا يفتح الا باذن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه اسواق كثيرة ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لا ننا تفرغنا ان اهلما عازمون على اتباعنا اذا خرجنا عنها لياسرونا ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر الى مدينة تنس ثم الى مازونة ثم الى مستغانم ثم الى تلمسان فقصدت العباد وزرت الشيخ ابا مدين رضى الله عنه ونفع به ثم خرجت عنها على طريق مدرومة وسلكت طريق اخندقان وبت بزاوية الشيخ ابراهيم ثم سافرا منها فبينما نحن بقرب ازغغان اذ خرج علينا خمسون راجلا وفارسا وكان معي الحاج ابن قريعات الطنجي واخوه محمد المستشهد بعد ذلك في البحر فعزمتنا على قتالهم ورفعنا علمائهم سالونا وسالناهم والحمد لله ووصلت الى مدينة تازي وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوباء رحمها الله تعالى ثم سافرت عن تازي فوصلت يوم الجمعة في اواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبع مائة الى حضرة فاس فملت بين يدي مولانا الا عظم. الامام الاكرم. أمير المؤمنين. المتوكل علي رب العالمين. ابي عنان وصل الله علوه. وكبت عدوه. فانستى هيئته هيبة سلطان العراق وحسنه حسن ملك الهند وحسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك الترك وحلمه حلم ملك الروم وديانته ديانة ملك تركستان وعلمه علم ملك الجاوة وكان بين يديه وزيره الفاضل ذو المكارم الشهيرة والمآثر الكثيرة ابوزيان ابن ودرار فسالني عن الديار المصرية اذ كان قد وصل اليها فاجبته عما سال وغمرني من احسان مولانا ايداه الله تعالى بها

أعجزني شكره والله ولي مكافاته وألقيت عصى التسيار ببلادة الشريعة بعد أن تحققت بفضل
الانصاف انها أحسن البلدان لار الفواكه بما تيسر والمياه والاقوات غير متعذرة وقل
إقليم يجمع ذلك ولقد احسن من قال

الغرب أحسن ارض * ولي دليل عليه

البدر يرقب منه * والشمس تسعى اليه

ودرام الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة واذا تأملت أسعاره مع اسعار ديار مصر والشام ظهر
لك الحق في ذلك ولأح فضل بلاد المغرب فاقول ان لحوم الاغنام بديار مصر تباع بحساب
ثمان عشرة أوقية بدرهم نقرة والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع
اللحم اذا غلا سعره ثمان عشرة أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة وأما السممن فلا يوجد بمصر
في أكثر الاوقات والذي يستعمله أهل مصر من انواع الادام لا يلتفت اليه بالمغرب ولا ين
أكثر ذلك العدس والحمص يطبخونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو
صنف من الجلبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن والبقلة
الحمقاء يطبخونها كذلك وأغلا غصان اللوز يطبخونها ويجعلون عليها اللابن والقلقاس
يطبخونه وهذا كاهم متيسر بالمغرب لكن أغني الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل
وسوي ذلك وأما الخضر فهي أقل الاشياء ببلادة مصر وأما الفواكه فكثرت بمجوبة من الشام
وأما العنب فاذا كان رخيصا يبيع عندهم ثلاثة ارطال من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلمهم ثنتا
عشرة أوقية وأما بلاد الشام فالقواكه بها كثيرة الا انها ببلادة الغرب أرخص منها ثمتا فان
العنب يباع بها بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلمهم ثلاثة أرطال مغربية واذا
رخص ثمنه يبيع بحساب رطلين بدرهم نقرة والاجاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم
نقرة وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية قلوس وهي درهم من درهم المغرب وأما
الخضر فيباع بالدرهم النقرة منها أقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل
منه من أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة فاذا تأملت ذلك كله تبين لك ان بلاد المغرب
أرخص البلاد أسعارا وأكثرها خيرات وأعظمها مرافق وفوائد ولقد زاد الله بلاد المغرب
شرفا في شرفها وفضالا في فضلها بامامة مولانا أمير المؤمنين الذي مد ظلال الامن في اقطارها
وأطلع شمس العدل في أرجائها وأفاض سبحانه الاحسان في باديها وحاضرتها وطهرها من
المفسدين وأقام بهار رسوم الدنيا والدين وأنا أذكركم ما عينته وتحققته من عدله وحلمه
وشجاعته واشتغاله بالعلم وتفتحه وصدقه الجارية ورفع المظالم

— ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله —

أما عدله فاشهر من أن يسطر في كتاب فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر ومن وصلت نوبتها نودي باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة فإن كانت متظلمة عجل انصافها أو طالبة احسان وقع اسعافها ثم اذا صليت العصر قرأت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية وهذا شيء لم أر في الملوكة من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل فإن ملك الهند عين بعض امرائه لاختصاص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فإنه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جرائمهم الا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جزى من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا أيده الله اني منذ قدومي على باب الكريمة في آخر عام ثلاثة وخمسين الى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين لم أشاهد أحدا أمر بقتله الا من قتله الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاصا وحرابة هذا على اتساع المملوكة واتساع البلاد واختلاف الطوائف ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الاعصار ولا فيما بعد من الاقطار وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريمة من الثبات والاقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادى وغيرهم واقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال هكذا والا فلا قال ابن جزى لم يزل الملوكة الاقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الاعادى ومولانا أيده الله كان قتل الاسد عليه أهون من قتل الشاة على الاسد فإنه لما خرج الاسد على الجيش بوادى البجارين من المعورة بمجوز سلا ونحامته الابطال وفرت امامه الفرسان والرجال برزاليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متهيّب منه فطعن بالرخ ما بين عينيه طعنة خرم اصريع اللدين وللغم واما هزائم الاعادى فإنها اتفقت للملوكة بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم فيكون حظ الملوكة الثبوت والتجريض على القتال وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحققه انه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الاعداء وانهمزوا امامه فكان من العجائب فرار الامام امام واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين واما هو الاثمة ما يعتن به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد

مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد
 قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم
 وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدح المعلى يحلو
 مشكلاته بنور فهمه ويلقي نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الأئمة المهتدين والخلفاء
 الراشدين ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية فقد رأيت ملك الهند
 يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيت ملك الجاوة يتذاكر
 بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع علي مذهب الشافعي خاصة وكنت أعجب من ملازمة
 ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة حتى رأيت ملازمة مولانا أيده
 الله في الصلوات كلها في الجماعة ولقيام رمضان والله يخص برحمته من يشاء قال ابن جزى لو
 أن عالمًا ليس له شغل إلا بالعلم ليلا ونهارا لم يكن يصل إلى أدنى مراتب مولانا أيده الله في
 العلوم مع اشتغاله بأموال الأمة وتدبيره لسياسة الأقاليم النائية. ومباشرته من حال ملكه عالم
 يباشره أحد من الملوك ونظره بنفسه في شكايات المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه
 الكريم مسألة علم في أي علم كان إلا جلا مشكلها وباحث في دقائقها واستخرج غوامضها
 واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتهم سما أيده الله إلى العلم الشريف التصوف
 ففهم اشارات القوم وتخلق بأخلاقهم وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رفعة وشفقته
 على رعيته ورفقه في أمره كله واعطى للأدب حظا جزيلًا من نفسه فاستعمل أحسنها
 منزعا وأعظمها موقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثهما إلى الروضة
 الشريفة المقدسة الطاهرة روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكتبهما بخط يده الذي يحجل الروض حسنا وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك
 الزمان إنشاءه ولا رام إدارته ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى وأحاط
 علما بمحصولها لاح له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي فطره عليها وجمع له بين
 الطبيعي والمكتسب منها وأما صدقاته الجارية وما أمر به من عمارة الزوايا بجميع بلاده
 لا طعام الطعام للوارد والصادر فذلك ما لم يفعله أحد من الملوك غير السلطان أتابك أحمد
 وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق على المساكين باطعام كل يوم والتصدق بالزرع على
 المستترين من أهل البيوت قال ابن جزى اخترع مولانا أيده الله في الكرم والصدقات
 أمورا لم تخطر في الأوهام ولا اهتدت إليها السلاطين فمنها إجراء الصدقات على المساكين بكل
 بلد من بلاده على الدوام ومنها تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضا ومنها

كون تلك الصدقات خبزاً محبوزاً متيسراً للانتفاع به ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز
والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلادهم ومنها تعيين الضحايا لهؤلاء الاصناف في عيد
الاضحى ومنها التصديق بما يجتمع في مجابى ابواب بلادهم يوم سبعة وعشرين من رمضان
اكراماً لذلك اليوم الكريم وقياماً بحقه ومنها اطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم
واجتماعهم لاقامة رسمه ومنها اعذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها
صدقته على الزمنى والضعفاء بائزواج الحرث يقيمونها أو دهمومنها صدقته على المساكين
بحضرته بالطنافش الوفيرة والقطائف الجياد يفتروشونها عند قادمهم وتلك مكرمة لا يعلم لها
نظير ومنها بناء المستشفيات في كل بلد من بلادهم وتعيين الأوقاف الكثيرة لمؤن المرضى
وتعيين الأطباء لمعالجتهم والتصرف في طبهم الى غير ذلك مما بدع فيه من انواع المنكرات
وضروب المآثر كإياديه وشكر نعمه وأما رفعه للمظالم عن الرعية فمنها الرتب
التي كانت تؤخذ بالطرقات أمرا يده الله بمحو رسمها وكان لها مجبى عظيم فلم يلتفت اليه وما
عند الله خير وأبقى وأما كفه أيدى الظلام فأمر مشهور وقد سمعته أبده الله يقول
لعماله لا تظلموا الرعية ويؤكد عاينهم في تلك الوصية قال ابن جزى ولو لم يكن من رفق
مولانا أيدى الله برعيته لارفعه التضييف الذى كانت عمال الزكاة وولاة البلاد تأخذ من
الراعى لكفى ذلك اثر فى العدل ظاهراً ونوراً فى الرفق باهراً فكيف وقد رفع من المظالم
وبسط من المرافق ما لا يحيط به الحصر وقد صدر فى أيام تصنيفه من أمره الكريم
فى الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ما هو اللائق باحسانه
والمعهود من رافته وشمل الامر بذلك جميع الاقطار وكذلك صدر من التشكيل بمن ثبت
جوره من القضاة والحكام ما فيه زجر الظلمة وردع المعتدين واما فعله فى معاونته أهل الاندلس
على الجهاد ومحافظته على امداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وفته فى عضد العدو
باعداد العدد واطهار القوة فذلك امر شهير لم يغيب علمه عن اهل المغرب والمشرق ولا سبق
اليه احد من الملوك قال ابن جزى حسب المتشوف الى علم ما عند مولانا أيدى الله من سداد
القطر للمسلمين ودفاع القوم الكافرين ما فعله فى فداء مدينة طرابلس افرريقية فانها لما
استولى العدو عليها ومد يد العدوان اليها ورأى أيدى الله ان بعث الجيوش الى نصرتها
لا يتأتى لبعث الاقطار كتب الى خدامه ببلاد افرريقية ان يقدوها بالمال ففديت بخمسين
ألف دينار من الذهب العين فلما بلغه خبر ذلك قال الحمد لله الذى استرجعها من ايدي
الكفار بهذا النزر اليسير وامر للحين ببعث ذلك العدد الى افرريقية وعادت المدينة الى

لا سلام على يده ولم يخطر في الاوهام ان أحدا تكون عنده خمسة قناطير من الذهب نذرا
 يسيرا حتى جاء بها مولانا ايده الله مكربة بعيدة ومائرة فاقفة قل في الملوك امثالها وعز عليهم
 مثالها ومما شاع من أفعال مولانا ايده الله في الجهاد انشاؤه الاجفان بجميع السواحل
 واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمان الصلح والمهادنة اعدادا لأيام الغزاة وأخذ
 بالحزم في قطع اطماع الكفار وأكد ذلك بتوجهه ايده الله بنفسه الى جبال جاناته
 في العام الفارط لياشر قطع الخشب للانشاء ويظهر قدر ماله بذلك من الاعناء ويتولى
 بذاته اعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء (رجع) ومن أعظم حسناته
 ايده الله عمارة المسجد الجدي بالمدينة البيضاء دار ملكة العلى وهو الذى امتاز بالحسن
 واتقان البناء واشراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف
 بالقصر مما يجاور قصبة قاس ولا نظير لها في المعمورة اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة ماء
 وحسن وضع ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان ما يشبهها وعمارة الزاوية
 العظمى على غدير الحصص خارج المدينة البيضاء فلامثل لها ايضا في عجب وضعها وبديع
 صنعها وأبداع زاوية رأيتها بالشرق زاوية سرياقص (سرياقوس) التي بناها الملك الناصر
 وهذه أبداع منها وأشد احكاما واتقانا والله سبحانه ينفع مولانا ايده الله بمقاصده الشريفة
 ويكافي فصائله المنيفة ويدعم للاسلام والمسلمين ايامه وينصر أوليته المظفرة واعلامه
 ولنعذ الى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت الى مشاهدة هذا المقام الكريم وعمني فضل
 احسانه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت الى بلدة طنجة وزرتها وتوجهت الى
 مدينة سبته فاقمت بها اشهرًا واصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافاني الله فاردت ان
 يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبته في شطى لأهل اصيلا فوصلت
 الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذكور للمقيم
 والظاعن وكان ذلك إثر موت طاغية الروم القونس وحصاره الجبل عشرة أشهر وظنه
 انه يستولى على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين فاخذه الله من حيث لم يحتسب ومات
 بالوباء الذى كان أشد الناس خوفا منه واول بلد شاهده من البلاد الاندلسية جبل الفتح
 فلقيت به خطيبه الفاضل أباز كريا يحيى بن السراج الرندى وقاضيه عيسى البربرى وعنده
 نزلت وتطوفت معه على الجبل فرأيت عجائب ما بين به مولانا ابوالحسن رضي الله عنه وأعد
 فيه من العدد وما زاد على ذلك مولانا ايده الله ووددت أن لو كنت ممن رابط به الى نهاية
 العمر قال ابن جزى جبل الفتح هو معقل الاسلام المعتز شجي في خلوق

عبدة الاصنام حسنة مولانا ابي الحسن رضي الله عنه المنسوبة اليه وقربته التي قدمها نورابن يديه محل عددا للجهاد ومقر آساد الاجناد والشعر الذي افترعن نصر الايمان واذاق أهل الاندلس بعد مرارة الخوف حلاوة الأمان ومنه كان مبدأ الفتح الاكبر وبه نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عند جوازه فنسب اليه فيقال له جبل طارق وجبل الفتح لان مبدأه كان منه وبقايا السور الذي بناه ومن معه باقية الى الآن تسمي بسور العرب شاهدها ايام اقامتي به عند حصار الجزيرة اعادها الله ثم فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفا وبعث الى حصاره ولده الامير الجليل أبامالك وأيده بالاموال الطائلة والعساكر الجارية وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبع مائة ولم يكن حينئذ على ما هو الآن عليه فبني به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المائرة العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجا صغيرا ثم دأب حجاج الجانيق فبناها مكانه وبني به دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة وبني السور الاعظم المحيط بالتربة الحمراء الآخذ من دار الصناعة الى القرمدة ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيدته الله عهد تحصينه وتحسينه وزاد بها بناء السور بطرف الفتح وهو أعظم أسواره غناء وأعمها نقعا وبعث اليه العدد الوافرة والاقوات والمرافق العامة وعامل الله تعالى فيه بحسن النية وصدق الاخلاص ولما كان في الاشهر الاخيرة من عام ستة وخمسين وقع بجبل الفتح مظهر فيه أنريقين مولانا أيدته الله وثمرة توكله في أموره على الله وبأن مصداق ما طردله من السعادة الكافية وذلك ان عامل الجبل الخائن الذي خنم له بالشقاء عيسى بن الحسن بن أبي منسديل نزع يده المغلولة عن الطاعة وفارق عصمة الجماعة وأظهر النفاق وجمع في الغدر والشقاق وتعاطى ما ليس من رجاله وعمى عن مبدأ حاله السيئ وماله وتوهم الناس ان ذلك مبدأ فتنة تنفق على اطفاؤها كرائم الاموال ويستعد لانقاها بالفرسان والرجال فحكمت سعادة مولانا أيدته الله ببطلان هذا التوهم وقضى صدق يقينه بانخراق العادة في هذه الفتنة فلم تكن الايام يسيرة وراجع أهل الجبل بصائرهم وثاروا على الثائرو خالفوا الشقي الخائف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في النفاق وأني بهما مصنفدين الى الحضرة العلية فنفذ فيهما حكم الله في الحاربين وارا ح الله من شرهما ولما خمدت نار الفتنة اظهر مولانا أيدته الله من العناية ببلاد الاندلس ما لم يكن في حساب أهلها وبعث الى جبل الفتح ولده الاسعد المبارك الارشدا بابر المدعو من السماء السلطانية بالسيعة اسعده الله تعالى وبعث معه

انجماء الفرسان ووجوه القبائل وكفاة الرجال وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع
 وحرر بلادهم من المغارم وبذل لهم جزيل الاحسان وبلغ من اهتمامه بامور الجبل أن أمر
 أيده الله ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمثل فيه أشكال اسواره وابراجيه وحصنه
 وابوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهربية زرعه وصورة الجبل وما اتصل به
 من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع اتقاننا يعرف
 قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وما ذلك الا لشوقه أيده الى استطلاع أحواله
 وتهممه بتحسينه واعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغربية على يديه ويحقق
 ما يؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عباد الصليب وتذكرت حين هذا التقييد قول
 الاديب البليغ الملقق أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي البلسنى رحمه الله في وصف هذا الجبل
 المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها (بسيط)

لوجئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ماشئت من علم ومن نور
 وفيها يقول في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق اليه بعد وصفه السفن وجوازها
 حتى رمت جبل الفتحين من جبل * معظم القدر في الاجبال مذكور
 من شامخ الانف في سحنائه طلس * له من الغيم جيب غير مزور
 تسمى النجوم على تكميل مفارقة * في الجو خاتمه مثل الدنانير
 فر بما مسحتته من ذوائبها * بكل فضل على فوديه مجرور
 وادرد من ثناياه بما أخذت * منه معاجم أعواد الدهارير
 محنك حلب الايام أشطرها * وساقها سوق حادي العير للعير
 مقيد الخط وجوال الخواطر في * عجب امره من ماض ومنظور
 قد واصل الصمت والاطراق مفتكرا * بادى السكينة معفر الاسارير
 كأنه مكمسد مما تعبده * خوف الوعيد من دك وتسيير
 اخلق به وجبال الارض راجفة * أن يطمئن غدا من كل محذور

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن جزى ولتعد الى كلام الشيخ أبي
 عبد الله قال ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رندة وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها
 وضعا وكان قائدها ذاك الشيخ ابو الريح سليمان بن داود العسكري وقاضيه ابن عمي الفقيه
 ابو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطه ولقيت بها الفقيه القاضي الاديب أبا الحجاج يوسف بن
 موسى المنشاقري واضافني بمنزله ولقيت بها أيضا خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبا اسحاق

أبراهيم المعروف بالشندرخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصغار وسواه وأقيمت بها خمسة أيام ثم سافرت منها إلى مدينة مربة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة ومربة بلدة حسنة خصبة ووجدت بها جماعة من الفرسان متوجهين إلى مالقة فاردت التوجه في صحبتهم ثم إن الله تعالى عصمني بفضلته فتوجهوا قبلي فأسروا في الطريق كما سئذكره وخرجت في أثرهم فلما جاوزت حوز مربة ودخلت في حوز سهيل مررت بفرس ميت في بعض الخنادق ثم مررت بقفصة حوت مطروحة بالأرض فراى ذلك وكان أمامى برج الناظور فقلت في نفسي لو ظهرها هنا عدولا نذريه صاحب البرج ثم تقدمت إلى دار هنالك فوجدت عليه فرسا مقتولا فبينما أنا هنالك إذ سمعت الصياح من خلفي وكنت قد تقدمت أصحاحي فعدت إليهم فوجدت معهم قائد حصن سهيل فاعلمني أن أربعة أجفان للعدو ظهرت هنالك ونزل بعض عمارتها إلى البر ولم يكن الناظور بالبرج فربهم الفرسان الخارجون من مربة وكانوا اثني عشر فقتل النصاري أحدهم وفر واحد وأسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذي وجدت قفصته مطروحة بالأرض وأشار على ذلك القائد بالمبيت معه في موضعه ليوصلني منه إلى مالقة فبثت عنده بمحسن الرابطة المنسوبة إلى سهيل والأجفان المذكورة مرعاة عليه وركب معي بالغد فوصلنا إلى مدينة مالقة إحدى قواعد الأندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رايت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ورمائها المرسى الياقوتي لا نظيره في الدنيا وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب قال ابن جزى وإلى ذلك أشار الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي في قوله وهو من مليح التجنيس (سريع)

مالقة حيت ياتينها * فالفلك من أجلك ياتينها

نهي طبيبي عنك في علة * ما لطبيبي عن حياتي نها

وذيلها قاضي الجماعة أبو عبد الله بن عبد الملك بقوله في قصيد الجانسة (سريع)

وحص لا تنس لها تينها * واذا كرمع التين زياتينها

(رجع) وبما لقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويحلب منها إلى أقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظيره في الحسن فيه أشجار النارج البعيدة ولما دخلت مالقة وجدت قاضيها الخطيب الفاضل أبا عبد الله ابن خطيبها الفاضل أبي جعفر بن خطيبها ولي الله تعالى أبي عبد الله الطنجالي قاعدا بالجامع الأعظم ومعه الفقهاء ووجوه الناس يجمعون مالا

جرسم فداء الاسارى الذى تقدم ذكرهم فقلت له الحمد لله الذى عافاني ولم يجعلني منهم وأخبرتني بما اتفق لي بعدهم فعجب من ذلك وبعث الى بالضيافة رحمه الله وأضافني أيضا خطيبها أبو عبد الله الساحلى المعروف بالمعمم ثم سافرت منها الى مدينة بلش وبينهما اربعة وعشرون ميلا وهي مدينة حسنة بها مسجد عجيب وفيها الاغاب والفواكه والذين كثر ما بالقة ثم سافرنا منها الى الحمة وهي بلدة صغيرة لها مسجد يدعى الوضع عجيب البناء وبها العين الحارة على صفة وادبها وبينها وبين البلد ميل أو نحو ههناك بيت لاستحمام الرجال وبيت لاستحمام النساء ثم سافرت منها الى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة اربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواء من الانهار الكثيرة والبساتين والجنان والرياض والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياض والبساتين لادبل لها بسواها قال ابن جزى لولا خشيت ان أنسب الى العصبية لاطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله درشيخنا أبي بكر محمد بن أحمد بن شير بن البستي نزيل غرناطة حيث يقول

رعي الله من غرناطة متبوا * يسرحزبنا أو يحير طربدا

تبرم منها صاحبي عند مارأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا

هي الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا

— رجع ذكر سلطانها —

وكان ملك غرناطة في عهد دخولى اليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ولم القه بسبب مرض كان به وبعثت الى والدته الحرة الصالحة العاضلة بدنا نير ذهاب ارتفعت بها والقيت بغرناطة جملة من فضلائها منهم قاضي الجماعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني السبتي ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البياني ومنهم عالما ومقرئها الخطيب أبو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب ومنهم قاضي الجماعة نادرة العصر وطرفة الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي البلبعي قدم عليها من المربة في تلك الايام فوقع الاجتماع به في بستان الفقيه أبو القاسم محمد بن الفقيه الكاتب الجليل أبي عبد الله بن عاصم واقفنا هناك يومين وليلة قال ابن جزى كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبد الله باخبار رحلته بوقيدت عنه اسماء الاعلام الذين لقيهم فيها واستفدنا منه الفوائد العجيبة وكان معنا جملة من

وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغريب الشان أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الجذامي وهذا الفقي أمره عجيب فانه نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة ثم انه نبغ بالشعر الجيد الذي يند روقوعه من كبار البلغاء وصدور الطلبة مثل قوله (رمل)

يا من اختار فؤادي منزلا * بابه العين التي ترمقه
فتح الباب سهادي بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(رجع) ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها الفقيه أبا علي عمر بن الشيخ الصالح الولي أبي عبد الله محمد بن الحروق وأقت أيا مازا وبته التي بخارج غرناطة وأكرمني أشد الاكرام وتوجهت معه الى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة براطة العقاب والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة وبينهما نحو ثمانية أميال وهو محاور لمدينة التيرة الخربة ولقيت أيضا ابن اخيه الفقيه أبا الحسن علي بن أحمد بن الحروق زوايته المنسوبة للجام بأعلى ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة وهو شيخ المتسبين من الفقراء و غرناطة جملة من فقراء العجم استوطنوها شبهها ببلادهم منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندي والحاج أحمد التبرزي والحاج إبراهيم القونوي والحاج حسين الخراساني والحاجان علي ورشيد الهنديان وسواهم ثم رحلت من غرناطة الى الحمة ثم الى باش ثم الى مالقة ثم الى حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والاشجار والقواكه ثم سافرت منه الى رندة ثم الى قرية بني رياح فانزلني شيخنا أبو الحسن علي سلمان الرياحي وهو أحد كرماء الرجال وفضلاء الاعيان يطعم المصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت الى جبل الفتح وركبت البحر في الجفن الذي جزت فيه اولاهو لاهل اصيلا فوصلت هلى سبعة وكان قائدها ذاك الشيخ أبو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيهما الفقيه أبو محمد الزجندري ثم سافرت منها الى اصيلا واقت بها شهورا ثم سافرت منها الى مدينة سلا ثم سافرت من سلا فوصلت الى مدينة مراکش وهي من اجمل المدن فسيحة الارعاء متسعة الاقطار كثيرة الخيرات بها المساجد الضخمة كمسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فما شبهت الا ببغداد الان أسواق بغداد احسن وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة وهي من بناء الامام مولانا امير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه قال ابن جزي في مراکش يقول قاضيهما التاريخي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الاوسي

(بسيط)

لهم مراکش الغراء من بلد * وحبذا اهلها السادات من سكن

ان حلمنا زح الاوطان مغترب * أسلوه بالانس عن أهل وعن وطن

بين الحديث بها أو العيان لها * ينشأ التجاسد بين العين والاذن

— رجع — ثم سافرنا من مرا كش صحبة الركاب العلى ركاب مولانا أيده الله فوصلنا الى مدينة سلازم الى مدينة مكناسة العجيبة الحضر النضرة ذات البساتين والجنات الحيطه بها يحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا الى حضرة فاس حرسها الله تعالى فودعت بها مولانا أيده الله وتوجهت برسم السفر الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف ايرار منه لا نظير له في البلاد ونزلت منها عند الفقيه أبي محمد البشري وهو الذي لقيت أخاه بمدينة قنجنقو من بلاد الصين فيا شد ما تبعنا افا كرمي غابة الاكرام واشترت بها الجمال وعلفتها أربعة أشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدمها أبو محمد بن دكان المسوفي رحمه الله وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما الى تغازي وضبط اسمها (بفتح التاء المثناة والغين المعجم والف وزاي مفتوح) أيضا وهى قرية لا خير فيها ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها انما هى رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه الواح ضخام مترا كبة كاهنا قد نحتت ووضعت تحت الارض بحمل الجمل منها لوحين ولا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن انلي المجلوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويبيع الحمل منه بايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية ومدينة مالى بثلاثين مثقالا الى عشرين وربما انتهى الى أربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطهونه قطعاً ويتابعون به قرية تغزي على حقاقرتها يتعامل فيها بالقناطير المقتطرة من التبر أو قما بها عشرة أيام في جهداً ماء هازعاق وهى أكثر المواضع ذاباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهى مسيرة عشرة لأماء فيها الا في النادر ووجدنا نحن بها ماء كثير افي غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الايام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فترونا منه وغسلنا ثيابنا والكمأة بتلك الصحراء كثير ويكثر القمل بها حتى يجعل الناس في اعناقهم خيوطا فيها الزبق فيقتلها وكنافى تلك الايام نتقدم امام القافلة فاذا وجدنا مكانا يصلح للرعي رعيننا الدواب به ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف جابن زبرى فلم أقدم احد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زبرى وقعت بينه وبين ابن خاله

و يعرف بان عدى منازل ومساكن فتأخر عن الرفقه فضل فلما نزل الناس لم يظهر له خبر
فاشرت على ابن خاله بان يكتري من مسوفة من يقص أثره لعله يجده فاني وانتدب في اليوم
الثاني رجل من مسوفة دون أجره لطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا وبخروج
عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد اتقينا قافلة في طريقنا فاخبرونا ان بعض رجال انقطعوا
عنهم فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجيرة من أشجار الرمل وعليه ثياب وفي يده سوط وكان
الماء على نحو ميل منه ثم وصلنا الى تاسر هلا (بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون
الهاء) وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها وقيمون ثلاثة أيام فيستر يحون ويصلحون
سقيتهم ويأمنون بالماء ويخيطون عليها التلال ليس خوف الريح ومن هنالك يبعث التكشيف
— ذكر التكشيف —

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتري به اهل القافلة فيتقدم الى ابو الاتن بكتبه
الناس الى اصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائم بالماء مسيرة اربع وعشرين ليلا
صاحب ابو الاتن كتب الى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك وربما هلك
التكشيف في هذه الصحراء فلا يهلم اهل ابو الاتن بالقافلة فيهلك اهلها او الكثير منهم وتلك
الصحراء كثيرة الشياطين فان كان التكشيف منفردا لعبت به واستمته حتى يضل عن قصده
فيهلك اذ لا طريق يظهر بها ولا أثر انما هي رمال تسفها الريح فتري جبلا من الرمل في مكان ثم
تراها قد انتقلت الى سواه والدليل هنالك من كثير تردده وكان له قلب ذكي ورأيت من
العجائب ان الدليل الذي كان لنا هو اعراب العين الواحدة مريض الثمانية وهو اعرف الناس
بالطريق واكثرنا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة وفي
ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك وهذه الصحراء منيرة
مشرقة ينشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهي آمنة من السراق والبقرة الوحشية بها كثيرا في
القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والذئاب لكن لحمها يولد أكله العطش
فيتحماها كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقرة اذا قتلت وجد في كروشها الماء ولقد
رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها و يشربون الماء الذي فيه والحيات أيضا بهذه
الصحراء كثيرة — حكاية —

وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاجز يان ومن عادته ان يقبض على الحيات ويبعث
بها وكنت أنها عن ذلك فلا ينتهي فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه فوجد
مكانه حية فاخذها بيده واراد الركوب فلسعته في سبابة الخمني واصابه وجع شديد فكوبت

يده وزاد ألمه عشى النهار فنحزرجلا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الاصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحمية كانت قد شربت الماء قبل لسهه ولولم تكن شربت لقتلته ولما وصل اليها الذين استقبلونا بالماء شربت خيلنا ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كاتنى عهدنا وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسرى الليل كله وننزل عند الصباح وتاتي الرجال من مسوفة وبر دامة وغيرهم باجمال الماء للبيع ثم وصلنا الى مدينة أبوالاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجالمة وهي أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فربا حسين وفربا بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ومعناه النائب ولما وصلنا جعل التجار امتعتهم في رحبة وتكفل السودان بحفظها وتوجهوا الى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف واعوانه بين يديه بأيديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قريهم منه احتقار لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء أديهم واحتقارهم للابيض وقصده دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له ان يكتري لى دارا ففعل ذلك ثم ان مشرف ابوالاتن ويسمى مدشاجوا (بفتح الهم وسكون التون وفتح الشين المهمم والف وجيم مضموم وواو) استدعى من جاء في القافلة الى ضيافته فاييت من حضور ذلك فعزم الاصحاب على أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم أتى بالضيافة وهى جريش انلي مخلوطا بيسير عسل وابن قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا فقلت لهم ألهذا دعانا الأسود قالوا نعم وهو الضيافة الكبيرة عندهم فايقت حينئذ أن لاخير يرتجى منهم وارتدت ان أسافر مع حجاج ابوالاتن ثم ظهر لى ان انوجه لمشاهدة حضرة ملكهم وكانت اقاتى ابوالاتن نحو خمسين يوما واكرمني اهلها واطافوني منهم قاضيها محمد بن عبدالله بن بنومر واخوه الفقيه المدرس يحيى وبلدة ابوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات يزدرعون في ظلالها البطيخ وماؤهم من احساء بها ولحم الضان كثير بها وثياب أهلها حسان مصرية وأكثروا السكان بها من مسوفة ولنسائها الجمال الفاخ وهي اعظم شانا من الرجال

— ذكر مسوفة الساكنين بابوالاتن —

وشان هؤلاء القوم عجيب وامرهم غريب فامار جالهم فلاغرة لديهم ولا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل الابناء أخته دون بنيه وذلك شيء مارأيت في الدنيا الا عند كفار بلاد الملبار من الهنود واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات

وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يهتمشن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتن على الصلوات ومن أراد الزوج ممنهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت احداهن ذلك لمنعهن اهلها والنساء هنالك يكون لهن الأصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل أحدهن داره فيجد امرأته ومعهما صاحبها فلا يشكر ذلك — حكاية —

دخلت يوما على القاضي بابو الان بعد اذ نه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بدية الحسن فلما رأيتها ارتبت وارتد الرجوع فضحكمت مني ولم يدركها اخجل وقال لي القاضي لم ترجع انها صاحبتى فعجبت من شأنهما فانه من الفقهاء الحجاج واخبرت انه استاذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبتة لا أدري أهى هذه أم لا فلم ياذن له — حكاية نحوها —

دخلت يوما على ابى محمد بن دكان المسوفى الذى قدمنا فى صحبته فوجدته قاعدا على بساط وفى وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معهار جل قاعدوها يتحدثان فقلت له ماهذه المرأة فقال هى زوجتى فقلت وما الرجل الذى معها فقال هو صاحبها فقلت له أترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لى مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها واسن كنساء بلادكم فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم اعذ اليه بعدها واستدعاني مرات فلم اجبه ولما عزمت على السفر الى مالى وبينها وبين ابى الان مسيرة اربعة وعشرين يوما للمجد اكرت دليلا من مسوفة اذلا حاجة الى السفر فى رفقة لا من تلك الطريق وخرجت فى ثلاثة من اصحابى وتلك الطريق كثيرة الاشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا اغصان لها ولا ورق ولكن ظل جسدها بحيث يستظل به الانسان وبعض تلك الاشجار قد استاسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكانها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ويكون فى بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت فى داخلها رجلا حائكا قد نصب بها مرمته وهو ينسج فعجبت منه قال ابن جزى ببلاد الاندلس شجرتين من شجر القسطل فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب احدهما بسند وادي آش والاخرى ببشارة غرناطة (رجع) وفى اشجار هذه الغابة التى بين ابى الان ومالى ما يشبه ثمرة الاجاص والتفاح والوخ والمشمش وليست بها وفيها اشجار تثمر شبه الفقوس فاذا طاب انقلقى عن شئ شبه الدقيق فيطبخونه وياكلونه ويبيع بالاسواق ويسخرجون من هذه الارض حبات

كأقول فيقولونها وياكلونها وطعمها كطعم الحنص المقلوب ربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرق والغرقى (بفتح الغين المعجم وسكون الراء وكسر التاء المثناة) وهو نمر كالا حاص شديد الجلاوة مضر بالبيضان اذا أكلوه ويلدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنها انهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقولون به هذا الاسفنج و يدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسمع القرعة منها قدر ما تسمع القلة ببلادنا والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشاً حسناً واذا سافرا احدهم يتبعه عبيده وجوار به يحملون فرشاً وأوانيه التي ياكل ويشرب فيها وهى من القرع والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا ادا ما ولاد ينارا ولا درهما انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذى يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسر غنت وهو نخورم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بالى واللبن والدجاج ودقيق التبق والارز والفونى وهو كحب الخردل يصنع من الكسكو والعصيدة ودقيق اللوبيا يشتري منهن ما يحب من ذلك الا ان الارز يضراً كله بالبيضان والفونى خير منه وبعد مسيرة عشرة ايام من ابوالاتن وصلنا الى قرية زاغرى (وضبطها بفتح الزاى والغين المعجم وكسر الراء) وهى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراته (بفتح الواو وسكون النون وفتح الجيم والراء والف وتاء مثناة وتاء تانيث) ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صغغو (بفتح الصاد المهمل والغين المعجم الاول والنون وضم الغين الثاني وواو) والسنون المالكىون من البيض يسمون عندهم تورى (بضم التاء المثناة وواو وراء مكسورة) ومن هذه القرية يجلب انلى الى ابوالاتن ثم سرنا من زاغرى فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخوا (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو) والنيل ينحدر منها الى كبرة (بفتح الباء الموحدة والراء) ثم الى زاغة (بفتح الزاى والغين المعجم) ولكبرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالى وأهل زاغة قدماء فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم ينحدر النيل من زاغة الى تنبكتون ثم الى كوكو وسند كرها ثم الى بلدة مولى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد اليميين وهى آخر عمالة مالى ثم الى يوفى واسمها (بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة) وهى من اكبر بلاد السودان وسلطانها من اعظم سلاطينهم ولا يدخلها الا بيض من الناس لانهم يقتلونه قبل الوصول اليها ثم ينحدر

الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي اكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام) وسلطانها يدعى بـ ابن كثر الدين اسلم على ايام الملك الناصر ثم ينحدر الى جنادل وهي آخر عمالة السودان واول عمالة اسوان من صعيد مصر ورايت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كانه قارب صغير ولقد نزلت يوما الى النيل لقضاء حاجة فاذا باحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر فعجبت من سوء ادبه وقلة حياءه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال انما فعل ذلك خوفا عليك من التمساح قال بينك وبينه ثم سرنا من كارسخو فوصلنا الى نهر صنصرة (بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون) وهو على نحو عشرة اميال من مالى وعادتهم ان يمنع الناس من دخولها الا بالاذن وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولى وشمس الدين بن النقويش المصرى ليكتبوا الى دارا فلما وصلت الى الهر المذكور جرت في المدينة ولم يعنى احد فوصلت الى مدينة مالى حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت الى محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكثرت الى دارا ازاء داره فتوجهت اليها وجاء صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاءه بن الفقيه الى من الغد وشمس الدين بن النقويش وعلى الزودى المرا كشي وهو من الطلبة ولقيت القاضي بمالى عبد الرحمن جاءنى وهو من السودان حاج فاضل له مكارم اخلاق بعث الى بقره فى ضيافته ولقيت التزيمان دوغا (بضم الدال واو وغيـن معجم) وهو من افاضل السودان وكبارهم وبعث الى بشور وبعث الى الفقيه عبد الواحد غرارتين من الفوني وقرعة من القرقي وبعث الى ابن الفقيه الارزوالقوني وبعث الى شمس الدين بضيافة وقاموا بحقي اتم قيام شكر الله حسن افعالهم وكان ابن الفقيه متزوجا بدنت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وغيره واكلنا بعد عشرة ايام من وصولنا عصيدة تصنع من شئ شبه القلقاس يسمى القافى (بقاف والـف وفاء) وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام فا صبحنا جميعا مرضى وكنا ستة فوات احدا نا وذهبت انا لصلاة الصبح فعشى على فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهلا فأتى بشئ يسمى بيدر (بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء) آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراء وهو عروق نبات وخلطه بالا نيسون والسكرولته بالماء فشربته وتقيات مأكلته مع صفراء كثيرة وعافانى الله من الهلاك ولكنى مرضت شهرين

— ذكر سلطان مالى —

وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) ومعناه

السلطان وسليمان اسمه وهو ملك نجيل لا يرجي منه كبير عطاء واتفق اني أقت هذه المدة ولم أره بسبب مرضي ثم صنع طعاما برسم غداء مولانا ابي الحسن رضى الله عنه واستدعى الامراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم قاتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا لقولنا ابي الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان ولما فرغ من ذلك تقدمت فسلمت على منسى سليمان واعلمه القاضى والخطيب وابن الفقيه بحالى فاجابهم بلسانهم فقالوا لى يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

— ذ كر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها —

ولما انصرفت بعث الى الضيافة فوجهت الى دار القاضى وبعث القاضى بهامع رجاله الى دار ابن الفقيه فخرج ابن الفقيه من داره مسرعاً حافى القدمين فدخل على وقال قم قد جاءك قماش السلطان وهديته فقمته وظننت انها الخلع والاموال فاذا هي ثلاثة اقراص من الخبز وقطعة لحم بقرى مقلوباً لغرقى وقرعة فيها ابن رائب فعند ما رايتها ضحككت وطال تعججى من ضهف عقولهم وتعظيمهم للشيء الحقير

— ذ كر كلامى للسلطان بعد ذلك واحسانه الى —

واقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل الى فيها شىء من قبل السلطان ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك اتردد الى المشور واسلم عليه وأقعد مع القاضى والخطيب فنكلمت مع دوغالترجمان فقال تسلم عنده وانا اعبرك عنك بما يحب فجلس فى اوائل رمضان وقت بين يديه وقلت له انى سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولى ببلادك منذ اربعة أشهر ولم تضفى ولا أعطينى شياً فماذا أقول عنك عند السلاطين فقال انى لم أرك ولا علمت بك فقام القاضى وابن الفقيه فردا عليه وقالوا انه قد سلم عليك وبعثت اليه الطعام فامر لى عند ذلك بدار انزل بها ونفقة تجرى على ثم فرق على القاضى والخطيب والفقهاء مالا ليلة سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة وأعطانى معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلاثاً واحسن الى عند سفرى

— ذ كر جلوسه بقبته —

بمائة مثقال ذهباً

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب او هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فلم انه يجلس فاذا جلس أخرج من شبك احدى الطاقات شرابة حريز قد ربط فيها منديل مصرى مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضربت الاطبال والابواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد

في أيدي بعضهم القسي وفي أيدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس أصحاب القسي كذلك ثم يؤتي بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون أنهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه فتجأ موسى وتأتي الفرارية (بفتح الفاء) وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية يمينة وميسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لهم في تعميمها صنعة بدیعة وهو متقلد سيفاعده من الذهب وفي رجله الخف والمهاميز ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون في يده رمحان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة واستنهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فراري بين يديه أصحابه بالرمح والقسي والاطبال والابواق وبوقاتهم من أنياب الفيلة والآلات الطرب المصنوعة من القصص والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب وكل فراري له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسه وأصحابه بين مشاة وركبان ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن أراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان — ذكر جلوسه بالمشور —

ويجلس أيضا في بعض الايام بالمشور هنالك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البني (بفتح الباء المعقودة الاولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما) وتقرش بالحرير وتجعل المخادع عليها ويرفع الشطرو هو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصا به ذهب لها أطراف مثل السكاكين رفاق طولها أزيد من شبروا كثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بأبدعهم قنابرا الذهب والفضة وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح ويمشي مشيارا ويدوي كثير الثاني وربما وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفاز ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجاسون ويؤتي بالفرسين والكباشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

— ذكر تذلل السودان للمكهم وتزيينهم له وغير ذلك من أحوالهم —

والسودان اعظم الناس تواضعاً للملكهم وأشدّهم تذلاً له ويخنفون باسمه فيقولون منسى سليمان كى فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعوتيا به ولبس ثياباً خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخة ودخل رافعا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الارض برقيقه ضرباً شديداً ووقف كالراكن يسمع كلامه واذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورعى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تعمى أعينهم واذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمامتهم عن رؤسهم وانصتوا للكلام وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته ويقول فعلت كذا يوم كذا وقتلت كذا يوم كذا فيصدق من علم ذلك وتصديقههم ان يزع احدهم في ترقوسه ثم يرسلهما كما يفعل اذا رمى فاذا قال له السلطان صدقت او شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الادب قال ابن جزى واخبرني صاحب العلامة الفقيه ابو القاسم بن رضوان اعزه الله انه لما قدم الحاج موسى النجراتي رسولا عن منسى سليمان الى مولانا بن الحسن رضى الله عنه كان اذا دخل المجلس الكريم حل بعض ناسه معه قفة تراب فيترب مهمما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل ببلاده

— ذكر فعله في صلاة العيد وايامه —

وحضرت بمالى عيّد الاضحى والفطر فخرج الناس الى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعامهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان والسودان لا يلبسون الطيلسان الا في العيد ماعدا القاضى والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه في سائر الايام وكانوا يوم العيد بين يدى السلطان وهم مللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحجر من الحرير ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان اليها واصلاح من شاء ثم خرج الى المصلى فقضيت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدى السلطان وتكلم بكلام كثير وهنالك رجل بيده رمح بين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته واداء حقه ويجلس السلطان في ايام العيدين بعد العصر على النبي وتأتي السليحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف الخجلة بالذهب واغمادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب وفي أيديهم حلبة من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضى والخطيب على العادة وياً في دوغا الترجمان بنسائه الاربع وجواريه وهن نحو مائة عليهن اللباس الحسان وعلى رأسهن عصائب الذهب والفضة فيها تماثيل ذهب

وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه و يضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قرينات
و يغني بشعر يمدح السلطان فيه ويد كرغواته وأفعاله ويغني النساء والحواري معه
و يلعبن بالقسي ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانهم عليهم جيا ب الملف والحر وفي رؤوسهم
الشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد لطله يضربه ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون
ويتقلبون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك رشاقة وخفة بدعة ويلعبون بالسيوف أجمل
لعب ويلعب دوغا بالسيف لعبا بدعا وعند ذلك يأمر السلطان له بالاحسان فيأتي بصره فيها
مائتا مثقال من التبر ويدكر له ما فيها على رؤوس الناس وتقوم القرارية فيزععون في قسبهم
شكر السلطان وبالغد يعطى كل واحد منهم لدوغا عطاء على قدره وفي كل يوم جمعة بعد
العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه

— ذكر الأضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان —

وإذا كان يوم العيد وأتم دوغا لعبه جاء الشعراء ويسمون الجلال (بضم الجيم) وأحدهم جالي
وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق وجعل لها
رأس من الخشب لها منقار أحمر كأنه رأس الشقشاق ويقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة
المضحكة فينشدون أشعارهم وذكروا أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان إن هذا
البنبي الذي عليه جالس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا وفلان وكان من
أفعاله كذا فافعل أنت من الخير ما يذكرك بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبي ويضع
رأسه في حجر السلطان ثم يصعد إلى أعلى البنبي فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم
على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديما عندهم
قبل الاسلام فاستمروا عليه

— حكاية —

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فأتى أحد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام
بين يدي السلطان وتكلم كلاما كثيرا افقام القاضي فصدقه ثم صدقهما السلطان فوضع كل
واحد منهما عما مته عن رأسه وترب بين يديه وكان إلى جانبي رجل من البيضان فقال لي
أتعرف ما قالوه فقلت لا أعرف فقال إن الفقيه أخبر أن الجراد وقع ببلادهم فخرج أحد
صلحائهم إلى موضع الجراد فها له أمرها فقال هذا جراد كثير فأجابه جرادة منها وقالت
إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعث الله لفساد زرعها فصدقه القاضي والسلطان وقال عند
ذلك للامراء اني برى من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب
ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله ولما قال هذا الكلام وضع القرارية عما مته عن
رؤوسهم وتبرؤوا من الظلم

— حكاية —

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى بابي حفص فقال يا أهل المسجد أشهدكم أن منسى سليمان في دعوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك خرج إليه جماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك من أخذك شيئا فقال منشاو ابوالان يعني مشرفها أخذ منى ما قيمته ستمائة مثقال وأراد أن يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة فبعث السلطان عنه للحين خضر بعد أيام وصر فهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

— حكاية —

وأتفق في أيام إقامتي بمالي أن السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاسا ومعني قاسا عندهم المملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر ويسجنها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الأخرى بنيجو ولم تكن من بنات الملوك فكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعله ودخل بنات عمه على بنيجو يثنى عليها بالمملكة فيجعلن الرماد على أذرعهن ولم يتزين رؤسهن ثم إن السلطان سرح قاسا من ثقافتها فدخل عليها بنات عمه يثنى عليها بالسراح وتزين علي العادة فشكت بنيجو إلى السلطان بذلك فغضب علي بنات عمه تخفن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن وعادتهن إذا دخلن على السلطان أن يتجردن عن ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك ورضى عنهن وصرن ياتين باب السلطان غدوا وعشيا مدة سبعة أيام وكذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان وسارت قاسا تركب كل يوم في جواربها وعبيدها وعلى رؤسهم التراب وتقف عند المشور متنقبة لا يرى وجهها وأكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دونا على لسانه انكم قد أكثرتم الكلام في امر قاسا وانها أذنبت ذنبا كبيرا ثم أتى بجارية من جواربها مقيدة مغولة فقيل لها تكلمي بما عندك فاخبرت ان قاسا بعثتها إلى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كينري واستدعته ليخلع السلطان عن ماله وقالت له أنا وجميع العساكر طوع أمرك فلما سمع الامراء ذلك قالوا إن هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه تخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب وعادتهم أن يستجيروا هنالك بالمسجد وإن لم يتمكن فبدار الخطيب وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسى موسى وكان كريما فاضلا يحب البهائم ويحسن إليهم وهو الذي أعطي لابي اسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال واخبرني بعض الثقات انه أعطى لمدر كين فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاطة أسلم على يدي جدمدر كين هذا

وأخبرني الفقيه مدرّك هذا أن رجلاً من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللّبن كان قد أحسن إلى السلطان منسى موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلاث وهو يومئذ صبي غير معتبر ثم اتفق أن جاء إليه في خصوصية وهو سلطان فعرفه وأدعاه وأدناه منه حتى جلس معه على البني ثم قرره على فعله معه وقال للأمراء ما جزاء من فعل ما فعله من الخير فقالوا له الحسنه بعشر أمثالها فاعطاه سبعين مثقالاً فاعطاه عند ذلك سبعمائة مثقال وكسوة وعبيداً وخدماً وأمره أن لا ينقطع عنه وأخبرني بهذه الحكاية أيضاً ولد ابن شيخ اللّبن المذكور وهو من الطلبة يعلم لقرآن بما إلى

— ذكر ما استحسنته من أفعال السودان وما استعجبته منها —

لئن أفعالهم الحسنه قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقتطرة إنما يتروكونه بيد ثقة من ليبيضان حتى يأخذ مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكّر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصل لكثرة الزحام ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجاده فيسبطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا تمرله ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لا حدم إلا قميص خفاق غسله ونظفه وشهده بالجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيوود إذا ظهر في حقهم النقص ويرى في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوماً بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي ما فعل هذا أقبل ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي إنما قيد حتى يحفظ القرآن ومن مساوي أفعالهم كرن الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن على تلك الصورة فإن عادة القرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتى كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فافوقهن من جواريه وهن عرايا ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له فاهدان ليس عليهما ستر ومنها جعلهم التراب والرمد على رؤسهم تاديباً ومنها ما ذكرته

من الاضحوكة في انشاد الشعراء ومنهم ان كثير امنهم يا كلون الجيف والكلاب والحمر
— ذكر سفرى عن مالى —

وكان دخولي اليها في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخروجي عنها في الثاني والعشرين لحرم سنة اربع وخمسين ورافقتى تاجر يعرف بابى بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لى جل أركبه لان الخيل غالية الاثمان يساوى أحدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل لا يجاز الا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به الا بالليل ووصلنا الى خليج ثلث الليل والليل مقمر

— ذكر الخيل التي تكون بالنيل —

ولما وصلنا الى خليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقعة فعجبت منها وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ثم انى رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر وهي أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذاب ورؤسها كرؤس الخيل وأرجلها كرجل القيلة ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا الليل من تنبكتو إلى كوكوهي تعوم في الماء وترفع رأسها وتنفخ وخاف منها أهل المركب فقرّبوا من البر لئلا تغرقهم ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادت الضربة رجله أو عنقه انفضقه وجذبه به بالجل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه وياكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فربامغا (بفتح الميم والغين المعجم) وهو ممن حج مع السلطان منسى موسى لما حج

— حكاية —

أخبرني فربامغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكنى بابى العباس ويعرف بالدكالى فاحسن اليه باربعة آلاف مثقال لنفقته فلما وصلوا الى ميمة شكّا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت له من داره فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقتها وطلب الامير السارق فلم يجد أحدا ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقاتلته إحدى جواريه ماضاع له شيء وانما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له الى الموضع فاخرجها الامير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي وتناه الى بلاد الكفار الذين ياكلون بني آدم فاقام عندهم اربع سنين ثم رده الى بلده وانما ياكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان كل الابيض مضر لانه لم ينضج

— حكاية —

والاسود هو النضج بزعمهم

وقد تمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين ياكلون بني آدم معهم أميرهم وعادتهم ان يجعلوا في أذانهم اقراطا كبارا وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادما فذبجوها وأكلوها ولطخوا وجوهم وأيديهم بدمها وأتوا السلطان شاكرين وأخبرت ان عادتهم متى ما وفدوا عليه ان يفعلوا ذلك وذكركل عنهم انهم يقولون ان أطيب ما في لحوم الآدميات الكف والندى ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قرى منساو قرى (بضم القاف وكسر الراء) ومات لى بها الجبل الذى كنت أركبه فاخبرني راعيه بذلك فخرجت لا نظرا ليه فوجدت السودان قد أكلوه كما دتهم في أكل الجيف فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشترى لى جملا بزاغرى وهى على مسيرة يومين وأقام معى بعض أصحاب ابى بكر بن يعقوب وتوجه هو ليلتظرنا بميمة فقامت سبعة أيام أضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل

— حكاية —

وفي أيام أقامتى بهذه البلدة رأيت ليلة فيما برى النائم كان انسانا يقول لى محمد بن بطوطه لماذا لا اقرأ سورة يس في كل يوم فمن يومئذ ما تركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر ثم رحلت الى بلدة ميمة (بكسر الميم الاول وفتح الثاني) فزلنا على آبار بخارجهم سافرنا منها الى مدينة تنبكتو (وضبط اسمها بضم التاء المعلو وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلو الثانية وواو) وبينها وبين النيل أربعة اميال واكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكها يسمى فراباموسى حضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة أمير على جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة وسروالا كلها مصبوغة وأجلسه على درقة ورفع كبراه قبيلته على رؤوسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أنى اسحاق الساحلى الغربا طى المعروف ببلده بلطويجن وبها قبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية

— حكاية —

كان السلطان منسى موسى لمساحيج نزل بروض لسراج الدين هذا بركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان واحتاج الى مال فتسفه من سراج الدين وتسلف منه أمراؤه أيضا وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال فاقام بمالى فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابنه فلما وصل تنبكتو أضافه ابوالاسحق الساحلى فكان من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال لهم ولده اني اكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضى اجله ووصل الولد الى مالى واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر ومن تنبكتو ركب التيسل في مركب صغير منحوت من خشبة

واحدة وكنا نزل كل ليلة بالقرى فاشتري ما نحتاج اليه من الطعام والسمن والملح وبالاعطريات
 وبحلى الزجاج ثم وصلت الى بلد أنسبت اسمه له أمير فاضل حاج بسمي قربا سليمان مشهور
 بالشجاعة والشدة لا يتعاطى أحد النزع في قوسه ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم
 جسما واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فجئت اليه وذلك يوم مولد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألتني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فاخذت
 لocha كان بين يديه وكتبت فيه يا فقيه قل لهذا الامير اننا نحتاج الى شيء من الذرة للزاد
 والسلام وناولت الفقيه اللوح يقرأ فيه سرا ويكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأ جهرا
 وفهمه الامير فاخذ بيدي وادخلني الى عشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقصي
 والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم أتى بمشروب
 لهم يسمى الدقنو (بفتح الدال المهمل وسكون الفاف وضم النون واو) وهو ماء فيه
 جريش الذرة مخلوط بيسير غسل اوبن وهم بشر بونه عوض الماء لانهم ان شربوا الماء خالصا
 أضر بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوه بالعدل أو اللبن ثم أتى ببطيخ أخضر فاكلنا منه ودخل
 غلام نحاسي فدعا وقال لي هذا ضيافتك واحفظه لئلا يفر فاخذته وأردت الانصراف فقال
 أقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية له دمشقية عربية فكلمتني بالبربي فبينما نحن في ذلك
 إذ سمعنا صراخا بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمته ان بنتا له قد توفيت
 فقال اني لأحب البكاء فتعال نمشي الى البحر يعني النيل وله على ساحله ديار قاتي بالقرس فقال
 لي اركب فقلت لا أركبه وأنت ماش فشيننا جميعا ووصلنا الى دياره على النيل وأتى بالطعام
 فاكلنا وادعته وانصرفت ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل والغلام الذي اعطانيه
 باق عندي الى الآن ثم سرت الى مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن
 مدن السودان وأكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمن وبها القنوص
 العناني الذي لا نظير له وتماهل اهلها في البيع والشراء بالدع وكذلك أهل مالي واقت
 بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفا مزاحا فاضلا وتوفي
 بها بعد خروجي عنه واضافني بها الحاج محمد الوجدى التازي وهو من دخل اليمن والفقيه
 محمد الفيلاي إمام مسجد البيضان ثم سافرت منها برسم تكدي البر مع قافلة كبيرة للغدامسين
 دليلهم ومقدمهم الحاج وجين (بضم الواو وتشديد الجيم المعقودة) ومعناه الذهب
 بلسان السودان وكان لي جمل لركوبي وناقة لجمل الزاد فلما رحلنا أول مرحلة وقفت
 لناقة فاخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حمله وكان في الرفقة

مغربي من أهل نادلى قاي أن يرفع من ذلك شيئا كإفعل غيره وعطش غلامي يوما فطلبت منه الماء فلم يسمح به ثم وصلنا إلى بلاد بردامة وهي قبيلة من البربر (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهمل والفاء وميم مفتوح وتاء تانيث) ولا تسير القوافل إلا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنًا من الرجل وهم حالة لا يقيمون ويبيتهم غريبة الشكل يقيمون أعوادًا من الخشب ويصنعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد مشتبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن ونساءهم أم النساء جمالا وابدعن صورًا مع البياض الناصع والسمن ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغن في السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطًا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن أراد الزواج منهن سكن بهن في أقرب البلاد إليهن ولا يتجاوز بهن كوكو ولا ابوالآتين وأصابني المرض في هذه البلاد لا شتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير إلى أن وصلنا إلى مدينة تكدا (وضبطها بفتح التاء المألوة والكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده) ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي وإضافتي قاضيها أبو إبراهيم اسحق الجاناني وهو من الأفاضل وإضافتي جعفر بن محمد المسوفي وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمراء وهي تجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها إلا سير من القمح يأكله التجار والغرباء ويبيع بحساب عشر بن مدا من أمدادهم بمئقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادة وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدا بمئقال ذهب وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيًا لم يبلغ وأما الرجال فقلما تقتلهم ولقد لدغت يوما وأنا بها ولد الشيخ سعيد بن علي عند الصبح فمات لحينه وحضرت جنازته ولا شغل لاهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام إلى مصر ويحلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولا هملار فاهية وسعة حال ويتفخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مالي وأبو الآتين ولا يبيعون المعلمات منهن إلا نادرا وبالثن الكثير

— حكاية —

أردت لما دخلت تكدا اشراء خادم معلمة فلم أجدها ثم بعثت إلى القاضي أبو إبراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشترى بها بخمسة وعشرين مثقالًا ثم إن صاحبها ندم ورغب في الاقالة فقلت له إن دللتني على سواها أقلتك فداني على خادم لعل أغبول وهو المغربي النادلي الذي أبي أن يرفع شيئا من أسبابي حين وقعت ناقتي وإني إن يسقى غلامي الماء حين عطش فاشترى بها منه وكانت خيرًا من الأولى وأقلت صاحبني الأول ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب في الاقالة والحق في ذلك فابت الأنا أن أجاز به بسوء فعله فكاد أن يخن أو يهلك

أسفاهم أقلته بعد — ذ كرمعدن النحاس —

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الارض ويأتون به الى البلد فيسبكونه في دورهم بفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوه نحاساً أحمر صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيت بمئقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمئقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والخطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها الى مدينة كوبر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد برنوا وهي على مسيرة أربعين يوماً من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب ومن هذه البلاد يؤتى بالجواري الحسان والفتيان بالثياب المحسدة ويحمل النحاس ايضاً منها الى جوجوة وبلاد الموريتين وسواها — ذ كرسطان تكدا —

وفي أيام اقامتي بها توجه القاضي أبو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس ابو حفص والشيخ سعيد بن علي الى سلطان تكدا وهو بربري يسمى إزار (بكسر الهمزة وزاي والفاء وراء) وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركري وهو من سلاطين البربر ايضاً منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهم فاقدت ان القاه فاكترت دليلاً وتوجهت اليه وأعلمه المذكورون بقدمي فجاء الى راكبا فرسادون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعه أولاد اخته وهم الذين يرثون ملكه فقمنا اليه وصافحناه وسأل عن حالى ومقدمى فاعلم بذلك وأنزلني ببيت من بيوت الينا طيبين وهم كالوصفان عندنا وبعت برأس غنم مشوى في السفود وقعب من حليب البقر وكان في جوارنا بيت أمه واخته فجاءنا الينا وسلمت علينا وكانت ثمة تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت بالغدو وأما الطعام فلا ياكلونه ولا يعرفونه وأقمت عندهم ستة أيام وفي كل يوم يبعث بكيشين مشوين عند الصباح والمساء واحسن الى بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا — ذ كروصول الامر الكريم الى —

ولما عدت الى تكدا واصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بامر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أمر الى بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامثلته على الفور واشترت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلاث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم اللبن والسمن

يشتري بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادى عشر لشعبان سنة أربع وخمسين في
 رفقة كبيرة فيهم جعفر التواني وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا وفي
 الرفقة نحو ستائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكررى وهي أرض كثيرة
 الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحما ويحمله أهل توات الى بلادهم
 ودخلنا منها الى بركة لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة أيام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما
 في بركة لا عمارة بها الا ان الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفتقر به طريق غات الآخذ الى ديار
 مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجري على الحديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود
 لونه وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير
 عندهم ولقينا أحدا كبيرا منهم فحبس القافلة حتى غرموا له اثوابا وسواها وكان وصولنا الى
 بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع
 بالطريق في رمضان لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البربر وسرنا في بلاد
 هكار شهرا وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقهم اوعر ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد
 برابر أهل لثام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا وأعلمونا أن أولاد خراج وابن يغمور خالفوا
 وسكنوا تساييت من توات فخاف أهل القافلة من ذلك ثم وصلنا الى بواد (بضم الباء
 الموحدة) وهي من أكبر قري توات وأرضها مال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن
 أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لهاذلك من
 بلاد المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يخزنونه كما يخزن التمر ويقاتلون به
 ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذ ذاك لاجل البرد وأقمنا ببودا أياما ثم
 سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذى القعدة الى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني
 ذى الحجة وذلك أوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة
 والثلج الكثير ببخاري وسمرقند وخراسان وبلاد الازراك فلم أر أصعب من طريق أم
 جنيبة ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقت هنالك يوم الاضحى ثم خرجت
 فوصلت الى حضرة فارس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة وتيمنت
 بمشاهدة وجهه المبارك واقت في كثف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما أولانيه
 من جزيل احسانه وسابغ امتنانه وبديم أيامه ويمتع المسلمين بطول بقائه وهما انتهت
 الرحلة المسماة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها
 في ثالث ذى الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

﴿ قال ابن جزى ﴾

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة أكرمه الله ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رجال العصر ومن قال رجال هذه الملة لم يبعد ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فارس قرا ومستوطنا بعد طول جولا نه الا الماء لا تحقق ان مولانا أيداه الله أعظم ملوكا شانا وأعمهم فضائل وأكرمهم احسانا وأشد هم بالواردين عليه عناية وأتمهم بمن ينتمي الى طلب العلم حماية فيجب على مثلى أن يحمد الله تعالى لأن وفقه في أول حاله وترحاله لاستيطان هذه الحضرة التي اختارها هذا الشيخ بعد رحله خمسة وعشرين عاما انها لنعمة لا يقدر قدرها ولا يوفي شكرها والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين ويبقى علينا ظل حرمة ورحمته ويجزيه عنا معشر الغرباء المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين اللهم وكما فضلته على الملوك بفضيلتي العلم والدين . وخصصته بالحلم والعقل الرصين فد لمنك أسباب التأييد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين . واجعل الملك في عقبه الى يوم الدين . وأره قرّة العين في نفسه وبنيه وملكه ورعيته يا راحم الراحمين .

وصلّى الله على سيدنا ونبينا ومولانا
محمد خاتم النبيين . واما
المرسلين والحمد لله
رب العالمين .

وكان الفراغ من تأليفها في شهر صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة *

﴿ يقول مصححه الراجي عفوره الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم ﴾

حمدا لمن شرح صدور الاجلة الالباء * لاستكشاف ما في الاصقاع من
 العادات وجميل الانباء * وصلاة وسلاما على من اطلعه الله على ما
 كان * وارسله الى الثقلين من انس وجان * وبعد فقد تم طبع هذا
 السفر المشتمل على معرفة عوائد الاقطار المسمي (تحفة النظار * في غرائب
 الامصار * وعجائب الاسفار) تاليف الامام ابي عبدالله
 محمد بن عبدالله المعروف بابن بطوطة رحمه الله وذلك (بالمطبعة
 الازهرية) الثابت محل ادارتها بشارع رقعة القمح
 رقم ٦ بجوار الرياض الازهرية وقد وافق
 التمام أوائل شهر جمادي الثانية من
 عام ١٣٤٧ هجرية عليه وعلى
 آله واصحابه أتم صلاة
 وازكى تحية
 آمين



﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطة ﴾

صفحة	صفحة
٦١ ذكر ارباض دمشق	٢ خطبة الكتاب
ذكر قاسيون ومشاهدة المباركة	٧ ذكر سلطان تونس
٦٢ ذكر الربوة والقري التي تواليها	٩ ذكر أبواب اسكندرية ومرساها
٦٣ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل	٩ ذكر المنار
أهلها وعوائلهم	ذكر عمود السواري
٦٥ ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من	١٠ ذكر بعض علماء الاسكندرية
أهلها	٢١ ذكر نيل مصر
٦٩ طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٢ ذكر الاهرام والبرابي
وشرف وكرم	٢٣ ذكر سلطان مصر
ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه	٢٤ ذكر بعض أمراء مصر
وسلم وروضته الشريفة	٢٤ ذكر القضاة بمصر
٧٠ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم	٢٥ ذكر بعض علماء مصر وأعيانها
٧٢ ذكر المنبر الكريم	٢٦ ذكر يوم الحمل بمصر
٧٣ ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول	٣٣ ذكر المسجد المقدس
الله صلى الله عليه وسلم	ذكر قبة الصخرة
ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به	٣٤ ذكر بعض المشاهدة المباركة بالقدس
٧٤ ذكر الجاورين بالمدينة الشريفة	الشريف
٧٥ ذكر أمير المدينة الشريفة	ذكر بعض فضلاء القدس
ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج	٥٢ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع
المدينة الشريفة	بنو أمية
٨٠ ذكر مدينة مكة المعظمة	٥٦ ذكر الائمة بهذا المسجد
ذكر المسجد الحرام	ذكر المدرسين والعلمين به
٨١ ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها	٥٧ ذكر قضاة دمشق
الله تعظيما وتكريما	٥٨ ذكر مدارس دمشق
٨٢ ذكر الميزاب المبارك	ذكر أبواب دمشق
	٥٩ ذكر بعض المشاهد والمزارات بها

صحيحة	صحيحة
١٠٦ ذكر كسوة الكعبة	٨٢ ذكر الحجر الأسود
ذكر الاتصال عن مكة شرفها الله	٨٣ ذكر المقام الكريم
١٠٩ ذكر الروضة والقبور التي بها	ذكر الحجر والمطاف
١١٠ ذكر نقيب الاشراف	٨٤ ذكر زمزم المباركة
١١٤ مدينة واسط	٨٥ ذكر أبواب المسجد الحرام وما
١١٥ مدينة البصرة	داريه من المشاهد الشريفة
١١٦ ذكر المشاهد المباركة بالبصرة	٨٦ ذكر الصفا والمروة
١٢١ ذكر ملك ايندج وتستر	٨٧ ذكر الجبانة المباركة
١٣٠ ذكر سلطان شيراز	ذكر بعض المشاهد خارج مكة
١٣٣ ذكر بعض المشاهد بشيراز	٨٨ ذكر الجبال المطيفة بمكة
١٣٧ مدينة الكوفة	٩١ ذكر أميري مكة
١٣٩ مدينة بغداد	ذكر أهل مكة وفضائلهم
١٤١ ذكر الجانب الغربي من بغداد	٩٢ ذكر قاضي مكة وخطيبها وامام
ذكر الجانب الشرقي منها	الموسم وعلمائها وصلحاتها
١٤٢ ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور	٩٤ ذكر الحجاورين بمكة
بعض العلماء والصالحين بها	٩٨ ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم
١٤٣ ذكر سلطان العراقيين وخراسان	ومواضع أئمتهم
١٤٥ ذكر المتغلبين على الملك بعد موت	٩٩ ذكر عاداتهم في الخطبة وصلوة الجمعة
السلطان أبي سعيد	١٠٠ ذكر عاداتهم في استهلال الشهور
١٤٨ مدينة الموصل	ذكر عاداتهم في شهر رجب
١٥٠ ذكر سلطان ماردن في عهد دخولي اليها	١٠١ ذكر عمرة رجب
١٥٥ ذكر سلطان جزيرة سواكن	١٠٢ ذكر عاداتهم في ليلة النصف من شعبان
١٥٦ ذكر سلطان حلي	ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم
١٥٨ ذكر سلطان اليمن	١٠٣ ذكر عاداتهم في شوال
١٦٠ ذكر سلطان مقدشو	١٠٤ ذكر إحرام الكعبة
١٦٣ ذكر سلطان كلوا	ذكر شعائر الحج وأعماله

صفحة	صفحة
٢١٢ ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان	١٦٦ ذكر التنبول
٢١٤ ذكر الخواتين وترتيبهن	١٦٧ ذكر النارجيل
٢١٦ ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك	١٦٨ ذكر سلطان ظفار
٢١٧ ذكر ولدي السلطان	١٦٩ ذكر ولي لقيناه بهذا الجبل
ذكر سفري الى مدينة بلغار	١٧٢ ذكر سلطان عمان
ذكر أرض الظلمه	١٧٤ ذكر سلطان هرمز
٢١٨ ذكر ترتيبهم في العيد	١٧٦ ذكر سلطان لار
٢٢١ ذكر سفري الى القسطنطينية	١٧٧ ذكر مغاص الجواهر
٢٢٤ ذكر سلطان القسطنطينية	١٨٠ ذكر سلطان العالاي
٢٢٦ ذكر المدينة	١٨١ ذكر الاخيه الفتيان
ذكر الكنيسة العظمى	١٨٢ ذكر سلطان أنطاكية
٢٢٧ ذكر المناسترات بقسطنطينية	١٨٣ ذكر سلطان اكر يدور
٢٢٨ ذكر الملك المتوهاب جرجيس	١٨٣ ذكر سلطان قل حصار
٢٢٩ ذكر قاضي القسطنطينية	١٨٥ ذكر سلطان لاذق
ذكر الانصراف عن القسطنطينية	١٨٦ ذكر سلطان ميلاس
٢٣٣ ذكر أمير خوارزم	١٨٧ ذكر سلطان اللارندة
٢٣٥ ذكر بطيخ خوارزم	١٩١ ذكر سلطان بركي
٢٣٧ ذكر أولية التروخوهم بخاري	١٩٥ ذكر سلطان مغنيسية
وسواها	ذكر سلطان برعمة
٢٣٩ ذكر سلطان ماوراء النهر	١٩٦ ذكر سلطان بلي كسري
٢٤٧ ذكر سلطان هرات	١٩٧ ذكر سلطان برصي
٢٤٨ حكاية الرافضة	٢٠١ ذكر سلطان كردي بولي
٢٥٥ تمة هذا الجزء	٢٠٣ ذكر سلطان قصطمونية
٢٥٦ تذيل	٢٠٧ ذكر المعجلات التي يسافر عليها حضرة السلطان محمد أوزبك بهذه البلاد

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب رحلة ابن بطوطة ﴾

صحيفة	صحيفة
٢٢ ذكر السلطان نضرية	٢ الخطبة
ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين	ذكر البريد
٢٣ ذكر السلطان غياث الدين بلبن	٤ ذكر الكركدن
٢٤ ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين	٦ ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك
٢٥ ذكر السلطان جلال الدين	٧ ذكر غريبة رأيت بها بخارج مدينة لا هوى
٢٦ ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي	٩ ذكر أمير ملتان وترتيب حاله
٢٧ ذكر ابنة السلطان شهاب الدين	ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند
٢٨ ذكر السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين	١١ ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها
٢٩ ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين	١٢ ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند وبقعاتها بها
٣٠ ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه	١٣ ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند
٣٢ ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك	١٤ ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار
٣٣ ذكر مسير تغلق الى بلاد المكنوتي وما اتصل بذلك الى وفاته	١٦ ذكر وصف مدينة دهلي
٣٤ ذكر السلطان أبي الجهاد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذي قد مناعليه وذكر وصفه الى آخر ما ذكر	١٧ ذكر سور دهلي وابوابها
٣٥ ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك وذكر ترتيب جلوسه للناس	ذكر جامع دهلي
٣٦ ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا اليه	١٨ ذكر الخوضين العظمين بخارجها
٣٧ ذكر دخول هدايعه اليه	١٩ ذكر بعض مزاراتها
	ذكر بعض علمائها وصلحاتها
	٢٠ ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك
	٢١ ذكر السلطان شمس الدين للمش
	٢٢ ذكر السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين

صحيفة

صحيفة

٣٧٨ ذكر خروجه للعديد من وما يتصل بذلك
 ٣٨ ذكر جلوس يوم العيد و ذكر السرير
 الاعظم والمبخرة العظمي
 ٣٩ ذكر ترتيبه اذا قدم من سفره
 ٤٠ ذكر ترتيب الطعام الخاص
 ذكر ترتيب الطعام العام
 ٤١ ذكر بعض اخباره في الجود والكرم
 ذكر عطائه الى آخر ما ذكر
 ٤٥ ذكر قدوم ابن الخليفة عليه واخباره
 ٤٩ ذكر تزوج الامير سيف الدين غدا
 باخت السلطان
 ٥٠ ذكر سجن الامير غدا
 ٥٢ حكاية في تواضع السلطان و انصافه
 ذكر اشتداده في اقامة الصلاة
 ذكر اشتداده في اقامة احكام الشرع
 ٥٣ ذكر رفعه للمغارم والمظالم وقعوده
 لانصاف المظلومين
 ذكر اطعامه في الغلاء
 ذكر فتكات هذا السلطان وما نفع من افعاله
 ذكر قتله ل اخيه
 ٥٤ ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا في
 ساعة واحدة
 ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله
 ٥٥ ذكر قتله للفقهاء المدرسي عفيف الدين
 الكاساني وفقهين معه
 ٥٦ ذكر قتله ايضا لفقهاء من اهل السند

كانا في خدمته
 ٥٦ ذكر قتله للشيخ هود
 ٥٧ ذكر سجنه لابن ناج العارفين وقتله
 لاولاده
 ٥٨ ذكر قتله للشيخ الحيدري
 ذكر قتله لطوغان واخيه
 ذكر قتله لابن ملك التجار
 ٥٩ ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتي مات
 ذكر تخريبه لدهلي ونفى اهلها وقتل
 الاعمي والمقعد
 ذكر ما افتتح به امره اول ولايته من
 منه على بهادر بوره
 ٦٠ ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك
 ٦١ ذكر ثورة كشلوا خان وقتله
 ٦٢ ذكر الواقعة بجبل قراجيل على جيش
 السلطان
 ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد
 المعبر وما اتصل بذلك من قتل ابن
 اخت الوزير
 ٦٣ ذكر ثورة هلاجون
 ٦٤ ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان
 ذكر الارجاج بموته وفرار الملك
 هوشنج
 ٦٥ ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من
 الثورة وما آل حاله
 ٦٥ ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك

صحيفة

٦٦ ذكر انتقال السلطان لنهر الكندك

وقيام عين الملك

٧٠ ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفته

على شاه كر

ذكر فرار أمير بخت وأخذه

٧١ ذكر خلاف شاه أفغان بارض السند

ذكر خلاف القاضي جلال

٧٢ ذكر خلاف ابن الملك مل

ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنيابة

٧٣ ذكر قتال مقل وابن الكولمي

٧٤ ذكر الغلاء الواقع بارض الهند

ذكر وصولنا الى دار السلطان عند

قدومنا وهو غائب

ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر

فضائلها

٧٥ ذكر الضيافة

٧٦ ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك

٧٨ ذكر احسان السلطان والوزير الى في

أيام غيبة السلطان عن الحضرة

ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبته

٧٩ ذكر قدوم السلطان واثرائه

٨٠ ذكر دخول السلطان الى حضرته وما

أمر لنا به من المراكب

ذكر دخولنا اليه وما أنعم به من الاحسان

٨٢ ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة

٨٣ ذكر طلب الفراء ما لهم قبلي ومدحي

صحيفة

للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف

ذلك مدة

٨٤ ذكر خروج السلطان الى الصيد

وخروجي معه وما صنعت في ذلك

٨٦ ذكر الرجل الذي أهديته للسلطان الى

آخر ما ذكر

ذكر الجليلين اللذين أهديتهما اليه

٨٧ ذكر خروج السلطان وأمره بالاقامة

بالحضرة

٨٩ ذكر ما فعلته في ترتيب المقبره

ذكر عاداتهم في إطعام الناس في الولايم

٩٠ ذكر خروجي الى هزار أمرها

٩١ ذكر مكرمة لبعض الاصحاب

٩٢ ذكر خروجي الى محلة السلطان

ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما

تداركني من لطف الله تعالى

ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي

عن الدنيا

ذكر بعث السلطان عني وإياي

٩٣ ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين

في الرسالة

ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر

من بعث معي وذكر الهدية

٩٥ ذكر غزوة شهدناها بكون

٩٥ ذكر محنتي بالاسر وخلاص منه

وخلاصي من شدة بعده على يد

صحيفة

- ١٠٠ ذكر أمير علا بور واستشهاده
 ١٠٢ ذكر السجرة الجوكية
 ١٠٥ ذكر سوق المغنين
 ١٠٧ ذكر سلطان مدينة قندهار
 ١٠٨ ذكر ركوبنا البحر
 ذكر سلطان مدينة قوقه
 ١١٠ ذكر سلطان هنور
 ذكر ترتيب طعامه
 ١١٢ ذكر الفلفل
 ١١٣ ذكر سلطان مدينة فاكور
 ذكر سلطان مدينة منجور
 ذكر سلطان مدينة جرفتن
 ١١٤ ذكر الشجرة العجيبة الشان التي بازاء
 الجامع
 ١١٥ ذكر سلطان مدينة قلقوط
 ١١٦ ذكر مراكب الصين
 ١١٧ ذكر اخذنا في السفر الى الصين
 ومنتهى ذلك
 ١١٨ ذكر القرقة والبقم
 ذكر سلطان مدينة كولم
 ١٢٠ ذكر توجهننا الى الغزو وفتح سندابور
 ١٢١ ذكر اشجارها
 ١٢٢ ذكر اهل هذه الجزائر وبعض
 عوائدهم وذكر مسكنهم
 ١٢٤ ذكر نساها

صحيفة

- ١٢٥ ذكر السبب في اسلام هذه الجزائر
 ١٢٦ ذكر سلطنة هذه الجزائر
 ١٢٧ ذكر ارباب الخطط وسيرهم
 ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل
 حالي بها
 ١٢٩ ذكر بعض احسان الوزير الى
 ١٣٠ ذكر تغيره وما اردته من الخروج
 ومقامي بعد ذلك
 ١٣١ ذكر العيد الذي شاهدته معهم
 ذكر تزيجي وولايي القضاء
 ١٣٢ ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد
 الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب
 الدين الى السويد وما وقع بيني وبينه
 ١٣٣ ذكر انقصا لي عنهم وسبب ذلك
 ١٣٤ ذكر النساء ذوات الثدي الواحد
 ١٣٦ ذكر سلطان سيلان
 ١٣٧ ذكر سلطان مدينة كنيكار
 ذكر الياقوت
 ١٣٨ ذكر القروذ
 ذكر العلق الطيار
 ١٣٩ ذكر جبل سرنديب
 ذكر القدم
 ١٤١ ذكر سلطان بلاد المعبر
 ١٤٢ ذكر وصولي الى السلطان غياث الدين
 ١٤٢ ذكر ترتيب رحيله وشيخ فعله في
 قتل النساء والولدان

صحيفة

صحيفة

- ١٤٣ ذكر هزيمة للكفار وهي من أعظم فتوحات الاسلام
- ١٤٥ ذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه الخ
- ١٤٦ ذكر سلب الكفار لنا
- ١٤٨ ذكر سلطان بن جالة
- ١٤٩ ذكر الشيخ جلال الدين
- ١٥٠ ذكر سلطان البرهانكار
- ١٥٢ ذكر سلطان الجاوة
- ١٥٢ ذكر دخولنا الى داره واحسانه الينا
- ١٥٤ ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه
- ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك
- ١٥٥ ذكر اللبان والكافور والعود والقرنفل
- ١٥٦ ذكر سلطان مل جاوة
- ذكر عجيبة رأيتهما يجلسه
- ١٥٧ ذكر هذه الملكة
- ١٥٩ ذكر الفخار الصيني والدجاج
- ذكر بعض من أحوال أهل الصين
- ١٦٠ ذكر دراهم الكاغد الذي بها يتعاملون
- ذكر التراب الذي يوقدونه مكان الفم
- ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات
- ١٦١ ذكر عاداتهم في تقييد ما في المراكب
- ذكر عاداتهم في منع التجار عن الفساد
- ١٦٢ ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق
- ١٦٧ ذكر الامير الكبير قرطبي
- ١٦٩ ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان
- ذكر قصره
- ١٧٠ ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله
- ١٧١ ذكر رجوعه الى الصين ثم الى الهند
- ذكر الرخ
- ١٧٢ ذكر اعراس ولد الملك الظاهر
- ١٧٣ ذكر سلطان ظفار
- ١٧٤ ذكر سلطان بغداد
- ١٧٦ ذكر سلطان القاهرة
- ١٧٧ ذكر سلطان مدينة تونس
- ١٨٠ ذكر بعض فضائل مولانا اياه الله
- ١٨٤ ذكر التكتشف
- ١٨٥ ذكر مسوفة السالكين بايوان
- ١٩٤ ذكر سلطان مالي
- ١٩٥ ذكر ضيافتهم الفاخرة وتعظيمهم لها
- ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واحسانه الى
- ١٩٦ ذكر جلوسه بالمشور
- ذكر تذال السودان لملكهم وترتيبهم له وغير ذلك من أحوالهم
- ١٩٧ ذكر فعله في صلاة العيد وايامه
- ١٩٨ ذكر الاضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان
- ٢٠٠ ذكر ما استحسنته من أفعال السودان
- ٢٠١ ذكر سفرى عن مالي
- ذكر الخيل التي تكون بالنيل
- ٢٠٥ ذكر معدن النحاس
- ذكر سلطان تكدا
- ذكر وصول الامر الكريم الى

